شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: محمود درويش
سكرتير التحرير: الياس خوري

حزيران (يونيو) ١٩٧٨ — ٧٩

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص·ب ١٦٩١ · تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحات ، بيروت ·

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل·ل· في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل·ل· في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل·ل· في اوروبا ، ١٢٥ ل·ل· في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل·ل· في جميع الدول غير العربية ·

الغلاف للفنان عبد القادر ارناؤوط

المحتويـــات

هــزيــمة الانتصـــار

لا ننظر الى الوراء لنرى الليل الذي ساقونا اليه ، يوم كنا صغارا ووحيديـــن ، ويوم انتصب لاستقبالنا نصف مليون خيمة مطرزة باللغة الفصحى واناشيد السيوف والرماح · كانت السلطات الكريمة التي فتحت لنا المنافي على رحبها ، باعتبارهـا بيوتنا المشتركة ، هي التي امنت لنا الاقامة السعيدة على حافة الوطن وعلى حافـة الامة ، وهي التي احكمت سياج البنادق المصوبة على خطانا التي حاولت التحـرك في اتجاه العودة او في اتجاه العروبة · كان كل واحد منا يسأل : هل انا العربي وحدي ؟ او يتساءل : هل انا الفلسطيني وحدي ؟·وفي السجون الاسرائيلية كنا نعلم كم صرنا عربا · وفي السجون العربية كنا نعلم كم صرنا فلسطينيين · ولم نكـن هنا ، او هناك · نحمل عبء الارض وحدها ، كنا نحمل عبء الاسم ·

وبعد ثلاثين عاما من جدل الحضور والغياب الذي يسجل فيــه الحضــــــور الفلسطيني لغته الحاسمة ، على حساب استقرار اللغة الصهيونية في غياب الماضي ، تحاول الرجعية العربية ، ذات الصفات الملوكية ، العودة بنا الى الاسئلة الاولـــى والى الذكريات الاولى : استبدال الصراع العربي ـ الاسرائيلي بنقاط خلاف تنصـب فيها الامبرياليه حكما · وتغييب الامة عن ساحة الصراع · واستبدال الامن القومي، او حتى الوطني ، بالامن الاجتماعي الذي يعني في ظروف اغلبية الكيانات العربيـة مزيدا من قمع الكادحين لتأمين تضخم الطفيليات ، وحرمان المواطن من التساؤل عن مستقبل الرغيف وعن مصير الوطن ·

ان اشياء كثيرة تنتهي ·

وان شيئا ما جديدا ·· سيبدأ ·

ومن لا يذكر الخامس عشر من أيار ، سيستقبل الخامس من حزيران غدا · ومن لا يذكره سيواجه ، بعد حين ، كارثة التفريط بنتائج السادس من تشرين · والسنة العربية الرسمية مليئة بمزيد من الانقلابات على التاريخ وعلى الـــذات ، وبآيات لا تنتهي على المهارة الفائقة في جعل الهزيمة هدفا سهل المنال ، وفي تقديم الشـروط الدائمة لانتصار الهزيمة ·

هكذا يتبخر التضامن العربي · وهكذا تأتي الذكرى الثلاثون للخامس عشر مـن ايار ليجد المصير الفلسطيني نفسه محاصرا بمهمات الدفاع عن النفس امام الهجوم المضاد الذي تشنه الرجعية على القوى الثورية والديموقراطية العربية ، مستبدلـة مهام تحرير الارض العربية المحتلة ، بتطهير ارض العرب وافريقيا من فكرة الثورة

ومن فكرة الديموقراطية ومن محاولات التحول الاجتماعي ، لنشهد على ميلاد طـــراز فريد من الفاشية العربية ، المحمية بالطائرات الاميركية ٠

ويجد المصير الفسطيني نفسه ، من ناحية اخرى ، يواصل صراعه التاريخي مع العدو الصهيوني محروما من مساندة عناصر التأييد العربية المعرضة للملاحقـــة والتفتيت ٠ وهذا يتبخر التضامن العربي من حول فلسطين ليتحول البحث عـــن صياغة تضامن القوى الوطنية والديموقراطيـــة الـــى شرط حيـــاة لفلسطين وللديموقراطية ، لكي يتمكن الحضور الفلسطيني المنجز على مستوى جدل الحضور والغياب الدموي مع العدو الصهيوني الى حضور ثابت وغير قابل للخلخلة على مستوى العلاقات العربية ٠

لقد تجاوزت الثورة الفلسطينية كل مراحل الخطر في صراعها مع العـــــدو الصهيوني ٠ واكثر من ذلك : ان هذا الصراع الذي يخوضه الشعب الفلسطينـــي بشجاعة وعطاء نادرين هو الذي جعل الشخصية الفلسطينية الجديدة شرط السلام أو الحرب في هذه المنطقة الحيوية من العالم ، وهو الذي جعل محاولات الفصـــل بين القضية والشعب والثورة مستحيل الادراك ٠ ومع ذلك ، فان المفارقات تطـــل بألسنة ساخرة : هل تستطيع الرجعية العربية ، باجتياحها الصحراوي الملوكـــي الفاشي ، في محاولة الاستيلاء على رياح الشرق ، ان تنجز مهمة تغييب فلسطين الثورة ـ لا فلسطين المسجد الاقصى ـ عن حلبة الصراع المفتوح ، او هل تستطيع ان تلجم الصراع ، وتصون الامن الصهيوني الذي صارت عملية الانقضاض عليـه انقضاضا على أمن الرجعية بما تخلق هذه العملية من تغييـــر فـــي التوازنات والموازين ومن فتك بأمن الطبقات الحاكمة ؟٠

ان الصراع المفتوح على المستوى الوطني وعلى المستوى الاجتماعي ، وبعد مسيرة ثلاثين عاما من التغير العميق ، غير خاضع لرغبة امير او ملك جديد عجز عن حـــل اية قضية من قضايا الوطن وقضايا الحكم ٠ واذا كانت الحركة الصهيونية قـــد عجزت عن وأد الفلسطيني والفكرة الفلسطينية في المهد ، فلن يتمكن من تشبه بها ان يعود بالحضور الفلسطيني وبحركات الجماهير العربية الواسعة الملتفة حـــول المسألة الديموقراطية والفكرة الفلسطينية الى الوراء ٠

ارادوا ان يكون الفلسطيني غائبا عن أرضـــ فلسطين ، ليتأسس المشـــروع الصهيوني في مناخ الشرعية ٠ وغائبا عن ناموس العلاقات العربية لكي لا يســـرق حقا أو لكي لا يذوب ولا تذوب القضية فلا يجد الانقلابيون افتتاحية للخطـــاب ٠

وغائبا عن الحرب الرسمية ، لكي لا ينال جدارة او نتيجة · وغائبا عن السلم لكي لا يضع شروطه ·

ولكن الحاضر يحضر والغائب يغيب ·

وان اشياء كثيرة تنتهي ·

وان شيئا ما جديدا يبدأ ·

وسيظل المشروع الصهيوني هو العدو الرئيسي للشعب الفلسطيني وللامة · وان قراءة ما فشل هذا المشروع عن تحقيقه في مهمة تصفية نقيضه التاريخي المباشر تشكل حجر الزاوية في مراقبة الازمات وآفاق تخطيها ، على الرغم من اننا لن نجد القوة الاساسية التي يتحلى بها هذا العدو في مقوماته الذاتية ولا في مصادره الامبريالية ، بقدر ما نجدها في ضعف الكثير من عناصر الجبهة المرشحة لمحاربته وهي الجبهة العربية ·

هل نجح المشروع الصهيوني ؟ سؤال صعب ، يرد عليه الصراع المفتوح للاحتمالات والحسابات التي ترجح – على المستوى النظري – حتمية انتصار الامة العربية التي تمتلك شروط النهوض والتطور والتحرر ، بينما تعج الظاهرة الصهيونية بكل عوامل الانكماش والتحجر ، اذا نظرنا الى الصراع من منظور صراع الامة العربية مع الامبريالية · ولكن التفاعل المتبادل بين المشروع الصهيوني والرجعية العربية والذي يتمثل بمد احدها الاخر بالحياة يصرف الاجابة عن السؤال الى جدلية الصراع في الداخل العربي دون ان يحرمها من استيعاب قدرة العامل الخارجي من التأثير في هذه الجدلية · وسيكون من التبسيط ان تعفى العلاقة الصهيونية – الرجعية العربية من عوامل التناقض في المصالح ، وان كان هذا التناقض لا يفتك بالاستنتاج القائل ان طول عمر المشروع الصهيوني رهن بانتصار الرجعية العربية ، وان طول أمد الرجعية رهن بقدرة المشروع الصهيوني على الانتصار ·

هل نجح المشروع الصهيوني ؟ سؤال صعب ايضا تجيب عليه – على المستوى العملي – حرب الثلاثين سنة التي لم تقدم للعرب امكانيات تحقيق وحدتهم التي يقتضيها الاحساس بالخطر المشترك وبالمصلحة المشتركة ، وانتهت في العقد الرابع للصراع بانقلاب خطير في الاستراتيجية تحول فيه الاصدقاء الحقيقيون الى اعداء ، وتحول فيه الاعداء الى منقذين ، وصار العجز عن ادارة الصراع بعقلية جديدة صفة الايام العربية الراهنة ·

ولكن حرب الثلاثين سنة لم تقدم ـ على المستوى الاسرائيلي ـ حل مشكلة العمر اليهودي الضائع ٠ لم يتمكن اليهود من التحول الى سكان شرعيين في المنطقة ٠ ولم يتمكنوا من صياغة حياتهم الطبيعية ٠ ولم يتمكنوا من تحقيق سلام مع احد ٠ ولم يحققوا استقلالهم المستحيل ٠ كان عيدهم الثلاثون أمس شرا من جنازة ، فلم يعد أحد منهم قادرا على القول ان فلسطين لا وجود لها ٠ وان الفلسطينيين من هم ؟ لا نعرف احدا بهذا الاسم ، كما كانت تقول رئيسة وزرائهم السابقة ٠ على العكس من ذلك ، كانت حربهم الخامسة ـ عشية عيدهم الثلاثين ـ مع هذا الشبح الفلسطيني الذي حارب احدث طائراتهم ودباباتهم لمدة ثمانيةايام في جنوب لبنان ، دون ان يتمكنوا من خدش حضوره الساطع في يومياتهم وفي مستقبلهم الذي يدفعه هذا الحضور الى الغياب ٠ ان المنطق الاسرائيلي هو الذي يلغي الوجود الاسرائيلي باشتراطه حضوره بغياب الفلسطينيين ٠ لقد حضر الفلسطينيون ولم تكن الطائفة اليهودية تحارب الصحراء والاشباح ٠ لقد حشد الفكر الصهيوني نفسه بمقولات خلاء ارض فلسطين من السكان ٠ ونجح المستوطنون اليهود في اخلاء مناطق واسعة من أرض فلسطين من السكان ٠ كانت دير ياسين وكفر قاسم شرط حياة الكيان الصهيوني ،كما كانت مذابح النازية الشرط ذاته ـ كيف يصير اليهودي نازيا، تماما كما يصير العربي صهيونيا ـ ولكن لانجاز المشروع الصهيوني والقيام بدوره الذاتي ودوره الصليبي شروطا اخرى هي المزيد من الارض ٠ لم تكن الارض خالية، فلم يتمكن الفكر الصهيوني والواقع الاسرائيلي من التعامل مع الفلسطينيين على أساس انهم غائبون ٠ لقد استحضرهم التوسع في الوعي وفي الصراع ٠ لا ٠ ليس صحيحا القول ان المشروع الصهيوني قد خلق نقيضه الفلسطيني ، فان هذا النقيض موجود قبل المشروع وهو الذي يعرقل صيرورة المشروع الى ثبات ، وهو الذي يستقطب اللحظة الثورية العربية ، ويغذي الامة بنبض المواجهة ٠

هل نجح المشروع الصهيوني اذن ؟ على المستوى الاسرائيلي الذاتي ، لم يكن تاريخ المشروع تاريخ بناء دولة ، اطارا لتطور شعب يمارس حريته وحياته وابداعه الحضاري ٠ انهم مشغولون بعرقلة حياتنا ، فلا يستطيعون تطوير حياتهم ٠ مشغولون ببناء هيكل الخوف النفسي والجسدي وعاء وحيدا لتوحيدهم ٠ لقد كان تاريخ المشروع ولا يزال تاريخ بناء جيش ٠ اسبارطة جديدة لا قيمة للانسان فيها الا قيمة الاعتداء ٠ وخارج هذه الصيرورة لم تفعل الطائفة شيئا ذا شأن غير بعث اللغة ٠ وهكذا كان « تحررها » نضالا قاسيا لاختيار العبودية ٠ فيبقى السؤال عن النجاح او الفشل محكوما بمعايير الاخرين ٠ اما في شروط الغزو فيبقى السؤال متأرجحا على موازين القوى ٠

وخارج هذا الشرط يرد السؤال الصعب : هل تحررت الطائفة اليهودية على اشلاء فلسطين التي لم تعد اشلاء ؟ قد يقولون انهم تحرروا من المنفى ، فأي وطن هذا الذى لا يشبهه ميدان قتال اخر · لقد جمعوا « منافيهم » في منفى واحد مسدود النوافذ على الجهات كلها الا جهة الانتحار · وقبل ذلك وبعده ، هل يصلح مثال هذه الاسئلة للطرح على الصهيونية خارج عناصرها العدوانية والتدميرية ؟ لا · فأي كيان هذا الذي تجري محاكمته ضمن منظور عادي وخارج ساحة الصراع !· واي مستقبل ـ حل يصوغه هذا الجندي المدرب في حرب بلغت ثلاثين عاما ولم تتوقف ؟ · ليست الحرب هدفا الا للمنتحرين ·

ويأتي الحضور الفلسطيني النقيض الذي كان غيابه شرط حياة الكيان الصهيوني ليحول الاسئلة الى مصير · لا يأتي الفلسطيني من الصفر ومن الليل السري والبحر الغامض · انه يأتي من أرض اقامته ومن الحق ومن نهوض الامة الكبيرة ومن مستقبلها · ان تطور الشخصية الفلسطينية النقيض لتحالف الماضي هو الذي يحدد وجهة المستقبل ، على الرغم من امتلاء اللحظة العربية الراهنة بمظاهر العودة الى الماضي · لقد انقسم العرب لانهم منقسمون منذ البداية الى قوى متعارضة في المصالح الاجتماعية والوطنية · وقد آن الاوان لان يوقى الرجاء العربي من اغراء الكم واحتمالات الضغط على الامبريالية بالثروة التي هي ليست لنا ، فها هي تعلن عن وجهها وتبذل كل شيء من اجل ان تعطى دورا اميركيا افضل في مكافحة الثورة · ومن اجل ان تنجز « التسوية الاجتماعية » الداخلية شرطا لاقامة علاقات طبيعية مع العدو ·

ونحن لا ننظر الى الوراء لنرى الليل السابق ، والحصار الراهن ، بل لنرى التطور المذهل الذي حققته مسيرة تبلور الشخصية الفلسطينية المقاتلة على كل جبهات الصراع ، ولنرى المأزق الذي يضع الحضور الفلسطيني عدوه التاريخي فيه ، حيث يجعله عاجزا عن توظيف انتصاراته العسكرية ، ويعطي للنصر الصهيوني صفته الحقيقية « هزيمة الانتصار » · ونحن ، لا ننظر الى الوراء لنرى الليل الذي ساقتنا اليه الصهيونية والرجعية ، يوم كنا صغارا ووحيدين ، بل لنرى نقطة الضوء المتناسلة في المدى العربي الواسع ، ولندرك ان المأزق الذي يسم الوقت العربي الراهن بالعجز ، ليس مأزق الجماهير والامة ، بل هو مأزق الحكام الذين انتصرت عليهم الهزيمة ·

ان اشياء كثيرة تنتهي

وان اشياء كثيرة تبدأ ·

محمود درويش

المشروع الصهيوني في ثلاثين عاماً

"ندوة"

الياس شوفاني — محمود سويد
صبري جريس — نزيه قوره
عبد الحفيظ محارب — هاني العبدالله

حررها : الياس خوري

هذا النص حصيلة ندوة استغرقت ثلاثة ايام ، خصصتها « شؤون فلسطينية » لمناقشة واقع الكيان الصهيوني بعد مرور ثلاثين سنة على تأسيسه • وقد اشترك في الندوة عدد من الباحثين المتخصصين ، من مركز الابحاث ومؤسسة الدراسات الفلسطينية ، في الشؤون الصهيونية والاسرائيلية • وتركزت المناقشة على اوضاع الكيان الصهيوني وعلاقته بالامبريالية ، ومواقفه من المنطقة العربية ، ومن الشعب العربي الفلسطيني • وكان هدف الندوة بلورة استنتاجات عامة لوضعها في سياق الصراع الدائر بين الصهيونية بوصفها جزءا من عملية الغزو الاستعمارية وبين حركة التحرر الوطني العربية وفي مقدمتها الثورة الفلسطينية • وقد اوليت مسالة التسوية الامبريالية اهتماما خاصا في هذه الندوة •

ان هذا النص الذي يقدم ، في راينا ، خلاصة الجهد العلمي العربي الفلسطيني في دراسة الصراع مع الصهيونية ، يشكل مادة مثيرة للمناقشة ندعو المفكرين والكتاب الى اغنائها ، لانها تسلحنا بالمعرفة العملية الضرورية لادارة الصراع مع الصهيونية والامبريالية بطريقة افضل •

ان سعة الموضوع وفروعه المتشعبة جعلتنا نقسمه الى خمسة ملفات ، يبدأ كل ملف منها بورقة عمل يقدمها احد الباحثين ، وتتلوها مناقشة عامة •

ملاحظة :

ش•ف ـ ترمز الى « شؤون فلسطينية » التي مثلها في ادارة الندوة ، محمود درويش والياس خوري •

التسوية والايديولوجية الصهيونية

الياس شوفاني

لا اعتقد انني استطيع ، من خلال هذه المقدمة القصيرة ، ان اقدم دراسة شاملة للمنطلقات الايديولوجية الصهيونية · لكني ، سأحاول باختصار شديد ، توضيح بعض النقاط من خلال نقاش موضوع التسوية ، والتي لها علاقة مباشرة بالمرتكزات الايديولوجية للكيان الصهيوني ·

الازمة الراهنة للكيان الصهيوني :

يمر الكيان الصهيوني اليوم في ازمة · قد يكون هناك خلاف حول حجم هذه الازمة · وقد نختلف في تقدير نتائجها ، او في تقييم اسبابها ، الا انه لا يمكن نفي وجود هذه الازمة ·

وفي الواقع ، فهذه ليست المرة الاولى التي يواجه فيها الكيان الصهيوني ازمة ، وقد لا تكون الاخيرة ·

والازمة الحالية ليست حول قيام الكيان ، بل حول تحديد مقوماته · فبعد ثلاثين سنة من انشاء الكيان الصهيوني ، والتي تخللتها حروب وصراعات ومسارات سياسية ، اخرها هو مسار التسوية الراهنة ، لم تعد الازمة التي تواجه الكيان اليوم ، هي ازمة وجوده بالذات : يكون او لا يكون ، اي حول قيامه · ولكنها تدور حول تحديد مقوماته · والكيان يعاني اليوم هذه الازمة في مستويين :

١ ــ **في المستوى الايديولوجي** ، حيث تنعكس الازمة على الحياة السياسية الداخلية ، وخاصة حول تمحور التنظيمات الحزبية في داخله ·

٢ ــ **في المستوى السياسي** ، وخاصة على مستوى العلاقة بالبلد الامبريالي الام ، الولايات المتحدة الاميركية · وتنعكس هذه الازمة على طبيعة الدور الذي يلعبه الكيان في استراتيجية البلد الام العالمية ، وخاصة على صعيد المنطقة العربية ·

تنبع ازمة الكيان الصهيوني ، الان ، من خوضه لمفاوضات التسوية السياسية بعد حرب تشرين (اوكتوبر) · وحتى لا يكون كلامنا غائما ، فاننا نعني

بالتسوية ، اثناء كلامنا الان ، ما يفهمه الناس العاديون ، انسحاب مقابل اعتراف · انسحاب من المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ ، مقابل اعتراف الدول العربية بشرعية وجود الكيان الصهيوني · وهذه التسوية ، قائمة بشكل او بأخر، على قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وهي لا تتناقض مع شعار ازالة آثار العدوان الذي طرح بعد حرب ١٩٦٧ ·

تحل هذه التسوية ، على المستوى النظري ، عقدة الاعتراف بشرعية الكيان · وهذا انجاز يجب عدم الاستهانة به ، رغم انه ، وفي الظرف السياسي الراهن ، تبدو هذه المسألة وكأنها معطى طبيعي ·

سوف تحل هذه التسوية ، اذا تمت ، عقدة الاعتراف بشرعية وجود الكيان · لكنها ، ومن وجهة نظر الكيان على الاقل ، تطرح مجموعة مشاكل تتعلق بمقوماته · فهذه التسوية لا تلبي الحد الادنى المطلوب للكيان على الصعيد الجغرافي ، كما انها لا تؤمن بالضرورة متطلباته على الصعيدين السياسي والامني ·

المشكلة الرئيسية ، ان هذه التسوية تأتي والكيان غير مهيأ لها على صعيد مؤسساته الداخلية ، وعلى صعيد انجاز اهدافه من المشروع الصهيوني ·

فالتسوية ، تفترض من الكيان تحديد حدوده الجغرافية والسياسية والبشرية · فهذا التحديد المطلوب ، يأتي **قبل ان يستكمل الكيان تحقيق اهدافه في المستوى الصهيوني الداخلي · وقبل ان ينهي المهمة الموكولة اليه على الصعيد الامبريالي، بالنسبة للمنطقة العربية** · والمهمة الامبريالية للمشروع الصهيوني ، هي ضرب حركة الجماهير العربية المتمثلة بالحركة القومية العربية ، والتي تهدف الى تحقيق الاستقلال والوحدة ·

الكيان يرفض التسوية :

لذلك ، فالكيان يرفض التسوية ، بالمفهوم الذي حددناه · **ويبدو عاجزا عن اتخاذ القرار بشأنها** · الرفض ، واضح ، من خلال تصريحات القيادات الصهيونية ، وثابت ، نتيجة معرفتنا لاهداف المشروع الصهيوني ·

تؤكد تصرفات القيادة السياسية في الكيان ، افتراضنا هذا ، من خلال مواقفها اثناء مسيرة المفاوضات حول التسوية بعد حرب تشرين · ومن خلال الصراع السياسي الداخلي الدائر في الكيان الصهيوني اليوم ·

وفي تقديري ، فان هذا الواقع ، هو الذي يدفع الكيان الى القيام بعرقلة مستمرة لمسيرة التسوية ، طمعا في كسب الوقت ، من اجل انجاز اكبر قدر ممكن من اهدافه الصهيونية والامبريالية في اطار التسوية · لذلك وفي مقابل التسوية

بمفهومها الشائع ، يطرح الكيان مشروعه للتسوية ، الذي يحاول عبره تحقيق اطماعه على الصعيد الجغرافي ٠

كما أنه يصارع ويناور ، وقد يلجأ الى القتال احيانا ، كما حصل في الجنوب اللبناني ، في سبيل انجاز المهمة الموكولة اليه في المنطقة ٠ اي ، ضرب حركة الجماهير العربية ٠

يحاول الكيان ، عبر مشروعه الخاص للتسوية ، ضمان مقوماته ، سواء ما يتعلق منها بمهماته في المنطقة ، او على صعيد العلاقات الاقتصادية والسياسية بالدول العربية ، او ما يتعلق بالعلاقة بالبلد الام : مساعدات اقتصادية وعسكرية وسياسية ومعاهدات الخ ٠٠

النجاح في المهمة الامبريالية والاخفاق في المهمة الخاصة

كيف نفسر كون الكيان غير مهيأ لعملية التسوية في مفهومها البسيط : الانسحاب مقابل الاعتراف ؟

١ ـ ينطلق تحليلنا ، من كون الكيان الصهيوني ، نتاج عمل مشترك بين الحركة الصهيونية والدول الامبريالية الغربية ، التي تغيرت في مسار العمل لاقامته ، حسب تطور مراكز القوى في المراحل التاريخية المختلفة ٠

٢ ـ غير ان هذه الشراكة ، هي شراكة غير متكافئة ٠ فمن الواضح ان الطرف الغالب فيها هو الطرف الامبريالي ، الذي لا يمكن مقارنة قواه ، بالقوى الذاتية للحركة الصهيونية ٠

٣ ـ فمن الطبيعي اذن ، ان تنعكس موازين القوى هذه ، على واقع الكيان الصهيوني ، وعلى عمله على تنفيذ اهدافه الخاصة ، واداء مهمته في المنطقة ٠

٤ ـ ومن المعروف ان الصهيونية ، انطلقت على الصعيد الذاتي ، من اجل حل المسألة اليهودية ٠ ولكنها كانت واعية لمحدودية قدرتها على تنفيذ هذا الهدف ٠ من هنا، كان لا بد لها من الاستناد الى دعم من احدى الدول الامبريالية الكبرى٠ وكان من الطبيعي ان تسعى هذه الدولة الامبريالية او تلك ، من وراء المشروع ، لتحقيق مردود يوازي حجم دورها في تحقيقه ٠

٥ ـ وفي حين رأت الصهيونية ان حل المسألة اليهودية يأتي عن طريق اقامة دولة استيطانية اجلائية في فلسطين (ارض اسرائيل الكاملة او شبه الكاملة) ، كانت الامبريالية ترى في الصهيونية ، اداة لضرب حركة الجماهير العربية ، التي تشكل النقيض التاريخي للهيمنة الامبريالية على المنطقة ٠

٦ ـ ولم يلبث الكيان ، حتى قبل قيامه ، ان تحول الى « **قلعة** » ، **قوامها**

الالة العسكرية ، التي يقوم بضعة ملايين من اليهود بخدمتها • الاساسي هو الالة العسكرية ، التي يجري تجيير مجمل طاقات المستوطنين من اجل خدمتها •

٧ ـ لقد كانت حصيلة هذا التوجه ، خلال الاعوام الثلاثين الماضية ، **ان الكيان حقق خارج حدوده ، اي ضمن مهمته الامبريالية ، اكثر بكثير مما استطاع تحقيقه في اطار مهمته الصهيونية •**

٨ ـ هكذا يجد البلد الامبريالي الام ، الولايات المتحدة ، ان الظروف السياسية في المنطقة تبدو ملائمة لانجاز تسوية تتفق مع مخططاته للمنطقة • ويبدو انه ينشط لتنفيذ هذه التسوية • وهذا واضح من خلال النشاط الاميركي • يبدو ان البلد الام ، بعد ان استطاع الكيان الصهيوني ، بعمله العسكري المستمر . حروب ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ونشاطه السري والارهابي والتآمري خارج حدوده ، يرى ان الساحة اصبحت مهيأة لتسوية تليق بنتائج نشاط الكيان • في حين ، يجد الكيان الصهيوني ، وكأن هذه الصفقة تتم على حساب مصالحه الذاتية • من هنا ، يأتي الكلام على خلاف بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني •

٩ ـ هكذا ، لا يجد الكيان العزاء في العروض السخية التي يقدمها البلد الام • المساعدات والحديث عن المعاهدة الامنية • انطلاقا من هنا ، تبدو بوادر ولو اولية من المؤسسة الصهيونية الحاكمة ، من اجل توسيع هامش استقلاليتها في اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي • وخاصة منذ صعود اليمين الصهيوني الى الحكم •

الارتباك الصهيوني على الصعيد الايديولوجي :

لماذا هذا الارتباك الصهيوني ، ايديولوجيا في مواجهة التسوية ؟

كنا قد اشرنا ، ان الصهيونية انطلقت ، من اجل حل للمسألة اليهودية • ورأت ان اقامة كيان استيطاني اجلائي في فلسطين ، يشكل هذا الحل •

لكن هذا الحل الصهيوني الذاتي ، كان حلا خاطئا ، وناتجا عن تصور خاطيء للمسألة اليهودية ، مما قاد بطبيعة الحال الى سلسلة توجهات وممارسات صهيونية أدت في النهاية الى الازمة الاسرائيلية التي نواجهها اليوم في منطقتنا •

فاذا كانت المسألة اليهودية ، هي عدم قدرة اليهود ، وفي مرحلة تاريخية محددة على الاندماج ، **فان المسألة الاسرائيلية هي عدم قدرة الكيان على التكيف والانسجام مع شعوب المنطقة •**

فالكيان الصهيوني ، الذي اريد له حل المسألة اليهودية ، فشل في هذا الهدف، كما انه خلق ما نسميه **المسألة الاسرائيلية** • تنطلق العقيدة الصهيونية من فرضية حاجة اليهود الى كيان سياسي ، يجمع اكثريتهم ، ويحمي الاقلية الباقية

في الخارج ٠ لكن بعد ثلاثين سنة على اقامة هذا الكيان ، **نكتشف انه جمع اقلية يهود العالم ، وهو يحتاج بشكل حيوي الى حماية الاكثرية اليهودية في الخارج** ٠ لقد انقلبت المسألة رأسا على عقب ٠ ان المشكلة الرئيسية التي يواجهها الكيان الصهيوني ، في مشروعه الذاتي ، هي انه فشل في حمل يهود العالم على الهجرة الى فلسطين باعداد تكفي لاستيطان البلد في حدوده الجغرافية ، التي اصبحت مقبولة بالنسبة للمستوطنين حاليا ، (ارض اسرائيل الغربية) اي فلسطين الانتداب ٠

تفترض طبيعة الكيان الاستيطانية ، تدفقا للمستوطنين ، وعندما يفشل المشروع الصهيوني في حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين ، فانه يفشل في نقطة انطلاقه المركزية ٠

لقد جعل هذا الفشل ، من مبدأين اساسيين متكاملين في الايديولوجية الصهيونية ، مبدأين متناقضين ، هما تكامل الارض ووحدانية الشعب ٠

الهدف الصهيوني الثابت ، هو اقامة دولة يهودية صرفة ، او يهودية في اغلبيتها الساحقة ، على (ارض اسرائيل الكاملة) ٠ وبدا في مرحلة اقامة الكيان ، ان لا تناقض بين هذين المبدأين ، او بدا انهما متكاملان ، ولا تناقض بينهما ٠ لكن ، ونظرا لعدم تدفق المهاجرين اليهود ، وامام ضغط التسوية الراهنة ، بدأ يتضح التناقض بين هذين المبدأين ، مرحليا على الاقل ٠

فالكيان يواجه الان خيارا بين مسألتين :

١ ــ دولة ثنائية القومية على (ارض اسرائيل الكاملة) ٠

٢ ــ دولة ، يهودية في غالبية سكانها ، وفي حدود اضيق من (ارض اسرائيل الكاملة) ٠ وفي تقديري ، فان تجمع المستوطنين الصهاينة في فلسطين ، ينقسم اليوم حول هاتين المسألتين الى تيارين متكافئي القوة ٠ وسيكون من الصعب على هؤلاء المستوطنين ، حسم المسألة بسرعة ٠ ولذلك سيطول المدى الزمني الذي ستستغرقه عملية الحسم هذه ٠ على اي حال ، سواء حسم الامر في هذا الاتجاه او ذاك ، وان جاز للتسوية ان تمر ، فان هذا الحسم لن يقود الى تحقيق الهدف الصهيوني الاصلي ٠

وسيواجه في حال حدوث التسوية ، احد احتمالين ٠ اما أن ينكفيء عن صهيونيته ، وعندها يأخذ منحى جديدا ، تحدده طبيعة التسوية وشروطها ، او يعتبر التسوية مرحلة اخرى على طريق تحقيق اهداف المشروع الصهيوني ٠ لقد عرفت الصهيونية ببراغماتيتها ، لذلك يمكن ان تعتبر التسوية كمرحلة اخرى على طريق تحقيق اهدافها ٠

فاذا تمت مسألة تكامل الارض على حساب وحدانية الشعب ، فانه يمكن طرد

السكان في المستقبل • اما اذا تحققت وحدانية الشعب على حساب تكامل الارض ، فقد يتم استكمال الارض في مرحلة لاحقة • لكن ، **يجب أن لا نستبعد امكانية الابتعاد عن المشروع الصهيوني الاصلي** ، نتيجة للظروف الراهنة • شمعون بيريس احد زعماء الكيان صرح بذلك بشكل واضح ، قال بما معناه . انه لا يمانع في التفكير بمنطلقات جديدة ، تستبدل المنطلقات الصهيونية الاساسية •

ش•ق• نستطيع ان نشير الى ثلاث ملاحظات رئيسية ، انطلاقا من الورقة المقدمة من الاخ الياس شوفاني •

الملاحظة الاولى : هي حول مسالة الفرق بين قيام الكيان ومقوماته • ما هي حدود القدرة على التمييز بين المسالتين • وهل حين تطرح مسالة مقومات الكيان ، لا نكون نقوم في الآن نفسه بطرح مسالة قيامه •

الملاحظة الثانية : هي حول التناقض بين تكامل الارض ووحدانية الشعب • لقد عزا الاخ شوفاني ، هذا التناقض في الايديولوجية الصهيونية الى مسالة التسوية الراهنة • هل ينجم هذا التناقض عن طرح مسالة التسوية ؟ أم انه اساسا ، تناقض ناجم عن فشل الكيان وطبيعة علاقته بالامبريالية •

الملاحظة الثالثة : وهي تتعلق بالاشارة الهامة الى نجاح الكيان في مهماته الامبريالية ، بشكل افضل بكثير من نجاحه في مهماته الخاصة • نحن نفضل شرح هذه النقطة اكثر ، وتفصيل عناصرها •

ثم هناك اخيرا المأزق ، التي تطرحها التسوية • ماذا يفعل العقل الصهيوني في بحثه عن بديل للتسوية • اي هل يتمسك بخطه الكلاسيكي القديم ، وهذا الخط قد يعرضه للهزيمة ، كما حدث ، كمقدمة لذلك في حرب اوكتوبر • فهل بدا المفكرون الصهاينة في عملية مراجعة لصحة الخط الكلاسيكي ، الخط الحربي الدائم ؟

يشير شوفاني الى ان الصهيونية لم تنجح في حل المسالة اليهودية ، لكنها خلقت الى جانبها ، المسالة الاسرائيلية • السؤال هو ، هل استطاع المشروع الصهيوني ان يخلق مجتمعا اسرائيليا ؟

عبد الحفيظ محارب : اشار الاخ شوفاني الى وجود خيارين امام اسرائيل : الدولة ثنائية القومية ، او الدولة اليهودية داخل حدود اضيق من (ارض اسرائيل الكاملة) • وذكر ان « المجتمع » الاسرائيلي ينقسم الى قسمين متكافئين حول هذه المسالة •

بالنسبة للدولة ثنائية القومية ، ربما وجد هذا الخيار لكن حتى الان ، لا يوجد اي حزب له فعاليته السياسية يؤيد هذا الخيار • مبام في عهد اليشوف طرح الدولة ثنائية القومية ، ولكن بعد اقامة الدولة ، تخلى عن هذا المبدا •

هناك كذلك تساؤل حول الدور الذي قامت به اسرائيل على الصعيدين الامبريالي والصهيوني الذاتي • اشار الاخ شوفاني ، الى النجاح في اداء المهمة الامبريالية، وهذا صحيح • لكني لا ارى الفشل على صعيد المشروع الصهيوني الذاتي • بل

ارى ازمة ٠ وهذا ليس بجديد ٠ فالمشروع الصهيوني منذ تحقيقه وهو يعيش ازمات٠ لكن هناك فرقا بين الازمة والفشل ٠ لقد نجح المشروع الصهيوني في اقامة الكيان الاسرائيلي ٠ وهذا الكيان هو اليوم على الصعيد العسكري ، من اقوى الكيانات الموجودة في الشرق الاوسط ٠

انا لا اوافق على طريقة المقارنة بين الدورين ٠ فالصهيونية نجحت ايضا ، على الصعيد الذاتي في اقامة دولتها ٠ وفي اقامة « مجتمع » اسرائيلي ٠

الياس شوفاني : سأحاول الاجابة على الاسئلة كما وردت وباختصار شديد ٠

الازمة كامنة ، لكن التسوية هي المفجر المباشر ٠

في الواقع ، يصعب الفصل بين القيام والمقومات ٠ لكن المسألة المطروحة الان ، هي كيف يكون الكيان ، وليست هل يكون ٠ الازمة الحالية ، هي ازمة موجودة وكامنة في الكيان ، لكن مسار التسوية هو مفجرها المباشر ٠

تطرح ، في سياق التسوية الراهنة ، مجموعة من الاسئلة : ما هي حدود الكيان الجغرافية ؟ ما هي حدوده السياسية في علاقاته مع دول المنطقة ؟ ما هي حدوده البشرية، سواء الداخلية الديمغرافية ، او الخارجية بالنسبة للعلاقة بيهود العالم ؟

كذلك ، فان التناقض « تكامل الارض ووحدانية الشعب » ، لم يات نتيجة التسوية ٠ لكن وكما ذكرت ، فلقد اعتبر هذان المبدآن متكاملين ، اثناء بناء الكيان ٠

فشل تجربة المستوطنات :

لقد جاءت التسوية ، والكيان غير مهيأ لها ٠ لم يستطع الكيان ان يحقق التناسب بين عدد المهاجرين وبين الارض التي استولى عليها ٠

بالنسبة للتوزيع الديمغرافي ، لا تزال البلاد شبه فارغة من السكان ٠ ثلث السكان يقيمون في تل ابيب وضواحيها ٠ كل الكلام عن المستوطنات خارج « الخط الاخضر » ، **هو** كلام دعائي ٠

لقد تم بناء ٨٥ مستوطنة ، يقيم فيها حوالي ١٠ آلاف نسمة ٠ ٤٪ من منازل كريات اربع لا تزال فارغة ٠

لذلك وامام مسألة التسوية ، يبدو الخيار مأزقيا ٠ هل يتم الاحتفاظ بمسألة تهويد الارض ، وبالتالي تواجه مشكلة سكانية ، ثلاثة ملايين يهودي في مقابل مليون ونصف مليون عربي ؟ ام يتم التخلي عن التجمعات السكانية العربية ؟

فرض التراجع والمهادنة على الانظمة :

اما حول مسألة ما حققه المشروع للامبريالية ، مقارنة بما حققه ذاتيا ، اريد ان اشير الى نقطة بالغة الاهمية ٠ نحن نعلم ان نهوض الحركة القومية العربية ، ترافق مع تفتيت الدولة العثمانية ، ومع التغلغل الامبريالي ، وبروز المشروع الصهيوني ٠ لقد كانت اهداف الحركة القومية العربية واضحة : الاستقلال والوحدة ٠ وهي بذلك كانت في تناقض مباشر

مع الهدف الامبريالي ، الذي يريد تفتيت الامة العربية والهيمنة عليها · لقد مررنا في مرحلة طويلة من النضال ضد الامبريالية والصهيونية · لكن ، وبعد حرب تشرين ٧٣ ، نلمس مهادنة مع القوى الامبريالية · وهذا يعود الى تولد قناعة معينة ، بانه كنتيجة للقوة الصهيونية ، لا نستطيع التصدي للطرفين الامبريالي والصهيوني في آن ·

المهمة الامبريالية لم تنته :

لكن ، ورغم هزائم حركة القومية العربية ، فانها لم تنته الى التصفية الكاملة · من هنا، لم ينه الكيان مهمته خارج حدوده ، لكنه حقق نجاحا نسبيا اكبر · اعتقد ان الكيان الصهيوني ، لم يستطع ولا يمكنه القضاء على حركة الجماهير العربية بشكل كامل ، اذا اخذنا مثال الحرب الاخيرة في الجنوب ، والتي طرحت فيها القيادة الصهيونية هدف اجتثاث منظمة التحرير الفلسطينية ، فماذا نرى ، بعد شهر ونصف على الحرب ، نجد ان العدو الصهيوني ينسحب ، بينما تتقدم المقاومة الفلسطينية في اعقابه ، وتطلق عليه النار ·

المقاومة ، هي طليعة حركة الجماهير العربية :

وبغض النظر عن الظروف الذاتية التي تعيشها حركة المقاومة ، فانها لا تزال موضوعيا، تمثل طليعة حركة الجماهير العربية · فوجود حركة جماهيرية عربية ، لا تزال قادرة على القتال ، يعني انه ، على الرغم من النجاح الكبير الذي حققه العدو في مهمته الامبريالية ، فهو لم يستطع ان ينهي هذه المهمة ·

الفشل في خلق « المجتمع الاسرائيلي » :

النجاح في المهمة الامبريالية ، اكبر من النجاح في المهمة الصهيونية ، وانا هنا اختلف مع الاخ عبد الحفيظ محارب · فالكيان الصهيوني لم ينجح في خلق « مجتمع » اسرائيلي · لا اريد الدخول هنا في نقاش حول دلالات المصطلح ، لكن يكفي ان نشير الى ان علماء الاجتماع الاسرائيليين ، يعترفون بانفسهم بهذا الفشل · **فالكيان بشكله الحالي لا يزال مجموعة تراكمية من مستوطنين لهم صفات وميزات بلذاتهم الاصلية** · طبعا هناك ظاهرة « الصابرا » · وهي مسالة تحتاج الى نقاش · لكني اعتقد ان الكيان لم يتحول الى دولة بالمفهوم البرجوازي ، لها طبقة حاكمة متجانسة وتملك سوقا محددة ، ولها بالتالي علاقات اجتماعية ·

فشل التهويد :

الفشل الرئيسي للصهيونية ، هو في تجميع اليهود في فلسطين · لكن هناك فشلا اخر ، التهويد · فلا يزال هناك مليون ونصف مليون عربي في الداخل · ولو اقتصرنا على حدود ١٩٤٨ ، **نرى ان الجليل لا يزال عربيا** ، وجميع التقديرات تشير الى انه في مطلع الثمانينات ، سيكون الجليل ، في الخط الممتد من حيفا الى بيسان شمالا ، عربيا في اكثريته الساحقة ·

طبعا ، لا بد من الاشارة الى محاولات الاستقلال الاقتصادي • لكني اعتقد ان القوانين الاقتصادية التي اصدرتها حكومة ليكود سابقة لاوانها ، بدليل ردات الفعل المعارضة لها • تنطلق هذه القوانين ، في تقديري ، من محاولة بناء دولة برجوازيـــة تتمتع بســـوق اقتصادية • غير إن الدولة لا تزال كيانا ولم تتحول الى مجتمع • فالصهيونية لم تنجـــح في بناء اقتصاد شبه مستقل •

مسار التسويـــة :

حين اتكلم عن التسوية ، فهذا لا يعني انني اوافق عليها • بل انا على العكس مـــن ذلك • لكنني اشير الى واقع موضوعي • لقد طرحت مسألة التسوية بعد حرب تشريـن • وكلنا نعلم ، انه اريد لهذه الحرب ان تكون حرب تحريك • لكن في وعي الجندي العربي ، كانت الحرب حرب تحرير ، كما انها كانت بالنسبة للجندي الصهيوني حرب حياة او موت• هكذا ، وبعد حرب تشرين ، وضع المستوطنون الصهاينة ، ولاول مرة بعد عام ١٩٤٨ ، امام السؤال المصيري : من انا وماذا اريد ؟ وكيف ستكون علاقاتي مع الدول المحيطة • ومـع بقية انحاء العالم ؟

لكن جاء مشروع التسوية ليقوم بتحريف الاسئلة المصيرية وتحويلها الى اسئلة جغرافية• اي ، بدلا من مواصلة النضال السياسي من اجل دحر العدو ، بعد ان تم وضعه امـــام اسئلته المصيرية ، قام مسار التسوية بتحويل الاسئلة الى مجرد اسئلة جغرافية تفصيلية تتعلق بعدد الكيلومترات التي سيتم الانسحاب منها •

خيارات الكيان :

طبعا ، تبقى هناك خيارات عديدة امام الكيان الصهيوني • هناك خيار رفض التسوية والقتال • هناك ايضا خيار القتال المحدود ، كما حصل في جنوب لبنان ، وكما يمكن ان يحصل في شمال الاردن • هكذا يمكن لاسرائيل ان تستمر في قتالها المحدود ، من اجـل خلق امر واقع من الانفتاح العربي الذي تقوم به كل دولة على حدة • لكن هناك في المقابل احتمال التسوية • هل يعني هذا انسحابا من بعض سيناء والجولان مقابل الاحتفـــاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة ! اي البقاء في (ارض اسرائيل الكاملة) ومواجهة ثلاثـــة جيوب عربية اساسية ، في الجليل والضفة الغربية وقطاع غزة ، ام يعني انسحابا كمـــا هو مطروح في القرار ٢٤٢ ، مع تعديلات في الحدود ؟

عبد الحفيظ محارب : اعتقد ان الانجاز الكبير الذي حققته الصهيونية ، هو اقامـــة دولة اسرائيل • وانا اميز بين الدولة والمجتمع • الهدف الصهيوني هو جلب معظم (يهود المنفى) لكن حتى الان ، لم تستقطب الا ٢٠٪ من (يهود المنفى) • وهذا يقودني الـى القول ، ان « المجتمع الاسرائيلي » هو في طريقه الى التبلور • طبعا هناك ازمات داخـل المنظور الصهيوني • لكن الانجاز الاساسي هو اقامة الدولة • بالنسبة لمسألة اداء المهمة الامبريالية ، **انا اعتقد ان اسرائيل عندما تؤدي المهمة الامبريالية ، لا تؤديهـا كمجـرد خدمة للامبريالية • تؤديها لانها جزء من هدفها • هنا يوجد تطابق كامل بين الاهـــداف** الامبريالية والاهداف الصهيونية •

صبري جريس : اود اولا ان اتحفظ قليلا على استخدام كلمة ازمة ، او ان اضعها بين

قوسين • ومن اجل تقييم نجاح او فشل الحركة الصهيونية ، علينا اول ان ندرس أهدافها ، وماذا استطاعت ان تنجز منهـا •

تغير الاهـداف الصهيونية :

يبدو لي ، ان الطريقة التي طرحت بها اهداف الصهيونية هنا ، لم تعد قائمـة منـذ نصف قرن على الاقل • فاهداف الصهيونية لم تبق ثابتة • لان الحركة الصهيونية هي حركة براغماتية بطبيعتهـا •

كان الهدف الاساسي ، هو حل المسألة اليهودية عبر اقامة دولة يهودية ، وبقي هـذا الشعار حتى صدور وعد بلفور • والواقع ان اكثرية الصهاينة قبلت مبدا انشاء وطـن قومي في فلسطين • وبين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٦ ، لم يرفع اي مسؤول صهيوني شعار بناء الدولة اليهودية ، ما عدا جابوتنسكي الذي كان في المعارضة • لقـد فهم الصهاينـة من وعد بلفور ان فلسطين تضم ضفتي الاردن • ولكن عندما اتجهت الامبريالية البريطانية بالاتفاق مع الفرنسيين ، الى اعادة ترتيب اوضاع المنطقة ، قررت فصل شرقي الاردن عن المنطقة المخصصة للوطن القومي اليهودي ، فوافق الصهاينة على ذلك رسميا • ثم علـى اثر الاضطرابات التي جرت في فلسطين ، اصدرت بريطانيا كتابا ابيض ١٩٢٢ ، اعلنـت فيه ان هدفها ليس تحويل فلسطين الى وطن قومي لليهود ، بل اقامة هذا الوطن القومي في فلسطين • ثم في الثلاثينات ، وعند نشوب ثورة ١٩٣٦ ، طرحت مشاريع التقسيم ، والواقع ان الصهاينة وافقوا على التقسيم ضمنا • وعندما طرحت مسألة اقامة دولة علـى جزء من فلسطين ، وافقت اكثرية الصهاينة على ذلك • عام ١٩٤٢ ، اتخذ المؤتمـر الصهيوني قرارا بتحويل فلسطين الى كومنولث يهودي • لكن وايزمن ابلغ البريطانييـن بالموافقة على انشاء دولة يهودية على جزء من فلسطين • وأخيرا وافق الصهاينة علـى قرار التقسيم عام ١٩٤٧ •

المسألة الرئيسية في هذا العرض السريع ، هي ان الصهاينة ، كما اعتقد ، احدثـوا تعديلا على العقيدة الصهيونية في الثلاثينات والاربعينات • **لقد اصبح الهدف هو اقامة الدولة ، ولم يعد حل المشكلة اليهودية** •

لقد قادهم هذا الهدف الى التعامل مع المانيا النازية • وهناك قول لبن غوريون يقـول فيه ما معناه ، الذي يهمني هو عصر يهود الشتات كالليمونة • واصدرت المنظمة الصهيونية العالمية اوامر الى عملائها بالعمل على تهجير الشباب ، الذين يستطيعون القتال والبناء • وقد وصل بهم الامر الى تهجير الاطفال الصغار •

لقد تحقق هذا الهدف رسميا عام ١٩٤٨ ، بانشاء دولة اسرائيـل • وفي المؤتمـر الصهيوني ١٩٥١ تم تغير مفهوم الحركة بشكل غير رسمي ، ثم اقر هذا التغيير عام ١٩٦٨• لقد اصبحت المسألة هي **مركزية دولة اسرائيل في حياة الشعب اليهودي** •

الواقع ، ان الحركة الصهيونية ، نجحت في اقامة دولة يهودية • طبعا لم يستطيعـوا تجميع اكثر من ٢٠٪ من يهود العالم خلال عمل قرن كامل • فبعد ان قضي على النازية ، وتحقق نوع من الاستقرار لليهود وخاصة في تجمعاتهم الكبرى ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي ، اوروبا • اصبح من الصعب نقل ملايين اليهود الى فلسطين • فصار الشعار هو **ان اسرائيل هي وكيل ليهود العالم ، وعلى اليهود واجب دعمها** •

استقطاب يهود العالم :

استطيع ان اقول ان الصهيونية حققت نصرا في هذا المجال · فنحن اليوم ، لا نستطيع ان نقيم اية مقارنة بين وضع الصهاينة ووضع هرتسل في المؤتمر الصهيوني الاول ، حيث رفض يهود ميونيخ عقده في مدينتهم فاضطر الى نقله الى بازل · اما اليوم فاننا نكاد نقول ان اكثرية يهود العالم اصبحت مؤيدة لاسرائيل · فالمنظمات اليهودية المعادية للصهيونية انتهت بشكل تدريجي ·

النجاح الثاني ، هو في قيام الدولة · فانا اعتقد ، انه في الظرف الدولي الراهن ، حيث تتحكم القوى الصناعية الكبرى الثلاث في سياسة العالم · الولايات المتحدة ، المعسكر الاشتراكي ، اوروبا الغربية واليابان ، فان مسألة كينونة اسرائيل ليست مطروحة · فهذه القوى الثلاث تعترف بوجود اسرائيل · لذلك ، فانا اعتقد ، ان وجود اسرائيل على مستوى القانون الدولي ، وفي الظرف الدولي الراهن ، ليس في خطر ·

لا نجاح ولا فشل :

على مستوى التركيب الداخلي للكيان الصهيوني ، انا اقف بين رأيي شوفاني ومحارب· فالصهاينة لم ينجحوا حتى الان في خلق « مجتمع » اسرائيلي ، كما انهم لم يفشلوا في ذلك · « فالمجتمع » الاسرائيلي لا يزال في طريق التطور ، وملامحه النهائية لم تظهر بعد · فهو يشير الى بعض نواحي النجاح ، كما يحمل بعض جراثيم الفشل ·

انا اعتقد انهم حققوا نجاحا في مسألة تعميم استخدام اللغة العبرية · رغم ان اللغات الاصلية لا تزال مستخدمة ، لكن الاجيال الجديدة تنشأ على استخدام اللغة العبرية · والجيل الجديد ، **الصابرا** ، يعتبر نفسه اسرائيليا ، واحيانا نجد عند بعضهم موقف السخرية من يهود العالم ·

اسمحوا لي ، ان لا اتنبأ بمصير « المجتمع » الاسرائيلي · لكني استطيع القول ، ان هناك مجتمعين في اسرائيل · المجتمع الاشكنازي ، والمجتمع السفاردي · ومن المحتمل فشل تجربة خلق مجتمع واحد ، لان بذور هذا الفشل موجودة بوجود هذين المجتمعين ·

الخوف من التسوية :

انا اوافق الاخ شوفاني ، على طرحه لمسألة التسوية · لكني اريد ان اضيف عاملا جديدا ، هو عامل الخوف من التسوية · وينجم هذا الخوف من التفكك الداخلي في « المجتمع الاسرائيلي » · فهم يعتقدون ، ان الضغط الخارجي عليهم ، يساهم في الانصهار الاجتماعي ·

ش· ف· : يرتبط هذا الخوف من التسوية ، كما يشير الاخ صبري ، بالحرص على استكمال الخصوصية الاسرائيلية ، والعمل على توحيد « المجتمع الاسرائيلي» ·

هنا ، نسال ، ولكن استمرار الصراع المفتوح ، قد يؤدي الى نتائج تدميرية · كيف يعالجون هذه المسالة ؟

صبري جريس : هذا خارج وعيهم ، اكثر من ذلك ، فهم يراهنون الان على خلــــق ميزان رعب في المنطقة · يكفل وجودهم الدائم ·

الطمانينة الذريـــة :

انا اعتقد ان الاسرائيليين يملكون الاسلحة الذرية · وهذا يقودهم الى طمانينة وجود ، حتى ولو امتلك العرب ، اسلحة ذرية · طبعا تبقى الكثير من المشاكل الاقتصادية والمادية· لكني اعتقد حول مسالة الخوف من الابادة ، ان الخوف ليس على اليهود ، بل على العرب· ولدي شعور ، من خلال متابعتي لنشاطهم وتصريحاتهم ، انهم يملكون اسلحة ذرية تكتيكية على الاقل · وانا اعتقد ، على ضوء النفسية الصهيونية ، التي تكونت بعد النكبة النازية، انهم مهيئون نفسيا لاستخدامها ، في حالات معينة ·

المشكلة الرئيسية ، والتي تدفعهم الى رفض التسوية ، هي مشكلة الطابع اليهــــودي للدولة ، الذي يخشى من زواله في حال التوصل الى تسوية ·

نزيه قورة : ابدي ملاحظات حول بعض المقولات التي استخدمت في النقاش : النجــاح الداخلي والنجاح الخارجي · قيام الكيان ومقوماته · دولة ثنائية القومية ودولة محددة جغرافيا · ان عملية فصل هذه المقولات صحيحة لاهداف التحليل النظري · لكن علينـــا كذلك ان نبحث عن العلاقة بينهـــا ·

النجاح الداخلي والنجاح الخارجي :

عندما نناقش مسالة النجاح الداخلي ، فاننا نرى ان هذا النجاح يرتبط بالاغــــراض الصهيونية الاساسية · وهي تجميع القسم الاكبر من يهود العالم في فلسطين ، لاغــراض عملية بالاضافة الى الغرض المبدئي · فالكيان الصهيوني ، الذي هو في حالة صدام دائمة مع منطقة تنمو باستمرار ، يحتاج الى تدفق دائم للهجرة اليه · وذلك من اجل زيادة قدرة الالة العسكرية ، وتلبية احتياجاتها · هكذا نرى انه عندما يحدث تقلص في الهجرة ، كانت تظهر علامات الازمة الاقتصادية داخل الكيان · الهجرة مطلوبة كذلك ، من اجل الوصول الى تجمع يضم ثمانية ملايين يهوذي · عندها ، كما صرح احد المسؤوليــــن الصهاينة ، سوف ييأس العرب من امكانية شن الحروب عليهم ، ويقبلون بوجودهم · **لكن هذا النجاح الداخلي ، في تجميع اليهود في فلسطين ، ضروري من اجل النجاح الخارجي** · فبــدون تدفق بشري يلبي احتياجات الجيش والاقتصاد ، لن تستطيع اسرائيل القيام بمهمتهـــا الخارجيـــــة ·

فعندما تغيب عوامل النجاح الداخلي ، تظهر شكوك في امكانيات اسرائيل على تحقيق نجاحات خارجية · وفي المقابل ، عندما تفشل اسرائيل خارجيا ، فان هذا ينعكس علــى اوضاعها الداخلية · فنحن نجد على سبيل المثال ، انه بعد حرب ٧٣ ، توقف النمــــو الاقتصادي · اصبح حوالي ١٪ ، بعد ان كان ١٠٪ و ١١٪ · هذا على الرغم من كــــون حرب ١٩٧٣ ، لم تكن فشلا اسرائيليا بالمعنى الدقيق · لكنها كانت حربا مكلفة ، بالمقارنة مع الحروب السابقة شبه المجانية ·

كذلك في مسألة القيام والمقومات · فعندما ينشأ شك في امكانيـــة تحقيـــق المقومات ، يتعرض المشروع من اساسه للشك في امكانية وجوده ·

لا ضم ولا انسحاب :

واخيرا ، بالنسبة « للخيار » بين دولة ثنائية القومية ، او دولة محددة جغرافيا ٠ هنا، علينا أن نرى ان اسرائيل تعيش وسط منطقة معادية تماما ٠ وعلى الرغم من مظاهر السكون الخارجي ، لكن هذه المنطقة تنمو موضوعيا وبشريا ٠ كما تنمو طموحاتها واحتياجاتها ٠

انا اعتقد ، انهم لا يمكن ان يوافقوا على دولة ثنائية القومية ٠ لا يمكن ان يعطوا الحد الادنى من الحقوق للقومية الاخرى التي تملك وزنا سكانيا وثقافيا كبيرا ٠ كما انهم لا يستطيعون الانسحاب ٠ لذلك ، فسياستهم هي اللاضم واللاانسحاب ٠ اي الابقاء على الوضع الراهن ، طاقة بشرية عربية تجري الاستفادة منها ، دون ان تمنح الحد الادنى من الحقوق ٠

محمود سويد : اريد أن ابدي ثلاث ملاحظات ٠ حول القضايا التي اثيرت ٠

الملاحظة الاولى ، حول مسألة خيار الكيان بين دولة ثنائية القومية ودولة يهودية في حدود اضيق ٠ انا اعتقد انه ليس امام الكيان خيار بين هذين الاحتمالين ٠ فكلاهما هزيمة ٠ لكني اعتقد ، ان السياسة الاسرائيلية ، لا يمكن أن تكون في حالة تجمد ٠ لا حرب ولا سلم ٠ فهي سياسة دينامية ، تعمل على تحقيق اهدافها ٠ ولن يكون هناك تسوية الا عبر الحاقها هزيمة كاملة بحركة التحرر العربية ٠

صراع لا ينتهي ، وانجاز هزيل :

لو افترضنا جدلا ، ان اسرائيل اعطيت كل ما تطلبه من مطالب اقليمية : الجولان ، الضفة العربية ، غزة ، واجزاء من سيناء ٠ فهل سينتهي الصراع ؟

ان مجرد وجود قدرة الطرف الآخر على متابعة الصراع ، يضع علامات الشك على جميع الانجازات ، التي حققها الكيان الصهيوني ٠

الملاحظة الثانية ، حول كون وجود دولة اسرائيل ، هو انجاز مشترك بين الحركة الصهيونية والامبريالية ٠ هنا ، حدث بعض الالتباس في سياق النقاش ٠ **فالحركة الصهيونية هي جزء من الامبريالية ، تصعد بصعودها وتندحر باندحارها** ٠ لذلك فالذي تحققه الحركة الصهيونية داخليا وخارجيا ، يرتبط بالوضع العام لحركة الامبريالية ٠

ولكن ، اذا حللنا الانجاز الداخلي للحركة الصهيونية ، بالمنظور التاريخي ، فاننا نكتشف انه **انجاز هزيل** ٠ ففي الوقت ، الذي وصلت فيه حركة التحرر العربية ، الى مرحلة الانحطاط هذه ، نكتشف مدى هزال الانجاز الصهيوني الداخلي ، في الخيارات التي تطرح عليه : دولة ثنائية القومية ، او دولة يهودية في حدود أضيق ٠ واسرائيل ترفض التسوية ٠ **ورفضها ناجم عن الخوف ، من كون الطرف الاخر في الصراع ، لا يزال موجودا** ، وبالتالي ، فاسرائيل حين تعجز عن بناء شعب متجانس وقادر على الاستمرار بامكاناته الذاتية ، فانها ، تكون قد فشلت في تحقيق انجاز تاريخي حقيقي ٠

لقد تكونت اسرائيل ، وحققت انجازات في مرحلة تاريخية محددة ٠ حين كانت المنطقة العربية قد اخضعت للتقسيم والوصاية الاستعمارية ، وتمر في مرحلة تخلف شاملة ٠

فالانجاز هذا ، لم يتحقق كنتيجة لقدرات اسرائيل الذاتية ، ولكن كجـزء من انجـاز امبريالـي ·

يبقى السؤال الاساسي : هل يمكن للحركة الصهيونية ان تحقق اكثر مما استطاعت على الصعيد الداخلي ؟ انا اعتقد ، انها لا تستطيع اكثر من هذا نتيجة سببين :

١ ـ كيف يمكن اقامة شعب متجانس ، من عناصر متناثرة ؟ الا اذا كنا نسلم بامكانية اقامة قومية ، على اساس التجانس الديني ·

٢ ـ تقف في مواجهة هذا المشروع ، قومية فتية ، رغم كل التعثر الذي نلاحظ فـي مسيرة الاعوام الثلاثين الماضية · لكن القومية العربية لا تزال في مرحلة نهوض ، فـي مرحلة تحديد ذاتها واهدافها ·

لا استقـلال :

الملاحظة الثالثة ، وتتعلق بمسالة الاتجاه نحو استقلالية القرار السياسي ، والتي اشار اليها الاخ شوفاني ، لقد مر ثلاثون عاما على انشاء الكيان · تولي حزب العمال خلالها السلطة ٢٩ سنة · لكني ارى ، ان السنة الاولى من حكم الليكود تلخص مسار التجربـة الاسرائيلية في التصاقها بالامبريالية · وليست تصريحات بيغن ، عن الخدمـات التـي قدمتها اسرائيل للامبريالية ، الا مؤشرا على استحالة الوصول الى استقلالية القـرار السياسي · وانا اعتقد ان اسرائيل ستستمر في التحاقها بالامبريالية الاميركية ، الى ان تدخل عوامل تغير في عناصر الصراع · طبعا ، يمكن الكلام عن استقلالية محدودة ، تطال الناحية التكتيكية · اي يمكن لاسرائيل ان تشعل حروبا صغيرة ، من خلال المقدرة العسكرية التي تجمعت لديها ، خلال السنوات الاربع الماضية بعد حرب تشرين ، باستقلالية نسبيـة عن السلطة الاميركية · **لكن على المستوى الستراتيجي ، فان اسـرائيل لا تستطيع ان تخوض اية معركة بقرار سياسي مستقل عن الامبريالية الاميركية ·**

هاني العبد الله : اريد ان اشير الى ان مسالة استقلالية القرار الاسرائيلي ، هـي احدى الطموحات التي تسعى الحكومة الاسرائيلية الحالية ، لتحقيقها في المستقبل ·

وهناك ، في المرحلة الحالية ، قضية جدالية ، بين المفهوم الصهيوني لدور اسرائيل في المنطقة ، والمفهوم الامبريالي لهذا الدور · وكان هناك في الافق صدامـا بين هذيـن المفهومين · وهذا ما لاحظناه في خطبتي بيغن ، في رحلته الاخيرة الى واشنطن ، حيث اكد على مسالة هامة · « **نحن لسنا اصدقاء فقط ، بل نحن حلفاء وشركاء** » · استطيع ان ارى في هذه العبارة ، الطموحات التي تحرك بيغن · بمعنى اخر ، اذا عدنـا الى الوراء ، واستعرضنا مراحل تطور المشروع الصهيوني ، وبصرف النظر عن نقاش مسالة كـون الصهيونية كعقيدة هي نتاج المرحلة الامبريالية ، او كونها نتاج المرحلة القومية فـي اوروبا ، فان هذا المشروع هو نتاج اتفاق الطرفين على اقامة الكيـان الصهيوني فـي المنطقة · اما التعارض ، فناجم عن مدى فهم كل طرف للدور الذي يمكن ان يلعبه ·

شروط السلم الاسرائيلي :

انا اوافق الاخ شوفاني على اشارته الى نجاح الكيان في اداء مهمته الخارجية · **لكننا لا نتكلم في المطلق** · **كل نجاح هو نجاح نسبي** · **فحركة التحرر العربية** ، رغم الضربـات

التي وجهت اليها ، لا تزال موجودة وقادرة على النهوض · اذن مهمة الكيان تبقى قائمة، بوجود الطرف الاخر القادر على المقاومة · لكن هذا لن يقودنا الى فرضيـــة استحالـة التسويـــة ·

اعتقد ان الكيان الصهيوني ، حتى بقيادة الليكود ، ليس ضد السلام بشكل مطلق ، لكنه يريد شروطه للسلام · والامبريالية كذلك تسعى الى الاستقرار في المنطقة · لكننا نرى ان هناك تباعداً بين الفريقين حول مفهوم التسوية · انا اعتقد ان الامبريالية الاميركية تريـد استغلال النجاحات التي حققتها انطلاقا من هزيمة ٦٧ ، من اجل اعادة ترتيب اوضـــاع المنطقة · واسرائيل ، لا تمانع في المساهمة ، في اعادة الترتيب هذه ، **لكنها تريد ان تبقى الطرف الرئيسي في المنطقة** · وهذا هو جوهر الخلاف ، بين السلطة الحاكمة في اسرائيل وبين الولايات المتحدة ·

الياس شوفاني : اريد في نهاية نقاش مسألة التسوية والايديولوجية الصهيونيـة ، ان اجيب بسرعة على مجموعة من الطروحات ، التي قدمها الاخوة الذين ناقشوا المسألـة · انا اتفق مع صبري جريس ، بالنسبة لمسألة تغير الاهداف الصهيونية بين مرحلة واخرى · لكن هذا التغير كما عرضه صبري جريس ، هو **دليل الفشل في تحقيق الإهداف التاريخية للحركة الصهيونية** ·

اما بالنسبة للسؤال ، حول كيفية تصور التجمع الصهيوني في فلسطين المحتلة بالنسبـة للمستقبل ، فانني اشير باختصار الى ان العقيدة الامنية للمستقبل ، لا تختلف كثيرا عـن العقيدة السائدة الان ·

الحدود الامنة خارج الحدود :

الحدود الامنة ، بالمفهوم الاسرائيلي ، ليست فقط ما يحصل داخل الحدود ، بل هـــي اساسا ما يجري خارج الحدود · **فالحدود الامنة ، تعني ، ضرورة ان لا يكون هنـــاك خارج الحدود ، قوة سياسية فاعلة قادرة على تهديد امن الكيان** ، من هنا ، فأن شـرط الكيان للموافقة على تسوية ، هو ضمان هيمنته السياسية والعسكرية على مسار الاوضاع في المنطقة المحيطة به على الاقل ·

اما بالنسبة لما طرحه نزيه قورة ، حول علاقة القيام بالمقومات · انا اتفق مع هـــذا الكلام ، لكني فقط ، اريد ان اشير ، الى ان المسائل المثارة حول مشروع التسوية المطروح، تتعلق اساسا ، بمقومات الكيان ، وليس بقيامه · طبعا ، سوف تقرر هذه المقومات ، مـدى فاعلية الكيان في تنفيذ مهمته · هل سيكون كيانا قويا قادرا ، ام مجرد كيان هزيل ·

شرطي حراسة ام محمية ؟

لقد طرح كيسينجر مسألة تحويل اسرائيل الى اداة معتدلة · والاداة المعتدلة هـــــي بداية الطريق نحو التحول الى محمية امبريالية · فالامبريالية لا تقيم دفاعا مشتركا مـع اداتها لضرب المنطقة ، الا اذا كانت تريد تحجيم دورها ، ومهمتها ·

وأريد أن اتوقف قليلا عند مسألة الانسحاب من الارض · فهناك في اسرائيل ، منطـــق غيبي مثالي سائد ، فيما يتعلق بهذه المسألة · وهذا المنطق فاعل ومؤثر في اتخاذ القرار

السياسي • فالفئة الحاكمة في اسرائيل ، لا تنطلق من ايديولوجيا مادية رأسمالية ، لكن يلعب العامل « الثقافي القومي » ، دورا رئيسيا في تقرير سياستها •

انا اتفق مع رؤية الاخ محمود سويد ، الى صعوبة التسوية الان • لكنني اريد ان اؤكد على كون رفض الكيان للتسوية ، ينطلق من مشاريع اخرى يطرحها للتسوية ، الهدف منها هو العمل ، من خلال مسار التسوية ، على تنفيذ اهدافه • نجاح الكيان او فشله يرتبطان بالطرف الاخر • وهناك احتمال كبير ، بامكانية دحر العملية باسرها •

الحركة الصهيونية هي جزء من المعسكر الامبريالي • هذا صحيح • لكنه يعني ان هذا المعسكر يتألف من اجزاء • وانه قد تنشأ تناقضات ثانوية بين هذه الاجزاء •

لقد بقت الحركة الصهيونية كيانا ، وهذا الكيان ، يطمح للتطور بالمفهوم البرجوازي ، نحو بناء طبقة حاكمة ، تملك سوقها الاقتصادية • وستحاول هذه البرجوازية (وليس من الضروري ان تنجح المحاولة) ، لكنها ستحاول توسيع هامش استقلاليتها ، في اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي •

لذلك ، وانا هنا اوافق مع هاني العبد الله ، هناك توجه نحو استقلالية القرار السياسي ويتضح هذا التوجه ، من خلال محاولة اقامة حل مباشر ، اسرائيلي مصري ، كما جرى بعد زيارة السادات الخيانية للكيان الصهيوني • لكن الامبريالية الاميركية قطعت الطريق على هذا التوجه ، وعادت كمركز رئيسي لادارة المفاوضات ، حيث يلعب السفير المتجول اثرتون دور محرك الموقف •

الملف الثاني

اسرائيل ، اليهود ، والامبريالية الاميركية

صبري جريس

اود في البداية ، ان اؤكد على مجموعة النقاط ، التي اثرتها في الجلسة السابقة ، حول علاقة الحركة الصهيونية باليهود • والتي تطورت من طلب دعم الحركة الصهيونية الى المساهمة في اقامة الدولة اليهودية • واخيرا الى اعتبار الدولة اليهودية مركزية في حياة اليهود ، من هنا ضرورة دعمها ، اذا لم يمكن من الممكن الهجرة اليها •

علاقة اسرائيل بيهود اميركا :

علاقة اسرائيل بيهود العالم حاليا، هي علاقتها اساسا بيهود الولايات المتحدة، والسبب واضح وبسيط• هناك حوالي ٤٠٪ من يهود العالم يعيشون في اميركا•

فعدد يهود اميركا هو ضعفا عدد يهود اسرائيل · وهم الى جانب ذلك ، طائفة قوية ونشيطة ·

لقد مرت علاقة الحركة الصهيونية بيهود اميركا في ثلاث مراحل رئيسية ·

المرحلة الاولى : من نشاة الصهيونية حتى الحرب العالمية الثانية ·

كان يهود اميركا ، في هذه المرحلة ، في غالبيتهم الساحقة ، عبارة عن مهاجرين جدد ، قدموا من روسيا القيصرية ، او من بولونيا · وكانوا منهمكين في العمل ، على التأقلم ، في المجتمع الاميركي · لذلك نلاحظ ، انه على الرغم من كثرة عددهم ، فان دورهم في النشاط الصهيوني لم يكن كبيرا · (لقد لاحظت في احدى الدراسات التي اقوم بها ، ان العمل الصهيوني ، بين الحربين ، فترة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، كان يتركز ، بين يهود بولونيا اولا ، يليهم يهود الولايات المتحدة ، يأتي يهود فلسطين في المرتبة الثالثة) ·

لقد اقتصر دور اليهود الاميركيين ، في هذه المرحلة ، على تقديم الدعم المادي للحركة الصهيونية ، وهناك عدد ضئيل جدا منهم ، هاجر الى فلسطين ·

المرحلة الثانية : فترة الحرب العالمية الثانية ·

لقد حدث التغير ، في موقف اليهود الاميركيين ، من الصهيونية ، كما يبدو ، خلال الحرب العالمية الثانية · ويعود هذا التغير الى تغير موقف الحركة الصهيونية منهم · والواقع ان هذا التغير قد حصل نتيجة فقدان المستودع البشري في اوروبا الشرقية ، الذي ضاع في الدوامة النازية · **وربما يشكل مؤتمر بالتيمور** الذي عقد في اميركا في نهاية عام ١٩٤٢ ، (والذي اعلن فيه عن النية في اقامة كومنولث يهودي في فلسطين · وجرت المطالبة على هذا الاساس بتسليم السلطة في فلسطين للوكالة اليهودية) · اتخذت الحركة الصهيونية في هذا المؤتمر موقفا ، **وهو العمل على احتلال اليهود الاميركيين ·** كاستمرار للشعار الذي طرحه هرتسل في المؤتمر الصهيوني الثاني ، وهو العمل على احتلال الطوائف اليهودية · وفي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٢ ، و ١٩٤٨ بذلت الحركة الصهيونية جهودا كبيرة للسيطرة على يهود اميركا · وكما يتضح الان ، فقد احرزت الصهيونية نجاحات كبيرة في هذا المجال · **اهمها عزل جميع المنظمات اليهودية غير الصهيونية** · ولقد لعب هذا الانجاز ، بالاضافة الى عوامل اخرى ، دورا في القرار الذي اتخذه ترومان بالاعتراف باسرائيل عام ١٩٤٨ · ومنذ ذلك الوقت بدأت تتكون العلاقة الاميركية الاسرائيلية ·

المرحلة الثالثة : منذ اوائل الخمسينات وحتى اليوم ٠

نلاحظ ، انه في بداية هذه الفترة ، ساءت علاقة اسرائيل بيهود اميركا ، وتحسنت العلاقة الاسرائيلية الاميركية ٠ ويعود سبب هذا التحول ، الى سياسة بن غوريون تجاه اليهود ، والتي تلخصها عبارته : « الصهيوني هو الذي يهاجر الى اسرائيل ، اما الذي لا يهاجر ، فليس صهيونيا » ٠ النقطة الثانية الهامة في سياسة بن غوريون ، هي قراره ، كما يشير في احد كتبه ، الاتجاه نحو اميركا وليس نحو الاتحاد السوفياتي ٠ فمنذ تلك اللحظة ، بدأت العلاقة في التحسن بين اسرائيل واميركا ، على حساب علاقة اسرائيل بالمعسكر الاشتراكي٠ غير ان علاقة يهود اميركا باسرائيل عادت الى التحسن بعد اقرار مبدأ مركزية دولة اسرائيل بالنسبة لليهود ٠

العلاقة الاسرائيلية الاميركية :

قد يشكل تطور علاقة الحركة الصهيونية بيهود اميركا ، مدخلا جيدا لفهم العلاقة الاميركية الاسرائيلية ٠ لكني اريد قبل ذلك ان اتوقف عند مسألة علاقة اسرائيل بالامبريالية ٠ والتي تمثل الولايات المتحدة قيادتها في هذه المرحلة ٠

لا شك في ان علاقة الصهيونية بالامبريالية هي علاقة دائمة ، ومنذ نشوء الحركة ٠ لكني ، اريد ان ابدي بعض التحفظات حول الرأي الذي طرح ، بان اسرائيل ليست سوى اداة امبريالية ، او ظاهرة امبريالية ٠

انا اعتقد ، ان اسرائيل ، كنتاج صهيوني ، هي جزء من الامبريالية ٠ لكنها ايضا ، ناجمة عن المشكلة اليهودية ككل ، عن اوضاع اليهود في العديد من دول العالم ٠

اذا انظرنا بسرعة الى تاريخ الصهيونية ، منذ بداية استيطان فلسطين عام ١٨٨٠ ، فاننا نجد ان الحركة الصهيونية كانت تبحث دائما عن دولة امبريالية، توافق على مشروعها في فلسطين ٠ ونتيجة للصعوبات التي واجهتها ، فقد اضطر هرتسل ، وقسم لا بأس به من قيادة الحركة الصهيونية الى البحث عن امكانية تحقيق الدولة في اوغندا ، وموزمبيق والعريش وقبرص ٠

من خدم من ؟

لكن التحول حدث مع خلال الحرب العالمية الاولى ، ومع صدور وعد بلفور ٠ انني في الواقع ، اختلف مع الرأي القائل بان اسرائيل هي مجرد اداة في خدمة الامبريالية ٠ واريد ان اطرح سؤالا : **ولكن ، وفي النهاية ، من خدم من ؟** ان

احد الاسباب الرئيسية الكامنة خلف اصدار وعد بلفور ، هو رغبة بريطانية في دفع الصهيونية للضغط على حلفاء بريطانية ، الموقعين معها على اتفاقية سايكس - بيكو من اجل تحسين شروطها في المنطقة العربية • وبالفعل لعب وايزمن وسوكولوف دورا في الضغط من اجل توسيع النفوذ البريطاني في المنطقة •

لقد جاءت محصلة هذه العلاقة ، خدمة اكبر للصهيونية منها للامبريالية البريطانية • فبعد صدور وعد بلفور ، ونتيجة للمقاومة العربية للمخطط الصهيوني ، بدأت بريطانية في التراجع • وقد اشرت في الجلسة الماضية ،كيف قلصت وعد بلفور عن شرق الاردن ، ثم كيف اصبحت المسألة ، مسألة وطن قومي في فلسطين ، وليس تحويل فلسطين الى وطن قومي يهودي • وعام ١٩٣١ ، حاولت بريطانية التنصل من تعهداتها ، لكن الضغط الصهيوني اجبرها على التراجع • وعام ١٩٣٩ ، عشية الحرب العالمية الثانية ، اصدرت بريطانية « الكتاب الابيض » الذي تشير فيه الى ان وجود ٤٥٠ الف يهودي في فلسطين ، يدل على انها نفذت تعهداتها بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وانه بعد عشر سنوات ، يجب ان تنال فلسطين استقلالها ، وتقوم فيها حكومة ديمقراطية • الذي املى هذا الموقف البريطاني ، هو محاولة بريطانية استمالة العرب الى جانبها ، في صراعها الدامي مع المانيا النازية •

لقد نفذت بريطانية سياستها الجديدة هذه ، عبر القيود المفروضة على الهجرة اليهودية ، رغم ان الصهاينة استطاعوا التحايل عليها • وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، نشب الصراع بين الصهاينة وبريطانية بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ • وقد كان صراعا دمويا • واعتقد ان الصهاينة ، فهموا ان بريطانية الخارجة من الحرب ، قد تحولت الى دولة من الدرجة الثانية •

لقد مرت علاقة اسرائيل بالدول الكبرى ، بعد اقامتها مباشرة ، بفترة ممتازة • فبعد اقامتها بساعات ، اعترفت بها الولايات المتحدة • كما اعترف بها الاتحاد السوفياتي بعد يومين على اقامتها • بريطانية ، كان لها بعض الشروط والتي اهمها اعتراف اسرائيل بضم الضفة الغربية الى شرق الاردن ، وبعد تحقيق هذا الشرط اعترفت بها • وفرنسا كانت معنية بمساعدتها من اجل ضرب النفوذ البريطاني في المشرق العربي •

التحالف الاسرائيلي - الفرنسي :

في منتصف الخمسينات ، ومع صعود عبد الناصر ، دخلت اسرائيل في تحالف مع الاستعمار الفرنسي • والسبب هو حرب الجزائر ، والمصلحة المشتركة في اسقاط نظام عبد الناصر • لقد فشل الهدف من هذه العلاقة ، بفشل حرب

السويس · لكن اسرائيل كسبت بنتيجة هذه الحرب استقرارا لمدة عشر سنوات، استطاعت ان تنتقل خلالها الى مرحلة جديدة في بناء الكيـــــان الصهيوني فـــي فلسطين ·

العلاقة الاسرائيلية الاميركية ، المصلحة الاميركية :

منذ منتصف الستينات ، والعلاقة الاميركية الاسرائيلية ، تنمـــو وتتوثـــق · وازدادت نموا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ · ومرت ، كما نعلم ، بتطورات مختلفة· لكن ، الذي يميز هذه العلاقة ، **هو الدعم الاميركي الشامل لاسرائيل · القائـم على قناعة اميركية ، بان اسرائيل هي الدولة القوية القادرة على تامين مصالح الولايات المتحدة ، والمحافظـــــة على الوضـــع القائـــم في الشرق الاوسط ·** وهذه عمليا سياسة جميع الرؤساء الاميركيين · الاعتماد على اسرائيل واعطاؤها الاسلحة واغداق الاموال عليهـــا ·

مع مجيء ادارة كارتر ، وصعود بيغن الى السلطة ، حدث الخلاف الذي اشير اليه بين أميركا واسرائيل · اريد هنا ان اشير الى نقطة تتعلق بالفرق بيـــــن التيارين الصهيونيين الرئيسيين : العمل والليكود · فمنذ تبلور هذين التيارين في العشرينات ، كان هناك خلاف بينهما · **هل اسرائيل هي تابـــــع ام حليـــــف للامبريالية ؟**

تاريخيا ، يعتمد حزب العمل فلسفة وايزمن ، التي تقول بانه لا يجوز الصدام مع الغرب ، او بالاحرى مع الدولة التي تحمي الصهاينة · وعنـــــد حصـــول الخلاف ، كان وايزمن يستقيل · والواقع ، ان حزب العمل كان ينسق دائما مع الدولة الامبريالية التي تحمي المشروع· بريطانية في السابق ، ثــم الولايـــــات المتحدة · ولا مانع لدى حزب العمل من لعب دور التابع ، وتقديم التنازلات · اما اليمين فموقفه يختلف · وهذا واضح في كلام بيغن ، الاصرار على دور الحليف· وهذا الموقف هو الذي قاد الى انهيار مؤتمر جنيف · بيغن يمثل العقل اليمينـــي الصهيوني خير تمثيل · حيث يجري الاصرار على دور اسرائيل داخل المعسكـــر الامبريالي ·

ورغم كل ما قيل اميركيا ، عن الوطن القومي الفلسطيني ، وعن حل المشكلة· فاني اعتقد ان كارتر قد عاد الى السياسة التقليدية ، التي يتبعها جميع الرؤساء الاميركيين ·

النفوذ الصهيوني في اميركا :

يبدو لي ، انطلاقا من الوضع الاميركي الداخلي ، حيث يلعب النفوذ الصهيوني دورا كبيرا ، لا تستطيع اميركا الا أن تأخذ موقفا منحازا الى جانب اسرائيل ·

فنفوذ اليهود الاميركيين مؤمن لخدمة اسرائيل · واخر البدع في هـذا الصـدد هو الدعوة الى تأييد اسرائيل ، حتى ولو حدث خلاف حول سياستها ·

ولكني اعتقد ، ان وجود عالم عربي قوي ومتنام ، سيجبر اميركا في النهاية، كائنا من كان رئيسها ، وعلى رغم النفوذ الصهيوني ، على اتخـاذ مواقـف مختلفة ، مراعاة للمصالح الذاتية الاميركية ·

وعلى الرغم من الموقف الاميركي الراهن ، والمؤيد لاسرائيل ، هناك قلـق اسرائيلي من المستقبل · لذلك فهي تحاول ان تبني قوة مستقلة · نلاحظ مثـلا التعاون الكبير مع جنوب افريقيا في صناعة اسلحة تقليدية متقدمة ، وفي تصنيع اسلحة ذرية · كما نلاحظ اتجاها اسرائيليا نحو توفير الطاقة من مصادر ذاتية، أو من الذرة · كما نلاحظ محاولة تحسين العلاقات مع أوروبا الغربية ، عبـر الدخول في السوق المشتركة ·

طبعا ، هذه توجهات استراتيجية وبعيدة المدى · لذلك فانا اعتقد ، ولاسباب متعددة ، بان اسرائيل لا تريد التسوية ولا السلام ، لانها لم تحقـق حتى الان جميع اهدافهـا ·

ش·ف· تثير الملاحظات حول العلاقات الاسرائيلية الاميركية ، المقدمة مـن الاخ صبري جريس ، مجموعة من الاسئلة · اذا وضعنا مسألة العلاقات الاسرائيلية الاميركية في سياق اللحظة السياسية الراهنة ، فاننا نرى أن المنهج العربي المؤيـد للتسوية بتياريه ، متفق على ان السير في طريق التسوية ، تؤمنه وتضمنه اميركا · والخلاف بين التيارين ، هو ان احدهما يرى ضرورة تحسين الشروط العربية مـن منظور اميركي ، اي ان اجراء تغييرات اجتماعية في الداخل العربي ، عبر تقريب الحالة العربية من اميركا هو الذي يدفع اميركا للضغط على اسرائيل من اجـل التسوية · بينما يرى التيار الثاني ان تصعيد الضغط العربـي عـلى اميركا ، واستخدام وسائل القوة العربية ، هو الذي يدفع باميركا الـى الاحساس بالخطر ، والسير بالتالي في معادلة صعبة جدا : الحفاظ على مصالحها العربية في الوقـت الذي تضمن فيه مصالح اداتها · الاخ صبري لامس المشكلة ، لكنه لم يقدم عليهـا اجابات واضحة ·

وهناك ايضا سؤالان استيضاحيان ، لا يتعلقان بالمنهـج · فالمنهـج يحتاج الى نقاش طويـل ·

السؤال الاول : هو عن وضع اليهـود الاميركيين ، وكيف استطاعت المنظمـة الصهيونية الاستيلاء عليهم خلال الحرب العالمية الثانية ؟ ولماذا تم هذا الاستيلاء ؟ وما هو الفرق في العلاقة مع المنظمة الصهيونية بين يهود اميركا ويهود بقية انحاء العالم ، يهود الارجنتين مثلا ؟

· السؤال الثاني : هو حول الجباية اليهودية في اميركا · وما هي علاقتها بالعلاقة الاسرائيلية الاميركية ·

ثم ايهما اجدى لمصلحة المشروع الصهيوني في فلسطين : وجود اليهود في اميركا كقوة ضغط ام هجرتهم الى فلسطين ؟ فطالما تقول ان الضغط الصهيوني اليهودي في اميركا ، هو الذي يمنع اميركا من اتخاذ موقف جديد ؟ فهل هذا يعني ان هجرة اليهود الاميركيين الى فلسطين ، سينهي الضغط على اميركا ، وبالتالي يتغير الموقف الاميركي ؟

هاني العبد الله : الكلام عن الخلافات الاميركية الاسرائيلية ليس واضحا • اريد ان اسأل سؤالا محددا • هل يمكن ان يحدث تناقض اساسي بين اسرائيل والولايات المتحدة ؟ ما هو حجم الخلافات الاميركية الاسرائيلية ؟ وهل يمكن ان تقود الى تحول في السياسة الاميركية ؟

صبري جريس : الجباية اليهودية ، ليست موجودة في اميركا وحدها • جميع الجاليات اليهودية تقريبا تساهم فيها • لكن ، هناك اهتمام صهيوني بيهود اميركا • وهذا يعود ، كما قلنا سابقا الى وجود حوالي ٤٠٪ من يهود العالم في اميركا • والتجمع اليهودي في الولايات المتحدة ، هو التجمع الكبير الوحيد الذي بقي بعد ان تم حظر النشاط الصهيوني في الاتحاد السوفياتي ودول المعسكر الاشتراكي •

اما مسألة هجرة اليهود الاميركيين ، فهذه لا تتبع رغبات الصهاينة ، في الاعوام الثلاثين بين ١٩١٨ و ١٩٤٨ ، حين كانت بريطانية هي المسؤولة عن انشاء الوطن القومي اليهودي، نلاحظ ان نسبة اليهود البريطانيين التي هاجرت الى فلسطين ، هي نسبة قليلة جدا • والسبب يعود الى كون اوضاع اليهود في اوروبا الغربية بشكل عام ، بعد الثورة الفرنسية كانت اوضاعا جيدة •

اقصى ما تستطيعه الحركة الصهيونية ، من يهود اميركا ، هو جباية التبرعات • وهم يدفعون حوالي ١٥٠ مليون دولار •

اما حول سؤال الاخ هاني العبد الله ، فانا اعتقد انه لا وجود لتناقض اساسي بين اسرائيل واميركا ، ولا يوجد سبب يدفع الى وجود هذا التناقض • ربما هناك تناقض تكتيكي ، ولكن التناقض الاساسي يمكن ان يحدث ، حين تشعر اميركا ، ان مصالحها اصبحت مهددة •

السياسة مصالح ، فما دامت المصلحة الاميركية تقتضي دعم اسرائيل ، فهذا سيستمر • ولكن ، عندما تبرز القوة العربية القادرة على ضرب المصالح الاميركية ، عندها قد يحدث تناقض ، لان الاميركيين سيضعون مصلحتهم فوق مصلحة اسرائيل •

نزيه قورة : اريد ان ابدي ثلاث ملاحظات ، تتعلق بنفوذ اليهود الاميركيين ومسالة الجباية ، والمصالح الاميركية في المنطقة •

١ ـ من المعروف ، وهذه معلومات يذكرها باحثون صهاينة ، ان **اليهود غير موجودين فيما يسمى بالاعمدة الاقتصادية للنظام الاقتصادي الاميركي** • اي في قطاعات السيارات والفحم والحديد والشحن والبنوك الكبرى وشركات التأمين الكبرى • اي في تلك المؤسسات التي تتقرر فيها السياسة الاميركية • اليهود موجودون في القطاعات الوسطية • وحتى في القطاع المصرفي ، فهم موجودون فيما يسمى بشركات الاستثمار • وهي شركات صغيره نسبيا •

٢ ــ بالنسبة للجباية اليهودية ، فمن المعروف ان المنظمات الصهيونية التي تعمل في الجباية مسجلة في الولايات المتحدة ، باعتبارها مؤسسات خيرية • وحسب القانون الاميركي ، تعفى المؤسسة الخيرية من الضرائب • كما يعفى المتبرعون منها •

والمعلومات المتوفرة ، تشير الى ان ٨٠٪ من الجباية التي تجمع في الولايات المتحدة تأتي من اناس ، يدفع الواحد منهم مئة الف دولار كحد ادنى • اي انها تأتي من ٣ـ٥ الاف شخص • وهؤلاء معفيون من الضرائب المترتبة على هذه المبالغ • اي ان القسم الاساسي من هذه الاموال هو من حق الخزينة الاميركية • وبالتالي ، فان مال الجباية هو مال الخزينة الاميركية •

٣ ــ المصالح الاميركية موجودة في المنطقة ، سواء وجدت طائفة يهودية في اميركا ام لم توجد •

بالطبع ، ليس من المصلحة اظهار اسرائيل كاداة للولايات المتحدة • لانه ، اذا تبين ان اسرائيل ليست سوى اداة اميركية ، فان الخصم لا يكون الاداة فقط ، بل يصبح مستخدم الاداة • وبالتالي ، فان اي حاكم عربي يزور الولايات المتحدة ، سيلقى ما لقيه السادات عند زيارته للقدس • وهذا وضع يحرص جميع من له علاقة بالوضع في المنطقة على تجنبه : اسرائيل والولايات المتحدة وبعض الحكام العرب •

الياس شوفاني : اريد ان اشير الى مجموعة من النقاط :

١ ــ فاذا كنا متفقين على ان الكيان الصهيوني هو كيان استيطاني ، فهذا الكيان لا بد له من بلد ام • والولايات المتحدة تلعب اليوم هذا الدور بالنسبة للكيان • نظريا ، يمكن للتناقضات ان تحدث بين البلد الام والمستوطنة • وهذا يفترض اجبار البلد الام على الاختيار بين اهون الشرين •

وانا لا ارى الان ، ان الولايات المتحدة ، مضطرة الى الاختيار بين اهون الشرين ، كما لا ارى ، في المستقبل المنظور ، تناقضا اساسيا بين المستوطنة والبلد الام •

٢ ــ **تقسيم المهام بالنسبة للمشروع الصهيوني** : اما فيما يتعلق بيهود العالم وعلاقتهم بالمشروع الصهيوني ، اظن ، انه جرى ، بعد انشاء الكيان ، تقسيم المهام بالنسبة ليهود العالم على الشكل التالي : يلعب اليهود الصهاينة في فلسطين ، دور الباني وممهد الطريق • يدعم هؤلاء بشريا من البلاد التي تسمى بلاد الضائقة ، اي حيث يعتبر اليهود في ضائقة اجتماعية واقتصادية • اما يهود بلاد الرخاء الاقتصادي ، فتكون مهمتهم هي دعم الهجرة من بلاد الضائقة الى المستوطنة •

٣ ــ **يهود اميركا والسياسة الاميركية** : انا اميل الى الموافقة على كلام نزيه قورة ، بالنسبة لفاعلية اليهود في السياسة الداخلية الاميركية • اما ان نعيد الدعم الاميركي لاسرائيل ، الى نفوذ اليهود السياسي والانتخابي ، فهذا نوع من الوعي الزائف •

العلاقة ، هي علاقة عضوية بين البلد الام والمستوطنة • قد تنشأ تناقضات بين البؤر الاقتصادية في البلد الامبريالي الواحد • لكن هذه التناقضات لا تحسم الامور بالنسبة لعلاقة البلد الام بالمستوطنة • وفي المرحلة الراهنة ، يبدو ان الكيان الصهيوني ، بوصفه قاعدة عسكرية معتدية ، يرتبط اساسا بمجمع الحديد والصلب ، وليس بالبؤر الاقتصادية المعدنية والنفطية •

محمود سويد : اريد ان اشير الى مجموعة ملاحظات ، حول التحليل المقدم مــن الاخ صبري جريس ٠

للرفض العربي للمشروع الصهيوني ، سببان : ١ ــ كونه يحتل ارض شعب اخر ، ٢ ــ الدور الامبريالي الذي يلعبه في المنطقة العربية ٠

اي لو جاءت مجموعة من اليهود البائسين والمضطهدين الى فلسطين ، بحثا عن ملجأ آمن ، لم يكن لتنشأ اية مشكلة ٠ لقد جاء الارمن الى لبنان ، وكان عددهم اكبر من عدد اليهود الذين قدموا الى فلسطين في المرحلة الاولى ٠ ومع ذلك ، فلم يثر مجيئهم ايــــة مشكلة ٠ المشكلة هي في كون اسرائيل ، بحكم تكوينها ، وبحكم طبيعة المشروع الصهيوني نفسه ، هي ظاهرة امبريالية ٠ ولم يبق من اسرائيل ، بعد ان نضبت مصادر الهجــرة ، سوى الظاهرة الامبريالية ، بعد فشلها في حل المسألة اليهوديــة ٠

لقد اشار الاخ صبري الى تقاطع المصلحتين الاسرائيلية والفرنسية ، خلال حــــرب الجزائر ٠ اعتقد ، ان الموقف الاسرائيلي هذا ، هو جزء من موقفها العام ، بوصفهـــــا جزءا من النظام الامبريالي ، والا ، فكيف نفسر تأييدها للحرب الاميركية العدوانية فـــي فيتنام ، دون ان يكون هناك مصلحة اسرائيلية مباشرة ، او كيف نفسر تأييدها للانظمــة العنصرية في افريقيا ، ضد جميع حركات التحرر الافريقية ؟ يشير هذا الى موقفاسرائيلي شامل ، وليس فقط الى موقف ظرفي ٠

واشار الاخ صبري الى عودة العلاقة الاسرائيلية الاميركية ، الى مسارها القديم ، دون ان يقدم لنا تفسيرا ، لماذا تغيرت ثم لماذا عادت ٠

انا اعتقد ان هذه الظاهرة ، تعود الى **ازمة الامبريالية العالمية بعد هزيمتها في جنوب شرقي اسيا** ، والى ازمتها الاقتصادية ، ومحاولتها حل هذه الازمة عن طريق ثروات العالم العربــــي ٠

واشير كذلك ، الى اتجاه اسرائيل نحو بناء قوة مستقلة ، لكن الملاحظ ، انه بعـــــد حرب تشرين ، ازداد الاعتماد الاسرائيلي على الولايات المتحدة ٠

وهذا يشير الى استحالة بناء قوة اسرائيلية ، ومصادر عيش اسرائيلية مستقلة ، الا في حالة واحدة : انهاء الصراع العربي الاسرائيلي ، وتعايش اسرائيل في المنطقة ٠ مـــا عدا ذلك ، فمن المستحيل على اسرائيل ، ان تستقل عن مصدر قوتها الاساسي ٠

الملف الثالث

اسرائيل والمنطقة العربية

محمود سويد

بعد ثلاثين سنة من قيامها ، اضطرت اسرائيل الى تسـليم السـلطة الى اليمين الفاشي والارهابي ٠ فقد فشل حكم العمال ، طوال ٢٩ سنة ، في احداث

التطابق المطلوب بين واقع الحال والمثال ، وهو تطلع محكوم عليه بالفشل ، اذ لا يمكن اقامة دولة ديمقراطية اشتراكية ، بالاستيلاء على ارض الغير وثرواته ، وبوضع الدولة الناشئة في خدمة النظام الامبريالي العالمي ومصالحه ، مقابل تأمين الحماية لها · فتطورت البنية الاقتصادية والاجتماعية لاسرائيل ، خلال ثلاثين عاما ، على غير صورة المثال المنشود وجوهره ، اي الدولة الديمقراطية الاشتراكية (**اقتصاديا** : يباس تجربة التعاونية الانتاجية بنضوب الهجرة ، والتحول نحو المدينة ، وفقدان الزخم الطليعي والحافز المعنوي · فشل تجربة القطاع العام ، وتحول الهستدروت من مؤسسة عمالية الى مؤسسة رأسمالية دولة في خدمة طبقة بيروقراطية حاكمة · **اجتماعيا** : سيادة قيم مجتمع عسكري فاشي ، الغطرسة ، العدوانية ، الفساد ، الرشوة ، الانتقاص من الديمقراطية البرلمانية وسلطة القانون) ·

وفشل حكم العمال في احداث التحول المطلوب في دور اسرائيل ، من خادم للامبريالية وعصا غليظة في يدها ، الى شريك امبريالي ومركز لرأس المال الصهيوني ، يفيدان ، جنبا الى جنب مع الامبريالية ، في حل ازماتهما ، وتأمين وسائل تطورهما ، عن طريق المشاركة في نهب ثروات المنطقة العربية واستغلال اسواقها ·

وكانت اسرائيل عشية انتخابات الكنيست في ايار ١٩٧٧ ، قد نضجت لاحداث التطابق المنطقي والمحتوم بين طبيعة النظام ، وطبيعة الدور ، وطبيعة الاداة ·

وكان تسلم الليكود السلطة يعني تحول المثال من مجتمع اشتراكي ديمقراطي، الى مجتمع رأسمالي واقتصاد حر في الداخل ، ومزيد من الالتصاق والاندماج بالدور الامبريالي في المنطقة ، واغراق في عداء الاتحاد السوفياتي ونصرة الانظمة العنصرية على الصعيد العالمي ·

اولا : الثابت في السياسة الاسرائيلية ازاء المنطقة العربية ·

١ ــ **التوسع الاستيطاني** : احتلال الارض والثروة واستغلال الانسان · احتلال كل فلسطين واجزاء من اراض عربية اخرى · العمل الدؤوب لتشتيت الشعب الفلسطيني وابادته ·

٢ ــ **عرقلة التقدم والتطور العربيين** : كلب حراسة نشيط للمصالح الامبريالية المساهمة في عملية التخلف والانقسام في العالم العربي · ملاحقة حركة التحرر العربية والحيلولة دون نموها وتحقيق اهدافها الوحدوية والتقدمية ·

٣ ــ **نصرة الاقليات الطائفية والعنصرية وتحريضها على الانفصال** : النتائج الراهنة لحرب لبنان هي اهم انجازات اسرائيل في هذا المجال ·

ثانيا : تطور الصراع العربي ـ الاسرائيلي خلال الاعوام الثلاثين الماضية٠

١ ـ قامت اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، في قلب عالم عربي ممزق ومستعمر ومتخلف ٠

٢ ـ مثلت الناصرية في الخمسينات وحتى اواسط الستينات محصلة رد القومية العربية النامية وحركة التحرر العربي الفتية على الهجمة الامبريالية ورأس حربتها اسرائيل ، وعلى هزيمة ١٩٤٨ ٠

٣ ـ الحقت اسرائيل والامبريالية في حرب ١٩٦٧ ، هزيمة ساحقة بحركة التحرر العربية ، ممثلة بالناصرية ، بعد صراع دام طويل ، وبعد معارك ضارية، سجلت فيها حركة التحرر العربية اكثر من انتصار ٠ غير ان الهزيمة سنة ٦٧ ، فتحت الباب واسعا لالتحاق المنطقة بالمعسكر الامبريالي ٠

٤ ـ رفضت الارادة القومية لجماهير الامة ، الاستسلام لنتائج الهزيمة ، وعكفت بقيادة عبد الناصر المتجددة ، على اعادة البناء ٠ وكانت حرب الاستنزاف (١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) وانطلاقة الحركة الثورية المسلحة والمنظمة للشعب الفلسطيني، الرد على الهزيمة الثانية ٠

٥ ـ ساد بعد هزيمة ١٩٦٧ (وخصوصا بعد ضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن ورحيل عبد الناصر) خطان في السياسة العربية :

أ ـ خط الانظمة الملتحقة بالامبريالية الاميركية ، التي وظفت حصيلة ما حققته حركة التحرر العربي ، في خدمة مصالحها ، فكانت حرب التحريك سنة ١٩٧٣ ، وما تلاها من تحركات سياسية برعاية الولايات المتحدة ٠ (واهمها طبعا مبادرة السادات) ٠

ب ـ خط مناهضة الامبريالية ومحاربة اسرائيل ، بقيادة حركة التحرر العربي متمثلة في المقاومة الفلسطينية والتنظيمات الجماهيرية العربية ٠ وقد خاض هذا الخط ، ولا يزال ، نضالا عنيدا ضد محاولات الضرب والابادة ، بتدبير من الامبريالية الاميركية ، وبأدوات اسرائيلية وعربية على السواء ٠

ثالثا : الوضع الراهن ٠

١ ـ لا يشكل صعود الليكود الى السلطة ، مخرجا لاسرائيل ، بقدر ما يشكل بلورة لمأزقها : فالمشروع الصهيوني مرتبط ارتباطا عضويا بالامبريالية العظمى في عصرنا ٠ يبقى قويا ومهيمنا ما دامت قوية ومهيمنة ٠ يتأزم بتأزمها ٠ يسقط بسقوطها ٠

٢ ـ ازمة الامبريالية ، ودور المنطقة العربية (ثروات وسوقا وموقعا) في حل هذه الازمة ٠

٣ ـ في نطاق هذا الحل ، تسعى الامبريالية لايجاد تسوية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي يقوم علي :

أ ـ تحجيم دور اسرائيل (باعتماد ادوات اخرى في المنطقة) مع تأمين كافة الضمانات اللازمة لامنها (تغليب دور التابع على دور الشريك) ٠

ب ـ اضطلاع اسرائيل والانظمة التابعة بالهيمنة على المنطقة كوكلاء للامبريالية ، بعد منح الانظمة العربية حلا يوفر لها (وبالتالي للمصالح الامبريالية) امكان الاستمرار والاستقرار ٠

ج ـ القضاء على حركة التحرر العربية (وهو هدف تلتقي عليه اسرائيل والامبريالية والرجعية العربية) متمثلة بالمقاومة الفلسطينية والتنظيمات الجماهيرية العربية المستفيدة من تناقضات الوضع العربي ، ومستويات التبعية، او التحرر من التبعية المتفاوتة بين هذا النظام وذاك ، ومن دعم القوى التقدمية العالمية الصديقة ٠

٤ ـ يصطدم المسعى الامبريالي للتسوية بعقبتين :

أ ـ اسرائيلية : الاصرار على تغليب دور الشريك ٠

ب ـ عربية : عدم القدرة على القضاء على المقاومة الفلسطينية وحركة الجماهير العربية رغم المحاولات الدؤوبة المتكررة ، والتي لا تزال قائمة حتى الان ٠

٥ ـ ان نجاح الامبريالية في انجاز التسوية ، رهن بتذليل هاتين العقبتين ٠

رابعا ـ مستقبل الصراع ٠

١ ـ تبدو الامبريالية ، وهي تواجه ازمتها الخاصة ، غير قادرة ـ من جهة ، على هزيمة الشعب الفلسطيني وحركة التحرر العربي ، في معركتها الوطنية والقومية على اتساع المنطقة العربية بكاملها ، وغير قادرة ـ من جهة ثانية ، على حل ازمات الانظمة التابعة لها (قضايا الانتاج والتصنيع والتنمية والعدالة ـ النموذج المصري) ٠

٢ ـ يعني هذا استحالة ايجاد حل دائم للصراع العربي ـ الاسرائيلي ، بتدبير من الامبريالية ، ووفق المعطيات الراهنة ٠

٣ ـ تتطلع اسرائيل الى مهلة عشر سنوات (تحافظ خلالها

على التفوق العسكري الحاسم) • تنضب بعدها الثروات العربية ، ويتغير ميزان القوى العالمي ، ويسود المنطقة توازن الرعب النووي ، فيستتب لها الامر ، بعد ان تكون قد استوعبت سكانيا واقتصاديا الضفة الغربية وقطاع غزة ، واستهلكت ثروات سيناء ، وامنت مصادر المياه ، وفرضت بالتالي « سلمها » على المنطقة العربية •

٤ ــ غير ان هذه السنوات العشر ، ليست ذات وجه واحد ــ اسرائيلي ، فامكانات حركة التحرر العربي تنمو، ودورها يكبر ، وحلفاؤها يزدادون • وهي، بعد كل معركة ، تكتسب مزيدا من الخبرة والصلابة والقدرة على ادارة الصراع لمصلحتها ، والانتقال به من مرحلة الى اخرى •

٥ ــ ان الاتجاه النووي للصراع ، الذي ينتظر ان يبرز مستقبلا بحدة ، وكلما اقتربت اسرائيل من نهاية الطريق المسدود ، هو سيف ذو حدين ، واستعمال هذا السلاح مرة واحدة من جانب اسرائيل ، ولو بشكل محدود ، يحول المنطقة بكاملها الى سوق رائجة للبضاعة النووية ، ولن يكون ذلك بالتأكيد لمصلحة اسرائيل •

٦ ــ ان كون الامبريالية في مرحلة تأزم ، وكذلك اسرائيل ، يفسر شراسة المعركة الدائرة ، فيالسنوات الاخيرة ، والتي بلغت احدى ذراها في الحرب اللبنانية ، اقول احدى ذراها ، لانها ستشهد ذرى اخرى في الاشهر والسنوات اللاحقة • ومهما بدا الواقع التراجعي العربي قائما ومخيبا ومحبطا ، فانه بقدر ما تستعد حركة التحرر العربي ، وطليعتها المقاومة الفلسطينية ، لمواجهة هذه المعارك : تعيد تنظيم صفوفها ، تراجع تجربتها ، تبلور مواقعها النظرية والسياسية في كل مرحلة ، بقدر ما يكبر جيشها وتمتلىء صفوفه ، على امتداد الساحة العربية ، وتقترب ساعة النصر •

ش•ف• : تطرح ورقة الاخ محمود سويد مجموعة من المسائل التي تحتاج الى ايضاح • فهناك مسالة سعي الامبريالية لتحجيم اسرائيل ، تغليب دور التابع على دور الشريك • هل يعني هذا ان هناك صداما اسرائيليا اميركيا في الافق ؟

ثم هناك ، الاشارة الى وجود عقبتين امام التسوية ، عقبة اسرائيلية ، وعقبة عربية • ما هي طبيعة هاتين العقبتين ؟ •

ان اشكالية العقبة العربية امام التسوية ، ليست ناشئة في تقديرنا عن عجز الانظمة عن تصفية المقاومة الفلسطينية فقط • انها تنشا في الاساس عن عدم استجابة الامبريالية لشروط الحد الادنى للسلام العربي ، من اجل التوصل الى انجاز المعادلة الاميركية ، الاحتفاظ باسرائيل كشريك من جهة ، وبالانظمة العربية كشريك اخر من جهة ثانية • فكيف ستستطيع الامبريالية الاميركية ، اقامة توازن بين شركائها في المنطقة • ان اي توازن من هذا النوع سوف يكون على حساب الطرف الاسرائيلي • من هنا تنشا الصعوبات امام الامبريالية في الاحتفاظ بالشريكين العربي والاسرائيلي •

عبد الحفيظ محارب : لقد جرى التشديد خلال هذه الندوة ، على دور اسرائيل في قمع حركة التحرر العربية ٠ والواقع ، ان اسرائيل نشأت كنقيض لحركة التحرر العربية ، ودورها الاساسي ، هو دور قمعها ٠ لكن يجب ان لا تحجب هذه الحقيقة حقيقة اخرى ، **هي ان قمع حركة التحرر العربية ، على المستوى العملي ، كان مناطا بالانظمة** ٠

وكمثال على ما اقول ، هناك ظاهرة محاولات اسرائيل المتكررة لسحق المقاومة الفلسطينية ٠ ففي كل مرة حاولت اسرائيل فيها ضرب المقاومة ، كانت المقاومة تزداد قوة٠ بينما نجد ، وتجربة الاردن امامنا ، ان الانظمة هي التي تملك اداة التصفية ، في حين ان اسرائيل لا تملكها ٠

نزيه قوره : ان مسألة التمييز بين العملاء والشركاء ، مسألة اثارت جدلا كبيرا ٠ لكني اريد هنا ان استشهد بما كتبه الصحفي الاسرائيلي حجاي اشد : « وبسبب ازمة الطاقة بالذات ، وارتباط الدول الغربية ، وبشكل لم يسبق له مثيل بدول النفط العربية ، يحتاج الغرب لاسرائيل مثل حاجته لكلب حراسة ذي اسنان حادة ، مربوط بالسلاسل الطويلة جدا ، بحيث تأذن له بغرس اسنانه اذا تحدوه اكثر من اللازم » ٠

يجب ان نلاحظ الصفة التي اطلقت على السلاسل الاميركية : **طويلة جدا** ٠ هنا يكمن الفرق بين الشريك والعميل ٠ فحتى تستطيع اسرائيل اداء مهمتها في المنطقة ، على السلاسل ان تكون مموهة ٠ اي هناك ضرورة لان تبدو اسرائيل مستقلة ٠ وهذا ضروري ايضا بالنسبة للحلفاء الاخرين للولايات المتحدة ٠ وضروري بالنسبة لليهود ، كي يكون هناك استعداد لدى الجندي الاسرائيلي ، من اجل القتال والموت دفاعا عن مشروع ، قيل انه صنع من اجله ٠ وكنت قد أشرت سابقا الى ضرورة هذا التمويه بالنسبة للحلفاء الاخرين للامبريالية ٠

هاني العبد الله : اعتقد ، ان الحديث عن الخلاف الاميركي الاسرائيلي ، يتناسى جوهر الاتفاق الاميركي الاسرائيلي بالنسبة للتسوية ٠ وهذا من اجل ان يبدو اي تنازل اسرائيلي شكلي ، وكأنه انتصار للذين يراهنون على الدور الاميركي ٠

تملك اسرائيل ثلاثة مواقف ثابتة فيما يتعلق بالتسوية ٠ **لا عودة الى حدود الرابع من حزيران ، لا مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ، لا لاقامة دولة فلسطينية مستقلة** ٠ وانا لا اعتقد ان هناك خلافا اميركيا اسرائيليا حول هذه المسائل ٠

اما التناقض بين الانظمة العربية والكيان الصهيوني ، فانني اعتقد ان هذا التناقض لن يحل لصالح الطرف العربي ٠

صبري جريس : اريد ان أبدي بعض الملاحظات ، حول وجهة نظر الاخ سويد ، ثم حول النقاش بشكل عام ٠ لقد ذكر الاخ سويد ، ان احدى العقبات امام التسوية ، هي عدم استطاعة الانظمة القضاء على حركة المقاومة ٠ انا اعتقد ، انه حتى لو استطاعت الانظمة القضاء على حركة المقاومة ، فان لاسرائيل **اطماعا اقليمية ، هي التي تعيق اساسا عملية التسوية** ٠ اسرائيل تريد القضاء على المقاومة ، لكنها تريد ايضا اشياء اخرى ٠ تريد السيطرة على اجزاء من ارض العرب وثروتهم ٠ ذكر محمود سويد، انه خلال السنوات العشر القادمة ، سوف تنضب الثروة الطبيعية العربية ٠ انا اعتقد ان اسرائيل تخاف من عكس ذلك ، فالمصادر الطبيعية العربية ليست النفط فقط ٠ بل هناك المعادن والثروات الطبيعية : الزراعية والحيوانية ٠ فالعالم العربي يسير نحو النمو والتطور وهذا هو مبعث

خوف اسرائيلي دائـــم ٠

اما بشأن **القوة النووية** ، فانا اعتقد انها سيف ذو حدين ٠ وهي بالتالي عـامـل ردع وتوازن ٠ يبقى لي تعليق صغير حول ما يطرحه الاخ نزيه قورة ٠ ان كلامه يوحي وكـــأن اسرائيل هي جزء من اميركا منذ القرن الثامن عشر ٠ وان هناك مؤامرة سرية عالمية ، من اجل انشاء الكيان الصهيوني ٠ وبالتالي فاسرائيل ليست سوى اداة صغيرة من ادوات الامبريالية ٠ وكأننا امام بروتوكولات حكماء صهيون ، ولكن مقلوبة على رأسها ٠

اسمحوا لي ان اقول ان هناك اكثر من دلالة ، بان اسرائيل تتصرف في بعـض الاحيان بطريقة لا توافق عليها اميركا ٠ وانا اعتقد ان اميركا كانت ضد فوز بيغن ٠ ولكن هــذا لم يمنع فوزه في الانتخابات ٠ كما انه عندما ارتفعت بعـض الاصوات مطالبة بازاحـــة بيغن ، جاء الجواب الاسرائيلي : نحن لسنا جمهورية موز في اميركا الجنوبية ، حتـــى تغير حكوماتنا بالطريقة التي يريدها الاخرون ٠

الياس شوفاني : اريد اولا ان ابدي ملاحظة حول مسألة صعود اليمين الصهيونـــي الى الحكم ، وعلاقتها باشارة محمود سويد الى ازدياد التطابق بين الوضع الاسرائيلـــي الداخلي والامبريالية ٠ فانا ارى في صعود الليكود ، نوعا من القفزة ، التي جاءت كردة فعل من المستوطنين الصهاينة على تبعيتهم للدولة الام ، وعجزهم خلال السنوات الاربع التي اعقبت حرب تشرين ، عن اتخاذ القرار ٠

حين نقول بان الكيان الصهيوني هو نتاج عمل مشترك بين الحركة الصهيونية والامبريالية فيجب ان لا يحجب هذا ، حقيقة كون الامبريالية هي الطرف الاكبر والاقوى في العملية ٠ الطرفان غير منفصلين ، هناك ترابط عضوي بينهما ، لكن هناك هامش من التناقض ٠ فهذا يعني ، ان الطرف الامبريالي ، هو الذي سيحسم مسألة التسوية لمصلحته ٠ ماذا تريـــد الامبريالية الاميركية من منطقتنا ؟ النقيض الرئيسي للهيمنة الاميركية ، هو حركة الجماهير العربية ٠ فالهدف الرئيسي للامبريالية هو اذن ضرب حركة الجماهير العربية ، والهدف، هو فرض الهيمنة الاميركية ، والسيطرة على مصادر الثروة العربية . ثم اعادة صياغـــة العلاقات الاجتماعية الداخلية ، بما يخدم هذه الاهداف ٠ ومن اجل تحقيق هذه الاهداف ، لا بد من ضرب حركة القومية العربية ، لكن الامبريالية لم تعد تستطيع تنفيذ اهدافهـــا بشكل مباشر ٠ اي بالانزال الاميركي ٠ فهم يحاولون العمل بطرق غير مباشرة ٠ السؤال الاميركي الان ، هو من هي الاداة الاقوى من اجل ضرب القومية العربية ، المال النفطي ، أم العسكريتاريا الاسرائيلية ؟ لقد استطاع كيسينجر في سياسة الخطوة خطوة ، تمهيـد ارضية ، **استطاعت السياسة الاميركية ، سحب مؤسسات عربية حاكمة على اساسها** ، الى المعسكر الامبريالي ٠ بقيت خطوة اخرى ، وهي وضع هذه الانظمة في خندق واحد مـــع الكيان الصهيوني ٠ هنا حصل التردد الاميركي ، نتيجة الضغط الاسرائيلي ، ووصلت سياسة الخطوة خطوة الى طريق مسدود ٠ فالخلاف الاسرائيلي الاميركي ، هو على الثمن الذي الذي يجب دفعه من اجل الوصول الى هذه النتيجة ٠

انا لا اجزم ، على الاقل من الناحية النظرية ، باستحالة الحل ٠ طبعا ، على المـــدى التاريخي ، انا متفق مع محمود سويد على ان حركـــــة الجماهير العربيـــة ستنهض ، وستنتصر على الهيمنة الامبريالية ٠ لكني ، على المستوى المرحلي ، لا استبعـد احتمال التوصل الى تسوية ٠

اذا كانت مسألة بروز بيغن ، هي ظاهرة عابرة للفكر القومي الثقافي الغيبي ، والذي

لا يستطيع بطبيعة الحال ان يدخل جديا في عملية التسوية ، فان مسألة سقوط بيغن ، تحت الضغط الاميركي او الداخلي تصبح واردة ٠

انا ارى امكانية تسوية بين الاطراف الاسرائيلية المتبرجزة والنظم العربية البرجوازية٠ حيث لا قيمة للارض ، بالنسبة للطرفين ، بل المهم هو فائض القيمة ٠ فاذا وصل مشروع بيغن الى طريق مسدود ، وتمت عملية بلورة الاحزاب الاسرائيلية بشكل جديد ، اي على اساس منطلقات سياسية تمت الى الوضع الراهن بصلة ، وليس على اساس تاريخي كما هي الان ٠ (فانا مثلا ، لا ارى الان كبير فرق بين مائير عميد في داش وشمعون بيريس٠ فهما يمثلان التكنوقراط وبرجوازية الدولة ٠) فاذا صح هذا التحليل ، تكون المرحلةالثانية هي طرح مشروع قريب من مشروع حزب العمل ، الحل الوسط الاقليمي ، الذي يدعو الى دولة يهودية ، والى التنازل بالتالي عن التجمعات السكانية العربية ، عبر اعطائها لطرف عربي ٠ عندها ، يمكن للسادات ان يعلن توصله من خلال هذا المشروع الى تحقيق حقوق الشعب الفلسطيني ٠ ويمكن للملك حسين ان يقبل بشريك فلسطيني غير ثوري ٠ وتكون الجسور المفتوحة هي الاغراء لطبقة التكنوقراط والبرجوازية في اسرائيل للدخول الى السوق العربية ٠

يصب هذا السيناريو ، كما نرى ، في تحقيق المصالح الامبريالية الاميركية ٠ انا لا اقول، ان هذا السيناريو سيتحقق ٠ لان العقبة في وجهه هي نضال الجماهير وقتالها ٠ وهي عقبة كبيرة ، لكن يجب اخذ هذا الاحتمال بجدية ٠

التسوية ، بالمفهوم البسيط الذي اشرنا اليه سابقا ، انسحاب مقابل اعتراف ، غير ممكنة التحقيق ، طالما هناك على رأس الهرم في اسرائيل الفكر القومي الثقافي الغيبي ٠ ولكن، خلال مسار طويل ، يعاد فيه ترتيب الاوضاع ، في داخل الكيان ، بشكل ايديولوجي وسياسي جديد ، يقوم باحلال المصالح المادية مكان الافكار الغيبية ، عندها ، يصبح احتمال التسوية ممكنا ، بالنسبة للواقع الاسرائيلي ٠

ش٠ف : نريد ان نشير ، الى اننا نناقش اوضاع اسرائيل ، خلال ثلاثين سنة على وجودها ٠ والذي كان يحكم اسرائيل خلال ٢٩ سنة هو حزب العمل وليس بيغن ٠ ومع ذلك فنحن نعتقد ان مسألة التوجه نحو السلم او الحرب في اسرائيل ، ليست نتاج تغيرات داخلية ، بل هي نتاج تغير ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي، نريد فقط ان نلفت النظر الى اهمية العامل الخارجي ٠

الياس شوفاني : انا اوافق ، على اولوية العامل العربي ، الصراعي ، لكن الذي طرحته حول السيناريو ، وهو يحتاج الى تفصيل يريد ان يشير ، الى ان طرح مسألة التسوية ، بقدر ما يبرز فشل الاستيطان الصهيوني ، يدفعه كذلك الى محاولة البحث من منطلقات جديدة ، تؤمن بقاءه ٠

ش٠ف : لا ادري ، لماذا استبعدت زيارة السادات لاسرائيل من نقاشنا ٠ بل وتبدو وكأنها مسألة هامشية جدا ، فهل يعود ذلك الى اعتقادكم ان هذه الزيارة لا تشكل جزءا من تاريخ المشروع الصهيوني ؟

الياس شوفاني : لقد قلبت زيارة السادات الامور رأسا على عقب ٠ اذ لمحت الى الاعتراف بالحق التاريخي لليهود في فلسطين ٠ وانطلاقا من هذا الاعتراف ، صار بيغن يتكلم عن الحق التاريخي لليهود في فلسطين ، وعن الحق الوجودي للفلسطينيين ، وهذا هو اساس مشروع الادارة الذاتية ٠

في البداية ، ربما فكرّ السادات وبيغن بامكانية اقامة محور مستقل ، القاهرة تل ابيب· وخلال الزيارة ، تحدث رابين بشكل يوحي بذلك ، اذ قال ان التاريـخ والقـدرة الالهية ، قررت ان مصر واسرائيل هي التي تسير امور المنطقة · فالسادات كان يسعى للوصول الى تسوية كاملة ، يجري تنفيذها على مراحل · لكن هذا لم يتحقق · كما كبحـت الولايـات المتحدة هذا المســـار ·

طبعا ، هناك عقبات كثيرة امام هذا التوجه · فبيغن ، ليس مستعدا ان يعيد حتى سيناء كاملة الى مصر · فمنطق التسوية الحالي في اسرائيل ، منطق (ارض اسرائيل الكاملة) لا يقبل التنازل عن سيناء بشكل كامل · ربما المنطق الاخر ، منطق الدولة اليهودية ، يمكنه ان يقدم هذا التنازل شرط الحصول على امتيازات اقتصادية فيها ·

داخل هذا المنطق ، منطق (ارض اسرائيل الكاملة) هناك ثلاثة جيوب عربية لا بد من تطويقها · (صباح اليوم ، وفي الذكرى الثلاثين لانشاء الكيـــان ، صرح ايتان رئيـس الاركان الاسرائيلي ، ان الجيش الاسرائيلي لا يستطيع حماية الدولة ، اذا تم التنازل عن يهودا والسامرة « الضفة الغربية ») ·

اذن ، تبقى ثلاثة جيوب عربية اساسية لا بد من تطويقها ·

١ ـ **الجيب الاول هو الجليل** الذي يضم ٤٠٠ الف عربي ، مطوقين من الجنوب والشرق والغرب · ولا بد من تطويقهم من الشمال · وهذا هو المعنى الحقيقي « للجيب المسيحي » في الجنوب اللبناني ·

٢ ـ **الجيب الثاني هو الضفة الغربية** ، الذي يضم ٧٠٠ الف عربي · وهو مطوق من الشمال والغرب والجنوب · ولا بد من استكمال الطوق عليه على طول نهر الاردن · وهذا هو سر الاصرار الاسرائيلي على اعتبار نهر الاردن ، هو الحدود الامنية لاسرائيل ·

٣ ـ **الجيب الثالث هو قطاع غزة** · وهو مطوق من الغرب والشمال · لكنه يبقى منفتحا على سيناء · ولا يمكن تطويقه من جهة سيناء الا عن طريق مشارف رفح · هذا بالاضافة الى كون مشارف رفح ، تضم قاعدة عسكرية ضخمة ، هي قاعدة ايتام ، يمكن تحويلهـــا في المستقبل الى مطار مدني كبير ، من اجل ترسيخ دور اسرائيل الاقتصادي في المنطقة ، في حال التوصل الى تسوية ·

ثم هناك ، **الشريط الإسرائيلي على خليج العقبة** ، الذي لا يتجاوز عرضه ٣ كلم · اي ان الخط بين العقبة الاردنية وام رشراش المصرية هو ٣ كلم فقط · من هنا الاصـــرار الاسرائيلي على الاحتفاظ بقاعدة سيول ، التي تعرض هذا الخط · واخيرا ، تأتي مسألـة **شرم الشيخ** · وهي مسألة تتعلق بامن البحر الاحمر · وفي افضـل الاحوال ، يمكـــن لاسرائيل ، ان توافق على تحويل شرم الشيخ الى قاعدة اميركية ، تحت غطاء المحافظـة على امن البحر الاحمر · اي نقل قاعدة الانذار والتجسس الاميركية الموجودة الان فـــي ممري الجدي ، ام خشيبة ، الى شرم الشيخ · ·

اما الجولان ، فان التنازل عنه هو مسألة بالغة الصعوبة بالنسبة لايـــة حكومـــة اسرائيلية · فالهضبة السورية تسيطر على منابع الاردن ، كما تهدد مستوطنات الحولـــة والجليل · طبعا ، هناك حل اخر ، هو التنازل عن التجمعات البشرية العربية · وهـــذا يفترض سياسة اسرائيلية اخرى ، وتوجها رأسماليا · لكن الحل الاساسي ، هو المواجهة بين حركة الجماهير العربية ، والوجود الامبريالي واداته الصهيونية ·

محمود سويد : الذي حكم السياسة الاميركية ، هو المصالح الامبريالية الاميركية · وجميع مراكز القوى داخل الولايات المتحدة ، هي في خدمة المصالح الاميركية الامبريالية ·

تمر الامبريالية الاميركية في ازمة كبيرة ، خاصة بعد هزيمتها في جنوب شرقي اسيا · وقد حاولت ، عن طريق السياسة الكيسنجرية بعد حرب تشرين ، حل ازمة الشرق الاوسط، عبر الاحتفاظ بمصالحها في المنطقة · جوهر الحل الكيسينجري ، هو ان تكون اسرائيل هي الوكيل الاول للمصالح الاميركية في المنطقة ، بينما تلعب الانظمة العربية دور الوكيل الثاني · وقد حاولت بعض الانظمة العربية ، ان تلعب دورا في حل ازمة الامبريالية في عدد من القارات · واميركا ، مضطرة من اجل تمرير الحل ، ونظرا لوجود مشكلة الشعب الفلسطيني ، التي تستطيع الانظمة تجاوزها ، ان تطلب من اسرائيل تقديم بعض التنازلات فاستقرار المنطقة ، هيمنة القوى الرجعية عليها ، ليس مصلحة اميركية فقط ، بل هو مصلحة اسرائيلية ايضا · وهذا هو جوهر التحرك الاميركي في المنطقة ·

لكن اسرائيل تصر على ان تلعب دور الشريك ، وترفض دور التابع · فاسرائيل تقدم خدمات للامبريالية ، وهي خدمات كبيرة ، تسمح لها في رأي قيادتها ، بلعب دور الشريك الحقيقي ·

وانا اعتقد ان التسوية مستبعدة لسببين : ١ ــ عدم قدرة اميركا على ارغام اسرائيل ، على القبول بتحجيم دورها · ٢ ــ كما ان اميركا لم تستطع رغم المحاولات العديدة فرض هيمنتها الكاملة في المنطقة العربية · والامبريالية لا تثق بقدرة الانظمة القائمة على المحافظة على الاستقرار ·

وهناك ايضا المعادلة الدولية في المنطقة ، فهناك وضع معين في افريقيا ، ليس في صالح الامبريالية الاميركية · كما انه من اجل التوصل الى تسوية في المنطقة لا بد ولاسباب عديدة ، من وفاق اميركي سوفياتي حولها · اذ ان الخلاف الاميركي السوفياتي قادر على تفجير الوضع في المنطقة ، وهو تفجير لن يكون لمصلحة الامبريالية الاميركية · لذلك ، فانا استبعد وضمن المعطيات الدولية الراهنة ، القدرة على التوصل الى تسوية في المنطقة · اما فيما يتعلق بحدوث تغيير في الحكم الاسرائيلي ، فانا اعتقد ، ان هذا التغيير مستبعد قبل صياغة ميزان جديد للقوى في المنطقة ، يفرض على التركيبة الاستيطانية الصهيونية منطقا جديدا في فهم حدودها ودورها ·

الملف الخامس

الكيان اقتصاديا واجتماعيا

نزيه قورة

أ ــ الكيان اقتصاديا واجتماعيا

انطلق في دراستي من اعتبار المشروع الصهيوني مشروعا استعماريا في

الاساس· جرى اعداده وصياغة ايديولوجيته من قبل جهات مرتبطة بوزارة الحرب ووزارة المستعمرات البريطانية ، وعدد اخر من الدول الاوروبية · لقد بدأ طرح المشروع ، عندما استطاعت بريطانية السيطرة على الهند ، انطلاقا من حاجتها الى تأمين خطوط مواصلاتها · عام ١٦٢١ ، طرح السيد هنري فينش مشروعا في هذا الصدد بعنوان « العودة العالمية الكبرى او دعوة اليهود » · وفي تلك الفترة ، اي في القرن السابع عشر ، جرى اعداد ١٢ مشروعا لاقامة دولة يهودية في فلسطين · ولقد كانت العقبة الرئيسية الدائمة في وجه مشروع كهذا ، هو امتناع اليهود عن الموافقة عليه ·

وفي القرن التاسع عشر ، ومع بداية انهيار الدولة العثمانية ، اصبح المشروع ضرورة استعمارية ملحة · ولقد اتخذ المشروع في البداية شكلا دينيا · ومن الجديد بالملاحظة هنا ، هو دور رجال اللاهوت المسيحي البروتستانتي في الدعوة الى العودة الى صهيون ·

وامام الحاجة الى المشروع ، ونتيجة امتناع اليهود عن تنفيذه ، اكتشفت الدوائر الاستعمارية ان افضل وسيلة لتنفيذه هي تطبيق معادلة الدفع والجذب· اي خلق شروط تجبر اليهود على مغادرة اوطانهم · وفي الفترات التي كان يفشل فيها المشروع في تأمين طاقة بشرية يهودية ، كان يجري البحث عن طاقة بديلة ، والمثال البارز على ذلك هي المستوطنة التي اقيمت عام ١٨٦٧ في فلسطين والتي كانت تضم ٧٠ اميركيا غير يهودي ·

النقطة الرئيسية التي اريد التركيز عليها ، هي ان تهجير اليهود الى فلسطين كانت عملية اكراهية · ويتمثل هذا الاكراه في الاضطهادات الروسية ١٨٨١ ، وقوانين ايار ١٨٨٢ ، وبمجموع السياسات التي اتبعت في عدد من الدول الاوروبية ، في المرحلة الممتدة بين ١٨٨١ و ١٩٤٥ · ولعله من المفيد الاشارة الى ان العناصر التي كانت تتولى الترويج للمشروع ، كانت تقيم افضل العلاقات مع القوى اللاسامية ، من هرتسل الى جابوتنسكي · (عقد جابوتنسكي اتفاقا مع القائد الرجعي الاوكراني بتلبورا ، الذي كان يقاتل ضد الثورة الروسية ، والذي ارتكب مجازر كبرى ضد اليهود) ·

المشكلة الاجتماعية الكبرى

المشكلة الاجتماعية التي حاولت الصهيونية تقديم حل لها ، هي تركز اليهود في مهن الطبقة الوسطى : التجارة والحرف والمهن الحرة والحل الذي قدمته الصهيونية ، يتمثل في تحويل اليهود في فلسطين الى منتجين · وقد عبر عن هذا الاتجاه مفكران صهيونيا بارزان ، هما غوردون وبورخوف · اعطى الاول، العمل مضمونا دينيا روحيا ، بينما اعطاه الثاني مبررات اشتراكية ماركسية ·

لقد تمكنت الصهيونية من احراز نجاحات في هذا المجال ، نتيجة الظروف الاضطهادية التي عاشتها اوروبا ، خلال الفترة الانتدابية ، ونتيجة اغلاق ابواب الهجرة اليهودية في بريطانية ١٩٠٦ ، والولايات المتحدة ١٩٢١ وكندا في الثلاثينات . وجرى التركيز على تهجير الشباب وحتى الاطفال ، اذ افتتحت عام ١٩٣٢ دائرة خاصة في الوكالة اليهودية ، هي دائرة هجرة الاطفال . وقد بلغ عدد الاطفال الذين جرى تهجيرهم بين ١٩٣٢ و ١٩٧٠ نحو ١٢٥ الف طفل . وتقدر نسبتهم الى مجموع الطاقة البشرية في اسرائيل في الستينات ، حوالي ١٠٪ . وبعد عام ١٩٤٨ ، استفادت الصهيونية من هجرة يهود البلاد العربية . وخاصة ذلك القسم الذي يتميز بانخفاض المستوى الثقافي ، وضعف الامكانيات المادية . واستطاعت تحقيق توسع في مجال الانتاج الزراعي والصناعي وفي البناء . ونجحت في تحويل قسم كبير من المهاجرين الى عمال يدويين ، تحت ظل اللاخيار .

عام ١٩٦٥ ، انتهت الهجرات الجماهيرية الى اسرائيل مع اخر هجرات من بلاد المغرب العربي ومن رومانيا . وتجدر الاشارة هنا ، الى ان القسم الاكبر من يهود بلاد المغرب العربي ، الذين يتمتعون بمستوى ثقافي او مادي ، لم يهاجر الى اسرائيل بل فضل الهجرة الى اوروبا . وبواسطة هجرة اليهود العرب ، تمكنت الصهيونية من تحقيق ما يسمى بتوزيع السكان . واقامة المستوطنات على الحدود اللبنانية والسورية ، وفي النقب وبئر السبع . **بعد حرب حزيران ١٩٦٧** ، حدثت مجموعة من التطورات الاقتصادية والاجتماعية الهامة :

١ ـ ازدادت احتياجات المؤسسة العسكرية للطاقة البشرية فازداد حجم الجيش الدائم وجهاز الشرطة والمخابرات والصناعة العسكرية . كما ازدادت ايضا احتياجات جهاز الدولة والخدمات العامة : دوائر دولة ، صحة ، تعليم ، شؤون اجتماعية .

٢ ـ من خلال الانفاق الحكومي المتزايد على اجهزة الدولة العسكرية والمدنية توفرت امكانات واقعية لزيادة حجم واربحية قطاع التجارة (بالجملة والمفرق) وجهاز الخدمات المصرفية والمالية . مما زاد من طلب هذه القطاعات غير المنتجة على الموارد المحدودة للطاقة البشرية .

٣ ـ حدث تطوران في مجال مصادر الطاقة البشرية :

١ ـ احتياطي الهجرة فقد تلك المادة التي تملك المواصفات اللازمة لتحويلها الى طاقة بشرية منتجة .

ب ـ حدثت زيادات كبيرة ، نتيجة لتوفر الامكانات المادية ، في اعداد الطلاب **الذين ينهون الدراسة الثانوية والذين يلتحقون بالمؤسسات الاكاديمية العليا من**

جامعات ومؤسسات تعليم عالي (ما بعد الثانوي) ·

ج ـ نشأت مشكلة نقص طاقة بشرية حادة ، امكن حلها بواسطة الاستخدام المكثف والمتزايد للعمال العرب سواء من الجليل والمثلث او من الضفة وقطاع غزة· وانتقل تدريجيا تركيز العمال العرب من الاعمال الموسمية والمؤقتة (القطاف والبناء) الى الاعمال الثابتة اي الى الصناعة ·

د ـ اصبح العمل اليدوي مرادفا للعمل العربي ·

المجال العسكري :

نتيجة للتحولات المهنية افتقدت الطاقة البشرية اليهودية الصفات التي كانت تجعل منها مادة مناسبة للاعمال العسكرية والتي كانت تكتسبها من العمل في القطاعات المنتجة · فبدل ان يكون مزارعو الكيبوتسات والموشافيم والعمال الصناعيون هم الجسم الاساسي للمجندين ، اصبح هذا الجسم يتكون اساسا من قطاع الخدمات : موظفين ، كتبة ، طلاب الخ · وبعد ان كانت شعبة الطاقة البشرية في الجيش الاسرائيلي تتمتع بفائض بشري يتيح لها الانتقاء ، اصبحت محكومة بواقع النقص في الطاقة البشرية · تبرز دلائل هذا التحول ، في الاعلانات التي تدعو الشباب للتطوع والمرفقة بمغريات مثل منح تعليمية ،وقروض اسكان الخ ·

الاستيطان :

التحولات في نوعية الطاقة البشرية المهاجرة ونوعية الطاقة البشرية المحلية ادت الى عملية نزوح داخلي من الاطراف الى التجمع المديني الساحلي · من هنا مشكلة تكون اغلبية عربية في الجليل · وايضا مشكلة المستوطنات القديمة التي توقف نموها ـ النقب بيسان · ومن هنا ايضا نفهم الفشل في مجال الاستيطان الجديد ، خارج الخط الاخضر · فمنذ الاحتلال ، اقيمت ٨٢ مستوطنة جديدة · عدد المقيمين فيها هو حوالي ٧ الاف مستوطن ، حسب احصاء نشر عام ١٩٧٦· وكلفة انشاء هذه المستوطنات هي ٧ مليارات ليرة اسرائيلية ، اي ما كان يعادل حوالي ٧٠٠ مليون دولار · اي مئة الف دولار لكل مستوطنة · التمسك بالاراضي المحتلة لم يعد من الممكن اخفاء مبرراته الحقيقية :

ان الفشل في مجال زرع كثافة بشرية كبيرة في الاراضي المحتلة يعني توفر شروط افضل للنضال ضد الاحتلال ·

ان فقدان الصفات الانتاجية ، اي فقدان المبرر الذي قامت عليه الصهيونية ، يفقدها مبرراتها صهيونيا ويهوديا · اسرائيل ليست سوى دياسبورا اخرى ،

من حيث نوع النشاط الاقتصادي والتركيب المهني الجديد · يبقى الجانب العسكري · هل يستحق هذا المنفى الجديد حجم التضحيات المطلوبة والمتزايدة ؟

صبري جريس : في الواقع ، لم يقدم الاخ نزيه قورة ، عرضا وافيا للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في اسرائيل · لذلك اسمحوا لي ، في مستهل نقاش هذه المسألة ، ان اقدم عرضا سريعا ، للوضع الاقتصادي الاجتماعي ·

الاقتصاد الاسرائيلي هو اقتصاد طفيلي ، **يقوم على استيراد المهاجرين واستيراد الرساميل ·**

نلاحظ مثلا ، ان المهاجرين الاوائل ، وقعوا في ضائقة مالية كبيرة · ولم ينقذهم منها سوى تدخل اللورد روتشيلد وتبنيه للمشروع · اي أن المشروع الصهيوني كاد يتعرض للفشل لولا تبنيه من قبل روتشيلد في الفترة الممتدة بين ١٨٨٤ وحتى بداية هذا القرن ·

ومع النكسة التي اضطرت اليهود البولونيين الى الهجرة الثالثة ، تحسن المشروع الصهيوني اقتصاديا ·

وقبل نشوء النازية في المانيا ، كان المشروع في فلسطين ، عبارة عن مشروع زراعي على الصعيد الاقتصادي · عمليا ومع نشوء النازية ، كان الصهاينة براغماتيين كالعادة ، وحاولوا الاستفادة من النازية ، اذ عقدوا مع المانيا النازية **اتفاقية التحويل** · وتكمن اسباب هذه الاتفاقية في ان المانيا ، التي كانت في تلك الفترة ، معنية بالتخلص من اليهود وتحاول تخفيف الضغط العالمي عنها ومقاطعة بضائعها نتيجة اضطهادها لليهود ، عقدت اتفاقا مع الصهاينة يسمح لليهود الالمان بنقل اموالهم من المانيا ، على شكل بضائع الى فلسطين · اي يصفي اليهود ممتلكاتهم ويودعونها في البنوك الالمانية ، وتقوم المانيا بتسليمها للوكالة اليهودية على شكل الات زراعية وصناعية ، تصدر الى فلسطين · وقد بقي يعمل بهذه الاتفاقية رغم كل الضجيج الذي اثير حول الاضطهاد النازي ، حتى نشوب الحرب العالمية الثانية · وقد ادت هذه الاتفاقية الى ارساء قواعد اقتصاد صناعي في فلسطين · وقد ساعد على ذلك ، هجرة اليهود الالمان المثقفين والمدربين والذين عملوا في الصناعة ·

واثناء الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة لحرب الغواصات في المتوسط ، قامت بريطانية بمساعدة الصهاينة على انشاء صناعات خفيفة شبه متوسطة في فلسطين ، نتيجة حاجة القوات البريطانية المتواجدة في الشرق الاوسط الى هذه الصناعات ·

لقد بقي الاقتصاد الاسرائيلي ، بعد نشوء الدولة عام ١٩٤٨ ، يعتمد على المساعدات الخارجية ، وغير قادر على الوقوف على قدميه · وقد وصلت الازمة الاقتصادية في بداية الخمسينات الى حد تقنين المواد الغذائية · فالذي كان يسيطر على الزراعة في فلسطين هم الفلاحون العرب ، الذين اجبروا على النزوح · وقد كان الصهاينة بحاجة الى عدة سنوات اخرى ، كي يتم لهم الاستيلاء الفعلي على الزراعة في فلسطين ·

والذي ساهم في حل الازمة الاقتصادية ، هو استفادة الصهاينة من **النازية في حياتها ومماتها · اذ حققوا صفقة اتفاقية التعويضات الالمانية ، التي دعمت الاقتصاد الاسرائيلي بشكل جيد** في اواخر الخمسينات · عبر تدفق ملايين الدولارات والماركات **على شكل بضائع وسيارات ·**

وبعد ان شارفت التعويضات الالمانية على الانتهاء ، بدأ الحديث في اسرائيل عن الازمة الاقتصادية والانكماش الاقتصادي ٠ وبدأ الاقتصاد الاسرائيلي يسير نحو التردي ، حتى حدثت حرب حزيران ٦٧ ، التي احدثت تغيرا في الوضعية السياسية والاقتصادية ٠ حيث اصبح الاقتصاد الاسرائيلي يعيش على التوسع في الاراضي الجديدة ٠ فتحولت مستعمراته الى ادوات لنهب الثروات الطبيعية من جهة، واستغلال الطاقة البشرية العربية من جهة ثانية٠

قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي :

يوجد في اسرائيل ، اربعة قطاعات اقتصادية رئيسية ، هي الزراعة ، الخدمات ، الصناعة وقطاع استيراد الاموال من الخارج ٠

نستطيع ان نقول ان اسرائيل حققت انجازات في حقل الزراعة ، فالاراضي الزراعية تكاد تكون مستغلة بكاملها ٠ اما في القطاع الصناعي فلم يحرزوا نجاحات هامة ، وليس باستطاعتهم احداث تقدم حقيقي ٠ فللصناعة متطلبات ، مواد اولية وقدرة على المنافسة ٠ قد تكون لدى اسرائيل قدرة تكنولوجية على التصنيع ، تسمح لها بالقيام بأعمال الصناعة الجيدة ، او تصنيع بعض الالات ٠ لكنها لا تستطيع التقدم في مجالات الصناعة الثقيلة ، الا في حال تغير الاوضاع السياسية في المنطقة ٠ طبعا هناك صناعة هامة هي صناعة الماس ٠

اما قطاع استيراد الاموال من الخارج ، فهو قطاع هام ، وسيزداد الاعتماد عليه اكثر فاكثر ٠ فلقد نالت اسرائيل من الولايات المتحدة ، مساعدات بقيمة حوالي ١٠ مليار دولار منذ عام ١٩٧٣ حتى اليوم ٠

اما قطاع الخدمات ، وهو لا اهمية له على صعيد التطور الاقتصادي الاسرائيلي ككل ٠ وقد جرت عدة محاولات فاشلة لنقل بعض العاملين فيه الى قطاعات الانتاج الاخرى ٠ والعاملون في هذا القطاع يتمتعون بمستوى معيشي مرتفع ٠

المقاطعة العربية :

لقد كانت المقاطعة العربية لاسرائيل ، احد الاسلحة الناجحة في الصراع مع العدو الصهيوني ٠ واعتقد ان الوضع الاقتصادي الاسرائيلي ، سيكون عكس ذلك ، لو فشل العرب في مقاطعتهم الاقتصادية ٠

نلاحظ الان، انه بعد مجيء ليكود الى السلطة ، هناك اتجاه نحو الرأسمالية في اسرائيل وهذا لا يعني ان الطابع العام للاقتصاد الاسرائيلي كان اشتراكيا ٠ لكن الان هناك اتجاه نحو ارساء اقتصاد رأسمالي كلاسيكي ٠ في الواقع ، من الصعب تقييم اجراءات ايرليخ ، فهناك رأي يقول انها تشكل بادرة استعداد ، للانفتاح الاقتصادي على المنطقة ، وتحويل اسرائيل الى مركز مالي وصناعي للمنطقة ٠

ولكن من اجل ان يتحقق هذا ، لا بد من انجاز التسوية٠ عندها تقام الحدود المفتوحة ٠ واسرائيل لا تريد حدودا مفتوحة بالمعنى الحقيقي ٠ **تريد فقط حدودا مفتوحة من ناحيتها، وتتحكم هي بها ٠**

بعض ملامح الواقع الاجتماعي :

نستطيع ان نتحدث عن ثلاث فئات اجتماعية داخل اسرائيل ·

الفئة الاولى : وتنتمي في غالبيتها الى اليهود الغربيين ، الاشكناز · وهؤلاء كانوا حتى عام ١٩٤٨ ، هم الاكثرية المطلقة بين المستوطنين الصهاينة · وهم الذين ارسوا اسس الكيان الصهيوني · وبحكم وضعهم هذا ، فهم يسيطرون على الجهاز الحاكم والوظائف الكبيرة · وهم على رأس الشركات والمشاريع الكبرى · ويشكلون الفئة الاكثر تعلما · انهم عصب الكيان الصهيوني ·

الفئة الثانية : هي الفئة التي تنتمي الى الطوائف الشرقية · وهي ادنى معيشيا وثقافيا واقتصاديا من الفئة الاولى · وفي افضل الاحوال يصل اعضاؤها الى مصاف الطبقة الوسطى ·

الفئة الثالثة : وهم الفلسطينيون داخل اسرائيل ، ويشكلون حوالي نصف مليون نسمة· واوضاع هذه الفئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، تختلف عن اوضاع الفئتين الاوليين · فأغلب عناصرها يعملون في قطاعات العمل اليدوي ، البناء ، الزراعة ، الكراجات والمطاعم وما شابه · ونستطيع ان نقول ان الاكثرية الساحقة من عمال البناء هي من العرب · نستطيع ان نضيف فئة اجتماعية رابعة ، هي فئة سكان المناطق المحتلة بعد حرب ٦٧ · فعمال هذه المناطق الذين يعملون داخل اسرائيل ، يستخدمون من اجل هدفين : هدف اقتصادي كقوة عمل يمكن استغلالها · وهدف اجتماعي ، كونهم لا ينالون اي نوع من الضمانات · لذلك فاستخدامهم يتبع اوضاع سوق العمل في اسرائيل · في حال نقص اليد العاملة ، يجري استخدامهم · ثم يجري تسريحهم في حالة عدم الحاجة اليهم · هكذا ينضبط سوق العمل الاسرائيلي ، على حساب عمال المناطق المحتلة ·

الياس شوفاني : اريد اولا ان ابدي ملاحظة منهجية ، على الطرح الذي قدمه الاخ نزيه قورة · فالتاريخ ليس مؤامرة تحاك على مستوى عال لتنتهي بشكل مسرحي · فكتابة التاريخ ، ليست جمعا للمعلومات · المعلومات يجب ان تستخدم داخل اطار فهم عام وشامل لمسألة الصهيونية · يمكنك ان تاتي بالحصان الى الماء ، لكن لا يمكنك اجباره على الشرب ·

لا يمكن ان يكون مجمل التصرف الصهيوني ، خلال اكثر من قرن من الزمن ، هو نتيجة لوضع خارج الذات الصهيونية ، فهناك تاريخ يهودي لا يمكن انكاره · وهناك تاريخ صهيوني مكتوب · علينا ان نفهم الكيان الصهيوني بشكل صحيح ، اذا كنا نريد ان نضربه في مفصله ، والتغلب عليه ·

كيان استيطاني يطمح للتحول الى دولة برجوازية :

ونقطة المركزية لفهمنا للكيان الصهيوني ، تنطلق من تحديدنا له ككيان استيطاني · فالسمة الرئيسية التي تحدد التجمع التراكمي الصهيوني في فلسطين، هيسمة الاستيطان· لكن هذه السمة ، لا تمنع هذا الكيان ، في بحثه عن بناء دولة ، من التطلع للوصول الى بناء دولة برجوازية ·

لقد نشا هذا الكيان ، بشكل عكسي لنشوء الدولة ، اية دولة في التاريخ · لقد نشأت

الدول (وانا هنا ابسط) بعد انحلال الامبراطوريات الكبرى ، على اساس من وحدة الشعب والثقافة والارض ، وعلى هذه القاعدة ، نشأت الدولة ، والسلطة السياسية • اما الكيان الصهيوني فقد بدأ على العكس من ذلك •**بدأ بحكومة تبحث عن دولة ، والدولة تبحث عن الشعب** • وحتى الان فالعملية لا تزال مستمرة • فلا الدولة حددت حدودها ، ولا الشعب تحددت حدوده •

يتكون الجسم الرئيسي من المستوطنين من مهاجرين او ابناء مهاجرين • لذلك فالوعي الذي يتحكم بهم ، هو وعي استيطاني • فهم يعون تماما أن هذه المدينة التي تسمى اليوم تل ابيب ، كان اسمها الشيخ موسى او ابو كبير • يقود هذا الوعي الاستيطاني ، الى وعي الطرف الاخر ، الذي كان يعيش على هذه الارض ويملكها • من هنا ، وعلى المستوى الفوقي ، هذا الوعي الاستيطاني ، هو الذي يحكم التناقض الرئيسي •

يقود هذا الوعي الاستيطاني ، الى طرح مسألتين في هذا الكيان • فالكيان هو اولا غيتو مغلق ، يرفض الاندماج بمحيطه • وبالتالي تقود عقلية الغيتو هذه الى تمييع الانتماء الطبقي في داخله • وتسمح هذه الوضعية ثانيا ، للقيادة الصهيونية بالتحكم في وعي المستوطنين •

هناك رأي داخل الكيان يقول ان اصحاب المشروع هم اليهود الغربيون ، بينما يشكل اليهود الشرقيون مادته •

لقد كان المنطلق الاولي للحركة الصهيونية ، هو انشاء دولة من اجل حل مشاكل اليهود • وثم بعد انشاء الدولة برزت مشكلة جديدة هي مشكلة الدولة • فمن اجل حل مشكلة الدولة يجب جلب اليهود اليها • واذكر ، انه بخصوص يهود البلاد العربية ، قام نقاش كبير داخل اسرائيل حول هذه المسألة •

الوعي الاستيطاني ، ووضعية العداء والتناقض مع المحيط العربي ، كبتت عملية تبلور اي وضع طبقي حقيقي داخل الكيان ، باعتبار أن مهمة الكيان الاساسية هي خارج حدوده• طبعا هناك تناقضات داخلية في الكيان • ففي اية عملية انتاجية هناك فائض قيمة • اي هناك مستغل ومستغل • لكن التناقض الرئيسي ، في هذه المرحلة على الاقل ، ليس داخليا• بل هو تناقض مع القوى المناهضة للمشروع من اساسه ، وفي طليعتها الشعب الفلسطيني ، المطرود من ارضه ، والامة العربية ، التي تصارع الجسم الاساسي الذي نمت الصهيونية في احشائه اي الامبريالية •

تنعكس السمة الاستيطانية على الاقتصاد داخل الكيان • فالاستيطان الصهيوني ، ليس كالاستيطان في الجزائر او جنوب افريقيا • انه في الواقع ، يريد ان يشبه الاستيطان الاميركي • فهو لا يريد استغلال الارض بمن عليها ، بل يريد استغلال الارض وطرد من عليها •

لقد حاول الاستيطان الصهيوني ، ومنذ البداية ، اي قبل قيام الكيان ، خلق اعمدته الرئيسية التي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١ ـ **تهويد الارض** : اي وضع اليد اليهودية على الارض العربية ، ونقل ملكيتها من ايدي الفلاحين العرب الى المستوطنين الصهاينة • ومن اجل هذا انشئت مؤسسة الكيرن كيميت ووظيفتها تهويد الارض ، ونقل ملكيتها بشكل ابدي الى الشعب اليهودي •

٢ ـ **تهويد العمل** . الذي جاء ضمن مفاهيم الريادة والعمل اليدوي التي جاءت مع الهجرة الثانية . وغلفت عنصريتها بكلام اشتراكي منمق . النقطة الاساسية هي تهويد العمل العربي ، واستثناء العمال العرب من الاستفادة اقتصاديا من المشروع الصهيوني. فالهستدروت ، هي في الاساس مؤسسة اقيمت من اجل مقاطعة العمل العربي . وعلى هامش هذا الهدف ، جرى تنظيم العمال اليهود واقامة صناعة يمكن ان تسمى ثقيلة ، بالنسبة للصناعات التي كانت موجودة حينئذ .

٣ ـ **تهويد السوق** . اي وضع السوق في الايدي اليهودية بشكل كامل . ومن اجل تحقيق هذا الهدف ، نشأت تعاونيات صناعية استهلاكية مثل همشمير ، وتعاونيات تسويق مثل تنوبا . وكان الهدف الرئيسي من تهويد السوق ، هو مقاطعة البضائع والمنتوجات العربية . وقد نشأ من هذه السايسة الاقتصادية ، وعلى اثر الهجرة من المانيا ومن اوروبا الوسطى في الثلاثينات ، والتي جلبت معها رساميل ضخمة الى فلسطين (كان كل يهودي قادم من المانيا يحمل معه حوالي الف ليرة استرلينية) والتي قلبت الوضعية الاقتصادية في البلاد ، ان ازداد العمل على تهويد الارض وطرد العمال والمزارعين العرب منها . ومع تهويد العمل ، لم يجد الفلاح العربي المطرود من ارضه والذاهب الى حيفا ، للبحث عن العمل في مصانعها ، اية امكانية عمل . لذلك لا نتعجب ان تقوم ثورة ١٩٣٦ ، وان يكون الذين بدأوا هذه الثورة ، هم فلاحون قدموا من جنين ومرج ابن عامر .

عام ١٩٦٢ ، وجد الهستدروت نفسه مضطرا لادخال العمال العرب في نقابة العمال اليهود . وهذا ليس ناجما بالطبع عن تطور ليبرالي في الكيان . ولكنه نتيجة حتمية للنمو الرأسمالي البرجوازي في الكيان ، الذي وجد نفسه ، نتيجة حاجة سوق العمل ، مضطرا الى القبول بخرق احداهم بنود اعمدة الكيان الاقتصادية .

بعد ثلاثين سنة على انشاء الكيان ، تبقى مشكلة الاستقلال الاقتصادي المستحيل . والذي من الصعب التوصل اليه في المستقبل القريب . فالاستقلال الاقتصادي ، يرتبط اساسا بما يحدث في المنطقة سياسيا . فالسوق الرئيسية ، العالم العربي ، لا تزال مغلقة في وجه الكيان . والسوق الداخلية ضيقة جدا ولا تسمح بنمو استقلال اقتصادي حقيقي . حتى صناعة الماس ، التي تتمتع بسوق خارجية ، بدأت تتعرض بعض حوانيت صقلها للافلاس .

هناك طرح اسرائيلي ، للتركيز على صناعة الاسلحة السريعة الدورة ، وتحويلها الى صناعة تصديرية . لكن هذه الصناعة تعاني كثيرا من المشكلات ، كما حدث مع صفقة طائرات الكفير للاكوادور .

في تقديري ، فان الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ ، وما ترتب عليه من توظيفات في المناطق المحتلة ، واستغلال لطاقة العمل العربية في هذه المناطق ، خلق في الكيان بداية التراكم الرأسمالي الفردي ، ونما هذا المسار بعد عام ١٩٧٣ بشكل كبير .

وقد استطاع كيسينجر ان يمرر ، تحت ستار كذبة التسوية ، موضوعة ضرورة ان تكون اسرائيل قوية ، كي تكون مستقرة نفسيا ، وتستطيع بالتالي الدخول في عملية التسوية ، وتحت هذا الستار تدفقت الاموال والاسلحة الى اسرائيل ، وتدفقت ايضا مصانع الاسلحة. ودخل الرأسمال الخارجي والمعونة الخارجية في شركة مع الرأسمال الصهيوني من اجل انتاج الاسلحة . سابقا ، لم يكن هناك مصانع اسلحة في اسرائيل . كان هناك ورش مرتبطة بالصناعة العسكرية في الخارج ، في بلجيكا وفرنسا والولايات المتحدة . تنتج

قطعا تدخل في صناعة السلاح · وكان عدد هذه الورشات قبل عام ١٩٧٣ ، لا يتجاوز ثلاث ورش · ولكن بعد ١٩٧٣ ، اصبح هناك مصانع كبيرة ، من مكابس تعمل بالضغط الهوائي والضغط المائي ، الى صناعة معادن وتصفيح · تقوم هذه الصناعة على شراكة بين الرأسمال الاجنبي ، والرأسمال المحلي ، بدليل وجود رأسماليين اسرائيليين في هذه الصناعة ، بعضهم في السلطة مثل ايرليخ · بوجود رأسمال محلي مرتبط ، فمن الطبيعي ان يسعى الى توسيع هامش استقلاله · وهذا قانون طبيعي · ولكن هل يستطيع فعلا تحقيق استقلاليته ؟

انا ارى في سياسة حزب الاحرار ، تعبيرا عن هذا الطموح نحو الاستقلال الاقتصادي، ونحو توسيع السوق والضغط من اجل وضع مسار التسوية في خدمة هذا الهدف · وقد يكون من السابق لاوانه ، ان نرى في القرارات الاقتصادية التي صدرت مع صعود الليكود مؤشرا لتطلعات هذه الشرعية ، استعدادا للتسوية ، كما يفهمونها من خلال اختراق السوق العربية · اقول من السابق لاوانه ، لاني اعتقد ان هذه الشريحة لم تتبلور بعد في طبقة متماسكة · ويمكن ان نستدل على ذلك ، ولو جزئيا ، من المستوى السياسي ، حيث لا تزال هذه الشريحة المؤلفة من رأسماليين وتكنوقراط ، موزعة في احزاب اسرائيلية مختلفة · شمعون بيرس في العمل ، مئير عاميت في داش ، عايزر فايتسمن في حيروت المسخ · والوصول الى بلورة هذه الطبقة سيكون محصلة عملية تاريخية · فعملية البرجزة لم تستكمل مسارها بعد ·

الاداة العسكرية :

واخيرا ، اريد ان اشير الى الدور المركزي للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية · فمهمة **الجيش الاسرائيلي داخل الكيان وخارجه ، كانت دائما مسالة مركزية في الكيان الصهيوني ·**

وهذا الدور المركزي للجيش ، عكس نفسه على محصلة عمل الكيان خلال الاعوام الثلاثين الماضية · وعندما بدات الشريحة الرأسمالية تتوجه نحو بناء سوقها الداخلية ، والاستعداد لغزو السوق الخارجية ، **كان هذا البناء قائما حول الجيش عبر الصناعة العسكرية ·**

وفي مطلق الاحوال ، ومهما كان مسار التطور القادم ، فان الجيش سوف يبقى الركيزة الاساسية للكيان · فلو افترضنا جدلا ان التسوية قادمة ، وان اسرائيل تطمح للتحول الى مركز مالي وسياحي وخدماتي للمنطقة ، فهذا لن يعتمد فقط على التفوق التقني الاسرائيلي ، بل اساسا ، على وجود الاداة القادرة على حماية مصلحة الطبقة الحاكمة التي ستتوجه الى هذا النوع من البناء الاقتصادي ·

طبعا ، قد تواجه المؤسسة العسكرية مشاكل في الطاقة البشرية · لذلك نجد منذ اليوم حديثا عن الجيش المحترف والقائم على التطوع ، طبعا هذه المسالة مستقبلية وبعيدة المدى · لكنني اؤكد مرة اخرى ، ان الجيش سيبقى ركيزة اساسية في الكيان الصهيوني ·

عبد الحفيظ محارب : اريد ان اتوقف اولا عند مسالة العمل العبري · فانا ، لا ارى في طرح جوردون موقفا اخلاقيا على الاطلاق · فوراء هذه الفكرة هدف سياسي واضح ، هو اقامة مجتمع يهودي متكامل الطبقات في فلسطين ، من اجل السيطرة على ارض فلسطين بكاملها · الهدف الاساسي من طرح جوردون ، وطرح قادة الهجرة الثانية لمبدأ

العمل العبري هو أقامة مجتمع متكامل · وقد اصطدمت الشريحة البرجوازية التي كانت في المستوطنات مع فلسفة جوردون ، لانها تلحق الضرر بمصالحها الاقتصادية ، وتمنعها من استغلال الايدي العاملة العربية الرخيصة · وحدث صراع بين هذين الاتجاهين طيلة مرحلة اليشوف · وقد تبنت هذه الشريحة البرجوازية في صراعها مع مفهوم العمل العربي اطروحات احاد هاعام ، الذي كان يدعو الى اقامة مركز روحي لليهود في فلسطين، ويعارض اجلاء العرب · وقد بقي هذا الصراع مستمرا طيلة مرحلة اليشوف اليهودي ·

اشار الاخ نزيه الى ان اسرائيل تريد التمسك بالارض المحتلة ، من اجل استغلال اليد العاملة العربية · انا ، لا ارى في هذا سببا رئيسيا · اذ ان اسرائيل تسعى للتمسك بنقاء الدولة · لكن السبب الرئيسي لهذا التمسك ، يكمن في توسعية الكيان الصهيوني · اما مسألة المستوطنات ، فأنا ارى انها لم تفشل حتى في المستوى الاقتصادي· فهناك صناعة في مستوطنات الجولان ، وهناك زراعات شتوية في مستوطنات الغور · وأنا أرى أن بناء حوالي ثمانين مستوطنة خلال ١١ سنة من الاحتلال هو تقدم في اتجاه توسيع حدود الدولة مستقبلا · وسوف تشكل هذه المستوطنات ورقة ضغط رهيبة يستخدمها المفاوض الاسرائيلي ضد الطرف العربي ·

المناطق المحتلة والاقتصاد :

اشار الاخ صبري جريس الى كون الاحتلال ذا مردود مربح بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي ·

ويأتي هذا المردود من خلال ثلاثة عوامل :

١ ـ الايدي العاملة العربية الرخيصة · ٢ ـ المناطق المحتلة كسوق وممر · سوق للبضائع الاسرائيلية ، وممر غير سري بشكل او باخر ، لتصدير بعض المنتوجات الاسرائيلية الى الاسواق العربية · ٣ ـ نهب الموارد الطبيعية في المناطق المحتلة · وهذا يتمثل اساسا في بترول سيناء · حيث استطاعت اسرائيل ان تحقق ربحا سنويا معدله ٥٠٠ مليون دولار من استغلال هذا النفط ·

ووجدت اسرائيل حقول بترول في منطقة علما على خليج السويس ، كما اكتشفت الغاز الطبيعي في مشارف رفح :

سمات « المجتمع » الاسرائيلي : هناك اربع سمات رئيسية « للمجتمع » الاسرائيلي

١ ـ فهو « مجتمع » مستوطنين ومهاجرين يسعى الى استقطاب اكثرية يهود العالم ·

٢ ـ وهو « مجتمع » عنصري · اي ان ما يميز مجتمع المستوطنين هذا هو عنصريته عبر اقتصاره على طائفة واحدة هي اليهود ·

٣ ـ وهو « مجتمع » توسعي ، عبر اصراره على اقامة دولته في مجتمع (ارض اسرائيل الكاملة) ·

٤ ـ ونجد اخيرا ، ان الطوائف الغربية تشكل الشرائح العليا في « المجتمع » الاسرائيلي ، بينما تشكل الطوائف الشرقية الشرائح الدنيا في هذا المجتمع ·

محمود سويد : بعد هذه المداخلات المستفيضة ، اريد ان اشير الى ثلاث ملاحظات ·

١ ـ لقد كان بناة اسرائيل يتطلعون لبناء تجربة اشتراكية ديمقراطية ولكن حالت اسباب كثيرة ، اشير الى بعضها في سياق النقاش ، دون تحول المجتمع الاستيطاني الى تجمع متجانس · وبرزت ثلاث مشكلات : عسكرة التجمع ، قيامه على المساعدات الخارجية والمقاطعة العربية · وخلال مسيرة اسرائيل ، تحولت التجربة في سمتها الرئيسية الى رأسمالية دولة في خدمة فئة بيروقراطية حاكمة · وعندما طرحت حكومة الليكود الخط الاقتصادي الجديد ، لم يكن هناك احد ليدافع عن التجربة القديمة ، ودفاع الهستدروت هو في أساسه دفاع سياسي ·

٢ ـ وفي تقديري ، فان هذه التجربة الاقتصادية الجديدة ، محكوم عليها بالفشل كسابقتها · وهذا يعود أساسا الى حاجتها الى السوق العربية ، غير المتوفرة نتيجة سياسة المقاطعة ونتيجة العداء العربي للكيان الصهيوني · ولقد قام الكيان بمحاولتين من اجل الوصول الى مجتمع مستقر اقتصاديا · المحاولة الاولى هي بعد حرب حزيران ، عندما عقد مؤتمر اصحاب الملايين اليهود · وفي هذا المؤتمر ، دعتهم اسرائيل لتوظيف اموالهم فيها ، بالنظر الى الدور الاقتصادي الذي ستلعبه اسرائيل في المنطقة · والمحاولة الثانية بعد زيارة السادات لاسرائيل ، عبر طرح عدد كبير من المشاريع الاقتصادية المشتركة شكلا ، والتي تقوم في حقيقتها على الهيمنة الاقتصادية الاسرائيلية ·

الاقتصاد الاسرائيلي ، محكوم عليه بعدم القدرة على تخطي حدوده الحالية ، الا في حالة واحدة ، هي تغير الوضع السياسي ، وقيام سلام عربي اسرائيلي وهذا مستبعد في المرحلة الراهنة ·

٣ ـ الملاحظة الاخيرة ، وتتعلق في كون فشل تجربة بناء مجتمع صهيوني متجانس ، تؤدي الى فشل التجربة الديمقراطية البرلمانية ، والى تحول اسرائيل اكثر فاكثر الى تجمع عسكري فاشي ، يقوم الجيش فيه ، ليس فقط بحماية حدود اسرائيل وحدود أمنها ، بل وايضا ، حماية امتيازات اليهود البيض ضد الاكثرية السوداء ، المشكلة من العرب في المنطقة العربية بأسرها ·

هاني العبدالله : اريد ان اعلق على نقطة واحدة ، وردت في مداخلة الاخ اليـاس شوفاني هي حول مسالة التوجه الرأسمالي في التجمع الاستيطاني ، وعلاقته بمسالة التسوية · اشار شوفاني ، الى ان عملية الفرز الطبقية والسياسية لم تكتمل بعد · لكني هنا ، اريد ان اشير الى المعوقات القائمة امام وصول هذا التوجه الى اهدافه ، عبر حل للصراع يلبي تطلعاته كنظام رأسمالي في المنطقة · هناك عائق هام جدا ، امام هذه الشريحة الجديدة ، هي كونها لا تزال أسيرة الفكر الغيبي · فحزب الاحرار ، الذي يمثل في رأيي الشرائح الرأسمالية في اسرائيل ، يمثل على المستوى الايديولوجي ، انشدادا الى مكونات الفكر الصهيوني الغيبي ، رغم انه حزب رأسمالي وعلماني · هناك ايضا الاحزاب الدينية كحزب المفدال ، التي تعاني من نفس المسالة ·

هناك كذلك عائق خارجي ، هو الجانب العربي · فهناك احتمال حقيقي ان يشهد العالم العربي نهوضا ثوريا ، يقلب الامور رأسا على عقب · وحتى ، لو استبعدنا هذا الاحتمال ، وقبلنا احتمال التطور البرجوازي للعالم العربي ، فقد يقود هذا الى تنافس مع اسرائيل وليس الى شراكة معها ·

نزيه قورة : المسألة الاساسية التي تثير الخلاف تكمن في السؤال : هل نناقش الصهيونية في فكرها ام في واقعها · هل نناقشها في طموحاتها ورغباتها ووعيها الزائف ، ام في

واقعها الفعلي · هل نبحث عن تفسير للصهيونية في فكرها ، ام نبحث عن فكرها في ممارستها · انا اتبنى الرأي الثاني ، اي ضرورة البحث في الصهيونية من خلال ممارساتها الواقعية ·

اشار الاخ صبري جريس الى ان الاقتصاد الصهيوني ، كان منذ البداية اقتصادا طفيليا، يستورد المال والبشر · وانا اوافقه على هذا تماما · ولكنني اضيف ، من اجل ان يكون الاقتصاد طفيليا ، يجب ان يكون هناك جهة متطفل عليها · من الواضح ان الجهة التي تقوم باعاشة اسرائيل هي الدول الامبريالية · وقد قدر احد الكتاب الصهاينة ، حجم الاموال التي تدفقت على اسرائيل بـ ١٠٠ الف مليون دولار · ومنذ عام ١٩٧٤ ، يدخل الى فلسطين المحتلة مبلغ سنوي يتراوح بين ٣٫٥ الى ٤ مليارات دولار · ويتكون هذا المبلغ من ٢ الى ٢٫٥ مليار دولار دعم رسمي حكومي من الولايات المتحدة · نصف مليار دولار جباية يهودية مقنعة ، ٣٠٠ مليون دولار من المانيا الغربية ، ١٦٠ مليون مارك بيع سندات سنويا · بالاضافة الى استثمارات تأتي من الخارج ، والتي يبلغ متوسطها السنوي ٢٠٠ مليون دولار · فالمشروع الصهيوني ، لا يمكن ان يكون مشروعا اقتصاديا · وعندما نريد فهم الصهيونية ، يجب ان نفهم دوافع الذين ينفقون هذه المبالغ الكبيرة ·

اما فيما يختص بالاجابة على اشارة الاخ شوفاني ، حول **نظرية المؤامرة** ، فان مقياس فهمنا يكمن في محاولة الاجابة على اسئلة من هذا النوع التالي : هل كانت هناك مشروعات لاستيطان فلسطين وضعها اشخاص مرتبطون بأجهزة الدول الاستعمارية ؟ اما فيما يتعلق **بتاريخ اليهود** ، فهذه مسألة غير محسومة علميا · هناك من يقول بوجود تاريخ خاص لليهود ، وهناك رأي اخر ، يقول ان تاريخ اليهود هو تاريخ البلاد التي يقيمون فيها ، وانا اميل الى الرأي الثاني ·

وحين نقول ان المشروع الصهيوني هو مشروع استيطاني ، فهذا يعني انه يمكن مقارنته بمشاريع استيطانية اخرى ، كجنوب افريقيا مثلا · ما هو الفرق بين المشروع الاستيطاني في جنوب افريقيا والمشروع الصهيوني · الاستيطان في جنوب افريقيا يملك مبررات ذاتية خاصة به · هناك ارض جنوب افريقيا الغنية ، وهناك الثروات الطبيعية في جنـــوب افريقيا · ولكن الاقتصاد الصهيوني هو اقتصاد طفيلي كما ذكر ، ولا يمكنه ان يتحول الى اقتصاد مستقل · اذن فالاستيطان الصهيوني لا يهدف الى الكسب المادي · فلا بد له اذن من هدف اخر ، لا بد من وجود جهة اخرى تستفيد منه · هناك تعريف للصهيوني يردد كثيرا من قبل صهاينة اميركا : الصهيوني هو يهودي يأخذ مالا من يهودي ثان من اجل تهجير يهودي ثالث · فمن هو الصهيوني من بين هؤلاء ؟

لقد حصل تطور اقتصادي في فلسطين · حصل تطور زراعي وتطور صناعي · لكن جميع الصناعات التي يجري الحديث عنها ، لا تكاد ترد تكاليفها · اما الصناعة الكبرى التي يجري الحديث عنها دائما وهي صناعة الماس ، فهي صناعة محدودة التأثير ، رغم الرقم الكبير لحجم صادراتها · ويعود هذا الى سببين رئيسيين : ١ ـ صغر حجم القيمة المضافة ، ففي العام الماضي جرى تصدير ماس بمبلغ مليار دولار ، القيمة المضافة كانت ٢٠٠ مليون دولار ، اما الـ ٨٠٠ مليون دولار فهي ثمن المواد الخام · ٢ ـ صغر حجمها من حيث التشغيل الذي توفره · فهذه الصناعة لا تستخدم اكثر من ١٠ الاف عامل ورب عمل ·

اما صناعة الاسلحة ، فلم تنشأ من اجل تحقيق الاستقلال الاقتصادي · لكن هناك اسبابا

اخرى لانشائها ، منها حجم التشغيل الذي توفره ، ومنها رغبة الولايات المتحدة في نقل عدد من المصانع ، او فروع المصانع العسكرية الى خارج اميركا · من اجل ان تستطيع تزويد بعض الدول ، التي تخشى لاسباب سياسية من تزويدها بالسلاح بشكل مباشر . كجنوب افريقيا وتايوان والتشيلي · اما من حيث ربحية هذه الصناعة ، فجميع التقارير الاقتصادية تشير الى انها صناعة خاسرة · فبالنسبة لصناعة الطائرات ، ذكر احد التقارير انه حيث يلزم وجود ٨ الاف عامل في الولايات المتحدة لانتاج حجم معين ، يلزم اسرائيل وجود ١٦ الف عامل لتحقيق نفس الحجم ·

بالنسبة لمصنع المحركات في بيت شيمش وهو مصنع فرنسي في الاساس ، يذكر احد التقارير ان مجموع المعدات اللازمة لانتاج مئة وحدة في فرنسا ، تنتج عشرين وحدة في اسرائيل ·

الصناعة العسكرية اذن ، هي في الاساس صناعة غير اقتصادية ·

اما بالنسبة لما اشار اليه الاخ عبد الحفيظ حول الاصرار على يهودية الدولة ، والخوف من العمال العرب ؛ فان الضرورة الاقتصادية هي التي تحكم · فهناك مشروعات اقتصادية تحتاج الى عمال · حين لا تتوفر الايدي العاملة اليهودية · يجري استخدام الايدي العاملة العربية · اما بالنسبة للمستوطنات ، فانا لا اوافق على كونها تربح · انها مشاريع خاسرة بشكل كامل على الصعيد الاقتصادي ·

وفي النهاية اريد ان اشير الى مقياس هام لفهم الحركة الصهيونية ، هل هي حركة ذاتية ؟ ام ان عوامل نجاحها وفشلها تعود اساسا الى اسباب خارجية ؟ هذا المقياس هو الهجرة · هناك الان حوالي ثمانية ملايين يهودي خارج اسرائيل ، تستطيع اكثريتهم الهجرة الى اسرائيل ساعة تشاء دون اية تكاليف ، باعتبار ان الوكالة اليهودية تتكفل بدفع ثمن بطاقة السفر · هل تتجه الهجرة اليهودية من العالم الى اسرائيل ؟ ام انها تتجه على العكس من ذلك من اسرائيل الى العالم ؟ تقول المعلومات الواقعية ان هناك ٣٠٠ الف يهودي خرجوا من اسرائيل الى الولايات المتحدة وان هناك ١٥٠ الف يهودي خرجوا من اسرائيل الى كندا · و٢٥ الفا الى بريطانيه ، وبضعة عشرات الالوف الى اوروبا الغربية و٢٦ الفا الى جنوب افريقيا و١٢ الفا الى استراليا · بينما لم تقدم مجموع هذه البلاد سوى عدد من المهاجرين أقل بكثير من هذه الارقام ·

نحن نمتلك مقياسا حقيقيا ، نرى عبره اذا كانت الحركة الصهيونية حركة يهودية تلبي احتياجات اليهود ، او تلبي حاجات وطموحات اخرى · فالاتجاه الرئيسي للهجرة هو من اسرائيل الى هذه البلدان ، وهذا يحمل مدلولات هامة ، اهمها ان الحركة الصهيونية لا تعبر عن حاجات او طموحات اليهود ·

الملف الرابع

الطوائف الشرقية في « المجتمع » الاسرائيلي

عبد الحفيظ محارب

من المعروف ان ابناء الطوائف الشرقية يشكلون اكثرية السكان اليهود في

« المجتمع » الاسرائيلي . وقد اتى معظم هؤلاء من العالم العربي بعد قيام اسرائيل ، الامر الذي منحها مزيدا من الطاقة البشرية للتصدي للعالم العربي ، الذي كان له الفضل في تقديم هذه الهدية التي كانت اسرائيل بحاجة اليها في ذلك الوقت .

ما هي مكانة ابناء الطوائف الشرقية في « المجتمع » الاسرائيلي ؟

من خصائص « المجتمع » الاسرائيلي الى جانب كونه مجتمع مهاجرين ومستوطنين ، ولليهود فقط ، شبه التطابق القائم بين البنية الطبقية والتركيبة الاتنية ، فعلى الصعيد الاتني نجد فئتين رئيسيتين : الاشكناز : الطوائف الغربية ، السفارديم : الطوائف الشرقية . وعلى الرغم من ان الفئة الاولى تشكل الاقلية بحدود ٣٥٪ في بداية السبعينات ، الا اننا نجد انها تشغل معظم الشريحة الفوقية من الهرم الاجتماعي ، بينما تشغل الفئة الثانية التي تشكل الاكثرية معظم الشريحة الدنيا فيه .

وليس هنالك شك بأن شبه التطابق بين البنية الطبقية والتركيبة الاتنية يعود الى الواقع التمييزي الذي يلف مجتمع المهاجرين والمستوطنين . ونشير هنا ، الى مجموعة من العوامل التي ساهمت في ترسيخ هذا الواقع :

١ ـ ظهور المسألة اليهودية في اوروبا وولادة الحركة الصهيونية بين صفوف ابناء الاشكناز وتأصلها في نفوسهم كردة فعل لسياسة الاضطهاد والتمييز التي كان يعاني منها هؤلاء في معظم الاقطار الاوروبية ، دون ان تكون هنالك مسألة يهودية لدى ابناء الطوائف الشرقية ، وبالتالي لم تكن الحركة الصهيونية قوية بين صفوفهم ، بل اكتسبت اكتسابا ، مما ادى الى تزعم ابناء الطوائف الغربية وشغلهم لمؤسسات الحركة الصهيونية كافة ، دون أن يكون لابناء الطوائف الشرقية دور يذكر في هذه المؤسسات .

٢ ـ التفوق العددي لابناء الطوائف الغربية عشية قيام الدولة ، فقد كان هؤلاء يمثلون حوالي ٩٠٪ من مجموع السكان اليهود ، وبالتالي سيطروا على مرافق الدولة .

٣ ـ الاحساس بالتفوق الحضاري لدى ابناء الطوائف الغربية مما ولد لديهم نظرة استعلاء تجاه ابناء الطوائف الشرقية ، تتحول في كثير من الاحيان الى نظرة احتقار .

٤ ـ التعويضات الالمانية التي تلقتها اسرائيل في بداية الخمسينات ، والتي كانت من نصيب خزينة الدولة وجيوب فئات واسعة من ابناء الاشكناز بحجة تضررهم من ويلات الحرب العالمية الثانية ، الامر الذي كان له الاثر في توسيع الهوة الاقتصادية بين ابناء الطائفتين .

٥ ـ سعي الاشكناز الحثيث الى جعل الدولة ذات طابع اوروبي محض ، وهذا امر طبيعي بالنسبة لهم لكونهم يتحدرون من اصول اوروبية ، وتخوفهم من ان يؤدي ولوج ابناء الطوائف الشرقية الى مراكز القوى ومرافق الدولة ومؤسساتها الفعالة ، الى تغيير شكل الدولة وطابعها من طابع اوروبي يسعون اليه ، الى طابع شرق اوسطي لا يريدونه ٠

٦ ـ والعامل الاخير ، وربما الاهم ، هو الدور الذي اراده لهم قادة الحركة الصهيونية في بداية تبلور الحركة عشية الحرب العالمية الاولى واثناء فتـــرة الهجرة الثانية : القيام بالاعمال الشاقة التي كان يقوم بها العمال العرب ، نتيجة تبني قادة الهجرة الثانية مبدأ العمل العبري ، ولم يجد هؤلاء افضل من يقوم بهذا الدور سوى الطوائف الشرقية ٠ وكان هذا هو اول توجه جدي من جانب قادة اليشوف ، وهم من فئة الاشكناز ، نحو الطوائف الشرقية ، وقد جلب هؤلاء الى فلسطين اول مجموعة مهاجرة يمنية لتفتح الدور المناط بالطوائف الشرقية ومع انها قامت به . الا انها كانت في نفس الوقت تشق طريق الالام لنفسها هي ، حيث وجدت نفسها مع مرور الزمن تشكل القاعدة السفلى من الهرم الاجتماعي ، تئن تحته ، وتجد صعوبة كبيرة في التغلب على هـــذا العبء ٠

مظاهر التمييز :

اذا القينا نظرة على الواقع الاسرائيلي بعد مرور ٣٠ عاما على قيام الدولة تبدت لنا صور مذهلة عن التمييز القائم على اساس اثني هناك ٠ فالحكومة الاسرائيلية كانت ولا تزال تشكل من ابناء الاشكناز مع المحافظة على تخصيص حقيبة او حقيبتين او ثلاث لابناء الطوائف الشرقية ، مع الحرص على ان لا تكون هذه الحقائب الوزارية من الحقائب الرئيسية ، كالخارجية والدفاع والداخلية والمالية ٠ اما الوكالة اليهودية وتعتبر في اسرائيل بمثابة الحكومة الثانية ، ولها دور كبير في تجسيد « مجتمع » اليشوف وبلورته ومن ثم « المجتمع » الاسرائيلي ، فانها تكاد تخلو تماما من ابناء الطوائف الشرقية ٠ وفيما يتعلق بالحكومة الثالثة (الهستدروت) التي من المفترض بها الدفاع عن مصالـــح الطبقة العاملة التي يتشكل سوادها الاعظم من ابناء الطوائف الشرقية ، نجد ان المسيطرين عليها هم من الاشكناز ، وفيما يتعلق بالمناصب العليا في الدولة (حوالي ٣٠٠ منصب) نجد ان ابناء الطوائف الشرقية كانوا يحتلون في بداية السبعينات ٣٪ فقط منها ، اما بالنسبة للاحزاب الممثلة في الكنيست ، فاننا نجد ان جميع رؤسائها دون استثناء ، ابتداء بالاحزاب اليمينية ومرورا بالاحـــزاب الدينية وانتهاء بالاحزاب العمالية ، من فئة الاشكناز فقط ٠ وفيما يتعلق بالتمثيل في الكنيست نجد ان عدد ابناء الطوائف الشرقية يناهز خمس عدد النواب ٠

وحتى هذا الخمس لا يجرؤ على المطالبة بازالة اسباب التمييز الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية او كما يقول الدكتور يوحنان بيرس استاذ العلـــوم الاجتماعية في جامعة تل ابيب « ان الاشكناز هم الذين يقررون من يمثل الطوائف الشرقية في الكنيست والهستدروت واللجنة التنفيذية الصهيونية ، انها عملية اشراك وليست عملية تمثيل ، فاذا ما تجرأ احدهم على شق عصا الطاعة ، فمن المؤكد ان تغييره سيتم بسهولة » .

وقد ولد واقع احتكار فئة الاشكناز لمعظم المراكز التمثيلية والمرافق الاقتصادية في الدولة ، اتساع الهوة الاجتماعية بين الطائفتين في كافــة المجالات الحياتية، الاقتصادية والسكنية والثقافية.

وسنقف هنا قليلا حول الهوة الثقافية التي يندر وجود مثيل لها في اي مجتمع في العالم . مجموعة اثنية تشكل اكثرية السكان لا تنال من العلم الا النذر اليسير ، ومجموعة الاقلية التي تشكل الشريحة المتعلمة للمجتمع ككل .

تفصح هذه الهوة عن نفسها في التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود في المراحل الدراسية الثلاث ، حيث نجد ان نسبة الطلبة الشرقيين في الصف الاول الابتدائي تقترب من نسبتهم العامة في اسرائيل ، اذ يحتلون نسبة تزيد على ٦٢٪ ، بيد ان هذه النسبة تنخفض الى ٤٥٪ في الصف الثامن ، وفي المرحلة الثانوية تهبط الى ١٧٫٧٪ ، وتواجه النسبة في الجامعات هبوطا اخر حيث تصل نسبة من يحصلون على الشهادة الجامعية الاولى ٧٪ وعلى الدكتوراه ٣٪ فقط ، كما ان نسبتهم في الهيئة الاكاديمية (الاساتذة والمحاضرون في الجامعات) تقل عن ١٪ .

ان اسباب ذلك تعود **اولا** الى الواقع التمييزي الذي يعيشه ابناء الطوائف الشرقية ، **وثانيا** ، الى رغبة السلطات العليا في توجيه تلاميذ ابناء الطوائف الشرقية لدراسة الموضوعات المهنية في المدارس الصناعية والزراعية . **وثالثا** ، الى غياب عامل تكافؤ الفرص في الحصول على الوظيفة ، حيث يفضل الغربي لشغل الوظيفة حتى ولو كان الشرقي متفوقا عليه في حالة المنافسة الحرة على شغل وظيفة او منصب حكومي ، الامر الذي يدفع الطالب الشرقي الى البحث عن مجال عيش اخر غير مجال التعليم . **ورابعا** ، الى التباين بين المدارس ، فمدارس الاحياء الشرقية التي تستقطب ابناء الاشكناز ، تمتاز بمبانيها الجميلة وباستكمالها مستلزمات المدرسة الحديثة ، اما مدارس الاحياء الفقيرة وقرى التطوير فانها تختلف عن الاولى من ناحية المباني ، وتفتقر الى متطلبات المدرسة العصرية على الرغم من ان هذه المدارس تتبع مباشرة وزارة التعليم . **وخامسا** ، الى التباين في كفاءة المعلمين ، فقد درجت وزارة الثقافة على ارسال المعلمين ذوي الكفاءات الى مدارس الضواحي الراقية ، اما المعلمون الاقل كفاءة ،

او الذين يفتقدون الى كفاءات تدريسية فانهم يستقطبون في الضواحي الفقيرة وقرى التطوير ·

المسار الاثني لعملية الاستقطاب الاجتماعي :

سارت عملية الاستقطاب الاجتماعي في مسار اثني ، وعكس ذلك نفسه على سير التوزيع السكاني ، نتج عنه بشكل تدريجي بروز ضواح ذات طابع اثني في كل مدينة · وظهور مستوطنات منتشرة هنا وهناك تخص هذه الطائفة او تلك · بمعنى اخر ظهور ضواح راقية في المدن استقطبت ابناء الاشكناز وضواح فقيرة استقطبت ابناء الطوائف الشرقية ، وكذلك الحال بالنسبة للمستوطنات فهنالك مستوطنات غنية استقطبت ابناء الطبقة العليا ، ومستوطنات متخلفة وفقيرة استقطبت ابناء الطبقة الفقيرة · الى جانب ذلك هنالك ضواح وقرى مختلطة اشادتها السلطات الاسرائيلية تمشيا مع سياسة الدمج المعلنة ، بيد ان تجربة الدمج قد باءت بالفشل الذريع ·

وقد تأتى عن المسار الاثني الذي سارت عليه عملية الاستقطاب الاجتماعي ، بروز ظاهرتين اساسيتين في مجتمع المهاجرين والمستوطنين :

١) الشعور القوي بالانتماء الطائفي · ٢) فاعلية العامل الاثني في الصراع الطبقي · بالنسبة للظاهرة الاولى ، يمكن القول ان الشعور بالانتماء الاثني هو وليد التناقضات الكامنة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، ولم يرافق هذا الشعور اليهود الذين لم يقدر لهم المجيء الى اسرائيل ، بل يمكن القول انه يكاد يكون معدوما لدى اليهود الموجودين في بقاع الارض ، اذ ان شعورا اخر كان يستحوذ على تفكير معظمهم ، وهو الشعور بالانتماء اليهودي · اما في حالة قدوم الانسان اليهودي الى اسرائيل فان الشعور بالانتماء الاثني يبدأ في التبلور ، وهذا الامر يعتبر بمثابة انقلاب في حياته · فاليهود الرومانيون كانوا يعتبرون انفسهم يهود اولا ، وكذلك الامر بالنسبة لسائر الجاليات اليهودية في البلدان المختلفة ، اما في حالة المجيء الى اسرائيل (مجتمع المهاجرين) فان اليهودي يتحول الى روماني او عراقي او مغربي ··· ينبغي التنبه الى ان هذا الانقلاب يختلف من حيث الشدة بين الفئات المختلفة ، فالفئات المسحوقة هي اكثر الفئات احساسا بالوليد الجديد · وبالنسبة للظاهرة الثانية المتمثلة في فاعلية دور العامل الاثني في عملية الصراع الطبقي ، يمكن القول ان حدة التناقضات القائمة في « المجتمع » الاسرائيلي لا تكمن في عامل الصراع الطبقي بقدر ما هي كامنة في عامل الصراع الاثني الطائفي ، ذلك ان الفئات المسحوقة تجد نفسها من فئة اثنية معينة ، وتجد مستغليها من فئة اثنية اخرى ، الامر الذي يزيد من حدة التناقضات الاجتماعية الناجمة اصلا عن عملية الصراع

الطبقي ، والذي لعب فيه العامل الاثني في مجتمع المهاجرين والمستوطنين دورا رئيسيا ·

التصدي للواقع التمييزي :

تصدى ابناء الطوائف الشرقية للواقع التمييزي الذين يعانون منه ، بطرق ووسائل شتى منها الاضرابات والتظاهرات والانتفاضات والتهديد بالتنصر والنزوح ، ودفعهم السخط في عام ١٩٧٢ الى هجر قرية بأكملها لمدة اسبوع ، احتجاجا على واقعهم المزري (مستوطنة زرعيت) · الا ان ابرز انتفاضات ابناء الطوائف الشرقية ، هما انتفاضة وادي الصليب في حيفا عام ١٩٥٩ ، وانتفاضة حي المصرارة في القدس عام ١٩٧٢ · قام بالانتفاضة الاولى الجيل الاول ، وانتهت بسرعة لسببين : (١) الاحساس بالضعة لدى ابناء الطوائف الشرقية تجاه ابناء الطوائف الغربية · (٢) تحرك السلطة بسرعة واحتواء الانتفاضة بشراء زعمائها عن طريق ايجاد وظائف مغرية لهم · وقام بالانتفاضة الثانية ابناء الجيل الثاني الذين لا يشعرون بالضعة تجاه ابناء الاشكناز ، بل تمتلكهم مشاعر الغضب والتحدي ضد مستغليهم · واسفرت الانتفاضة عن ولادة تنظيم يحمل اسم « الفهود السود » ·

ومع ذلك فان نضالات ابناء الطوائف الشرقية ، لم تؤثر خلال الثلاثين عاما الماضية على البنية الهرمية للمجتمع الاسرائيلي ، حيث بقيت الاقلية الاشكنازية تحتل جوانبه العلوية ، وبقيت الاكثرية المنتمية للطوائف الشرقية تئن في قاعدته السفلى · ويعود ذلك الى تشبث الاشكناز بمكتسباتهم الطبيعية ، وعدم استعدادهم للتخلي عن مكاسبهم او افساح المجال امام الطبقة الدنيا لتحسين اوضاعها الاجتماعية · ويعود ايضا الى كون الفهود السود وابناء الطوائف الشرقية بشكل عام ، لا يزالون مرتبطين ذهنيا وعاطفيا بالحركة الصهيونية ، الامر الذي يعيق ويبلبل في نفس الوقت نضالهم ، فالطائفة الاشكنازية غدت لعدة اسباب العمود الفقري للصهيونية وعقلها المسير ، في الوقت الذي لعب فيه ابناء الطوائف الشرقية ادوارا ثانوية في هذه الحركة دون ان يكون لهم اي دور مؤثر · ولذا فان نضالهم ضد مستغليهم تعتريه البلبلة والميوعة ، فهم من ناحية يحسون بمظاهر التمييز الناجمة عن البنية الهرمية « للمجتمع » الاسرائيلي، ومن ناحية اخرى يشعرون بأن الاشكناز هم العقل المفكر للصهيونية· وبين هذا الاحساس بالغبن وذاك الشعور بالعطف يخطو ابناء الطوائف الشرقية خطوات مبلبلة متعثرة في نضالهم ، تؤدي بهم الى تبني الحلول الوسطية دون الحلول الجذرية ·

وقد ادى هذا الواقع الى حدوث انقسامات بين صفوف حركة الفهود السود ، حيث انضم او تحالف قسم منهم مع الاحزاب الصهيونية ، اما الجناح الاكثر

تقدما ووعيا ، فقد دخل في تحالف مع الحزب الشيوعي راكاح ، وتمكن من نيل مقعد في الكنيست ٠

ذكرنا ان من بين النضالات التي يخوضها ابناء الطوائف الشرقية ، محاولة مغادرة اسرائيل تخلصا من الواقع التمييزي الذي يعيشونه ٠ وتجدر الاشارة هنا الى ان واقعهم الاقتصادي والاجتماعي لا يمكنهم من النزوح الى الدول الغربية ، مثل فئات من الاشكناز ٠ والبلدان التي يمكن ان تشكل عامل جذب لابناء الطوائف الشرقية هي بلدانهم الاصلية ، الا ان هذه البلدان ساعدت بشكل او باخر على تهجيرهم منها ، واوصدت الابواب امام عودتهم ٠ وكان هـــذا الواقع من بين الاسباب التي دفعتنا الى دعوة الدول العربية من خلال جامعة الدول العربية الى تبني المبادىء التالية :

« ١ ــ فتح ابواب العودة ليهود البلدان العربية الذين كانوا قد هاجروا الى اسرائيل لسبب او لاخر ، مع اعتبار العودة حقا لهم ٠

٢ ــ منح كل عائد الى وطنه جنسية القطر العائد اليه بمجرد وصوله ٠

٣ ــ انشاء وكالة عربية تشرف عليها جامعة الدول العربية لتقوم من خلال مكاتبها في اوروبا بمساعدة كل من يرغب في ذلك من يهود الدول العربيـــة الموجودين في اسرائيل او في الخارج ، الى ان يندمج العائد الجديد في مجتمعه وفي وطنه الام * » ٠

وفي العام ١٩٧٥ تبنت جامعة الدول العربية مبدأ عودة اليهود العـــرب الموجودين في الكيان الاسرائيلي الى اوطانهم ، بيد ان الدول العربية لم تشفع التبني بالنشاط الجاد ٠ ومع ذلك فان القرار الذي اتخذ في عام ١٩٧٥ يعتبــر بمثابة نوع من التكفير عن الخطأ الذي ارتكبته الدول العربية قبل حوالي ٣٠ عاما بحق نفسها ، وكذلك بحق مواطنيها العرب اليهود حين ساعدت بشكل او باخر على تهجيرهم الى الكيان العنصري الاسرائيلي ٠

٥ ــ الموقف من الفلسطينيين

صبري جريس : يبدو لي ، ان موقف اسرائيل من الفلسطينيين هو اكثر مواقفهـــا وضوحا ٠ فالحركة الصهيونية **تنكر وجود شعب اسمه الشعب الفلسطيني ٠ وتنكر بالتالي على هذا الشعب ، الحق في اقامة كيانه السياسي** ٠ لقد اعتبرت الحركة الصهيونية ، بقياداتها المختلفة ، الفلسطينيين ، في الفترة التي كانوا فيها اكثرية سكان فلسطين ، مجرد سكان عرب في (ارض اسرائيل) ٠ وهم يفقدون حقهم في الوجود على هذه البقعة

---

* في دراسة موضوع « الهجرة وكيفية التصدي لها » « شؤون فلسطينية » عدد ١٠ ، ١٩٧٢ ٠

من الارض ، بمجرد ان يغادروها · وقد تكرس هذا الرأي بالقول ان الفلسطينيين هربوا الى البلاد العربية · وكلنا نعلم الحقيقة الصارخة ، بأنهم اجبروا على ترك بلادهم بشكل قسري · لذلك تدعو الحركة الصهيونية الى اذابتهم في البحر العربي · اعتقد ان هذا هو الموقف الاساسي والثابت لاسرائيل من الشعب الفلسطيني · واضطرار اسرائيل الان للبحث في قضية فلسطين ، ناجم في الواقع ، عن وجود سكان فلسطين في المناطق المحتلة· فالخط الاسرائيلي ينصب ، حول كيفية معالجة مشاكل هؤلاء الناس الموجودين في هذه المناطق ·

ان جوهر الموقف الصهيوني الاسرائيلي ، على رغم خلافات الرأي ينطلق من التنكر الكامل لوجود الشعب الفلسطيني · وحول هذه النقطة ، لا يوجد اي خلاف بين الليكود والعمل · وبينها وبين معظم التيارات الصهيونية والاسرائيلية الاخرى · والاهتمام الرئيسي يتركز الان حول كيفية ايجاد حل لسكان المناطق المحتلة من خلال موقفين ثابتين :

١ ـ تجاهل الشعب الفلسطيني كشعب ·

٢ ـ تجاهل للفلسطينين الموجودين خارج فلسطين ·

يتركز الخلاف الان بين الليكود والعمل حول نقطة واحدة : ما هي افضل الطرق للتوصل الى تسوية ، تكفل اذابة الشعب الفلسطيني وانهاءه · موقف حزب العمل هو السعي لايجاد حل للمشكلة الفلسطينية عن طريق النظام الاردني · على اعتبار ان هذا النظام هو الجهة الوحيدة المؤهلة لمنع قيام دولة فلسطينية · فالدولة الفلسطينية ، او اي كيان فلسطيني مستقل يشكل خطرا كبيرا على اسرائيل ، باعتباره نقيضها وبديلها التاريخي ·

يسعى اليمين الى الهدف نفسه · لكن تشبثه بمسألة (ارض اسرائيل الكاملة) والفكر الغيبي الذي يحكمه يقودانه الى طرح مسألة الحكم الذاتي · وحجة حزب العمل في رفض صيغة الحكم الذاتي ، هي انه سيكون بداية لاقامة دولة فلسطينية · بينما يتمثل خط حزب العمل ، في السيطرة على الارض ، وتصدير اكبر عدد ممكن من مشاكل السكان الى الاردن ·

من هذا المنطلق ، الرافض للاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ، فان اسرائيل ترفض التعامل مع اي طرف فلسطيني · حتى مسألة انشاء قيادة بديلة ، هي مسألة غير واردة بالنسبة لهم · فأحد قادة حزب العمل يصرح بما معناه : « اننا لن نعترف بأية قيادة فلسطينية كقيادة فلسطينية ، حتى لو كانت مؤيدة لنا · لانه ماذا يضمن لنا ، انها لن تتصرف ، بعد اعترافنا بها ، كما تتصرف منظمة التحرير الفلسطينية · »

الفشل الكبير :

يكمن الفشل الصهيوني الكبير ، في عدم قدرتهم على تنفيذ اهدافهم تجاه الشعب الفلسطيني · فبعد ثلاثين سنة على نشوء اسرائيل ، نجد ان القضية الفلسطينية عادت الى الصدارة ، واستطاع الشعب الفلسطيني ان ينظم قواه · وان يثبت ان اذابته ليست هدفا ممكن التحقيق · ربما يكون هذا ، هو اكبر فشل تمنى به الصهيونية · وسينتهي هذا الفشل الى تبلور الكيان الفلسطيني ·

كذلك فشلت الحركة الصهيونية في تهويد الارض الفلسطينية · ويبدو لي ، ان الانجازات

السكانية الديمغرافية التي حققها الصهاينة في العشرينات ، بقيت على ما هي عليه ، بعد ان ازدادت كثافتها السكانية · اي في الخط الذي يمتد من شمال طبريا ويصل الى مرج ابن عامر حتى حيفا · ويمتد على السهل الساحلي حتى تل أبيب مع منفذ الى القدس· والحقيقة ، فأنا اعتقد ان سبب هذا النجاح ، يعود الى كون هذه المناطق ، كانت في معظمها ملكا لاقطاعيين ، واستطاع الصهاينة شراءها منهم وطرد فلاحيها منها · بينما نلاحظ ان الصهاينة لم يستطيعوا دخول بقية الاراضي الفلسطينية · فخلال نصف قرن ، بقي الجليل عربيا في اكثريته ، والضفة الغربية عربية ، وقسم من المثلث عربيا ، وقطاع غزة عربيا · اي نكاد نقول ان مشروع التقسيم ، الذي وضع عام ١٩٤٧ ، على اساس الانجاز الديمغرافي الصهيوني ، لا يزال قائما · من هنا ، هذا الشعور الاسرائيلي بالخوف من أي كيان فلسطيني ·

الياس شوفاني : في تحديدنا للكيان الصهيوني ، ككيان استيطاني اجلائي ، فان احد اهدافه المركزية سوف تكون اذابة الشعب الفلسطيني بشكل كامل · واذا درسنا الفكر الصهيوني نجد ان هناك سلسلة متصلة من تغييب الشعب الفلسطيني · فهناك اولا التغييب المادي ، الذي يتجسد في شعار ارض بلا شعب لشعب بلا ارض · يتضمن هذا الشعار انكارا ماديا وجسديا لوجود الشعب الفلسطيني · ولكن ، مع فشلهم في هذا التغييب ، نتيجة الصدام المادي ، والمباشر بسكان البلاد الاصليين ، عمدوا ثانيا الى التغييب الحضاري · وهذه مسألة هامة جدا في الفكر الصهيوني · فهذا الفكر ينطلق من اطار مرجعي هو الحضارة الغربية · لذلك ، فعندما تنفى سمة الحضارة عن أحد شعوب العالم الثالث ، فهذا يقود الى تبرير جميع الاعمال الاجرامية التي يقوم بها الاستيطان · فما يجري بحق هذا الشعب ليس جريمة ، لانه شعب ، بالنسبة للحضارة الغربية ، لا حضارة له ، وبالتالي لا تاريخ له · وهذه هي خلفية كل الكلام الايديولوجي ، الذي قيل في العشرينات والثلاثينات وحتى في الاربعينات ، عن تجفيف المستنقعات وزراعة الصحراء الـخ ·

وهناك اخيرا التغييب السياسي · الفلسطينيون هم مجرد لاجئين عرب · هنا يقع الفكر الصهيوني في تناقض منطقي · لا يعترف بوجود الفلسطينيين ، لكنه يعترف بوجود العرب ، وهذا يستتبع الاعتراف بحق العرب في الوحدة · لكننا نعلم ان احدى المهمات الرئيسية للكيان الصهيوني ، هي تجزئة المنطقة العربية ، ومنع العرب من تحقيق وحدتهم·

ان تجزئة العالم العربي اليوم ، هي واقع موضوعي · وهذه التجزئة تزيل امكانية استيعاب الشعب الفلسطيني في العالم العربي · لذلك ، فاذا كان الاطار المرجعي الفلسطيني ، اقليميا في هذه المرحلة ، فهذا يعود الى انعكاس هذا الواقع الموضوعي عليهم ·

لا يمكن حل التناقض القائم بين الفلسطينيين والاستيطان الصهيوني الا بازالة احدهما · فاما ان يزول الشعب الفلسطيني ، او ان يتغير العنصر الاساسي في التركيبة الاستيطانية الصهيونية ، التي هي الاستيطان ·

ولقد ثبت موضوعيا ، خلال ثلاثين سنة ، ان جميع المحاولات الاسرائيلية وغير الاسرائيلية ، من اجل اذابة الشعب الفلسطيني قد فشلت · والحل الوحيد الممكن ، هو نزع الصفة الاستيطانية الصهيونية ، ولا يمكن ان يسمى اي حل اخر حلا · انما هو تسوية مرحلية ومؤقتة ، وتحمل في داخلها جميع عناصر الانفجار ·

كما اشار الاخ صبري ، فجميع الطروحات الاسرائيلية ، تصر على عدم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ، كما تصر على استبعاد منظمة التحرير من المشاركة في اية عملية تسوية · وهناك ايضا اصرار على مقاومة اقامة دولة فلسطينية ، في الجزء الذي قد يتم الانسحاب منه · ورغم الكلام عن الحلول المختلفة لهذه المسألة ، فانا لا ارى ، في هذه المرحلة ، اي حل الا في فلسطين ، فاما ان يقضى على الفلسطينيين او يعودوا الى فلسطين · مسألة العودة الى فلسطين ، تأخذ الاولوية على اي شيء اخر في هذه المرحلة التاريخية · الا اذا تغيرت المعطيات ، وطرح الحل الثوري الذي يشمل المنطقة بأسرها ، عندها يتم الانتقال الى مرحلة جديدة ، تتطلب منطلقات جديدة · اي تتطلب منطلقات اكثر وضوحا وجذرية · فعندها لا تعود المسألة بين الفلسطينيين والمستوطنين الصهاينة · بل تصبح صداما بين الامة العربية والامبريالية ·

لقد طرح النضال الفلسطيني حلا عقلانيا للمسألة ، يتمثل في الدولة الديمقراطية · لكن هذا الطرح ، رفض باصرار وعناد من قبل الكيان الصهيوني · ولا بد من فرض هذا الحل عليه ، عبر تطويقه ، وتفتيته داخليا ، تحت تأثير الضغط الخارجي · وهذا يتطلب تنظيم القوى الفلسطينية والعربية في نضالها ضد العدو الامبريالي ·

لقد طرحت في احدى المراحل مسألة السلطة الوطنية · وفي تقديري لم يكن هذا الطرح نابعا من موقع المواجهة بين الفلسطينيين والاسرائيليين · وانما من العوامل العربية ، التي تحاول ان تشكل حاجزا بين الفلسطينيين والاسرائيليين · وانا ارى ، ان الصراع مع كيان استيطاني لا يمكن ان يتم بشكل صحيح الا عبر الاشتباك المباشر معه ، وعلى جميع المستويات ·

وعلى الرغم من وجود العوائق ، كما هو حاصل اليوم في جنوب لبنان ، فان هدفنا الثابت يجب ان يكون ، الوصول الى العدو والاشتباك معه ·

تشكل حالة شعبنا في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، حالة خاصة · فهم يعتبرون ، ولو شكليا ، مواطنين في الكيان السياسي لعدوهم القومي · لقد خلق هذا الوضع غير الطبيعي ارتباكا في مواقعهم النضالية ، لكن هذا الارتباك بدأ يزول ، وبدأ نضالهم يأخذ شكله الطبيعي ، بوصفه جزءا من الثورة الفلسطينية · وعندما ندرس مسار تطور نضالهم السياسي ، منذ انشاء الكيان وحتى اليوم ، نرى انه لا يوجد امامهم سوى الالتحاق بالنضال الفلسطيني · ونرى في المقابل ، ان على الثورة الفلسطينية ان تسعى وتعمل لضمهم الى نضالها · من منطلق وحدة مصير الشعب الفلسطيني ووحدة نضاله ·

هناك عاملان اساسيان ، في واقع عرب ١٩٤٨ ، فهم يشكلون بروليتاريا غير منظمة · لكن مسار برتلتهم مستمر ومما يعطي هذا المسار بعدا خاصا ، هو اعتبارهم اقلية قومية داخل الكيان · بينما هم في الواقع ليسوا اقلية قومية · انهم الاكثرية · فهم ينتمون الى القومية العربية ، لذلك فمعاملتهم كأقلية قومية ، تدفع بهم الى الامتداد بنضالهم قوميا · وهذا واضح من خلال نضالاتهم اليومية والمطلبية ، التي تتحول عند اي صدام مع العدو الى نضالات قومية ·

محمود سويد : اريد ان ابدي ملاحظة صغيرة تتعلق بسياق هذا النقاش · اذ يبدو لي ، انه يأخذ منحى اقليميا ، رغم مشروعية التركيز على خصوصية النضال الفلسطيني · ففي تقديري ، لا يمكن رؤية النضال الفلسطيني بشكل مستقل عن مجموع نضالات حركة

التحرر العربية • وتستحيل رؤية امكانيات تحرير فلسطين ، بامكانات ذاتية فلسطينية • والعوائق العربية في وجه النضال الفلسطيني ، هي عوائق في وجه كل حركة التحـــرر العربية •

نزيه قوره : اذا انطلقنا من هذا التعريف للصهيونية ، وهي انها تمثل مجموع الجهد الاستعماري ، لتوفير شروط التسلط الاجنبي وديمومة التجزئة ، واعاقة تطور القوى المنتجة في البلاد العربية • فان نقيض هذا الجهد ، لا بد وان يكون ، هو مجموع الجهد العربي لالغاء التسلط الاجنبي وبناء مجتمع عربي موحد ، يوفر الشروط الضرورية لتطور القوى المنتجة •

لقد خلقت الصهيونية نقيضها ، الظاهرة الفلسطينية • وهذه الظاهرة لم يكن من الممكن اذابتها ، نتيجة تناقض المنطق الاستعماري • من جهة اذابة الفلسطينيين ، ومن جهـة ثانية ، الحفاظ على التجزئة • فالتجزئة لا تستطيع اذابة الفلسطينيين ، لانها طفيلية وعقيمة • الذي يستطيع ان يستوعب هو المنتج •

لقد توجه الجهد الاستعماري من خلال الالة الصهيونية ، نحو توفير شروط الانتاجية للتجمع الصهيوني ، مقابل شروط العقم للفلسطينيين • وهذا يتجسد في عبارة اللاجئين • من هو اللاجيء ؟ انه المنقطع عن وسائل الانتاج ، والذي يعيش في حالة طفيلية شبه مطلقة • ولكن خلال السنوات الثلاثين الماضية حصل تطور عكسي • اكتسب الفلسطينيون صفة الانتاج بشكل تدريجي ، مقابل انتفاء تدريجي للصفات الانتاجية فـي التجمـــع الصهيوني • وانا ارى فيهذا التطور رمزا للتطور القادم في منطقتنا • فهذا التطور ، الى جانب الاشتباك المستمر مع العدو هو الذي سيحسم الصراع •

هاني العبدالله : مداخلتي هي سؤال ينطلق من فرضية وجود العوائق العربية امام النضال الفلسطيني ، كما اشار الاخ شوفاني • فوجود هذه العوائق ، يقود الى ضرورة تغيير ظروف الواقع العربي ، من اجل الوصول الى الاشتباك المباشر مع العدو • هنا ، يبرز السؤال • ماذا يجب على الثورة الفلسطينية ان تفعل في مواجهة هذا الواقع ؟ وكيف تمرحل نضالها انطلاقا من ضرورة تغييره ؟

عبد الحفيظ محارب : لقد اشار الاخوان الذين سبقوني في الكلام ، الى الاصرار الاسرائيلي على محو الشخصية الفلسطينية ، والتنكر للاسم الفلسطيني • وهذا امر طبيعي، لان التجمع الصهيوني في فلسطين هو نقيض الشعب الفلسطيني • من هنـا اصـــرار الاعلام الاسرائيلي ، على اعطاء الانسان الفلسطيني صفة العربي ، في الوقت نفسه ، الذي تحرص فيه وسائل الاعلام هذه ، على اقلمة الشعوب العربية ، خشية الوحدة • هكذا تصبح العروبة بالنسبة لاسرائيل ، صفة للفلسطيني وحده •

وهذا الموقف الاسرائيلي ، هو موقف ثابت ، رغم اننا نستطيع ان نسجل انه اخترق في عهد اليشوف ، حيث اعترف احاد هاعام وباسبتال بوجود الشعب العربي في فلسطين• وحيث تعترف الان بعض الفئات اليسارية المحدودة التأثير بوجود الشعب الفلسطيني • انني ارى في الحلين الاسرائيليين ، حل حزب العمل وحل ليكود ، محاولة لاذابة الشعب الفلسطيني • وهذان الحلان ، لا يقدمان حلا •

المقدم الهيثم الأيوبي

ثلاثون عاماً من الخلل الاستراتيجي العسكري في الصراع

في الخامس عشر من ايار ١٩٧٨ يكون قد مضى ثلاثون عاما على بدء الصراع الرسمي بين الدول العربية والدولة الصهيونية · ولقد تخللت هذا الصراع الطويل هدنات مسلحة ، وحروب قصيرة عنيفة او استنزافية ، وعمليات استخبارية خفية ، وسلسلة من الاشتباكات الحدودية وعمليات الانتقام · ورغم قصر الفترات الزمنية التي تشغلها الصدامات المسلحة بمعناها التقليدي على المنحنى العام للنزاع ، فان الحرب بمعناها الشمولي (الاقتصادي ـ السياسي ـ النفسي) لم تتوقف ، واخذت اشكالا متعددة بدءا من المقاطعة الاقتصادية والحرب النفسية والمجابهات السياسية في الهيئات الدولية ، وانتهاء بالنشاطات الدبلوماسية التي حاول كل طرف توظيفها لصالح توسيع هامش حركته السياسية عن طريق اكتساب المزيد من الاصدقاء وتحييد أكبر عدد من الاعداء ·

ولقد طبع هذا الصراع المنطقة العربية بطابعه ؛ وأثر على خارطة القوى السياسية والاجتماعية في كل بلد من بلدانها ، وعطل برامج الانماء فيها الى حد بعيد ، وسبب حالة من عدم التوازن بين طموحات الجماهير (العربية او الاسرائيلية) وقدرة الحكومات على تجسيد هذه الطموحات ، وخلق بؤرة توتر محرومة من الاستقرار ، وصالحة بالتالي كمنطقة تتنازع فيها الدول العظمى عن طريق القوى المحلية ، وتنعكس داخلها الآثار المتباينة للحرب الباردة او الوفاق الدولي ·

والمثير للانتباه في هذا الصراع ان القوى المتجابهة فيه متفاوتة (نظريا) بشكل ملحوظ ، على صعيد القوة البشرية والثروة والعمق الاستراتيجي · ومع

هذا ، فان الطرف الاصغر (نظريا) استطاع خلال السنوات الثلاثين الماضية بناء « الدولة — الثكنة » ، والدفاع عنها ، وتوسيع المناطق التي تحتلها ماديا ونفسيا • ولا يزال هذا الطرف متمتعا بالقدرة على التهديد باحتلال اراض جديدة ، او شن العمليات الانتقامية وراء جدار الاسلاك الشائكة التي نصبها على طول الخط الذي وصلت اليه قواته •

ورغم الضربة التي تلقتها العسكرية الاسرائيلية في تشرين ١٩٧٣ ، فأن أمن الدولة الصهيونية لم يتهدد بشكل جدي ، كما ان الجزء الاكبر من الاراضي العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ لا يزال تحت الاحتلال ، الامر الذي يدل على ان هناك تباينا بين التقييمين النظري والعملي للقوى المتجابهة ، وان الطرف الاصغر نظريا لا يحمل الصفة نفسها على الصعيد العملي ، بدليل وجوده على ارض الغير بعد مرور ١١ عاما على حرب ١٩٦٧ ، وعدم توافر الدلائل التي تشير الى امكانية انتزاع هذه الارض منه بالقوة في المستقبل المنظور ، ناهيك عن امكانية تحقيق الهدف العادل المتمثل بتصفية رأس الجسر الامبريالي المحدد بخطوط هدنة رودس ١٩٤٩ ، وبناء الدولة الديمقراطية على ارض فلسطين •

فما هو الخلل الذي أدى الى التباين بين التقييمين النظري والعملي ، وسمح للطرف الاضعف بان يتحول الى طرف اقوى ، واعطى الدولة الصهيونية بالتالي الامل بلعب دور الدولة الاستعمارية الكبرى في المنطقة ؟ هذا ما سنحاول اظهاره في هذه الدراسة ، من خلال استعراض الخطوط الاستراتيجية العامة للصراع ، مع التركيز على المسائل العسكرية بشكل خاص •

وقد يتبادر الى الذهن اننا سنلقي — كما يفعل الكثيرون — تهمة احداث الخلل على عاتق الامبريالية التي خلقت اسرائيل لتحقيق اغراضها ، ودعمتها بكل وسائل الحياة والقوة ، ولكننا لن نفعل ذلك ، ولن نركز كثيرا على الدور المعروف للامبريالية ، رغم اهمية هذا الدور ، بل سننظر الى المسائل من زاوية اخرى ، محاولين البحث عن العوامل الذاتية الكامنة وراء الخلل • ويرجع موقفنا هذا الى سببين :

★ اولهما ان صراعات الشعوب ، ليس ضد جيش محلي تدعمه الامبريالية (كما هي الحالة في الصراع العربي — الاسرائيلي) ، بل ضد جيوش الامبريالية ذاتها ، قد اثبتت بشكل ملموس ان الامبريالية لا تمثل قوة لا تقهر ، اذا ما توافرت الظروف الذاتية الضرورية لمجابهتها • وان من الخطأ اعتبار مجرد وجودها كافيا لتبرير هزيمة خصومها •

★ والسبب الثاني ، هو ان الامبريالية لا تخترق الصف العربي بقوى مستوردة ، ولكنها تستند الى الوضع العربي الذاتي الذي يقدم لها امكانات

الخرق وادواته · وقدرتها على تحقيق الخلل لصالح اسرائيل ، مرهونة اساسا بثغرات الواقع العربي ، وبالقوى المحلية التي تساعدها في عملية الخرق السياسي ـ النفسي ·

في الحشد والتفوق

يمثل الحشد على المستوى الاستراتيجي المبدأ الاول من مبادىء الحرب · فهو المدخل العملي الى التفوق الذي يعطي القائد العسكري هامشا واسعا للمناورة وحرية العمل · ولا يتعلق الحشد بحجم القوى المتوافرة فقط ، ولكنه يتعلق ايضا ، وبالدرجة الاولى ، بامكانية جمع هذه القوى واستخدامها في الزمان والمكان المناسبين ، مع التركيز بشكل خاص على محور (أو محاور) الجهد الرئيسي ·

واذا كان الحشد بالنسبة الى الدولة المركزية التي تقاتل على خطوط داخلية يتطلب سرعة التعبئة ، والقدرة على تحريك القوات من جبهة الى اخرى بفاعلية وسرعة ، وتحت تغطية جوية كاملة ، لتأمين التفوق على هذه الجبهة او تلك ، فان الحشد بالنسبة الى الدولة او الدول التي تقاتل على الخطوط الخارجية ضد عدو مركزي ، يتطلب التعبئة ونقل القوات الى حدود الدولة المركزية ، وتأمين الضغط المتناسق من جميع الجهات ، بشكل يتعذر معه على العدو المركزي المناورة بقواته وحشدها على جبهة واحدة على حساب الجبهات الاخرى ، حتى لا تتعرض الجبهات الضعيفة لضربة حاسمة ، تتم ضمن اطار الضغط المتناسق الذي يتطلب عاملين اساسيين هما : وحدة « هدف الرهان » بالنسبة الى الحلفاء المقاتلين على الخطوط الخارجية ، ومركزية القيادة الاستراتيجية التي تدير الحرب وتؤمن تنسيق الضغط على مختلف مسارح العمليات ·

وبالانتقال من النظرية العسكرية الى التطبيق العملي ، وتحليل الاحداث العسكرية التي شهدتها السنوات الثلاثون الماضية ، نجد ان الجانب العربي لم يطبق مبادىء الحشد ، ولم يؤمن الحد الادنى من ظروف نجاح القتال على الخطوط الخارجية ، فحرم نفسه بالتالي من امكانية استثمار تفوقه النظري ، واعطى الخصم الفرصة لقلب المعادلة وتحقيق التفوق على ارض المعركة · وسنرى في السطور التالية ان التقصير العربي في هذا المجال لم ينجم عن اسباب خارجية ، وأن غالبية أسبابه الرئيسية نابعة من الداخل ·

ويظهر التقصير الاول في حقل **التعبئة** التي لم تصل الى مستوى الافادة من التفوق الكمي وتحويله الى قوة صدمة ذات تأثير نوعي · ويرجع هذا التقصير في تحويل القوة الكامنة الى قوة فاعلة ، الى عاملين هما : ١ ـ اعتماد بعض

الدول العربية على الجيوش النظامية المحترفة ، وعدم تطبيق التجنيد الاجباري الذي يضمن لها احتياطا بشريا مدربا ينقلب عند التعبئة الى وحدات مقاتلة ،
٢ ـ عدم قدرة الكثير من الدول التي تطبق التجنيد الاجباري على الافادة من الاحتياط المدرب في فترات الصدام الشامل ٠

وتكمن المسألة المالية وراء عدم تطبيق التجنيد الاجباري في الدول العربية ذات الموارد المحدودة ، كما تكمن المسألة نفسها وراء النقص في امكانية الافادة من الاحتياط المدرب في الدول التي تطبق خدمة العلم ، نظرا لما يتطلبه تجنيد الاحتياطيين وتدريبهم من مصروفات كبيرة خلال فترة التدريب ، بالاضافة الى المصروفات اللازمة لاستدعائهم الى الخدمة سنويا ، بغية اعادة التدريب وتنشيط المعلومات والحفاظ على الجاهزية القتالية للافراد ٠ والموازنات الضخمة التي ينبغي تخصيصها لتخزين السلاح والمعدات اللازمة لتجهيز الوحدات الاحتياطية ، وتحويلها من أفراد مدربين الى قطعات محاربة ، مع الحفاظ على الجاهزية التكنولوجية للاسلحة والمعدات خلال فترات السلم المسلح التي تفصل بين المجابهات الساخنة ٠

ولقد بقيت المسألة المالية عاملا مؤثرا ومقبولا خلال عقدين من الزمن ، عندما لم تكن الثروة العربية قد تنامت بعد ٠ لذا دخلت الدول العربية التي حاربت اسرائيل القتال بما لديها من جيوش نظامية ، محدودة اصلا بسبب طاقاتها المالية المحدودة ، وشاركت في القتال أحيانا وحدات من الحرس الوطني او من الاحتياط المستدعى على عجل ، بعد انقطاع سنوات طويلة عن الحياة العسكرية والتعامل مع الاسلحة والمعدات الحديثة ٠ في حين دخل العدو الصهيوني القتال في جميع الحالات بجيش نظامي ، ووحدات احتياطية مزودة باسلحة ومعدات لا تقل عن اسلحة ومعدات الجيش النظامي ، وتضم جنودا وضباطا احتياطيين لم ينقطعوا عن الاتصال مع المؤسسة العسكرية بعد انتهاء الخدمة ، وحصلوا على دورات تدريبية سنوية مستمرة ، وتعاملوا مع الاسلحة الحديثة التي سيقاتلون بها ، وحافظوا بالتالي على جاهزيتهم القتالية ، ولهذا استطاع الطرف الاصغر ان يزج في المعركة عددا اكبر من الوحدات ، في حين بقي الطرف الاكبر عاجزا عن استخدام طاقاته الكامنة .

ولقد كان من الطبيعي ان تخف حدة المسألة المالية مع بداية العقد الثالث من الصراع ، وان تختفي نهائيا بعد حرب تشرين وارتفاع اسعار النفط ، نظرا لان الالتزام بمبدأ قومية المعركة ، كان يفرض على الدول العربية التي غدت غنية ، ان تقدم الى الدول العربية المحاربة الدعم المالي اللازم لتحسين اوضاع الاحتياط والتعبئة ، حتى تصبح هذه الدول قادرة على جمع مئات الالاف من الاحتياطيين المدربين ، وتأطيرهم خلال فترة قصيرة من الزمن داخل قطعات عسكرية جيدة التسليح ٠ ولكن الامور لم تسر على هذا السبيل ، وبقي الدعم

المقدم قبل تشرين وبعدها ، رغم اهميته ، اقل من متطلبات بناء القوات النظامية وتحسين الاحتياط والتعبئة · الامر الذي جعل الدول التي تتلقى الدعم تكرس الجزء الاكبر من المساعدات العربية لتطوير جيوشها العاملة ، وبقيت امكانات الافادة من الاحتياط بالتالي محدودة ، وحافظت الكتلة البشرية العربية الكبيرة على سمتها ككتلة عاطلة عن العمل ، او في افضل الحالات ككتلة محدودة النوعية ، ولا يمكن حشدها بالسرعة اللازمة ، رغم اهمية عنصر الزمن في الحروب المحلية المحدودة الحديثة عامة ، وفي الصراع العربي ـ الاسرائيلي بشكل خاص ·

ويظهر التقصير العربي الثاني بجلاء في مجال **حشد القوى** · والمقصود بالحشد هنا تجمع القوات المسلحة العربية الفاعلة في بؤرة الصدام مع العسكرية الاسرائيلية · ولقد كان انعدام الحشد العربي سمة مميزة من سمات الحروب العربية ـ الاسرائيلية السابقة · الامر الذي يجعل استخدام تعبير « الحرب العربية ـ الاسرائيلية » تجنيا على الحقيقة ، وخطأ علميا يعطي التعبير مدلولا اكبر من حجمه الحقيقي (✶) ·

والحقيقة ان كل الصدامات السابقة (الكبيرة والصغيرة) لم تكن عربية ـ اسرائيلية ، بل كانت بين جزء من الامة العربية واسرائيل المدعومة احيانا بقوى دول عظمى · ويمكننا ان نفهم اسباب عدم مشاركة كل العرب في حرب (١٩٤٨) عندما كانت اقطار عربية عديدة لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار · وفي حرب (١٩٥٦) قاتلت مصر وحدها لصد العدوان الثلاثي (الفرنسي ـ البريطاني ـ الاسرائيلي) · وتحملت ثلاث دول عربية عبء حرب ١٩٦٧ · وكانت حرب الاستنزاف ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ مصرية سورية فلسطينية ـ الاسرائيلية ·

وحتى في حرب ١٩٧٣ ـ التي كانت اعلى ما توصل اليه التضامن العربي ابان الصراع ـ فان الدور القتالي الاول كان من نصيب الجيشين السوري والمصري · ولقد شاركت في القتال وحدات عربية اخرى · ولكن مشاركة البعض كانت رمزية محدودة ، وجاءت مشاركة البعض الاخر متأخرة ، بحيث قامت بدور تعويض الخسائر بدلا من القيام بدور تقوية الصدمة الاولى · وهناك قوات جاءت للمشاركة فوصلت خلال القتال ، وزجت بالتقسيط وعلى شكل وحدات صغيرة ، بدلا من دخول المعركة كقوة ضاربة ، كما ان هناك قوات

✶ ان استخدامنا لتعبير « الحرب العربية ـ الاسرائيلية » في هذا المقال نوع من الخطأ الشائع ، والتبسيط في التعبير · ونحن نقصد به بالتحديد « الحرب بين جزء من العرب وكل اسرائيل » ·

تحركت للمشاركة ، ولكنها لم تدخل المعركة ، لان القتال توقف قبل وصولها الى خط الصدام مع العدو · والنتيجة النهائية لكل ذلك هو عدم تعديل ميزان القوى لصالح المعسكر العربي ·

ثم كانت حرب الاستنزاف المصرية (١٩٧٤) وحرب الاستنزاف السورية (١٩٧٥) وحرب الجنوب اللبناني (١٩٧٨) كأمثلة على انعدام الوحدة في العمل العسكري العربي ، وما يسببه هذا الوضع من خلل في ميزان القوى لصالح العدو ·

ولو حسبنا ميزان القوى المطلق بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلي منذ مطلع الستينات لوجدنا الكفة العربية راجحة دائما · ولا تزال الكفة العربية راجحة حتى اليوم ، رغم تدني القوة العسكرية المصرية ، الناجم عن توقف السوفيات عن امداد مصر بالسلاح بسبب موقف الرئيس السادات المعادي لموسكو بعد حرب تشرين · ولكن ميزان القوى المطلق لا يمثل شيئا في حسابات الصراع ، إذا لم يكن بالامكان تحوله الى ميزان فعلي على ارض المعركة · فما هي العوامل التي تمنع هذا التحول او تحد منه ، وتجعل الكفة الاسرائيلية هي الراجحة ؟

ان الجواب على هذا السؤال يتعلق بعدة عوامل نفسية ، وسياسية ، وجغرافية ولوجيستيكية متشابكة · وسنحدد فيما يلي اهم هذه العوامل ، مع التركيز اساسا على انعكاسات العوامل وتأثيراتها على الاستراتيجية العسكرية ، وبالتحديد على الحشد العربي ·

١ ــ **عدم تماثل الاحساس بالخطر** : شكلت الحركة الصهيونية منذ بدايتها خطرا على الارض الفلسطينية وجزء من المناطق المجاورة لها ، لان وجودها وتجسيد احلامها كانا يتطلبان بالضرورة اقتلاع سكان هذه المناطق واستيراد يهود العالم للعيش فيها · ثم اتسعت رقعة الارض المعرضة للخطر منذ ان عقدت الصهيونية مع الاستعمار البريطاني (بموافقة الولايات المتحدة) صفقة تعهدت فيها بريطانيا (العظمى آنذاك) بمساعدة الصهيونية على تحقيق اطماعها وبناء الدولة اليهودية ، في حين تعهدت الصهيونية بخدمة المصالح البريطانية الممتدة على جزء كبير من الوطن العربي ، والمتعارضة بالضرورة مع المصالح العربية ·

وعندما ظهرت على الامبراطورية العجوز ملامح الضعف ، تخلت الصهيونية عنها ، وعقدت صفقة مماثلة مع القوة الكبرى التي كانت تتشكل على الجانب الآخر من الاطلسي · ولقد وجدت الامبريالية الجديدة ، التي حلت محل الاستعمار القديم وورثت مرتكزاته ومصالحه ، ان ديناميكية الفكرة الصهيونية ستضمن بناء « الدولة ــ الثكنة » اللازمة لحماية المصالح الموروثة ، ووجدت الصهيونية ان الدعم الاميركي حيوي لبناء « الدولة ــ الثكنة » وصمودها داخل

منطقة ترفض وجودها . ومنذ ان تم الاتفاق على هذين المفهومين ، اصبح لاسرائيل ـ بالاضافة الى مهمتها المتمثلة بتحقيق الحلم الصهيوني ـ مهمة اخرى هي حماية مصالح الولايات المتحدة . ولم تعد اخطارها ومجالات عملها مقتصرة على الاراضي المحددة بالحلم الصهيوني المعروف ، بل اصبحت تمتد لتشمل الوطن العربي ، وخاصة المناطق التي تمتلك (او تريد ان تمتلك) الولايات المتحدة فيها مصالح اقتصادية او مرتكزات سياسية ومواقع استراتيجية .

ورغم وضوح هذه الحقيقة ، وتكريس دور اسرائيل كرأس جسر امبريالي معاد لمصالح المنطقة وطموحاتها ، فان الاحساس بالخطر الصهيوني غير متماثل في كل ارجاء الوطن العربي . ويتعلق جزء من عدم التماثل بالقرب من منطقة الصدام او البعد عنها . ولكن الواقع الجغرافي لا يشكل المعيار الوحيد لمدى الاحساس بالخطر . فهناك دول عربية بعيدة ارتفع فيها هذا الاحساس الى درجة عالية ، في حين ان دولا عربية اقرب تدنى فيها هذا الاحساس بسبب التطمينات والضمانات الاميركية ، وتأكيدات اسرائيل بأنها لن تلجأ الى محاربتها طالما انها واقفة على الحياد ، علما بأن هذه الضمانات والتأكيدات مؤقتة ومرحلية ، وليست اكثر من رشوة تقدم الى اية دولة ، شريطة التزامها بالخروج من المعسكر العربي المقاتل او عدم دخوله .

ومن المؤكد ان مستوى الاحساس بالخطر ، يتعلق بايديولوجية الطبقة الحاكمة ، ومدى التزام هذه الايديولوجية ، والتوعية الناجمة عنها ، بمبادىء الفكر القومي ومعاداة الاستعمار الجديد . لان الالتزام بالفكر القومي يجعل الخطر الموجه نحو جزء من الامة خطرا على الامة كلها ، كما ان معاداة الاستعمار الجديد تكشف تناقض مصالح المستعمرين مع مصالح الشعوب المنهوبة ، وتحدد مكامن الخطر بالاستعمار الجديد وادواته المحلية ، ومن بينها اسرائيل .

ونظرا لتباين الايديولوجيات السائدة في الاقطار العربية ، وعدم تماثل الالتزام الفعلي بمبادىء الفكر القومي ، واختلاف وجهات النظر حول الاستعمار الجديد ومنهج التعامل معه (هناك دول متحالفة مع الامبرياليين الجدد تحالفا استراتيجيا) ، فقد ظهر تباين الاحساس بالخطر ، ونجم عن ذلك انفصال بين الامنين القومي والقطري ، تجسد على شكل تباين في الاندفاع نحو المشاركة في مجابهة الخطر الصهيوني .

وليس من المستغرب بعد هذا كله ان لا يأخذ الصراع ضد اسرائيل طابع الصراع الذي تشنه امة واحدة ضد خطر خارجي داهم ، وان يدور وفق اساليب الصراع الذي تشنه مجموعة دول متحالفة ضد عدو واحد ، وتقدم فيه كل دولة الجهد المتناسب مع مدى احساسها بالخطر الذي يمثله العدو ومستوى اهمية

« هدف الرهان » الخاص في الصراع • ومن هنا جاءت المشاركة المحدودة والرمزية احيانا ، ولم تحصل الدول المعنية مباشرة بالصراع على الدعم الكامل ، ولم يتحقق حشد الطاقات العربية في معركة المصير • وتحولت الحروب العربية ـ الاسرائيلية الى حروب بالوكاله ، يخوضها جزء من الامة العربية نيابة عن الامة كلها •

٢ ـ التأثير الجغرافي على الحشد : تعتبر المساحة الواسعة لدولة ما عاملا ايجابيا يساعد جيشها على تطبيق مناورة الجذب والضرب ، ويسمح له بمتابعة الصراع رغم توغل العدو في العمق ، وانتظار « نقطة ذروة الهجوم » للقيام بالهجوم المعاكس الاستراتيجي • ولكن ايجابية المساحة الواسعة تفقد اهميتها عندما يكون هناك بدلا عن الدولة عدة دول • لان واقع التجزئة يؤدي الى وجود دول محدودة المساحة • ولكل دولة عاصمة غير بعيدة عن الحدود ، يمكن للعدو ان يصلها او ان يهددها قبل بلوغ « نقطة ذروة الهجوم »• وعندها تتوقف الدولة التي تتهدد عاصمتها الحرب ، دون الافادة من العمق الاستراتيجي الذي تشكله المساحة العامة لكل الدول •

وينطبق هذا المثال النظري على واقع الامة العربية خلال صراعها مع اسرائيل ، اذ يحرمها واقع التجزئة من امكانية استغلال الارض الواسعة للمناورة ، خاصة وان الدول العربية القريبة من اسرائيل ، قد قاتلت طوال السنوات الماضية بالوكالة عن الدول الاخرى (كما ذكرنا) ، ولم تكن الدول الاخرى مؤهلة لمتابعة الصراع عند انتهاء مقاومة الدول القريبة من العدو •

ولا ينجم عن التجزئة حرمان الارض العربية الواسعة من ايجابيتها الممكنة فحسب ، بل ينجم عنها ايضا سلبية تؤثر على الحشد • ذلك لان تعدد الدول يفرض تعدد الجيوش ، كما يفرض انتشار كل جيش داخل حدود دولته ، الامر الذي يجعل خريطة انتشار القوات العربية محكومة بالانتشار الجغرافي للدول ، بدلا من أن تحكمها متطلبات الامن القومي •

واذا رسمنا خرائط التجمعات العسكرية العربية الاساسية منذ مطلع الستينات حتى اليوم ، وجدنا ان عددا كبيرا من مواقع التجمعات بعيدة عن بؤرة الصدام مع العدو الصهيوني ، ولا يتناسب مع متطلبات الحشد • ومن المؤكد ان هذه المواقع كانت ستتبدل جذريا ، وتغدو اكثر قربا من الحدود العربية ـ الاسرائيلية ، في ظل دولة الوحدة ، ولكن واقع التجزئة فرض عليها البقاء داخل الحدود القطرية ، مهما كانت هذه الحدود بعيدة عن مكامن الخطر القومي •

ولقد زاد من حدة هذه السلبية سلبية اخرى تتمثل في المسافات الزمنية التي تفصل مناطق الحشد القطرية عن نقطة الصدام القومي • وتأتي هذه المسافات

من قلة خطوط المواصلات البرية الاستراتيجية ، وانعدام الخطوط الحديدية عبر الاراضي العربية ، وصغر اساطيل النقل العربية الجوية والبحرية · الامر الذي يتنافى مع متطلبات الحشد ، ويجعل القوى العربية البعيدة الراغبة في المشاركة· بالقتال ، عاجزة عن الوصول الى مسارح العمليات في الوقت المناسب ، وخارجة مسبقا من ميزان القوى ·

ومن الجدير بالذكر ان الالمان قد لاحظوا هذه السلبية منذ اواخر القرن الماضي · وعندما ارادوا تعزيز مواقعهم داخل الامبراطورية العثمانية ، وتعزيز القدرة القتالية لهذه الامبراطورية ، فكروا ببناء خط بغداد الحديدي وخط الحجاز الحديدي ، ونفذوا جزءا من مشروعيهم رغم معارضة بريطانيا لذلك · ثم تعطل الخط الممتد بين دمشق والمدينة المنورة ابان الحرب العالمية الاولى · وغدا جزء من خط بغداد حلب ، بعد تقسيم الامبراطورية ، يمر عبر الاراضي التركية ·

ورغم مرور اكثر من ستين سنة على ذلك ، فان خط الحجاز الحديدي اللازم لحشد القوات السعودية لم يصلح ، ولم يمد خط بديل بين بغداد والاراضي السورية ، ولم ترتبط دول شمالي افريقيا بخط حديدي متكامل يصل المغرب بقناة السويس ، ولم ينفذ المشروع القديم لاكمال خط الاسكندرية ــ اسوان حتى الخرطوم ، في الوقت الذي نفذت فيه مشروعات كبيرة لبناء الطرق داخل اطار الحدود القطرية ، وكأنها حدود ابدية ·

ولقد اظهرت حرب تشرين مدى اهمية المواصلات . وانعكاس واقع المواصلات العربية على الحشد ، نظرا لانها كانت اول حرب عربية ــ اسرائيلية تحاول الدول العربية البعيدة المشاركة فيها بقوات كبيرة نسبيا · فلقد تعذر نقل قوات سودانية الى مصر عن طريق البر بالسرعة المطلوبة . وتأخر وصول القوات الليبية والجزائرية الى مسرح العمليات ، ولم تستطع القوات العراقية استخدام خط الموصل ــ حلب الحديدي الذي يمر جزء منه عبر الاراضي التركية ، لان الحكومة التركية رفضت ذلك بحجة الحياد ، وحتى لا تسمح للجسر الجوي الاميركي المتجه الى اسرائيل باستخدام المطارات التركية · ولو كان خط الحجاز الحديدي صالحا للاستخدام ، لزادت سرعة القوة السعودية المتجهة نحو الجولان، ولامكن (من الناحية التقنية) نقل قوات سعودية اكبر · ومع هذا ، ورغم مرور خمسة اعوام على هذه التجربة ، فان مشاريع الطرق والخطوط الحديدية الاستراتيجية لا تزال خارج حدود اهتمامات الدول الغنية القادرة على تنفيذها ، ولا يزال عدم حل معادلة « الزمن ــ المسافة » ، عاملا من العوامل السلبية بالنسبة الى الحشد العربي ·

٣ ــ تأثير السلاح الاميركي على ميزان القوى : كانت الدول الغربية حتى

منتصف الخمسينات المصدر الاول لاسلحة الدول العربية واسرائيل ، رغم حصول الدولة الصهيونية في تلك الفترة على بعض الاسلحة من الدول الشرقية · واذا عدنا الى تقييم دور اسرائيل في المنطقة ، وعلاقتها الوثيقة مع المعسكر الامبريالي ، فهمنا سبب تفوق اسرائيل العسكري آنذاك ، وتبين لنا مدى سطحية اجهزة الحكم التي كانت تطالب الدول الغربية بتزويد الجيوش العربية بالاسلحة والمعدات ، الامر الذي يعني عمليا مطالبتها بالتخلي عن مصالحها ، والسماح بضرب الدولة التي خلقتها لتأمين هذه المصالح ·

ورغم البيان الثلاثي (الاميركي ـ الفرنسي ـ البريطاني) للعام ١٩٥٠ ، الذي ضمن امن الدولة الصهيونية وسلامتها ، فان بعض الدول العربية تابع رفع لواء تحرير فلسطين ، وقام في الوقت نفسه بطلب السلاح من الدول الغربية الثلاث · وكان هذا الموقف متناقضا مع ابسط قواعد المنطق السليم · ولقد حلت سوريا هذا التناقض ، ثم تبعتها مصر في العام ١٩٥٥ عندما كسرتا حصار السلاح الغربي واتجهتا نحو موسكو للحصول على الاسلحة اللازمة لتطلباتها الامنية ·

ولم يكن توجه هاتين الدولتين نحو موسكو ، وتجاوب الاتحاد السوفياتي معهما ناجما عن تحول سورية ومصر الى دولتين شيوعيتين ، ولكنه جاء من منطلق قومي ، ومن فهم دور اسرائيل الحقيقي في المنطقة ، وانفتاح القيادات السوفياتية على الدول غير الشيوعية المعادية للامبريالية بعد وفاة ستالين · ولكن المثال السوري ـ المصري لم يتعمم بسرعة وبقيت غالبية الدول العربية تحصل على سلاح من الغرب ·

ولقد صادف التوجه نحو فرنسا وبريطانيا بعض الصعوبات في البداية ، ثم اصبح الحصول على السلاح الفرنسي اكثر سهولة نظرا للتنافس بين الصناعتين الحربيتين الفرنسية والاميركية ، وتبني باريس لسياسة تسليحية مستقلة الى حد ما عن تخطيط واشنطن ، واعتماد الاقتصاد الفرنسي على تصدير السلاح لتعديل ميزان المدفوعات · ومع هذا فقد بقيت الدول العربية التقليدية تسعى للحصول على السلاح الاميركي ، في حين تزايد عدد الدول التي تحصل على سلاحها من السوفيات ، ولم تحصل فرنسا الا على جزء محدود من صفقات الاسلحة العربية ·

واذا كان المنطق السليم يبرر الحصول على السلاحين الفرنسي والسوفياتي ، وخاصة بعد حظر السلاح الفرنسي عن اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ ، فان المنطق يتعارض مع السعي لشراء السلاح الاميركي ، لان الولايات المتحدة التي اكدت ، ولا تزال تؤكد ، التزامها بأمن اسرائيل وسلامتها ، رغم موقف الدولة الصهيونية المتعنت من مسألة الانسحاب من الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ ،

لا يمكنها في اي حال من الاحوال تسليح الدول العربية لمحاربة اسرائيل ، او تزويد هذه الدول بما يمكن ان يؤدي الى اختلال في ميزان القوى . ولهذا كان السلاح الذي قدمته الى الدول العربية التقليدية محدود الكمية ومتدني النوعية ، وربط استخدامه وتصديره الى طرف ثالث بشروط قاسية تجعله عاجزا عن تبديل ميزان القوى الفعلي ، رغم وجوده في لوائح ميزان القوى المطلق . وحتى في الحالات التي تقرر فيها تزويد العرب بسلاح متطور ، فقد حددت واشنطن شروط استخدامه ، ومهل تسليمه ، ومكان تمركزه ، بحيث لا يؤثر على اسرائيل ، ولا يخدم الا مصالح الولايات المتحدة ، وفي مقدمتها محاربة حركات التحرر ومجابهة « الخطر » الشيوعي في آسيا وافريقيا .

وهكذا تبددت الثروة العربية لشراء اسلحة ومعدات لا يمكن ان تستخدم في النزاع المصيري بين العرب واسرائيل ، وتضخمت الترسانات العربية دون ان تتضخم القوة العربية ، وبقي السلاح الاسرائيلي متفوقا ليس على جميع الاسلحة العربية ، بل على الاسلحة العربية التي يمكن حشدها على حدود الدولة الصهيونية .

الخلل في معادلة المتحالفات الاستراتيجية

كان الصراع العربي ـ الاسرائيلي في العام ١٩٤٨ حربا محدودة ، تدور بين اطراف محلية يستطيع المعسكر الغربي التأثير عليها ، ويستطيع بالتالي تحديد حجم الصراع ومدته ومستوى الاسلحة المستخدمة فيه . لذا دارت حرب ١٩٤٨ وفق سيناريو غريب مرسوم خارج المنطقة ، وكانت نتيجتها مخيبة لآمال الجماهير العربية ، ومكذبة لكل الدعايات الديماغوغية التي بثتها اجهزة الاعلام العربية قبل الحرب وخلالها . ودفعت معظم انظمة حرب ١٩٤٨ والطبقات التي تساندها (بشكل معجل او مؤجل) ثمن النكبة .

وعندما قامت الانظمة الجديدة بالانفتاح على موسكو بغية الحصول على السلاح ، حصل تبدل نوعي في طبيعة الصراع ، وفقد المعسكر الغربي قدرته في السيطرة على التحولات المحتملة ، كما فقد السيطرة على حجم الصراع المسلح ومستواه . وبقي الغرب ، وفي مقدمته الولايات المتحدة ، مصدر دعم الدولة الصهيونية التي تشكل امتدادا له ومخفرا اماميا لحماية مصالحه ، في حين دعم الاتحاد السوفياتي موقف الدول العربية المعادية للامبريالية . ومنذ هذه اللحظة تدول النزاع في المنطقة ، وتحول الصراع العربي الاسرائيلي إلى جزء من الحرب الباردة ، وبدأ استقطاب القوى من قبل الدولتين العظميين .

ولم يكن موقف الدولتين العظميين مثاليا او مجردا عن المصالح ، ولو انه كان كذلك لما كانتا دولتين عظميين اصلا . ولكن طبيعة المضالح الاميركية كانت

مختلفة عن طبيعة المصالح السوفياتية · ففي حين كانت واشنطن راغبة في استمرار النهب الامبريالي للثروات العربية ، وميالة بالتالي الى ضرب حركة التحرر الوطني العربي المعارضة لهذا النهب ، واجهاض اي توجه وحدوي يمكن ان يؤثر على المصالح الاميركية ، سواء تم الضرب والاجهاض بواسطة القوى المحلية العربية او بواسطة اسرائيل ، فقد كانت مصالح موسكو تتمثل في تدعيم حركة التحرر الوطني العربي ، ومساعدتها على صد الضربات المحلية او الاسرائيلية ، حتى تكون قادرة على تصفية مصالح الاستعماريين واستعادة مصادر الثروة العربية · ولم يكن في نية السوفيات الحلول مكان الامبرياليين للحصول على الثروات العربية المستعادة (تعديل ميزان القوى العالمي عن طريق اكتساب مواقع وثروات اضافية) ، بل كانت غايتهم تجريد الامبرياليين من المواقع والثروات (تعديل ميزان القوى العالمي عن طريق حرمان الخصم من بعض مصادر قوته) ·

ولقد تطابقت مصالح الولايات المتحدة مع مصلحة اسرائيل في ضرب حركة التحرر الوطني العربي والتوجه الوحدوي · لذا كان التحالف بين رأس الامبريالية العالمية وقاعدتها المتقدمة ، تحالفا استراتيجيا وثابتا · وكان من المفروض ان تتطابق مصالح الاتحاد السوفياتي الخاصة بتجريد الامبريالية من بعض مواقعها ومراكز قوتها ، ومع مصالح العرب المقهورين قوميا بواسطة اسرائيل ، والمنهوبين اقتصاديا من قبل الامبريالية · اي بين رأس المعسكر العالمي المعادي للامبريالية ، والشعب العربي الذي يشكل جزءا من العالم الثالث المستغل · ولكن فشل ممثلي حركة التحرر الوطني العربي في الوصول الى السلطة في كافة الاقطار العربية ، ووجود السلطة في بعض الاقطار العربية بيد قوى غير معادية للامبريالية ومتحالفة معها ، جعل الوطن العربي معسكرين : احدهما مستغل ومعاد للامبريالية ، والاخر مستغل ومتحالف مع المستغلين ·

من هنا نبع الخلل في معادلة التحالفات الاستراتيجية · ووقفت اسرائيل المدعومة امبرياليا في مواجهة العرب الذين يتحالف قسم منهم مع السوفيات ويعتبرون الامبريالية عدوا لا بد من محاربته ، في حين يعادي القسم الاخر الحليف الاستراتيجي السوفياتي ، ويتحالف مع الامبريالية الاميركية الحليف الاستراتيجي الثابت لاسرائيل · واذا كان القسم الاسرائيلي من المعادلة سليما ومنسجما مع طبيعة الاشياء ، فان القسم العربي مشوش ولا ينسجم مع طبيعة الاشياء ، ولا يؤمن المصلحة القومية · واذا كانت العلاقات الاسرائيلية الواضحة والمستمرة مع الولايات المتحدة قد امنت لها الدعم الكامل في جميع المجالات ، فان العلاقات العربية المشوشة والمتبدلة مع الاتحاد السوفياتي ، ووجود علاقات عربية ـ سوفياتية عدائية وعلاقات عربية ـ اميركية تحالفية ، قد

اثرت على حجم الدعم الذي يقدمه السوفيات الى المعسكر العربي بشكل عام ، دون ان يعدل ذلك دعم اميركا للعرب الاصدقاء ·

ولم يقتصر تأثير خلل التحالفات الاستراتيجية على الدعم ، وبالتالي على ميزان القوى ، ولكنه اثر ايضا على العلاقات العربية ـ العربية ، والعلاقات بين السلطة في بعض الاقطار وحركة التحرر الوطني ·

ولقد جاء التأثير على العلاقات العربية ـ العربية من حالة الاستقطاب ، لان الدول التي حافظت على علاقاتها مع الولايات المتحدة (رغم كل ما حصل) بدأت تشعر بخطر الدول التي تحالفت استراتيجيا مع السوفيات ، وتعتبر هذا التحالف « تغلغلا شيوعيا » لا بد من مجابهته ، مع انه لا يعدو ان يكون تحالفا معاديا للامبريالية والصهيونية · وبسبب هذه الخلافات في وجهات النظر ، والشك المتبادل بين الدول الشقيقة ، اضطرت هذه الدول الى اقتطاع جزء من قواتها لحشده على الحدود المشتركة · ووصلت الامور في الكثير من الحالات الى الصدام المسلح · والمهم في الامر ان القوى المحتشدة على الحدود المشتركة ، والخسائر الناجمة عن الصدام ، كانت تقتطع من مجمل القوى العربية ، وتحرم بالتالي من شرف المشاركة في الصراع ضد الصهيونية ·

اما التأثير على العلاقات بين السلطة وحركة التحرر الوطني (في بعض الاقطار) ، فيرجع الى تحالف السلطة في هذه الاقطار مع العدو الاستراتيجي . او قبولها بالرشوة الامنية القطرية مقابل التخلي عن المشاركة في المعركة القومية ، وتعارض هذين الموقفين مع تحليلات حركة التحرر الوطني ، التي ترى ضرورة رفض الرشوة الامنية والتحول الى دولة مواجهة ، كما ترى ضرورة اخذ موقف حازم من العدو الاستراتيجي (اميركا) ، والسير على السبيل المنطقي في التحالفات الاستراتيجية ، وتوظيف هذه التحالفات لخدمة القضية القومية الاولى ·

وبسبب هذا التعارض ، ومحاولات حركة التحرر الوطني للقيام بالتغيير ، وتمترس السلطة وراء مفاهيمها (النابعة من مصالحها ومصالح الفئات التي تمثلها) ، يتم الصدام بين السلطة وحركة التحرر الوطني ، وتستنزف في الصدام عادة قوى الطرفين ، والمستفيد الوحيد هو اسرائيل ، التي تشكل كل قطرة دم تسفك في الصدام ربحا صافيا لها ·

ويبقى الصدام ، حتى في حالة عدم وقوعه ، عاملا مؤثرا على ميزان القوى ، لان السلطة التي تشعر بعداء الجماهير ، وتعي قدرة حركة التحرر الوطني على تحريكها ، تبذل في فترات السلم جهدا خاصا للحفاظ على مواقعها ، وتقتطع القوى والامكانات المخصصة لهذا الجهد من مجمل الامكانات التي كان من الضروري توجيهها لمجابهة العدو · كما انها تحتفظ في زمن الحرب بجزء من

القوى لتأمين الحماية الذاتية ، بدلا من ان ترسل هذا الجزء الى جبهات القتال ٠

□

ان كل عمليات الانقاص التي تحدثنا عنها وحددنا اسبابها ، كانت طوال الاعوام الثلاثين الماضية وراء اختلال ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي ، واستمرار تفوق العدو وغطرسته ٠ وبسبب هذا الاختلال ، استطاعت الدولة الصهيونية التوسع بوثبات متعاقبة على حساب الارض العربية ، والتهديد باحتلال اراض جديدة ، والقيام بأعمال عدوانية دون التعرض للعقاب ، علما بأن مخططي العسكرية الصهيونية لم يكونوا ليقدموا على هذه الاعمال ، لو انهم كانوا يعرفون بأن الاوضاع الذاتية العربية تسمح للقوات المسلحة العربية بمعاقبتهم ٠

ولقد ادى هذا العجز العربي ، الذي صنعه العرب بأيديهم ، الى دفع الجيوش العربية نحو تبني الاستراتيجية الدفاعية التي لم يتم التخلي عنها الا في الايام الاولى من حرب تشرين (من ٦ الى ١٤/١٠/١٩٧٣) ٠ ولقد كانت هذه الاستراتيجية الدفاعية ، وتناقضها مع الاستراتيجية التعرضية التي تبنتها المقاومة الفلسطينية ، السبب الذي دفع بعض العرب عند ظهور المقاومة في مطلع العام ١٩٦٥ الى اتهامها بتوريط الامة العربية ، ثم دفع البعض الاخر الى الصدام مع المقاومة لتجنب ضربات اسرائيل الانتقامية ٠

والاخطر من ذلك ، ان ظهور معادلة العجز العربي ـ التفوق الاسرائيلي ، قد سبب تعب البعض ، وافقدهم الامل بالنصر ، وخلق لديهم احساسا بعدم القدرة على مواجهة الغزوة الصهيونية ٠ فأطلقوا شعار « لقد عجزنا عن التغلب على اسرائيل حربا ، فأسمحوا لنا ان نجرب الانتصار عليها بسلاح السلام »٠ ومن المؤكد ان الرئيس السادات الذي جسد هذا المنطق خلال زيارته الى القدس المحتلة ، لم يكن اول من فكر على هذا النحو ، ولكن ظروف انتصار تشرين ، اعطت الرئيس المصري الجرأة لان يظهر ما ابطنه غيره ، ويستغل دماء الجنود الذين اندفعوا الى سيناء من اجل التحرير ، لتغطية مبادرة فاشلة سلفا ، ولا يمكن ان تؤدي الى تحقيق الهدف التحرري القومي ٠ واذا كان للمبادرة من نتيجة ، فهي شرخ الصف العربي ، وزيادة اختلال ميزان القوى لصالح العدو الصهيوني ٠

وكما بدأنا بطرح السؤال الملح : هل اسرائيل اقوى من العرب ؟ نعود الى طرح السؤال نفسه ، لنجيب بأن العرب يملكون القوى والامكانات التي تسمح لهم بأن يكونوا اقوى من اسرائيل ، ولكن سلسلة التقصيرات ـ النابعة اساسا

من القصور الذاتي ـ تفقدهم اجزاء من قوتهم ، وتجعل القوى التي يستطيعون حشدها ، وخاصة بعد مبادرة السادات ، اضعف من القوى التي تستطيع الدولة الصهيونية حشدها · وتحرم القوى العسكرية العربية بالتالي من القدرة على العمل ، وتجردها حتى من امكانية الردع · فالعمل يتطلب التفوق وارادة القتال ، والردع مرهون بمصداقيته ، وقناعات الخصم حول امكانات الانتقال من التهديد الى العمل ·

وما دام الخلل كامنا في التقصيرات ، فان ازالته وتبديل الصورة كلها يتطلب ازالة هذه التقصيرات عن طريق تحسين الوضع الذاتي · وليس المقصود هنا ان الوضع الذاتي هو العامل الوحيد المؤثر ، فهناك عوامل موضوعية لا يمكن تجاهلها ، كديناميكية العقيدة الصهيونية ، وقوة الدعم الامبريالي ، وحدود الدعم السوفياتي في ظل الوفاق الدولي ، ولكن وعينا لتأثير الظروف الموضوعية على الظروف الذاتية ، لا يدفعنا الى نسيان العلاقة المتبادلة بين الذاتي والموضوعي ، او تجاهل القوة الكامنة في الظروف الذاتية ، وامكانات تأثيرها على الظروف الموضوعية ·

ان حرب التحرير تبدأ باصلاح الذات · هذا هو الدرس الذي يمكن استخلاصه من تحليل احداث الصراع العربي ـ الاسرائيلي طوال السنوات الثلاثين الماضية ، وهذا ما اثبته بشكل ملموس انتصار الثورة الفيتنامية وتحرير سايغون ، رغم قوة الامبريالية الاميركية ، وتحديدات العمل في ظل الوفاق الدولي · ولكن اصلاح الذات (تبديل الذاتي للتأثير على الموضوعي) مسألة سياسية ـ اقتصادية ـ اجتماعية متعددة الجوانب ، ولا بد للمفكرين المختصين من الوقوف امامها بامعان ، لان حلها يمثل بداية تعديل الخلل الاستراتيجي العسكري ، الذي قاتلت القوات المسلحة العربية في ظله طوال ثلاثين عاما ·

حرب الأيام الثمانية

عقب عملية « كمال عدوان » التي جرت على طريق « حيفا ــ تل ابيب » يوم السبت ١١ــ٣ــ١٩٧٨ ، صرح وزير الدفاع الاسرائيلي « وايزمان » ، اثر عودته من الولايات المتحدة الاميركية على وجه السرعة ، قائلا « ان عملية الامس قد جسدت خطر وجود منطقة عربية معادية قريبة من مراكز السكان في اسرائيل » (١)

وكان « مناحم بيغن » ، رئيس الحكومة ، قد عقد اجتماعا مساء يوم السبت المذكور ، بعد ساعات قليلة من نجاح العملية الفدائية ، حضره عدد من الوزراء تقرر فيه القيام بعملية انتقامية ، واصدر اوامره بذلك الى رئيس الاركان الجنرال « غور » . واثر عودة « وايزمن » عقدت اللجنة الوزارية للشؤون الامنية اجتماعا اخر يوم الاحد ١٢ــ٣ــ٧٨ لبحث تفاصيل الخطة التي وضعها رئيس الاركان (وذلك وفقا لما ذكرته فيما بعد صحيفة هآرتس يوم ٢٩ــ٣ــ٧٨) ، (٢) ثم عقدت الحكومة اجتماعا يوم الاثنين ١٣ــ٣ــ٧٨ بحثت فيه اهداف وحجم العملية الجاري الاعداد لها ضد جنوب لبنان . وبعد ظهر يوم الثلاثاء ١٤ــ٣ عقدت اللجنة الوزارية المشار اليها اجتماعا اخيرا لدراسة تفاصيل الخطة ، وتقرر خلالها اصدار التعليمات النهائية بالتنفيذ بعد بضع ساعات .

وطوال هذه الايام الثلاثة كانت اجهزة الاعلام الاسرائيلية تعد الرأي العام محليا وعالميا للعملية الانتقامية المزعومة ، التي لم تكن في الواقع سوى غطاء دعائي لهجوم كبير على جنوب لبنان ، له اهداف تتعدى مجرد الرد على عملية

فدائية ، وجرى التخطيط له منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ على وجه التقريب ·

وقد تجلت هذه النوايا العدوانية في عمليات القصف المدفعي والجوي الاسرائيلي واسعة النطاق ، التي جرت يومي ٨ و ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ لمدينة وقضاء صور ، ثم في القصف المماثل الذي تكرر في ١٧ـ٢ـ٧٨ في قرى منطقتي « صور » و « بنت جبيل » وفي مدينة « النبطية » ، والذي صحبته دوريات بحرية للزوارق الاسرائيلية في المياه الاقليمية اللبنانية قرب « صور » و « صيدا » · (٣)

الاطار الاستراتيجي العام للعملية الاسرائيلية :

وقد كتب « يعقوب ارز » في صحيفة معاريف يوم ١٥ـ٣ـ٧٨ ، اي عند بدء تنفيذ العملية ، يقول « ان لبنان ، هو الدولة الوحيدة التي يغير منها المخربون لمهاجمة اسرائيل · فسوريا والاردن ومصر ، تكبح عمليات الارهاب · ولكن الحدود مع لبنان مستباحة ، ومعاقل المخربين هناك تمكن من الاعداد الطويل للعملية، وامكانية الانطلاق منها، دون انكشاف امرهم وتعرضهم للاصابة»·(٤)

ويوضح قول الكاتب الصهيوني المذكور حقيقة الاطار الاستراتيجي العام بالمنطقة العربية الذي جرت ، وتجري فيه ، العمليات العسكرية الاسرائيلية الواسعة النطاق ضد قوى الثورة الفلسطينية · الا وهو الغياب العملي ، شبه الكامل ، لشعار قومية الصراع ضد الكيان الصهيوني وتوسعاته المستمرة ، خاصة في هذه المرحلة التي اعقبت زيارة « السادات » للقدس وما تلاها من مفاوضات مباشرة بين مصر واسرائيل · ومن ثم سيطرة عملية لمفهوم « الامن القطري » الضيق الافق المحدود الفاعلية ، الذي يضحي فيه بالمصالح الاستراتيجية الحقيقية للامة العربية، مقابل مصالح تكتيكية قصيرة الاجل للدولة العربية المطبقة له ·

ولقد راهنت اسرائيل دائما على هذا التناقض القائم في موقف العرب تجاهها منذ حرب ١٩٤٨ · اي التناقض بين الامن القومي والامن القطري · بين المصلحة القومية العامة ، والمصالح القطرية الخاصة · بين النظر الشاملة بعيدة المدى للصراع العربي ــ الاسرائيلي ، والنظرة الجزئية قصيرة الاجل لمجراه ونتائجه ، وما تخلقه من اوهام في مجال تجنب مخاطره والعيش في « أمان » و « رخاء » في ظله ! ولذلك تمكنت من الانفراد بكل جبهة عربية على حدة خلال حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، ثم خلال حرب الاستنزاف المصرية عامي ٦٩ـ٧٠ ، ثم اثناء المرحلة الاخيرة من حرب ١٩٧٣ ، والمراحل التي تلتها ·

وانطلاقا من هذا الواقع العملي ، الذي حكم اسلـوب التصدي العربـي للمشروع الصهيوني في فلسطين والارض العربية الاخرى المحتلة بعد حـرب ٦٧ ، مارست اسرائيل مرارا وتكرارا اسلوب الردع غير المباشر ضد الثـورة الفلسطينية · اي الردع الموجه ضد الدول العربية المحيطة بالارض المحتلة ، لدفعها الى « كبح » عمليات المقاومة الفلسطينية المنطلقة من اراضيها ، والامتناع عن دعم نشاطات الثورة في الداخل ايضا · خاصة بعد ان ادركت اسرائيل ، من واقع خبراتها السابقة في مجال عمليات الردع المباشرة ضد الثورة الفلسطينية ، ابتداء من معركة « الكرامة » عام ٦٨ حتى قصف المخيمات والقرى في جنـوب لبنان عام ٧٧ ، ان « الردع المباشر » ليس له اثر فعال على قيـادة الثـورة الفلسطينية ، بحكم ضخامة هدفها ، وقصور اي حلول تسوية سلمية معروضـة في ساحة الصراع العربي ـ الاسرائيلي عن تلبية اي حد ادنى من اهـداف الثورة ، وعدم وجود اي « مصالح قطرية » فلسطينية يستهدفها هذا الردع ·

اهداف الهجوم على الجنوب :

ونتيجة للردع غير المباشر الذي مارسته اسرائيل ، خاصة منذ حـرب ٦٧ ، والذي كان من ابرز نتائجه احداث ايلول (سبتمبـر) ١٩٧٠ فـي الاردن ، واتفاقيات الفصل بين القوات عقب حرب ٧٣ ، انحصر الوجـود الرئيسـي لنشاطات الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان ، واخذت القيادة الاسرائيليـة تخطط وتنفذ بنشاط متزايد ، منذ عام ١٩٧٤ وحتى الان ، عن طريق الـردع المباشر وغير المباشر ، من اجل ايقاف الجبهة العربية الوحيدة المفتوحة عمليـا ضدها ، وهي جبهة الثورة الفلسطينية المتمركزة اساسا في جنوب لبنـان · وعندما ايقنت ان كافة عمليات الردع المباشر ، مثل الاغارات وعمليات القصف المدفعي والجوي والبحري للمخيمات والقرى في الجنوب ، وكافة عمليـات الردع غير المباشر التي ادت الى الحرب الاهلية في لبنان ، لم تحقق هدفهـا المذكور ، وضعت خطة هجوم شامل على الجنوب بهدف توجيه ضربة عسكريـة ضخمة لقوى الثورة الفلسطينية ، وهو ما اشار اليه الكاتب الاسرائيلي « يعقوب ارز » في مقاله المشار اليه آنفا حيث قال « واثبتت الظروف في الماضـي ، ان « المخربين » ينجحون في تطوير اساليب قتال ضد اسرائيل ، اخذا بالاعتبـار الاعمال الوقائية التي يقوم بها الجيش الاسرائيلي · فبعد ان ادرك « المخربون » ان وحدات الجيش الاسرائيلي تعزز الكمائن القريبة من محـاور الحـدود ، انسحبوا الى مواقع ابعد في المؤخرة ، واخذوا يطلقون صواريخ الكاتيوشا من هناك ، باتجاه المستوطنات الاسرائيلية · وبعد أن قام الجيش الاسرائيلـي بعمليات رد ، حاول المخربون التسلل الى اراضي اسرائيل ، والعمل هنـاك · وعندما اقيم الجدار الالكتروني ، واثبت فعاليته اعتمد المخربون وسائل اخرى·

فقد مارسوا مجددا اطلاق القذائف من مواقع خلفية ، والتسلل الى اسرائيل عن طريق البحر · واليوم ، وبعد مذبحة مساء السبت الماضي ، لم يعد هناك شك لدى المسؤولين عن الامن ، في ان الضغط المكثف على المخربين ، وحده يستطيع شل نشاطهم ، واجبارهم على تركيز جهودهم في مجال الدفاع » · (٥)

وتناول رئيس الاركان الاسرائيلي ، الجنرال « مردخاي غور » ، الهدف السياسي لعملية الهجوم الاسرائيلي على جنوب لبنان في حديث اذاعي يوم ٣١ـ٣ـ٧٨ فقال ان « القصد من هذه العملية هو تحقيق هدف سياسي واحد ، وهو تغيير الوضع في جنوب لبنان ، تغييره الى ما هو احسن بالطبع ، والتوصل الى انهاء نشاط « المخربين » في لبنان كله ، وعلى الاخص من جنوب لبنان · وباستمرار ، كان تحقيق هذا الهدف عسير المنال ، على امتداد السنين· وفي السابق ، كانت في لبنان حكومات شرعية وقوية ، اما الان فان لبنان في حرب اهلية لم تنته بعد ، وحكومته الشرعية بدون قوة تقريبا ··· وان التوصل الى تسوية سياسية في وضع متخبط كهذا ، تتداخل فيه قوات وعناصر عديدة ، ليس بالامر السهل » · (٦)

وحول الهدف السياسي للعملية ، ومحاولة دفع سوريا الى تسوية تمنع نشاط الثورة الفلسطينية ، كتب المعلق العسكري الاسرائيلي « زئيف شيف » في « هآرتس » يوم ٣١ـ٣ـ٧٨ فقال « اذا اخذنا تصريحات مخططي « عملية الليطاني » في الحكومة والاركان العامة على عواهنها ، نجد ان المخططين قد افترضوا ان تدفع هذه العملية السوريين وتقودهم الى تسوية مع اسرائيل في مسألة المخربين في جنوبي لبنان · ولربما بدا ذلك سخيفا ، الا انه ايضاح سمع اكثر من مرة عندما كان الحديث يتناول احد الاهداف الرئيسية للعملية : تغيير الوضع في جنوبي لبنان · فاسرائيل اعتقدت اذن ، انه ليس في وسعها ان تفعل هذا بنفسها وانها بحاجة الى شركاء · ويتضح انه كان من المفروض ان يكون السوريون هم الشركاء وليس الامم المتحدة » · (٧)

وتنفيذا لهذا الهدف حرصت القيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية منذ اليوم الاول للعملية على توضيح محدودية الهدف الجغرافي للهجوم ، وذلك ضمن نطاق ما عرف « بالخط الاحمر » ، وهو نهر « الليطاني » والمناطق الواقعة الى الشمال منه ، وتوضيح الهدف العسكري بانه يستهدف قوات الثورة الفلسطينية فحسب دون غيرها من القوات العربية المتواجدة شمال الخط الاحمر، فقال « وايزمان » في مؤتمر صحفي عقده يوم ١٥ـ٣ـ٧٨ « من جانبنا ، سواء اثناء العملية او في البيانات التي اصدرناها ، حاولنا ، واعتقد اننا نجحنا في افهام السوريين باننا نقوم بعملية محدودة ··· وانا آمل انهم فهموا اننا نقوم بعملية محدودة في تلك المنطقة · وقد قلنا ذلك في بياناتنا بكلمات واضحة

وبسيطة ، باننا سنبقى مقيدين في عملنا في تلك المنطقة • وآمل ان السوريين قد فهموا الامر ، وسيفهمونه » • (٨)

ومن الواضح ان الرهان الاسرائيلي المتعلق بمحاولة ممارسة اسلوب الردع غير المباشر ضد الثورة الفلسطينية ، انما قام على اساس محاولة استغلال الوضع العربي العام الناتج عن « المبادرة السلمية » للرئيس المصري ، والذي اصبحت سوريا بمقتضاه عمليا هي دولة المواجهة العربية الوحيدة ضد اسرائيل، وما يترتب على ذلك من اختلال ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي فعليا خلال هذه المرحلة الحرجة • ومن ثم فان الهجوم الاسرائيلي على جنوب لبنان لم يكن في الواقع يستهدف فقط الردع المباشر وغير المباشر للثورة الفلسطينية ، وانما كان يستهدف ايضا اجهاض الجهود العربية الهادفة الى اعادة خلق توازن استراتيجي جديد ضد اسرائيل في اعقاب خروج مصر من ساحة المواجهة مؤقتا • وذلك اما عن طريق دفع سوريا للقيام بردع الثورة الفلسطينية عن القيام بنشاطات عسكرية من جنوب لبنان ، الامر الذي يؤدي عمليا الى اجهاض الجهود العربية المذكورة • واما عن طريق استدراجها لمعركة مواجهة عسكرية ، ضمن ظروف غير ملائمة عربيا ، وقبل ان تترجم مقررات قمة الصمود والتصدي لتنفيذ عملي فعال ، ومن ثم تنجح عملية جنوب لبنان في ان تكون مقدمة لتوجيه ضربة مضادة مسبقة للجبهة العربية الوحيدة ، التي ما زالت تحمل امكانية الصراع المسلح مع اسرائيل في الظروف العربية الراهنة ، فضلا عن جبهة الثورة الفلسطينية •

وبالاضافة الى هذين الهدفين الرئيسيين فقد كان للعملية الاسرائيلية في جنوب لبنان عدة اهداف اخرى يمكن لنا ان نوجزها في النقاط التالية :

١ ـ اعادة تأكيد قوة الردع الاسرائيلية وتجسيد مصداقيتها في عمل عسكري كبير في مظهره ، محدود المخاطر محليا ودوليا في الوقت ذاته ، ولا يكلف الجيش الاسرائيلي خسائر مادية وبشرية محسوسة • وذلك بعد ان كانت هذه القوة قد اهتزت بشدة نتيجة حرب ١٩٧٣ • ومن ثم يكون للعملية اثرها غير المباشر على الحسابات الاستراتيجية للدول العربية ، سواء منها الرافضة لمنهج التسوية السلمية المطروحة ، او تلك المتمشية معه بدرجات مختلفة من الوضوح في المواقف • وبذلك يتأكد لها عمليا مدى فاعلية القوة العسكرية الاسرائيلية الجديدة ، التي اعادت الولايات المتحدة الاميركية بناءها وطورتها كما وكيفا بصورة ضخمة عقب حرب « يوم الغفران » • وهو الامر الذي اشار اليه الجنرال « غور » في حديث له مع مراسل مجلة « نيوزويك » حيث قال « ان انجازي الهام الثاني يتمثل في اعادة تسليح القوات الاسرائيلية الى درجة ان معظم العرب يدركون حاليا ان مخاطر البدء بحرب تفوق الامال في نتائج تكون لصالحهم » • (٩)

٢ ـ رفع معنويات الاسرائيليين التي زعزعها « تقصير يوم الغفـــزان » ، واضعاف معنويات الامة العربية في الوقت ذاته ، بهدف ازالة الاثار المعنويـة الايجابية لحرب تشرين الاول (اكتوبر) ، تمهيدا لفرض التسوية السلميـة الاستسلامية عليها ٠

٣ ـ اقناع القوى الدولية التي تخشى ان يؤدي تصلب « بيغن » وحكومـة « ليكود » المتطرفة يمينا ، الى اجهاض كل أمل في تسوية سلمية لمشكلة « الشرق الاوسط » ، بأن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة ، وانهم يتراجعون سياسيا ازاءها ، متى تيقنوا من جدية الاستخدام الاسرائيلي لها ٠ ومن ثم تزداد قدرة المناورة السياسية الاسرائيلية في مجال شروط التسوية السلمية ، التي تختلف معها فيها بصورة جزئية الولايات المتحدة الاميركية وبعض الدول الغربية ٠ وقد اشار الى ذلك الهدف الدكتور « امنون كوهين » ، رئيس قسم التاريخ الاسلامي في الجامعة العبرية ، في حديث له نشرته « دافار » في ١٧ـ٣ـ٧٨ قال فيه « من ناحية العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة ، تمنح العملية الاخيرة ورقـة مساومة اضافية ٠ فلقد عانت اسرائيل حتى الان من عدم القدرة على تقديـم تنازلات في الامور التي تختلف عليها مع الولايات المتحدة : سيناء والضفـة الغربية ٠ وهنا نشأ ، في الحقيقة ، موضوع اخر تختلف عليـه واشنطـن والقدس ٠ ولكن بين جميع الموضوعات المختلف عليها ، يسهل التوصل الـى اتفاق في هذا الموضوع ، اكثر منه بالنسبة الى سيناء والضفة الغربية ٠ ومـن هنا فان عملية جنوبي لبنان تمنح اسرائيل مجالا للمنـاورة مـع الادارة الاميركية » ٠ (١٠)

كما اكدت تصريحات واقوال اسرائيلية عدة اخرى على حقيقة عدم تدخـل الدول العربية عسكريا للتصدي للعملية ، وعدم تأثر المفاوضات مع مصـر نتيجة لها ، في مجال اثبات صحة المقولة المذكورة ٠ فقال « موشيه زاك » فـي صحيفة « معاريف » يوم ١٩ـ٣ـ٧٨ « ولقد كانت العملية في جنوبي لبنـان بمثابة محك لمدى استعداد الدول العربية للتدخل ٠ وهي لم تتدخـل تدخـلا حقيقيا ، على الرغم من انه لا توجد بعد اتفاقات سلام بيننا وبين لبنان » ٠ (١١)

وفي مؤتمر صحفي تم يوم ١٦ـ٣ـ٧٨ قال « اسحاق رابيـن » ، رئيـس الحكومة السابق « اذا لم تتسع عملية الجيش الاسرائيلي ، خارج نطـاق الجنوب اللبناني ، ولم تجر الى توريط قوى اخرى ، فانه يعتقد ان العملية لن تلحق اذى بليغا باحتمالات مواصلة مسار المفاوضات مع مصر ٠٠٠ انني اعتقد ان مصر لن تغير مواقفها الاساسية ولن تنحـرف عـن مبادرتهـا السلمية » ٠ (١٢)

٤ ـ واستهدفت العملية ايضا تهيئة الظروف السياسية والعسكرية والجغرافية

اللازمة لتوسع اسرائيل شمالا في الاراضي اللبنانية حتى نهر « الليطاني » ، وفقا لاطماعها التوسعية القديمة المعروفة بالنسبة لهذه المنطقة · ولذلك فهي وان كانت تكرر القول بانها لا تستهدف البقاء الدائم في الجنوب ، الا انها تربط انسحابها الكامل بضرورة ضمان عدم عودة المقاومة الفلسطينية مطلقاالى المنطقة · فقد قال « بيغن » في بيان الحكومة يوم ١٦ـ٣ـ٧٨ « اننا ننتظر تسوية ، لا تنطوي على استمرار جنوبي لبنان قاعدة لشن الهجمات على دولتنا » · (١٣)

وقال « وايزمان » في مؤتمر صحفي عقد في اليوم نفسه « ان اسرائيل تقر بضعف الحكومة اللبنانية · ولذا فان جيش الدفاع سيبقى في المنطقة ، الى حين قيام قوة اخرى قادرة على منع النشاط « التخريبي » في جنوب لبنان » · (١٤)

٥ ـ واخيرا كان للعملية هدف ثانوي نسبيا ، على المستوى العسكري ، وهو اختبار قدرات القوة العسكرية الاسرائيلية بعد ان استوعبت الاسلحة والمعدات الاميركية الجديدة ، واستفادت من دروس حرب ٧٣ ، واختبار فاعلية بعض الاسلحة والمعدات الجديدة ، ولكن تبقى فاعلية هذه الاختبارات محدودة نظرا لان طبيعة المواجهة العسكرية مع قوات غير نظامية ، وغير مسلحة باسلحة مماثلة في النوعية الى حد ما من اسلحة القوات الاسرائيلية ، لا تسمح باستخلاص الكثير من الدروس في مجال اختبار القدرات القتالية والاسلحة والمعدات الجديدة ·

عملية « حجر الحكمة » في التطبيق :

اطلقت القيادة العسكرية الاسرائيلية على عمليتها في غزو الجنوب اللبناني الاسم الرمزي « حجر الحكمة » ، وذلك نسبة الى الاصطلاح الفلسفي الذي كان مستخدما في القرون الوسطى باوروبا للدلالة على « جوهر » وهمي مفترض فيه المقدرة على تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب او فضة ، وكذلك المقدرة على شفاء كل الامراض واشاعة البهجة في نفوس الناس · والمغزى الواضح من استخدام القيادة الاسرائيلية لهذا الاسم الرمزي ، هو ان العملية المذكورة استهدفت محاولة تحقيق الشفاء للكيان الصهيوني في الارض المحتلة من «داء» الثورة الفلسطينية ، ثورة الشعب صاحب الحق والارض المغتصبة في فلسطين ، التي تعد بمثابة كابوس يقلق مضاجع المستوطنين الصهيونيين المستعمرين الغرباء عن الارض والوطن ·

وتنفيذا لخطة العملية ، بما يحقق اهدافها المشار اليها ، حشدت القيادة العسكرية الاسرائيلية قوة برية قدرت بنحو ٢٥ ـ ٣٠ الف جندي ، فضلا عن

القوتين الجوية والبحرية المساندة ، وهي قوة ضخمة في الكم والنوعية التقنية بالقياس لحجم وتسليح القوات الفلسطينية المواجهة لها ، والتي لم تكن تزيد ، وفقا لاكثر التقديرات مبالغة ، عن ٦ الاف مقاتل ٠

وضمت القوة البرية المذكورة اللوائين المدرعين ٧ و ١٧ ولواء « جفعاتي » الميكانيكي ، واللواء « جولاني » الميكانيكي ، واللواء المظلي ٣١ الذي استخدم كمشاة ميكانيكية ايضا ، ووحدات من اللواء المظلي ٥٥ محمولة بطائرات هليكوبتر ، ومجموعات من مشاة البحرية والضفادع البشرية ، ووحدات هندسة اقتحام ، فضلا عن عدد لا يقل عن ٧ كتائب مدفعية مختلطة تضم مدافع هاوتزر (ذاتية الحركة ومقطورة) وراجمات صواريخ وهاونات ثقيلة ٠

كما كانت هناك قوة احتياطية اخرى في المؤخرة بالارض المحتلة في الجليل الاعلى ، مؤلفة من نحو ٢ ــ ٣ ألوية مدرعة وميكانيكية اخرى ، لتكون بمثابة احتياطي مباشر لمواجهة احتمال تدخل القوات السورية في جنوب لبنان في القتال ٠ اي ان اجمالي القوة الاسرائيلية المحتشدة للعملية بلغ نحو ٨ الوية مدرعة وميكانيكية ، فضلا عن الوحدات المعاونة الاخرى ٠ ولما كان اللواء الاسرائيلي يتألف من نحو ٣٥٠٠ جندي ، فان تقدير القوة الاسرائيلية بنحو ٢٥ ــ ٣٠ الف جندي يكون تقديرا منطقيا للغاية ، بل ربما كان اقل من الحقيقة بعض الشيء ، لانه لا يترك مكانا تقريبا لعدد الوحدات المعاونة والوحدات الادارية المختلفة ٠

ومن الواضح ان القيادة الاسرائيلية قد اختارت لتنفيذ عملية « حجر الحكمة » العديد من التشكيلات القتالية ذات الكفاءة القتالية العالية ، والسجل التاريخي الحافل بالخبرات والمآثر ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، فاللواء المدرع السابع هو اقدم واشهر الالوية في سلاح المدرعات الاسرائيلية ، فقد تشكلت نواته الاولى اثناء حرب ١٩٤٨ وشارك في بعض معاركها ، ثم قام بدور رئيسي في حرب ١٩٥٦ حيث التف حول « ابو عجيلة » وتقدم نحو قناة السويس على المحور الاوسط ٠ وفي حرب ١٩٦٧ لعب دورا بارزا على جبهة سيناء مرة اخرى، حيث حقق الخرق الرئيسي في « خان يونس » و « رفح » ثم « العريش » ضمن مجموعة الجنرال « تال » ، وكان بقيادة « غونين » وقتئذ ٠ وفي حرب ١٩٧٣ خاض معركة دفاعية قاسية حول « القنيطرة » في « الجولان » ٠ واللواء المدرع ١٧ لعب دورا هاما هو الاخر في حرب ٧٣ على جبهة الجولان ، حيث شارك في الهجوم المضاد ، الذي قامت به مجموعة الجنرال « دان لانر » في القطاع الجنوبي من الهضبة السورية ٠ ولواء « جفعاتي » الميكانيكي ، له شهرته العريقة في الجيش الاسرائيلي ، اذ انه احد ألوية « الهاجاناه » الستة الاولى ، التي شكلت في شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، ثم شارك في العديد من معاركها ،

خاصة في الجبهة الجنوبية ، كما ساهم في كافة الحروب التالية · ولـــواء « جولاني » هو ايضا احد ألوية « الهاجاناه » ، وقد شارك في حرب ١٩٤٨ ، وكان له دور هام على جبهة « الجولان » فيحربي ٦٧ و ٧٣ · وفي الوقت نفسه استخدام لواء المظليين ٣١ كمشاة ميكانيكية يرجع الى رغبة القيادة الاسرائيلية في الافادة من قدرات المظليين القتالية العالية كجنود صدام واقتحام في المساعدة على انجاز مهام الخرق في حالة وجود مقاومة في مواقع دفاعية ثابتة ، وفـــي مهام التطهير ، خاصة في قتال الشوارع والمناطق المبنية ، وذلك كما سبق ان استخدم المظليين في عمليات اقتحام دفاعات « رفح » ، والقتال فـــي شـــوارع « القدس » القديمة خلال حرب ١٩٦٧ ·

ولما كان اللواء المدرع الاسرائيلي يضم ما بين ٨٠ و ١٠٠ دبابة ، واللـــواء الميكانيكي يضم ٣٦ ــ ٤٠ دبابة ، فأن القوة الاسرائيلية المهاجمة كان لديها نحو ٣٠٠ دبابة ، فضلا عن نحو ٢٠٠ دبابة اخرى مع القوة الاحتياطية ، بالاضافـة لعدة مئات من ناقلات الجنود المدرعة « م ــ ١١٣ » ، ونحو ٢٠٠ ــ ٢٥٠ مدفـع هاوتزر وهاون ثقيل وراجمة صواريخ ·

وساندت هذه القوات البرية قوة جوية ضمت نحو سربي طائرات هجـــوم ارضي من طراز « سكاي هوك » ، وسرب طائرات مقاتلة متعددة المهام من طراز « فانتوم » ، وسرب طائرات مقاتلة معترضة مطاردة من طراز « كفير » (يتألـــف السرب الاسرائيلي من ١٦ ــ ٢٠ طائرة ويصل مع احتياطيه الى ٢٤ طائرة) ، اي ما مجموعه ٦٤ ــ ٨٠ طائرة عاملة و ١٦ طائرة احتياطية ، عدا طائـــرات الهليكوبتر التي استخدمت في انزال بعض وحدات لواء المظليين ٥٥ ، وفـــي عمليات مساندة اخرى · كما استخدمت ايضا بعض الطائرات المقاتلة الحديثة من طراز « ف ــ ١٥ » ، التي قال الجنرال « داقيد عفري » ، قائد الســـلاح الجوي الاسرائيلي ، انها استخدمت في تسيير دوريات جوية فوق جنوب لبنان لاغراض توفير الحماية الجوية للقوات البرية ، وانها لم تستخدم في عمليـــات هجومية · (١٥)

وساندت القوة المهاجمة ايضا قوة بحرية ضمت عددا من زوارق الصواريـخ من طراز « ساعر » ، وبعض زوارق الدورية من طراز « دبور » ، وذلك بواسطة قصف بحري بمدافعها ومساندة بعض عمليات الانزال البحري واغارات الضفادع البشرية ·

وقد دفعت القيادة الاسرائيلية بقواتها في المرحلة الاولى من العملية ، التـي بدأت في الساعة الواحدة والربع من بعد منتصف ليل ١٤ــ١٥/٣/٧٨ ، علـــى خمس محاور للتقدم · اثنان منها بالقطاع الشرقي ، وهما : محور « القليعة ــ مرجعيون ــ الخيام ــ ابل السقي » في اتجاه « بلاط » ، ومحور « عديســـة ــ

الطيبة » في اتجاه « القنطرة » · واثنان منها بالقطاع الاوسط وهما : محور « رميش ــ عين ابل ــ مارون الراس » في اتجاه « بنت جبيل » و « الطيري » ، ومحور « يارين ــ طير حرفا » · اما المحور الخامس فكان بالقطاع الغربي الساحلي من « الناقورة » في اتجاه « البياضة » · وكان الهدف المحدد لهذه المرحلة هو احتلال قطاع من الارض محاذي للحدود الفلسطينية بعمق يصل حتى ١٠ كلم ، وهو ما سمي بحزام الامن ، تحددت فيه قرى ومناطق « الخيام » و « الطيبة » و « بنت جبيل » و « راس البياضة » كنقاط او مواقع رئيسية يجب السيطرة عليها ، وتطهيرها تماما من قوات المقاومة · وبعد قصف مدفعي وجوي وبحري شديد ، بدأت مع الفجر وحدات المدرعات والمشاة زحفها على المحور المذكور ، تتقدمها وحدات الهندسة ، التي كانت مكلفة برفع الالغام المزروعة بمهارة في عديد من المواقع ، والتي بدأت عملها تحت ضوء القذائف المضيئة · ولم تكن عملية رفع الالغام تحت نيران المدافعين سهلة التنفيذ ، اذ ان وحدة اسرائيلية واحدة استغرقت مثلا نحو سبع ساعات كي تشق طريقها وسط الارض الملغومة . منذ ان بدأت زحفها من منطقة مستعمرة « المطلة » في الارض المحتلة حتى قرية « الخيام » بالقطاع الشرقي ، والتي لا تبعد عنها سوى نحو ٢ كلم ، كما يقول مراسل مجلة « تايم » الاميركية الذي رافق القوات الاسرائيلية هناك ·

ويقول الجنرال « بنغال » ، قائد المنطقة الشمالية ، ان ثلثي الخسائر البشرية الاسرائيلية كان نتيجة الاصطدام بالالغام · (١٦) ويصف القائد الاسرائيلي المذكور اسلوب القتال المتبع فيقول انه جرى استخدام قوات كبيرة واطلاق كميات كثيفة من النيران للحيلولة دون وقوع اصابات في صفوف القوات الاسرائيلية « وكانت الخطة تقضي بالمضي على مهل برفقة النيران ، الكثير من النيران » · (١٧)

ووصف مراسل صحيفة « معاريف » ، « يعقوب ارز » ، اسلوب قتال القوات الاسرائيلية في مقال له يوم ٢٠ــ٣ــ٧٨ بما يلي : « قصف مدفعي وجوي ، ثم اطلاق نيران من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة ، ثم دخول القوات الى القرى » · (١٨)

وقالت « يديعوت احرونوت » في ١٦ــ٣ــ٧٨ ان القوة المهاجمة بالقطاع الاوسط « واجهت مقاومة شديدة · وكانت المقاومة الاساسية في « مارون الراس » ، حيث لم تستكمل المهمة الا في ساعة متأخرة من بعد ظهر أمس » · (١٩)

كما وصف « يعقوب ارز » ، في مقال له بصحيفة « معاريف » يوم ١٦ــ٣ــ٧٨ ، ان القتال في « الطيبة » كان « مريرا مع وحدات من فتح والصاعقة » · (٢٠)

كما قال ، في مقال بالصحيفة ذاتها يوم ١٧ـ٣ـ٧٨ ان القتال الذي دار في « بنت جبيل » كان ضاريا « ودار من بيت الى بيت ··· وقد قتل وجرح عدد من جنودنا في عملية احتلال القرية وتطهيرها · وكان قد تم قبل ذلك قصف القرية من الجو ، وبالمدفعية ··· » · (٢١)

وقال « شمعون فايتس » ، في صحيفة « دافار » يوم ٣٠ـ٣ـ٧٨ ، انه في « مارون الراس » دارت « معركة ضارية وطويلة ، بين قوات المشاة الاسرائيلية وبين عدد من « المخربين » غير قليل ··· وفي نهاية المعركة ، تم احصاء ٤٧ « مخربا » قتيلا ، بين بيوت القرية ومعاقل المخربين فيها ، وتم اسر عدد منهم [عدد القتلى مبالغ فيه] ··· كما تكبد الجيش الاسرائيلي عددا من القتلى والجرحى في هذه القرية » · (٢٢) .

ثم انتقل لوصف القتال بالقطاع الغربي فقال « وكان هذا القطاع ، القريب من البحر ، اصعب قطاعات القتال · فلقد اثبت « المخربون » فيه عنادا اكبر · ويتضح انه قد تمركز في هذه المنطقة ، عدد من المخربين ، اكبر بكثير من عددهم في القطاع الشرقي » · (٢٣) ونتيجة لشدة المقاومة التي واجهت القوات الاسرائيلية ، فقد استغرقت العملية فترة اربعة ايام لتحقيق اهداف المرحلة الاولى من هجومها ، اربعة ايام قطعت خلالها مسافة يتراوح عمقها ما بين ٧ و ١٠ كلم فقط ! وهو الامر الذي حاول الجنرال « افيغدور بنغال » ، قائد المنطقة الشمالية والذي قاد العملية ، ان يفسره فقال « لقد عملنا بحسب المذهب العسكري الاسرائيلي : تفضيل دفع قوات باعداد كبيرة من اجل انهاء المهمة باقل الخسائر · وكان هذا بمثابة سير بطيء ومأمون » ! (٢٤)

وعلّق الكاتب العسكري الاسرائيلي « زئيف شيف » على هذا التصريح فقال في « هآرتس » يوم ٢١ـ٣ـ٧٨ « وقد اثارت هذه الكلمات بالتأكيد ، اسئلة ، خصوصا وانه لم يعرف ان الجيش الاسرائيلي قد غير مذهبه العسكري الذي ارتكز دائما على « السير الحثيث » ! » · (٢٥)

المرحلة الثانية من العملية :

وفي اليوم الخامس للعملية بدأت المرحلة الثانية منها ، التي استهدفت الوصول الى نهر « الليطاني » دون تخطيه ·

ويفسر الكاتب الاسرائيلي « عوزي بنزيمان » عوامل توسيع العملية بعيدا عن ما سمي بالحزام الامني ، في مقال له بصحيفة « هآرتس » يوم ٢٩ـ٣ـ٧٨ ، فيقول « جرى توسيع مجال العملية بمبادرة السلك العسكري ، وبموافقة وزير الدفاع ، وباطلاع رئيس الحكومة ، ولم يعرض للموافقة عليه في اللجنة

الوزارية للشؤون الامنية او في جلسة شاملة للحكومة · وكان احد الاعتبارات الاساسية التي ادخلت بالحسبان عشية العملية ، هو الرغبة في اشراك الولايات المتحدة في عملية اقامة واقع جديد في جنوبي لبنان » · (٢٦)

كما فسرت صحيفة « دافار » توسيع العملية جغرافيا ، في مقال نشرته يوم ١٧ــ٣ــ٧٨ ، قال فيه كاتبه « يونا شمشي » « ان القوات الاسرائيلية وسعت، الى حد كبير ، الشريط العازل ، خصوصا في القطاع الاوسط · ووصل عرض الشريط في منطقة « بنت جبيل ــ تبنين » الى ١٦ كلم عن الحدود ··· وقد تم ذلك أمس بعد استسلام « تبنين » وسبع قرى اخرى شرقيها وغربيها » · (٢٧)

ولكن « زئيف شيف » يقدم تفسيرا مخالفا ، واكثر تعبيرا عن حقيقة الدوافع الاسرائيلية ، لتوسيع مدى العملية جغرافيا ، اذ يقول في مقاله المنشور بصحيفة « هآرتس » يوم ٢١ــ٣ــ٧٨ ، والمشار اليه مسبقا ، ان « اوامر العملية لم تتحدث مطلقا عن قطاع امن عمقه عشرة كيلومترات ، انما تحددت فيها مواقع رئيسية على الجيش الاسرائيلي ان يحتلها ··· تبعد ٤ ــ ٨ كيلومترات عن الحدود · وهذا القطاع يذكر بالبند الوارد في اتفاق شتورا الذي حدد ان ينسحب « المخربون » مسافة عشرة كيلومترات عن حدود اسرائيل · ويبدو ان الاميركيين كانوا ، في حينه ، راضين عن الاتفاق ، بيد ان اسرائيل ادعت انها غير راضية · ويحتمل انها ارادت في حديثها عن قطاع كهذا ان ترضي الاميركيين · وما عدا ذلك لم يكن لخط بعمق عشرة كيلومترات اي معنى عسكري ··· فخط ذو معنى عسكري يمكن ان يكون كالخط الذي استولي عليه بحكم الظروف الجغرافية ، كنهر الليطاني · ويقولون لنا الان أن احتمالا كهذا قد رفض في البداية من خلال الرغبة في الوصول الى تسوية مع السوريين · وهناك احتمال اخر لخط يتوقف عنده التقدم ، حيث ينشأ قطاع أمني ، يحدده مدى مدفعية المخربين وصواريخهم · وهذا المدى كما هو مفهوم يزيد عن عشرة كيلومترات ··· وبكلام اخر فأن من حدد مجال العشرة كيلومترات لم يحدد خطا عسكريا · فقد كان في وسعه ان يفترض ان « المخربين » لن يسكتوا عن الضربة التي سيتلقونها ··· اي انه حتى اذا لم يرفع مختار تبنين علما ابيض ، وحتى لو كانت الولايات المتحدة لم تقترح في مجلس الامن ارسال قوات دولية الى جنوبي لبنان ، فانه لا يمكن الافتراض ان التقدم لمسافة عشرة كيلومترات ينهي العملية · ويرجح انه كان فقط سيبدأها · وكان الجيش الاسرائيلي سيرغم على الرد على ما قد ينشأ من تطورات بعد ذلك » · (٢٨)

وقد قدم الجنرال « غور » تفسيرا لاسباب تطوير العمق الجغرافي للعملية عن نطاق « الحزام الامني » ، نقله « يونا شمشي » في « دافار » يوم ٢١ــ٣ــ٧٨، قال فيه « كانت الخطة في مراحل اولى ، احتلال قطاع يصل الى نحو عشرة

كيلومترات في جنوبي لبنان ، وان يتم ذلك بسرعة ··· ولو كان الهدف الوصول الى الليطاني منذ البداية ، لكان من المؤكد اختيار طرق اخرى اقصر ··· وقد بدأت المرحلة الثانية ··· باستسلام القرى في القطاع الاوسط ··· وكانت هناك اهمية كبرى لسقوطها في ايدينا · ثم جاء الحديث عن ترتيب وانتشار قوات الامم المتحدة · وكان مهما خلق وضع يسيطر فيه الجيش الاسرائيلي على الحد الاقصى من الارض ، والليطاني هو الحد الطبيعي » · (٢٩)

وفي تقديرنا ان القيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية حين اكدت مرارا ، في بداية تنفيذها للعملية ، انها انما تريد مجرد انشاء « حزام امني » ، لا يزيد عرضه عن ١٠ كلم ، كانت تطبق في الواقع احد الشروط الضرورية لتأمين نجاح المناورة الخارجية ، اللازمة لتغطية تنفيذ المناورة الداخلية العسكرية بالمنطقة ، وذلك ضمن الاستراتيجية العامة المرسومة للعملية ، والموضوعة على اساس ما يسميه الجنرال « اندريه بوفر » بمناورة « الخرشوفة » (الارضي شوكي) ، او ما يمكن ان نسميه باستراتيجية « القضم المتتابع » · وذلك لانه « اذا كانت حرية العمل المتاحة للمناورة الخارجية هي شرط النجاح نفسه · فهناك شرط اخر خارجي لا يمكن الاستغناء عنه ايضا ، وهو أن يبدو الهدف محدودا بصورة كافية حتى يكون مقبولا في الرأي العام الدولي » · (٣٠) كما يقول « بوفر » ، الاستراتيجي الفرنسي المعروف ·

فبعد ان حصلت اسرائيل على حرية العمل اللازمة لنجاح المناورة الخارجية (اي التأمين المتعلق بالقوى الدولية) ، عن طريق دعم وتأييد الولايات المتحدة ، وتكثيف العمل الاعلامي لاستجداء تأييد ، او تحييد ، الرأي العام الدولي بخصوص ضرورة الرد على عملية « كمال عدوان » الفدائية · وكذلك عن طريق استثمار الموقف العربي العام ، كما اوضحنا في موضع سابق من دراستنا ، كان لا بد لها ايضا أن تعلن محدودية الهدف المحدد للعملية عسكريا وسياسيا وجغرافيا ، حتى تستكمل تأمين نجاح المناورة الخارجية لاستراتيجية « الخرشوفة » ، التي انتهجتها ، وتنتهجها دائما في صراعها مع العرب منذ حرب ٤٨ وحتى الان ، كي تمضي مطمئنة الى تنفيذ المناورة الداخلية ، اي العملية العسكرية المحلية ، باكبر قوة وسرعة ممكنة ، وهذا هو شرط نجاح المناورة المذكورة الرئيسي · ذلك لانه « حتى لو كانت المناورة الخارجية مصممة بصورة حسنة ، الا انها قد تتعرض للفشل ، او للتصعيد الى الحدود القصوى ، اذا لم تنجح في تحقيق « امر واقع » لا جدال فيه بسرعة ، ويمكن لهذا الامر الواقع ان يشكل حجر الاساس لمفاوضات مقبلة » · (٣١) كما يقول « بوفر » ايضا ·

لقد ارادت اسرائيل بالتأكيد على مسالة « الحزام الامني » في بداية عمليتها العسكرية في جنوبي لبنان ، كسب تأييد الولايات المتحدة الاميركية ، من حيث

اشعارها ان محدودية هدف العملية ، المتفق مع اتفاق « شتورا » ، لا يهـــدد جديا جهودها « السلمية » بالمنطقة · بالاضافة الى انها كانت تهدف ايضا الـى تحييد الموقف العربي بصورة عامة ، فضلا عن تحييد اوروبا الغربية ، وعـــدم استفزاز الاتحاد السوفييتي ودفعه لعمل مضاد حاسم ·

ولما أثبتت لها خبرة الايام الاربعة الاولى نجاح تنفيذ مناورتها الخارجية الى حد لا بأس به ، قررت القيادة الاسرائيلية المضي في تنفيذ المرحلة الثانية مـــن العملية والتقدم حتى « الليطاني » ، خاصة في ظل استمرار المقاومة الفلسطينية في القتال ، والرد بعمليات قصف المستوطنات في الارض المحتلة بصواريـــخ « كاتيوشا » ، اي عدم نجاح « الردع المباشر » للثورة · فضلا عن عدم نجـاح « الردع غير المباشر » ايضا ، الذي تمثل في تقديم سوريا المساعدات للثـورة ، وتسهيل وصول مساعدات الدول العربية الاخرى اليها ايضا · ولذلك سارعـت القيادة الاسرائيلية بالاندفاع نحو « الليطاني » ، قبل ان تصل قوات الطـــوارىء الدولية وتبدأ تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٤٢٥ الصادر يوم ١٩ـ٣ـ٧٨ ، حتـى تساوم في التنفيذ ضمن الارض الواقعة خارج نطاق ما يسمى بالحزام الامني، وتنشأ تلقائيا ، ودون التورط في اتفاق فصل قوات مع منظمـــة التحريـــر الفلسطينية ، منطقة عازلة ترابط فيها القوات الدولية · وهكذا دفعت القيـــادة العسكرية الاسرائيلية بقواتها في اليوم الخامس من الحرب ، وحتى وقف اطلاق النار في ٢١ـ٣ـ٧٨ ، مقربة شديدة من ضفة « الليطاني » الجنوبية ، ومشارف مدينة « صور » ، مع تعميق محور تقدمها نسبيا في القطاع الشرقي ، وذلـــك على محاور التقدم التالية :

١ ـ محور « بنت جبيل ـ الطيري ـ بيت ياحون ـ عيتا الزط » ، ومن ثـــم نحو « حداثا ـ حاريص » من جهة ، و « صفد البطيخ ـ تبنين » مـــن جهـــة اخرى · وقد شجعها اخلاء « تبنين » والقرى المحيطة بها على التقدم بسرعـــة في هذا القطاع ، ولذلك تابعت القوات الاسرائيلية تقدمها من « حاريص » الى « كفرة » و « صديقيه » و « قانا » و « حناوية » ، ثم « عين بعال » ، لتصل بعد ذلك الى الطريق الساحلي من الجهة الجنوبية لمدينة « صور » ·

كما تقدمت تشكيلات اخرى من « تبنين » نحو « كفر دونين » و « الشهابية » و « بير السلاسل » ، « المجادل » ، « جويا » ، « وادي جيلو » ، « البازوريـــة » . ثم في اتجاه مخيم « برج الشمالي » للوصول الى مشارف صور الجنوبيـــة الشرقية ·

٢ ـ محور « الطيبة ـ القنطرة ـ الغندورية ـ حريفا » ، ثم التقدم بعد ذلك الى «دردغيا » و « معروب » « قدير قانون النهر » ثم « العباسية » و « بـرج رحال » ، نحو الطريق الساحلي شمالي « صور » ·

٤ ــ محور القطاع الشرقي ، حيث تقدمت القوات الاسرائيلية باتجاه « راشيا الفخار » و « شويا » و « عين قنيا » و « كوكبا » ٠

وبذلك اصبح عمق الارض المحتلة في جنوب لبنان يصل الى نحو ٢٠ كلم في بعض المناطق ٠ ووصف « يعقوب ارز » مجرى العملية ، في مقال نشرته « معاريف » في ٢٠ــ٣ــ٧٨ ، فقال « مع فجر اليوم ، بدأت القوات التي تحركت أمس على ثلاثة محاور من الشرق الى الغرب ، وعلى محور واحد من الجنوب الى الشمال ، عمليات تمشيط في القطاعات القريبة منها ٠٠٠ وقد استكمل الجيش الاسرائيلي ، بحركة كماشة ، عملية السيطرة على جنوبي لبنان » ٠ (٣٢)

وقد واجهت القوات الاسرائيلية مقاومة متفاوتة النوعية والقوة في القطاعات المختلفة ، اتخذت طابع قتال الاعاقة ، والاغارة بجماعات صغيرة على الاجنحة والمؤخرات في معظم الحالات ، وطابع قتال الصمود والمواقع الثابتة في مواقع اخرى ، خاصة في القطاع الغربي وعند مشارف « صور » ومخيم الرشيدية ٠ وكتب « شمعون فايتس » في « دافار » يوم ٢٠ــ٣ــ٧٨ ، يصف ذلك فقال « ومما يدل على صعوبات القتال ، ومقاومة « المخربين » في المنطقة المواجهة للجليل الغربي ، ايام القتال الطويلة ٠ ففي حين دارت في قطاع « فتح لاند » ، الخيام وابل السقي ، معارك قصيرة ، اصطدمت قواتنا في منطقة قرى العباسية ــ الغندورية ، ومعاقل « المخربين » في المنطقة المؤدية الى صور ، ومعسكر الرشيدية ، بمقاومة اكثر عنادا ٠٠٠ واحد اسباب استمرارية القتال والتطهير في القطاع الغربي ، كونه اكثر ازدحاما بالقرى ، ومعظمها اسلامية ، تعاونت مع « المخربين » » ٠ (٣٣)

ونتيجة لعنف المقاومة في القطاع المذكور ، وخشية تحمل خسائر بشرية كبيرة ، واستمرار العملية فترة زمنية اكثر مما تسمح به حدود المناورة الداخلية لاستراتيجية « الخرشوفة » ، مما قد يهدد مناورتها الخارجية بالفشل ، قررت القيادة العسكرية الاسرائيلية ، وبموافقة القيادة السياسية طبعا ، عدم دخول مخيم الرشيدية ومدينة صور ٠

وقد اشار الى الجنرال «بنغال» فقال انه «كانت هناك «مناقشة مركزة » بشأن مصير مدينة صور ، وقد تقرر عدم احكام الطوق حولها نهائيا ، وعدم الدخول اليها ٠ ومن اسباب ذلك ان قطع الجسر ، استلزم الانتقال الى شمالي الليطاني ، وهذا امر حظره المسؤولون السياسيون بأي شكل من الاشكال » ٠ (٣٤)

وتناول « زئيف شيف » المسألة ذاتها فقال « كان الجيش الاسرائيلي مستعدا للتخلي عن معارك المواجهة ، والاكثار من الاعتماد على قوة نيران غزيرة ٠٠٠ وهو لا يثمن قتل مائة « مخرب » ، اذا سقط منه عشرة او خمسة قتلى ٠ فكما

حصل بخصوص صور والرشيدية ، فقد تم تفضيل الابقاء على منافذ لانسحاب المواطنين و « المخربين » • وكذلك الامر بالنسبة الى بقية المناطق • والواضح ان المخربين يفسرون ذلك بانه انتصار » • (٣٥)

وهكذا انتهت عملية « حجر الحكمة » بمرحليتها ، وتوقف اطلاق النار بالمعنى العام ، ووصلت قوات الامم المتحدة الى المنطقة •

نتائج العملية :

على ضوء كل ما تقدم يمكن لنا ان نوجز نتائج الهجوم الاسرائيلي الكبير على الجنوب في النقاط التالية :

١ ــ لم تحقق العملية هدفها الرئيسي ، وهو تحطيم القوة العسكرية الرئيسية للثورة الفلسطينية ، اذ كانت الخسائر البشرية في المقاتلين ضئيلة بالقياس لحجم القوات والنيران التي استخدمت من قبل القوات الاسرائيلية ، ويرجع ذلك الى تكتيكات حرب الحركة التي اتبعتها قوات المقاومة الفلسطينية ، وتجنبها ان تخوض قتالا نظاميا ضد قوات تفوقها بصورة ساحقة في وسائل الحرب النظامية •

وقد اشار الجنرال « بنغال » الى ذلك التكتيك فقال « وقد خاض « المخربون » في نهاية العملية ، معركة تجميع وتأخير على طريقتهم » • (٣٦)

وقد علق « اريبه اراد » ، في صحيفة دافار يوم ٢١ــ٣ــ٧٨ ، على هذه النتيجة فقال « كان يمكن ان يكون الهدف قصم ظهر منظمة التحرير الفلسطينية ، عن طريق تدمير قوتها القتالية ••• وكذلك ابعاد قدرة الاصابة البرية المباشرة عن مستوطنات الجليل • واذا كان هذا هو الهدف فعلا ••• فيجب ان نسأل ، ليس فقط عما اذا كان قد تحقق ، بل ايضا اذا كان هذا هو الاسلوب الاكثر فعالية ، والاقل كلفة لتحقيقه • ويبدو لي ان الجواب عن السؤالين معا ــ سلبي » • (٣٧) ثم استطرد قائلا « لقد تكبد « المخربون » خسائر حقا ، لكن ليس الى حد قصم الظهر • ذلك انهم ادركوا مسبقا ما سوف يحدث ، وغادرت الغالبية العظمى منهم المنطقة ، قبل ان تطلق عليهم طلقة واحدة • اما اولئك الذين بقوا ، فقد قاتلوا ــ مخاطرين بحياتهم ــ وان لم يكن بشكل جيد دائما ــ ونجحوا في تكبيد الجيش الاسرائيلي خسائر • واثبتوا ايضا انه رغم الهجوم ، فانهم لا يزالون اقوياء ، وبمقدورهم قصف مستوطنات الجليل ، وقد قتل من جراء ذلك اثنان من المدنيين » • (٣٨)

وتناول « اوري دان » الموضوع ذاته ، في معاريف يوم ٢١ــ٣ــ٧٨ ، فقال « لم يرافق تخطيط العملية في لبنان ، تفكير سياسي جدي • بدليل النتائج

العسكرية والسياسية ، لا سيما الفشل في القضاء على القوات الفلسطينية ، وانزال اضرار مادية وبشرية بالغة بالمدنيين اللبنانيين » • (٣٩)

٢ ــ ليس فقط لم تنجح العملية الاسرائيلية في تحطيم القوة العسكرية للثورة الفلسطينية ، وانما ايضا لم تنجح في ردع الثورة ومنعها من الاستمرار في النضال المسلح ، وتلك مسألة بالغة الاهمية في صراع الارادات الاستراتيجي الدائر بين الثورة والعدو الصهيوني •

وحول هذه النتيجة تساءل « اهرون غيفع » ، في دافار يوم ٢٠ــ٣ــ٧٨ ، فقال ان العملية جاءت « لتوكد نهاية القتل ، او على الاقل ، كبح المخربين ، وهناك شك كبير جدا ، فيما اذا كنا سنصل الى هذا الهدف • وعلى العكس ، ثمة من يجزم ان البقاء في جنوب لبنان ، لن يقلل ، بل سيزيد ، من عدد الضحايا ، ولن يكبح بل سيدفع نشاط « فتح » ، ويحول منظمة التحرير الفلسطينية ، من منظمة ركنت جانبا ، الى واحدة تحظى بمساندة العالم العربي • ليس بمقدور العملية في لبنان ، ان تضع حدا لنشاط المخربين ، فحتى في المستقبل يستطيع المخربون ان يأتوا من البحر ، او يفجروا ثلاجة ملغومة في القدس • وثمة خطر في ان يطلقوا علينا النار من بعيد ••• ولدى « المخربين » مدافع وصواريخ كاتيوشا ، وسيحصلون على اسلحة اضافية بسهولة » • (٤٠)

٣ ــ وفي الوقت نفسه لم تحقق العملية نجاحا في مجال الردع غير المباشر ، خاصة من حيث دفع سوريا الى تسوية تؤدي الى كبح نشاطات الثورة الفلسطينية ، وبررت اسرائيل ذلك بسرعة صدور قرار مجلس الامن رقم ٤٢٥ ، اذ صرح الجنرال « مردخاي غور » لصحيفة « دافار » ، في ٢٦ــ٣ــ٧٨ ، بقوله « كان العامل السياسي احد العناصر التي حددت الحجم الكبير لعملية الجيش الاسرائيلي في جنوبي لبنان • وقد اعتقدت اسرائيل ان في مقدورها التوصل الى اتفاق مباشر مع حكومتي لبنان وسوريا ، بشأن مستقبل جنوبي لبنان • لكن ذلك لم يتحقق بسبب قرار مجلس الامن المتسرع » • (٤١)

وفي الوقت نفسه فان الافكار السائدة لدى الاسرائيليين ، هي ان قوات الامم المتحدة غير قادرة على منع نشاط الثورة الفلسطينية ضدهم ، وهي افكار يقصد بها الترويج لمسألة ضرورة الاحتفاظ بالحزام الامني بصورة دائمة او لاطول فترة ممكنة ، وتعكس في الوقت نفسه شعورا بعدم جدوى العملية العسكرية في كبح الثورة الفلسطينية • وحول هذا الموضوع قال « موشيه زاك »، في معاريف يوم ١٩ــ٣ــ٧٨ ، ان « وضع قوة دولية في جنوبي لبنان لا يحل مشكلة المخربين • بل على العكس ، من شأنه ان يحد من حرية تحرك اسرائيل ضدهم » • (٤٢)

وكتبت « دافار » في ٢٠ـ٣ـ٧٨ تقول « حذار ان نخدع انفسنا : فقرار مجلس الامن ، بادخال قوات دولية الى جنوبي لبنان ، وجلاء الجيش الاسرائيلي عنه ، لن يحل مشكلة الامن لاسرائيل ، التي نشأت نتيجة وجود مخربين فيه ، اذ ان قوات الامم المتحدة لن تتمكن من منعهم التمركز فيه من جديد ٠ بل ، ومن زاوية معينة ، هناك حتى تدهور في الوضع ، لان تلك القوات ستشكل عائقا لجانب واحد ٠ وبالتأكيد لم يكن هذا قصد الحكومة ، التي اعلنت ان قوات الجيش الاسرائيلي ستبقى في المنطقة ، حتى التسوية ٠ وهذه ليست تسوية » ٠ (٤٣)

وفي تقديرنا ان ابرز نتيجة لحرب الايام الثمانية في الجنوب اللبناني ، هي ان الثوار الفلسطينين ، الذين يشكلون طليعة النضال العربي المسلح ضد العدو الصهيوني ، قد ثبتوا في القتال ، بطريقتهم الخاصة المتفقة واستراتيجية حرب العصابات ، في وجه ٣٠ الف جندي اسرائيلي لديهم مئات من الدبابات والمصفحات وعشرات الطائرات والزوارق الحربية ، وفي وجه القصف الجوي المركز ، باسلحتهم البسيطة واعدادهم وقدراتهم المحدودة ٠ وخرجوا من المعركة محتفظين بقوتهم الرئيسية ، وبارادتهم النضالية حرة ٠ وحول هذه النتيجة قال الكاتب الاسرائيلي الدكتور « امنون سيلع » ، في « دافار » يوم ٢٤ـ٣ـ٧٨ ، « اذا تأملنا في رد الجيش الاسرائيلي من وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية ، سنضطر الى القول ، ان ردا بمثل هذه القوة ، هو مكسب للمنظمة ـ الاف الجنود من الجيش النظامي ، مسلحين بالدبابات والمجنزرات ، والمدفعية والطائرات ، تقوم بنشاطات واسعة لاقتلاع الفي « مخرب » » ! (٤٤)

ملحق رقم ـ ١ ـ

« مواصفات وقدرات الطائرات الاسرائيلية المستخدمة في القتال »

الطائرة « أ ـ ٤ » سكاي هوك :

وهي الطائرة التي قامت بالدور الرئيسي في عمليات القصف الارضي طوال حرب الايام الثمانية في الجنوب ، وهي قاذفة تكتيكية وطائرة هجوم ارضي ، مزودة بمحرك نفاث قوة دفعه ٥٠٨٠ كلغ ، اقصى سرعة لها على سطح البحر وهي خالية من خزانات الوقود الاضافية ١١٠٢ كلم ، و ١٠٣٠ كلم على ارتفاع ٧٦٢٠ مترا ، ويبلغ مداها القتالي وهي محملة بنحو ١٨٠٠ كلغ من القنابل ، وتطير على ارتفاع عالي ـ منخفض ـ عالي بدون خزانات وقود اضافي ، يصل الى نحو ٥٤٠ كلم ، وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم لكل منهما ١٥٠ طلقة ،

ويمكنها ان تحمل حمولة قصوى من القنابل على خمس نقاط تعليق نحو ٣٧٢٠ كلغ (٨٢٠٠ رطل) ، وقد ظهر بعضها خلال العمليات وهي تحمل ٤ قنابل زنة الف رطل تحت الجناحين و ٦ قنابل زنة ٥٠٠ رطل في باطن الجسم ٠ وللطائرة انبوبة طويلة في مقدمة جسمها تشبه هوائي الارسال اللاسلكي ولكنها في الواقع خاصة بتزودها بالوقود في الجو ٠

الطائرة « ف ـ ٤ » فانتوم :

مقاتلة متعددة المهام ، تستخدم في مهام الاعتراض الجوي او القصف التكتيكي ، مزودة بمحركين نفاثين قوة دفع الواحد منهما ٨١٢٠ كلغ عند استخدام الحراق الخلفي لاحداث تسارع مفاجىء ، اقصى سرعة لها على ارتفاع سطح البحر بدون خزانات اضافية ١٤٦٤ كلم ، و ٢٤١٤ كلم على ارتفاع ١٢١٩٠ مترا ، ومداها القتالي في مهام الاعتراض وهي مسلحة باربع صواريخ « سبارو » و ٤ صواريخ « سايدويندر » وبدون خزانات وقود اضافي ٢٢٥ كلم ، يرتفع الى ٣١٥ كلم مع خزان وقود اضافي ، وفي حالة القصف الارضي بحمولة ٤ قنابل زنة ١٠٠٠ رطل و ٤ صواريخ جو ـ جو « سبارو » و ٣ خزانات وقود اضافي وبطيران عالي ـ منخفض ـ عالي يصبح مداها ١٠٥٠ كلم ٠ ويمكنها ان تحمل حمولة قصوى من القنابل ، بدون خزانات وقود اضافي ، نحو ٧٢٥٠ كلغ ، وتتضمن هذه الحمولة اما ١١ قنبلة زنة الف رطل ، او ١٨ قنبلة زنة ٧٥٠ رطلا ، او ١١ قنبلة نابالم سعة الواحدة ١٥٠ غالونا ، او ١٥ حاضنة صواريخ غير موجهة ، او ٦ صواريخ موجهة جو ـ ارض من طراز مافريك ٠

الطائرة كفير :

طائرة مقاتلة معترضة ومطاردة ، مزودة بمحرك نفاث قوة دفعه مع الحراق الخلفي ٨١٢٠ كلغ ، سرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر وهي مسلحة بصاروخين « شفرير » جو ـ جو وتحمل نصف وقودها الداخلي تبلغ نحو ١٣٧٠ كلم ، ونحو ٢٢٨٥ كلم على ارتفاع ١١ الف متر تقريبا ، ومدى عملها في مهام الاعتراض وهي مزودة بخزاني وقود اضافي ٥٢٠ كلم ، اما في مهام القصف الارضي فيمكن أن يصل مداها على ارتفاع عالي ـ منخفض ـ عالي الى ١٢٠٠ كلم ٠ وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم لكل منهما ١٥٠ طلقة ، ويمكنها ان تحمل حمولة قصوى من القنابل تصل الى نحو ٣٨٥٥ كلغ ٠

« ملحق رقم ـ ٢ ـ »

« مواصفات وقدرات زوارق « ساعر » »

وهي الزوارق المسلحة الرئيسية التي استخدمت في اعمال القصف البحري ، خاصة على صور ، وتمتلك البحرية الاسرائيلية منها ١٢ زورقا صنعت اصلا في فرنسا ، ويبلغ وزن الزورق منها بحمولة كاملة ٢٥٠ طنا ، وطوله ٤٥ مترا ، واقصى عرض له ٧ امتار ، وغاطسه الاقصى ٢٫٥ متر ، وهو مزود باربع محركات ديزل قوتها جميعا ١٢٥٠٠ حصان ، واقصى سرعة له ٤٠ عقدة (اي حوالي ٧٤ كلم في الساعة) ، ويستطيع ان يحمل ٣٠ طنا من الوقود ، ويبلغ مدى عمله ١٠٠٠ ميل بحري بسرعة ٣٠ عقدة و ١٦٠٠ ميل بسرعة ٢٠ عقدة و ٢٥٠٠ ميل بسرعة ١٥ عقدة ، ويتألف طاقمه من ٣٥ـ٤٠ ضابط وبحار ٠ وبعض هذه الزوارق مسلح بمدفع م/ط عيار ٤٠ مم وثمانية قواذف صواريخ سطح ـ سطح طراز « غابرئيل » ، وبعضها مسلح بثلاثة مدافع م/ط عيام ٤٠ مم مع قاذفي طوربيدات عيار ٢١ بوصة (٥٣٣ مم) ، وبعضها الاخر (وعدها ٦ زوارق) مسلح بمدفع عيار ٧٦ مم في مقدمة الزورق و ٦ قواذف صواريخ سطح ـ سطح من طراز « غابرئيل » ٠

والجدير بالذكر ان المدافع عيار ٧٦ مم هي من نوع « اوتوميلارا » الايطالي ، وتستخدم ضد السفن وضد الطائرات، وهي آلية وتدار عن بعد ، وخزان ذخيرتها مزود بـ ١١٥ قذيفة ، ويمكن ضبط نيرانها بحيث تطلق بمعدل يتراوح بين ١٠ و ٨٥ قذيفة في الدقيقة ، ويبلغ اقصى مدى لرميها اكثر من ١٦ كلم ٠

الحواشي :

١ ـ نشرة « ر اا » ، مركز الابحاث ، العدد ١٤٤٠ ، صفحة ١٤٥ ٠

٢ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، العدد ٤ ، العام ١٩٧٨ ، صفحة ١٩٨ ٠

٣ ـ صحيفة السفير عدد ١٨ـ٢ـ١٩٧٨ ٠

٤ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٨٤ ٠

٥ ـ المصدر السابق ٠

٦ ـ نشرة « راا » ، العدد ١٤٥٥ ، صفحات ٤ و ٥ ٠

٧ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ٢٢١ ٠

٨ ـ نشرة « ر اا » العدد ١٤٤٢ ، صفحة ١٨٩ ٠

٩ ـ مجلة نيوزويك ، عدد ١ـ٥ـ٧٨ ، صفحة ٦٤٠

١٠ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ٢١٣ ٠

١١ ـ المرجع السابق ، صفحة ٢١٤ ٠

١٢ ـ المرجع السابق ، صفحة٢٠١ ٠

١٣ ـ المرجع السابق ، صفحة ١٨٩ ٠

١٤ ـ نشرة « راا » ، العدد ١٤٤٣ ، صفحة ٢٠٥ ٠

١٥ ـ مجلة « فلايت انترناشيونال » ، عدد ٨ـ٤ـ٧٨ ٠

١٦ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٩٦ ٠

١٧ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٩٦ ٠

١٨ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٨٧ ٠

١٩ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٨٥ ٠

٢٠ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٨٥ ٠

٢١ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٨٥ ٠

٢٢ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ٢٢٠ ٠

٢٣ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ٢٢٠ ٠

٢٤ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ٢٢٣ ٠

٢٥ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ٢٢٣ ٠

٢٦ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٩٩ ٠

٢٧ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٨٦ ٠

٢٨ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ٢٢٢ ٠

٢٩ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المصدر السابق ، صفحة ١٩١ ٠

٣٠ ـ بوفر ، اندريه ، مدخل الى الاستراتيجية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٨ ، صفحة ١٦٩ ٠

٣١ ـ المرجع السابق ، صفحة ١٦٨ ٠

٣٢ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ١٨٧ ٠

٣٣ ـ نشرة « م٠د٠ف » المرجع السابق ، صفحة ٢٢٠ ، ٢٢١ ٠

٣٤ ـ نشرة « م٠د٠ف » المرجع السابق ، صفحة ١٩٦ ٠

٣٥ ـ نشرة « م٠د٠ف » المرجع السابق ، صفحة ٢٢٣ ٠

٣٦ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ١٩٦ ٠

٣٧ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٧ ٠

٣٨ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٧ ٠

٣٩ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٨ ٠

٤٠ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٧ ٠

٤١ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ١٩١ ، ١٩٢ ٠

٤٢ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٤ ٠

٤٣ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٦ ٠

٤٤ ـ نشرة « م٠د٠ف » ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٩ ٠

يوسف حداد

مخيم ضبيه ١٩٤٩ - ١٩٧٧

توزع الفلسطينيون بعد النزوح القسري الى لبنان في اماكن مختلفة ، لكنهم راعوا في اختياراتهم بشكل عام القرى الحدودية في جنوبي لبنان ، ليكونوا على مقربة من قراهم ومدنهم في فلسطين ، لاعتقادهم انذاك ان فترة الاقامة في لبنان لن تتجاوز الاسبوعين · فالجيوش العربية ستزحف بعد منتصف ليل ١٤ ــ ١٥ ايار ١٩٤٨ مع انتهاء الانتداب البريطاني ، وتحرير كامل التراب الفلسطيني امر مفروغ منه على يد الجيوش الزاحفة من العواصم العربية المحيطة بفلسطين ·

ان الاكثرية الساحقة من سكان شمالي فلسطين لم يتركوا قراهم ومدنهم عجزا عن صد هجمات اليهود او تخوفا منهم ، ولم ينشدوا النزوح طمعا في السلامة ، ورغبة في تجنب المخاطر والعواقب انما جاء ذلك نتيجة لقرارات مؤتمرات الجامعة العربية في انشاص وبلودان · لقد اوهمت هذه المقررات الفلسطينيين بان الجيوش العربية ستدخل الارض الفلسطينية بغية التحرير الكامل من الاغتصاب الصهيوني ، وانها تمتلك من القوة عددا وعدة ما هو كفيل بانجاز التحرير خلال ايام ، وانه لا لزوم للقوى الفلسطينية المقاتلة على مختلف الساحات ولا دور لها في الخطة النظامية التي وضعتها قيادات الجيوش العربية التي تمتلك من الاعتدة والرجال ما يؤهلها لان تلعب الدور بكامله وحدها · غير أن الفلسطينيين بشكل عام لم يطمئنوا كل الاطمئنان الى العهود والوعود التي قطعتها الانظمة العربية فلم يقفزوا جميعا الى لبنان بطرفة عين ، نزح البعض وجلهم من النساء والشيوخ والاطفال وبقي البعض يقاتل ويراقب منتظرا بفارغ الصبر الزحف المظفر المرتقب · وقبيل انتهاء الانتداب بايام وصلت طلائع جيوش الانظمة منها النظامي

★ تركز الاعتماد في هذه الدراسة على المعايشة السكانية للاحداث · اما الاحصائيات فلقد استقيت من مسؤولي الاونروا ، والمدارس ، والاحزاب والتنظيمات ·

ومنها غير النظامي ، وكانت وحدات اردنية من البدو على راسها الضابط ساري بك قد انتشرت في شمالي الجليل واقرب الظن كان ذلك برضى السلطات البريطانية المتبقية ، وتبعتها قوات جيش الانقاذ غير النظامي فاطمأنت النفوس نسبيا واخذ بعض المترددين يزحفون الى خارج الحدود ، وبدا الشعور العام في ارتياح تام الى الدور الحاسم المرتقب الذي ستلعبه هذه الجيوش بديلا عن القوى الفلسطينية المقاتلة والمعتمدة اصلا على النفس، وهكذا بدأ التحول من الاعتماد على الذات الى الاعتماد على الغير · ففقدت الساحة الفلسطينية قوى مقاتلة استطاعت لفترة غير قصيرة ان تصمد وحدها في مختلف المناطق تقارع العصابات الصهيونية والقوات البريطانية غير وجلة او خائفة قبل الاطمئنان الى زحف الجيوش العربية والاعتماد الكلي على دورها الحاسم والتخلي عن الدور القتالي البطولي والتحول عنه الى الاستكانة والنزوح بانتظار التحرير والعودة السريعة · لكن الامل المفعم بالنصر بدأ يخبو تدريجيا قبل وقوع الكارثة الكبرى ، لقد بدات تتكشف مهزلة جيوش التحرير التي علقت عليها الامال حين اخذت تقارع القوى الفلسطينية المتبقية بدل ان تقارع اليهود ، انها تريد انتزاع المواقع الاستراتيجية بحجة التمركز والتحصن وسرعان ما بدا زيف ادعائها حين اخذت تتخلى عن هذه المواقع بلا قتال للصهاينة · وزادت خيبة الامل بعيد انتهاء الانتداب ودخول الجيوش وتسليم مناطق الجليل المتبقية تباعا بشكل درامي ماساوي · اذ ذاك بدا للنازحين الفلسطينيين وقد تضاعف عددهم لسقوط قراهم ومدنهم ان الامال بالعودة السريعة قد تبددت وانه اصبح لزاما عليهم الاستقرار المؤقت على الاقل ، وتدبير امر السكن والمعيشة ، عل الغد ياتي بمعجزات تحملهم الى ديارهم وتبعدهم عن الشقاء المحيق بهم ·

مضت بضعة اشهر على المشردين وهم منتشرون في القرى الحدودية ، لكن السلطات اللبنانية قامت بابعادهم قسرا عن اماكن تواجدهم الى المناطق الداخلية ، في حين نقلت اعدادا كبيرة من سكان الجليلين الاعلى والادنى الى القطر السوري بالسكة الحديدية ، حيث جرى توزيعهم هناك في اماكن متعددة · اما في لبنان فقد اخذت السلطات بالتعاون مع الصليب الاحمر الدولي تعمل على انشاء المخيمات على اراض اميرية كما تم نقل الكثيرين الى اماكن كان يشغلها قبلا مهجرو الارمن في محلتي الرشيدية والبعض في منطقة صور وتم نقل قسم اخر الى ثكنات عسكرية شاغرة تعود الى زمن الفرنسيين في منطقة البقاع ·

من الملاحظ ان هذا التوزع تم بعضه طوعيا وبعضه جرى قسريا · ولقد تمركز ابناء القرية الواحدة والحي الواحد في الغالب في مكان واحد خاصة الاقارب ، هذا بالنسبة للريفيين ذوي الدخل المحدود اما الميسورين الاغنياء منهم والتجار ، الحرفيون والمثقفون فقد انتشروا في المدن خاصة بيروت وقد حملوا معهم رساميلهم ، وخبرتهم ، فاسسوا المتاجر والمصارف والشركات ، واصابوا قدرا كبيرا من النجاح ولعبوا دورا فعالا في النشاط الاقتصادي اللبناني ، وكانوا سببا في ازدهاره ونموه ، واصبح لبعض المؤسسات دور هام فيما بعد ، كان ابرزها بنك انترا ، وشركة اتحاد المقاولين ، وشركة التأمين العربية ، وكما ساهم هؤلاء في حقولهم الاقتصادية بانعاش الاقتصاد اللبناني ساهم المثقفون والحرفيون بدور فعال ايضا من خلال عملهم في لبنان او في دول النفط ، اضافة الى مساهمة اهل المخيمات في انعاش الزراعة في المناطق القريبة من المخيمات وذلك بخبراتهم الزراعية وعملهم باجور متدنية ·

ثكنة « هاني شقير » تصبح مخيم ضبيه

تتفرع من طريق بيروت طرابلس قبيل نهر الكلب بحوالي نصف كيلو متر تقريبا طريق جانبية تتجه شرقا حوالي مائتي متر حيث كانت هناك ثكنة عسكرية صغيرة كانت تستغلها قوات فرنسية ابان الحرب العالمية الثانية على ارض يمتلكها دير مار يوسف البرج التابع للرهبانيات المارونية · تحيط بها اراض زراعية ضيقة · كانت الثكنة مكونة من عـــدة وحدات خشبية ، سقفها من الزنك · لقد اسكن فيها قبل ان تصبح مخيما بين عامي ٤٨ ـ ١٩٤٩ مهجرون لبنانيون من قرى لبنانية حدودية منها عديسة ، هونين ، بليدا ، بسبـــب احتلال اسرائيل لقراهم انذاك · وما لبث هؤلاء ان عادوا خلال عام ١٩٤٩ بعد تسويـــة امورهم وعودتهم الى قراهم ، واصبحت بذلك الثكنة خاوية ·

التأسيس والاهداف

لم يكن تخطيط مسبق عند قيام اكثر المخيمات عام ١٩٤٨ بالنسبة للطائفة او المنطقة ، لقد كان عامل التجمع بين الاقارب واهل القرية الواحدة وسكان الحي الواحد هو العامل الاقوى في التمركز بالمخيمات والدليل على ذلك ان مخيمي الرشيدية والبص ضما تجمعات من قرى فلسطينية معينة ومن عدة طوائف ·

ولقد صادف اثناء الترحيل القسري عن الحدود اللبنانية الجنوبية الى القطر السوري نقل عدد من العائلات الفلسطينية المسيحية منها ما هو من حيفا ، ويافا ، وصفد ، وقرية البصه ، الى أماكن متعددة في انحاء سورية ، وكان ان استقرت بعض العائلات المسيحية في مخيم النيرب القريب من حلب لفترة ، وما لبث ان جرى نقل بعضها الى بلـــــدة جرابلس في شمالي سوريا حيث اعتبرت هذه الجماعة ضيفة على البلدة وقدمت لهـــا المساكن مجانا كذلك المساعدات العينية على مدى عام تقريبا . لكن هؤلاء شعروا انهـم مشتتون بعيدون عن اكثرية انسبائهم واهل قراهم ومدنهم المتواجدين في لبنان فآثـــروا الانتقال الى مقربة من ذويهم ، ونشطوا في الاتصالات والمراجعات ، ووجدوا اذنا صاغية لدى المراجع الدينية ، التي اجرت بدورها اتصالات بالصليب الاحمر اللبناني وبالسلطات اللبنانية ، وتم الاتفاق على نقل العائلات التي استقرت في جرابلس وبعض العائـــلات المسيحية التي بقيت في النيرب الى ثكنة هاني شقير في ضبيه ، ولم يكن العدد الاجمالي لهذه العائلات التي استقرت في المخيم الجديد بعد وصولها من سوريا اكثر من خمس عشرة عائلة مسيحية صرفة معظمها من قرية البصه ، وبينها عائلتان لبنانيتان من اللبنانييـن الذين عاشوا في فلسطين وحصلوا على بطاقات تموينية من وكالة الاغاثة الدوليـــــة « الاونروا » ·

لقد اصابت هذه العائلات نجاحا نسبيا في المجال المعيشي وذلك لقربها من بيـــروت حيث فرص العمل متوفرة بانتظام وللطلب المتزايد على اليد العاملة الفلسطينية نظـــرا لقلة الاجرة المعطاة للفلسطيني قياسا باللبناني · ولقد اغرت فرص العمل هذه الكثيرين من اقرباء وانسباء وابناء بلدان هذه العائلات المتواجدين في مختلف المناطق اللبنانيـــة ببذل جهود متواصلة للانتقال الى هذا المخيم الجديد طمعا بالعمل المتوفر ، وتخلصا مـــن دفع البعض ايجارات لا طاقة لهم على تحملها ، ورغبة في تعليم ابنائهم بعد انشـــاء مدرسة مجانية في المخيم تابعة للبعثة البابوية . وتقديم البعثة هذه بعض المعونات العينية شهريا مع البسة · لقد لاقت رغبات الناس هذه تجاوبا مع المراجع الدينية التي سهلت

امر الانتقال وشجعته بالتنسيق مع وكالة الاغاثة الدولية والسلطات اللبنانية ، واصبح المجال مفتوحا لكل لاجىء مسيحي في الانتقال الى المخيم الجديد اذا اراد ذلك ، ولقد تم في مطلع الخمسينات انتقال عدد من العائلات المسيحية الفلسطينية بشكل افرادي وجماعي من عدة مناطق الى المخيم المذكور ، وخاصة من قرى البه وميه وميه والهلالية ، والبروميه في قضاء صيدا ، ومن الدامور ، والشويفات ، وبيروت ، ومن مخيمات الرشيدية والبص وعين الحلوة ، وبذلك بدأ عدد سكان المخيم يزداد تدريجيا ، ولم تعد الوحدات العسكرية الخشبية كافية لايواء الجدد ، فاخذت وكالة الاغاثة الدولية « الاونروا » تقدم الخيام لكل عائلة جديدة تصل الى المخيم ٠

انه لمن المؤكد ان الحوافز الدافعة الى التحرك المستمر الى المخيم المذكور انما كانت التعليم المجاني ايضا والحصول على اعانات عينية شهرية من البعثة البابوية ، امـا الاجتماعية فهي قائمة على الرغبة في اقامة الاقارب وابناء القرية الواحدة والحي الواحد معا ٠ لكن الجانب الاخر الذي وفر المكان وسهل النقل واجرى الاتصالات مع وكالة الاغاثة والسلطات الرسمية عنيت المراجع الدينية كان له اهداف متباينة لا يمكن القول انها رسولية انسانية ، انها طائفية تمشيا مع الوضع الطائفي في لبنان ، وهي تحمل في ثناياها اهدافا سياسية ٠ لعل اهمها سلخ الفلسطينيين المسيحيين عن بقيةالفلسطينيين واستقرارهم في مناطق منعزلة لاحتوائهم طائفيا وتذويب شعورهم القومي ، ودمجهم بالبيئة الجديدة وتسهيل اعطائهم الجنسية اللبنانية وبذلك تنقطع تدريجيا جذورهم الفلسطينية ، ويصبحون مشدودين الى التيار الطائفي يدينون له بالولاء ، لا قضية قومية عندهم ولا نزعة وطنية لديهم ٠ وليس صدفة نشوء ثلاثة مخيمات فلسطينية مسيحية المعتقد في لبنان هي ضبية ، جسر الباشا ، مار الياس اذ لا يمكن حدوث ذلك عفويا دون دوافع معينة وتخطيط مدروس ٠

انه لمن المفيد ان نعتمد تقسيم حياة المخيم زمنيا الى مرحلتين وذلك بسبب بقاء المخيم قرابة ستة اعوام في ثكنة هاني شقير وحولها وهذه سنعتبرها المرحلة الاولى ، تم نقله الى منطقة قريبة اعدتها الاونروا بالاتفاق مع مالك الارض دير مار يوسف البرج التابع للرهبانات المارونية وهذه سنعتبرها المرحلة الثانية ٠ اما الهدف من النقل فيعود الى امرين : اولهما ضيق الرقعة وعدم اتساعها لمزيد من المتنقلين الجدد وثانيهما : رغبة الدير في بيع الارض بعد ان ارتفع سعرها وكثر اقبال المشترين عليها لقربها من طريق بيروت ــ طرابلس بعكس الارض التي تم بناء المخيم الجديد عليها عام ١٩٥٦ فهي جبلية وعرة وبعيدة نسبيا عن الطريق العام ، وسعرها متدن ، زيادة على ذلك الافادة من استصلاح منطقة جبلية على حساب الانروا واستئجارها من الدير وايصال المياه لها وله على نفقة وكالة الاغاثة ، واخيرا يصبح تمركز الفلسطينيين منفصلا كليا عن تواجد اللبنانيين الذين كانت بيوتهم شبه متلاصقة مع المخيم الاول ٠

المرحلة الاولى ١٩٤٩ ــ ١٩٥٦

استمر التدفق على المخيم بين عامي ٤٩ ــ ٥٦ للعوامل الاقتصادية والاجتماعية المشار اليها سابقا ٠ ولم تعد المساحة المخصصة اصلا للمخيم كافية لاستيعاب قادمين جدد ، الامر الذي جعل عدة عائلات تستأجر بيوتا قريبة من المخيم ، هكذا بقي المخيم خلال ست سنوات في تزايد سكاني مستمر نظرا لكثرة الوافدين اليه ، ولارتفاع نسبة المواليد

فيه ، في حين ان النزوح عنه كان شبه معدوم ، فالمداخيل محدودة لا تسمح بالاستئجار في بيروت وجوارها اضافة الى اعباء التعليم ، والسفر الى مناطق النفط كان محدودا والهجرة الى الخارج لم يكن لها وجود .

لقد تعدت نسبة الزيادة السكانية الناتجة عن ارتفاع عدد المواليد الى عدد الوفيات ٤٪ فسكان المخيم معظمهم اهل ريف في الاصل . ومستوى المعيشة منخفض عندهم ، والتصور للغالبية ان كثرة الانجاب بحد ذاتها عامل اقتصادي ناجح لتزايد الايدي العاملة . ويمكن القول ان عدد سكان المخيم قد ارتفع في اواخر هذه المرحلة الى اكثر من الف ومائتي نسمة ، كان من ضمنها سبع عائلات لبنانية الاصل تحمل بطاقات تموينية من وكالة الاغاثة . اما بلدان سكانه الاصلية فاغلبيتهم الساحقة من قرية البصة قضاء عكا والباقون من حيفا ، ويافا ، والناصرة . ويجدر بنا للتعرف على احوال المخيم في هذه المرحلة ان نتناول الجوانب المختلفة لاوضاعه الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية ، مبتدئين بالنواحي الاجتماعية .

١ ـ الاوضاع الصحية .

أ ـ التطبيب : اشرف الصليب الاحمر الدولي خلال السنة الاولى من تأسيس المخيم على الرعاية الصحية ، فكان يزور المخيم بين الحين والاخر طبيب يقوم بمعاينة المرضى وتقديم ما هو متوفر لديه من دواء . ثم انيط الامر بوكالة الاغاثة الدولية حيث اصبح في المخيم عيادة وممرضة وقابلة مع طبيب يزور المخيمات للمعاينات الطبية مرتين الى ثلاث مرات اسبوعيا : اما المرضى الذين بحاجة الى مستشفيات فكانوا ينقلون الى بعض المستشفيات اللبنانية الخاصة التي تعاقدت وكالة الاغاثة الدولية معها ومنها مستشفى الشرق ، مستشفى مار الياس . ولم تكن معاملات الدخول سهلة الى المستشفيات بل كانت تحتاج الى مراجعات متعددة لان المبدأ العام الذي درجت عليه وكالة الاغاثة ادخال الحد الادنى وعند الضرورات القصوى ، مع العلم ان المستشفيات التي تعاقدت معها وكالة الاغاثة هي من المستشفيات القليلة التجهيزات المنخفضة الرسوم ، وكان المرضى يرسلون الى الدرجة الرابعة مهما كانت حالتهم المرضية ، فالوكالة ليست مستعدة ان تدفع الا الكلفة الاقل ، وفيما يتعلق بالمعاينات التي كانت تتم في المخيم فلا اهتمام في فحص المرضى يذكر ، ولا ادوية كافية ومقبولة تعطى ، الطبيب يعاين في اقل من اربع ساعات قرابة اربعين مريضا ويقدم من الادوية ما هو متوفر لا ما هو ضروري للمريض . اما بالنسبة للحوامل فلم تكن ادنى عناية ، فالوضع اكثر ما يكون في البيت على يد القابلة وفي المستشفيات في الحالات الصعبة جدا عند تعسر الوضع ، اضافة لذلك كانت وكالة الاغاثة تشرف على عمليات التلقيح ضد الاوبئة السارية بين الحين والاخر وعند الضرورة .

ب ـ النظافة العامة : اشرفت وكالة الاغاثة على امور النظافة ، وذلك من خلال مراقب صحي واربعة عمال تابعين لارشاداته ، يقومون يوميا بجمع النفايات ، وتنظيف الحمامات العامة ، ورشها بمادة د.د.ت ، والاهتمام باقنية المياه في فصل الشتاء اضافة للسهر على نظافة الشوارع والساحات العامة .

ج ـ البنية الصحية للسكان : اتصفت الاوضاع الصحية للسكان خلال هذه المرحلة بانها كانت مرضية ، وبالرغم من تدني مستوى الدخل والتغذية وعدم توفر المسكن الجيد

والرعاية الصحية فقد كانت النسبة العامة من غالبية السكان تتمتع بصحة حسنة ، وكان الشباب يشكلون النسبة الكبرى في الهرم السكاني عددا ، ومما جعل هذه الاوضاع مقبولة طبيعة الموقع ، والوعي الصحي ، واليسر المادي النسبي الذي كان يتيح المجال لتغذية معقولة وتطبيب خارج نطاق الاونروا ·

٢ ـ **العمل : طبيعته وظروفه** : انحصرت فرص العمل اول الامر في المصانع القريبة ، وفي الاراضي الزراعية ، واعمال الصيد البحري ثم البناء ، ولم يكن اول الامر حرفيون باعداد تذكر ، لكنهم سرعان ما اخذوا يتقنون مختلف المهن من خلال الممارسة ، ولقد كانت فرص العمل سانحة نسبيا لرخص اليد العاملة الفلسطينية حيث لم يكن عمال سوريون انذاك ، اما الاجرة اليومية فكانت تتراوح بين ليرتين وثلاث ليرات للعامل وبين ليرة وليرتين للعاملة وللصغار · وعلى صعيد الوظائف التحق خمسة عشر شخصا في وكالة الاغاثة وفي حقل التعليم في مدرسة البعثة البابوية · ولم يسافر للعمل في الخارج سوى افراد قلائل لا يتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة ·

٣ ـ **التعليم** : مضت سنتان تقريبا على انشاء المخيم ، ولم تكن هناك مدرسة ، وبقي الطلاب بدون علم · وفي عام ١٩٥١ اسست البعثة البابوية مدرسة تابعة لها وكلفت الاب قرطباوي الاشراف عليها · كان بناء المدرسة عبارة عن سبعة غرف تبعد عن المخيم قرابة مائتي متر · وهي في الاصل جزء من الثكنة العسكرية الفرنسية · ابتدات المدرسة بصفوف ابتدائية ثلاثة مع صف حضانة ، ولم يتجاوز عدد تلميذاتها وتلامذتها المائة والثمانين طالبا انذاك ، اما الاساتذة فكانوا اربعة ، ولم تكن الدروس متماشية مع المنهاج الرسمي اول الامر · ولقد تميز الطلاب والطالبات بارتفاع معدل الاعمار بالنسبة الى الصفوف ، وذلك نتيجة لانقطاعهم عن المدارس قرابة الثلاث سنوات · كانت البعثة البابوية تقدم الكتب والدفاتر والقرطاسية مجانا ولا تتقاضى اية رسوم وكانت تشرف على اختيار الاساتذة وتدفع مرتباتهم ·ومع تزايد عدد الطلاب ازداد عدد الاساتذة والصفوف والتزمت المدرسة مع بداية عام ١٩٥٣ التقيد بالمناهج الرسمية اللبنانية ، وفي نهاية المرحلة الاولى عام ١٩٥٦ اكتملت الدائرة الابتدائية فيها واخذ طلابها وطالباتها يتقدمون لامتحانات السرتفيكا الرسمية ، وتشير احصائيات المدرسة في هذا العام الى ان عدد الطلاب ارتفع الى ٣٨٠ تلميذا وتلميذة وان عدد الاساتذة بلغ ثلاثة عشر ، وان المعدل الوسطي للصفوف كان ثلاثين طالبا ، كما ان شعب بعض الصفوف تعددت · اما الطلاب الذين لم تكن لهم صفوف فقليلون منهم من التحق بمدارس خاصة لمتابعة تحصيله العلمي ومنهم من انصرف الى العمل لضيق اليد وطمعا بالكسب المادي · هذا على صعيد المدرسة البابوية وعلى صعيد اخر تعليمي نشأت مدرسة انجيلية عام ١٩٥٤ قامت بتأسيسها ارسالية الكرمل الانجيلية التابعة لالمانية الغربية · وكان لهذه الارسالية وجود ونشاط في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كان لها مدارس في حيفا والبصة وقد اضطرت لاغلاقها عام ١٩٣٩ بسبب الحرب العالمية الثانية ونزوح الارسالية الى المانية · وفي عام ١٩٥٣ عاد المبشرون الانجيليون التابعون لهذه الارسالية والذين كانوا في قرية البصة الى لبنان واقاموا علاقات مع العائلات الانجيلية التي كانت على صلة بهم منذ ايام فلسطين ، وانشأوا بعد ذلك عام ١٩٥٤ مدرسة تابعة لارساليتهم خصصت لسكان المخيم وللراغبين من اللبنانيين في المنطقة ، وكانت المدرسة مجانية تقدم ما تقدمه المدرسة البابوية وبدأ تنافس فعلي بين المدرستين وبين الجماعتين ادى الى نزاعات طويلة · لقد كانت المدرسة الانجيلية مجاورة للمخيم الاول حتى عام ١٩٦٤ في بناية مستأجرة ، لكن الارسالية

اشترت ارضا وشيدت مدرسة نموذجية في مكان متوسط بين المخيمين ، واستمرت مجانية تماما كالبعثة البابوية تكتفي بما تأخذه من الانروا وهو عبارة عن ٣٥ ليرة عن كل تلميذ ابتدائي مسجل في سجلات وكالة الاغاثة و ٢٢٥ ليرة عن كل تلميذ في الصفوف المتوسطة والثانوية ، وتقوم بتغطية ذاتية للنفقات المتبقية من المعونات التي تصلها من المانيا . ولقد كانت اوضاع المدرسة من حيث الاساتذة والطلاب والصفوف كما يأتي عام ١٩٦٤ .

الدائرة الابتدائية : فيها ستة صفوف	عدد الطالبات والطلاب	١٥٠
الدائرة المتوسطة : فيها اربعة صفوف	عدد الطالبات والطلاب	٦٠
الدائرة الثانوية : فيها صفان	عدد الطالبات والطلاب	٣٠
	المجموع	٢٤٠

عدد الطلاب الفلسطينيين	٢٠٠
عدد الطلاب اللبنانيين	٤٠
عدد الاساتذة الفلسطينيين	١٠
عدد الاساتذة اللبنانيين	٥

اما الاشراف المباشر على سير التعليم فكانت تقوم به الاخت مرتا شريبر الالمانية ، وكانت المدرسة تعلم الالمانية كلغة ثالثة اضافة للانكليزية والعربية . كما ان الاخت المذكورة كانت تقوم بالتبشير الديني وتقديم بعض المساعدات للمعدمين اضافة لترتيب الصلوات واستحضار القسس والوعاظ على غرار ما كانت تقوم به البعثة البابوية من استحضار الكهنة والراهبات للغرض نفسه .

لقد اعتمدت الارسالية في بناءالمدرسة على الهبات والمساعدات التي جمعت من المانيا وعلى ثمن الممتلكات الالمانية التي كانت في فلسطين وبيعت بعد ١٩٤٨ . ولقد انتقلت المدرسة الى البناء الجديد عام ١٩٦٤ واستمرت بادارتها السابقة وقد اصبح عدد طلابها وطالباتها واساتذتها عام ١٩٦٦ كما يأتي .

الصفوف الابتدائية	٢٨٠ طالبا وطالبة
الصفوف المتوسطة	١٢٠ طالبا وطالبة
الصفوف الثانوية	٦٠ طالبا وطالبة
الفلسطينيون	٣٢٠ طالبا وطالبة
اللبنانيون	١٤٠ طالبا وطالبة
عدد الاساتذة	١٨ ، فلسطينيون ١٠ لبنانيون ٨

وحدث ان نشبت خلافات داخل الارسالية ادت الى اندماج القسمين المتوسط والثانوي بالمدرسة الثانوية الانجيلية التابعة للطائفة الانجيلية في لبنان . وقدمت الارسالية بناء مدرستها لهذه الطائفة مقابل اعفاء الفلسطينيين الانجيليين من الرسوم المدرسية وبقيت لارسالية الكرمل ، الالمانية مدرسة ابتدائية بين عامي ٦٧ ـ ٧٣ ثم دمج القسم الابتدائي المتبقي بالمدرسة الثانوية الانجيلية الوطنية .

ان الاهداف الظاهرية من اعمال ارسالية الكرمل والبعثة البابوية انما هي اعمال انسانية وتبشيرية .وقد تكون وراءها مقاصد سياسية اسوة ببقية اعمال التبشير التي بدأت في القرن التاسع عشر .

٤ ـ **النشاطات الاجتماعية** : كانت النشاطات الاجتماعية محدودة للغاية ، ولم تكن الاوضاع العامة تتيح المجال لاهتمامات غير العمل والتعليم ، ولقد اقتصرت هذه النشاطات على ناد رياضي ، كما ساهمت جمعية الشبان المسيحية بعد انشاء مركز لها ببعض النشاطات ، فقد اسست مكتبة للمطالعة ، ووسائل للتسلية والرياضة ، وتعليم الانكليزية والطباعة ، لكن نطاقها بقي محدودا وخدماتها بقيت ضيقة النطاق ٠

٥ : **الوضع العائلي والتراث** : حافظت العائلات في المخيم على تقاليدها الفلسطينية في كل مناحي الحياة ، بقي طابع الزواج المبكر قائما ، وحجم افراد العائلة كبيرا ، وبقيت الاهازيج الشعبية والاغاني هي نفسها التي كانت تتردد في فلسطين كذلك الامثال الشعبية ، وبقيت اللقاءات على النطاق اللبناني العام تتم في الاعراس والمآتم على صعيد القرية والمنطقة ، تأتي وفود وتذهب وفود جريا على العادات الفلسطينية ٠ وفيما يتعلق بالزواج فلقد انحصر في الغالب في الاطار الفلسطيني وفق التقاليد الفلسطينية فيما يتعلق بتفضيل الاقارب اكانوا من سكان المخيم ام من خارجه ، ويمكننا القول أن كل المظاهر بقيت فلسطينية حتى ليصح القول بأن المخيم هو اشبه بقرية فلسطينية خارج فلسطين لهجة وعادة وتقليدا ٠

٦ ـ **المرأة** : لم تكن المرأة الفلسطينية على وجه العموم تعمل خارج نطاق البيت والمزرعة في فلسطين ، ولقد دفعت الظروف المادية الصعبة المرأة للعمل في المصنع والمزرعة والمكتب ، ولقد كان اصحاب المصانع القريبه من المخيم يفضلون العاملات على العاملين لضآلة اجرة المرأة قياسا بالرجل وفي مجالات الزراعة كان التفضيل للعاملات للسبب عينه ٠ اما العاملات في المكاتب فكان عددهن محدودا ٠ وتجدر الاشارة الى ان معظم العاملات كن من متوسطات الاعمار اذ ان التقاليد حالت دون السماح للفتيات بالعمل ٠

وعلى صعيد حرية المرأة فقد اخذت تحظى بحرية اوسع من تلك التي كانت تحظى بها من قبل على كافة الاصعدة بالنسبة لها كزوجة ، وبالنسبة لها كابنة ، بحيث اصبح لها بعض الرأي في امر زواجها وعلمها وعملهاوفي الحقوق الزوجية ٠

٧ ـ **خدمات الانروا** : شملت هذه الخدمات توزيع المؤن الشهري وذلك لغير المنتجين العاملين ، وهذه بحد ذاتها غير كافية لحصول الانسان على الحد الادنى من الوحدات الحرارية ٠ واضافة للمواد الغذائية هناك الخدمات الطبية وقد اشرنا الى النقص وعدم الكفاية فيها ٠ وعلى صعيد اخر النظافة وهي مقبولة الى حد ما ، وهناك خدمات اخرى توقفت عنها في وقت لاحق هي تقديم المساكن والمساعدة بانشائها ، ثم المطعم الذي كان يقدم وجبة يومية للاطفال والضعفاء بناء على تقرير طبيب الوكالة مع توزيع الحليب لن هم دون الخامسة عشرة ٠ على ان خدمات الوكالة كانت في تقلص مستمر وكان العدد المستفيد يتناقص لقطع الاعاشة عن كل من يعمل هنا في لبنان او في الخارج ٠

٨ ـ **المخيم والجوار** : رغم ضآلة المسافة التي تفصل المخيم عن بلدة ضبيه المجاورة وبلدة زوق الخراب لم يقم تعامل يذكر بين سكان المخيم وبين هاتين الضيعتين ٠ ومرد ذلك الى الانغلاق والتقوقع عند غالبية سكان هاتين القريتين ، والنظرة الاستعلائية الى سكان المخيم على اعتبار انهم غرباء ، لاجئون ، سكان مخيم وهكذا كانت سياساتهم تقوم على تحاشي الاحتكاك بالفلسطينيين باستثناء بعض الحزبيين اليساريين واصحاب العمل ، ولقد ادى هذا الموقف السلبي الى البقاء في يقظة وحذر ٠ كما ان تباين الموقفين

نتج عنه منازعات وصدامات فردية حينا وجماعية حينا اخر وكان تدخل السلطة وسوق الفلسطينيين الى المخافر يزيد الفلسطينيين شعورا بمرارة الغربة والقسوة ، ولم تشفع تذاكر الهوية اللبنانية التي حصل عليها بعض الفلسطينيين في ابعاد نظرات الاستعلاء والازدراء التي كانت تلف كل من في المخيم ٠

٩ ـ **الاتجاهات السياسية** : استمرت فكرة العودة قوية في اوائل الخمسينات ، وكان الشعور الغالب بان القرار رقم ١٩٦ الصادر عن الامم المتحدة لا بد ان ينفذ وان امر الرجوع مفروغ منه ، لذلك لم تكن طموحات الاهلين اكثر من الحصول على الكفايات اليومية ، لكن الامل بدأ يخبو تدريجيا واصبحت الثقة بالقرارات الدولية ضعيفة ٠ وباتت القناعات الجديدة بان امر العودة لا يمكن ان يحصل الا بعمل عربي جاد خاصة وان الانقلابات العسكرية في البلدان العربية كانت تطرح بشكل دائم القضية الفلسطينية هدفا استراتيجيا لها ٠ وبقيت الامال معلقة على هذه الانتفاضات ، واستمر التصور العام بانها ستلعب دورا حاسما في اعادة الحق الفلسطيني الى نصابه ٠ ولكن الفتور من الوعود والبيانات شق طريقه الى النفوس واتجه سكان المخيم لتجديد الصلات بالمؤسسة الفلسطينية القائمة انذاك وهي الهيئة العربية العليا التي يرئسها الحاج امين الحسيني ، لاعتقادهم انها تلعب دورا ايجابيا في استرداد الوطن السليب ٠ بيد ان هذه الصلات سرعان ما فترت وضعفت لان سكان المخيم تلمسوا شيخوخة الهيئة وترهلها ٠

اما على صعيد التفاعل مع الاحزاب المتواجدة على الساحة اللبنانية ، فقد لقي الحزب السوري القومي الاجتماعي تجاوبا كبيرا مع التطلعات الفلسطينية في المخيم ويعود ذلك الى مبادئه التي تعتبر فلسطين ارضا سورية مغتصبة ، وتدعو لمحق الصهيونية من جهة ومن جهة ثانية لاكتشاف الفلسطينيين في المخيم بالممارسة حسن معاملة القوميين لهم وتعاطفهم معهم خلافا للمحيط العام ٠ ولم يكن في المنطقة احزاب يسارية سواه ٠ ونتيجة لذلك نشأت فروع للحزب في المخيم ونشاطات اعلامية واسعة فمن مهرجانات الى حلقات اذاعية ، وازدادت اواصر التعاطف والتعامل بين القوميين الفلسطينيين والقوميين اللبنانيين وامتدت الى كل ارجاء المتن الشمالي ٠ ولقد تنامى عدد الاعضاء في المخيم فوصل الى ثمانين عضوا واصبح التيار العام في المخيم يتعاطف كليا مع هذا الحزب ، الامر الذي زاد في معاداة احزاب اليمين للفلسطينيين وحملها على الضغط بكافة الوسائل على سكان المخيم والتضييق عليهم بشتى السبل ، فمن اقامة استعراضات في داخله للتحرش والاستفزاز الى حمل السلطة على تطويق المخيم وتفتيشه واجراء اعتقالات، الى تحديات سافرة فاصطدامات ٠ وهذه السلبية اليمينية ادت الى مزيد من الترابط والتلاحم بين الحزب المذكور وبين اهل المخيم بشكل عام ٠ وزادت نقمة اليمين عندما تحققوا ان الفلسطينيين الذين حصلوا على تذاكر لبنانية كانوا في كل دورة انتخابية لمجلس النواب او للبلديات يدلون بأصواتهم للقائمة المنافسة لقائمة اليمين والتي غالبا ما كان فيها مرشح للقوميين ٠

لقد ادى تباين المواقف والاتجاهات السياسية بين سكان المخيم وبين محيطه الى مزيد من التنافر والكراهية ، لا سيما ان الاهداف البعيدة التي قصد بها من اقامة المخيم والمنحصرة في تذويب الشعور الفلسطيني والقومي لدى سكان المخيم لم تتحقق وجاءت النتائج عكسية فاصبح سكانه مهتمين بالعقوق ونكران الجميل ٠ ولقد نتج عن جو التوتر هذا شخوص اكثر من زعيم يميني الى المخيم لاثبات الوجود وهز العصا الغليظة ، ومناصرة بعض اللبنانيين في المخيم الذين يحملون بطاقات انذروا بحجة انهم مظلومون

وفقا لادعاءات وهمية مدبرة · والغرض من ذلك الترهيب ولجم التيار الفلسطيني المتعاطف مع القوميين · لكن هذا التحدي وتلك الاستفزازات لم تغير شيئا من التلاحم والتعاطف ، واستمر جو التوتر والتنافر دائما ، والتزم الفلسطينيون بعدم التدخل في الشؤون اللبنانية ، اما الفلسطينيون الحائزون على تذاكر هوية لبنانية فلم يتدخلوا في الشؤون اللبنانية اللهم الا في الاقتراع مرة واحدة كل اربع سنوات ·

المرحلة الثانية ١٩٥٦ ـ ١٩٧٧

لم تعد ثكنة هاني شقير التي اصبحت مخيم ضبيه مع ما يحيط بها من مساحة ضيقة كافية لاستيطان وافدين جدد ، كما ان الرهبانية مالكة الارض كانت تريد نقل المخيم الى مكان اخر يخصصها ليتسنى لها بيع ارض الثكنة نظرا لارتفاع اسعارها ، وبعد مداولات بين الدير المالك والبعثة البابوية والانروا تم الاتفاق على ان تقوم الانروا باستئجار ارض جبلية وحرة قريبة من المخيم السابق واستصلاحها وهذه الارض يشاد عليها المخيم الجديد المعد لايواء كل سكان المخيم القديم وكل الذين يعيشون في مناطق قريبة ويدفعون اجرة سكن كذلك يفسح المجال لجميع الفلسطينيين المسيحيين المتبقين في مختلف المناطق اللبنانية وللبنانيين الذين يحملون بطاقات انروا ، وقد يكون الهدف من هذه العملية مشابها للهدف الاول من انشاء المخيم السابق فتكون تجربة ثانية ربما تؤدي الثمار المرجوة وتغير الواقع السياسي والاتجاهات القائمة ،·ومن ناحية ثانية يستفيد الدير من بيع ارض المخيم القديم ومن تأجير الانروا المساحة التي سيقام عليها المخيم الجديد ، انطلاقا من هذا التوافق في المصالح والغايات قامت الانروا ببناء المخيم الجديد وانجزت العملية خلال عام ١٩٥٦ ، وكان يختلف عن المخيم السابق في انه انشيء بتصميم مسبق وتخطيط مدروس واعد ليكون مخيما · كان هذا المخيم عبارة عن ١١٤ وحدة سكنية مبنية من حجارة الباطون وسقوف من الاترنيت الوحدة تتألف من عدة غرف ذات احجام متفاوتة ، وقد صممت الغرف وفقا لتعداد الانفار في كل عائلة · وجرى توزيع المساكن الجديدة على الشكل التالي :

من نفر الى نفرين غرفة واحدة
من ٣ انفار الى اربعة غرفة كبيرة
من ٥ انفار الى ٧ انفار غرفتان صغيرتان
من ٨ انفار الى ١٠ انفار غرفتان كبيرتان

ولقد جعلت هذه الوحدات صفوفا متوازية ، يفصل بينها اربعة شوارع متسعة · اما الحمامات فكانت عمومية ولم يسمح اول الامر باقامة حمامات منفردة خاصة · كذلك اقيمت مراكز للمياه في اماكن متباعدة ، بحيث كانت تصلها المياه من شركة مياه بيروت على نفقة الانروا لمدة ثلاث ساعات يوميا · ولقد بنت الانروا مدرسة جديدة تسلمتها منها البعثة البابوية المشرفة على التعليم في المخيم كما بنت كنيسة ·

بعد هذا الاعداد تم نقل سكان المخيم القديم على نفقة الانروابالتنسيق مع البعثة البابوية ، وبقيت وحدات كثيرة شاغرة ، وبدأ الانتقال اليها تباعا وعلى نفقة الانروا من مناطق شتى في اواخر عام ١٩٥٦ · كان بين المتنقلين خمسين عائلة من مخيم الرشيدية جلهم من اهالي البصة واقرت ، واربع عائلات من الميه وميه قضاء صيدا ، وعائلة من منطقة بعلبك · وتم بعد ذلك نقل ٢٥ عائلة معظمها من اصل لبناني يحمل

بطاقة انروا من قرى علما الشعب ، عين ابل ، القوزح ، في الجنوب اللبناني • ونتيجة لهذا التحرك الى المخيم ازداد عدد السكان وارتفعت نسبة اللبنانيين فيه • وبعد عامين بنت الانروا عشر وحدات جديدة وتم بالطريقة الاولى نفسها نقل عشر عائلات من منطقة النبطية ، ومن كفرشيما •

لقد كانت الحوافز عند الذين قدموا الى المخيم الجديد متعددة يغلب عليها الطابع الاقتصادي ، فالعمل في المناطق الجنوبية التي قدموا منها موسمي مرتبط بالزراعة ، بينما العمل في منطقة ضبية القريبة من بيروت متوفر على مدار السنة في المصانع ، اضافة لتوفر التعليم المجاني والسكن ورغبة بعض العائلات في التئام شملها • ويمكن القول ان هذه الحوافز مشابهة للحوافز الاولى عند سكان المخيم القديم ومن ناحية ثانية مشابهة لمقاصد الجهات التي كانت وراء انشاء المخيم الاول • وسنحاول الان اعطاء صورة متكاملة عن المخيم في الفترة الممتدة بين عامي ٥٦ ــ ١٩٧٦ عام استشهاد المخيم واحتضاره من جميع الجوانب الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية •

١ ــ **السكان** : تزايد عدد السكان خلال هذه المدة نتيجة لعامل الهجرة الى المخيم وعامل التزايد الطبيعي بالولادات المرتفعة ، واخذ السكان والقادمون الجدد يبنون على نفقاتهم الخاصة بيوتا جديدة في المساحة المستأجرة من الدير والمجاورة للمخيم • ولقد ادى تحسن الاوضاع الى انتقال بعض العائلات من المخيم الى بيروت والقرى المجاورة ولكن ذلك كان محدودا • واكثر الذين تركوا استقروا في مناطق قريبة ليتسنى لهم ارسال أولادهم الى المدرسة والبقاء على مقربة من انسبائهم في المخيم • ولقد وصل عدد هذه العائلات النازحة عن المخيم الى ستين عائلة ، ونتيجة لتحسن اوضاع بعض سكان المخيم ماديا من جراءً العمل في مناطق البترول بدأ التهافت على شراء اراض مجاورة للمخيم وبناء دور فيها لاستغلالها في التأجير • كما ان احداث ١٩٧٣ وما لحق بالمخيم من اضرار حمل اكثر من عشرين عائلةعلى النزوح الى مناطق مجاورة ، لكن معظمها عاد بعد هدوء الحالة والبعض لم يعد ، وهاجرت نهائيا الى خارج لبنان عائلتان واحدة الى الولايات المتحدة واخرى الى استراليا •

ومن الملاحظ ان نسبة الولادات قد قلت نتيجة لتحسن الاوضاع المادية والاهتمام بالتعليم العالي وتحمل تبعاته ، ومن مراجعة سجلات وكالة الاغاثة للمسجلين في مخيم ضبية والذين يسكنون فيه او على مقربة منه بتاريخ ٣٠ــ٦ــ٧٥ يتبين لنا ما يأتي :

عدد العائلات التي تتناول مخصصات الانروا كاملة ٤٦٢ عائلة ١٧٤٥ نفرا •

عدد العائلات التي تستفيد من خدمات طبية وتعليمية فقط ٧٩ عائلة •

عدد العائلات المحرومة من خدمات الانروا ٣٩ •

والجدول الثاني يوضح الاعداد بالانفار لغير المستفيدين من الانروا •

عدد الانفار المحرومين من خدمات الانروا ٦٩٠ •

عدد الانفار المستفيدين من التطبيب والتعليم ٣٥٢ •

انفار يسكنون وغير مسجلين ٤٩ •

المجموع ١٠٩١ •

عدد المستفيدين من الانروا ١٤٧٥ شخصا ٠

عدد غير المستفيدين من الانروا ١٠٩١ شخصا ٠

٢٥٦٦ عدد السكان الكلي ٠

ولقد تبين بعد سقوط المخيم في ١٤ ك٢ ١٩٧٦ وحدوث نزوح وافر منه ان عدد السكان فيه انخفض الى ٣٨٢ عائلة من اصل ٥٨٠ والى ١٧٧٨ شخصا من اصل ٢٥٦٦ وذلك وفقا لاحصائية جرت في اذار ١٩٧٦ ٠

ومن المفيد ان نذكر ان ثلاثين عائلة فلسطينية كانت قد حصلت على تذاكر هوية لبنانية في الخمسينات واوائل الستينات للحصول على العمل ، وان خمسا وعشرين عائلة لبنانية يحمل افرادها بطاقات انروا ، كان بين سكان المخيم ، ومن ناحية مذهبية فان ثلثي السكان هم من الروم الكاثوليك والثلث المتبقي من الموارنة الفلسطينيين واللبنانيين ومن الارثوذكس والانجيليين ٠ اضافة الى ست عائلات اسلامية استقرت في المخيم اواخر الستينات حيث كانت تعمل فيه مع الانروا ٠ وبعد سقوط المخيم بيد اليمين اللبناني في كانون الثاني ١٩٧٦ ونزوح قسم كبير من سكانه الى المنطقة الغربية والى خارج لبنان انتقل اليه قرابة ستين عائلة لبنانية غير مهجرة من قرى القليعة ، عكار ، الدامور ، بقاع كفرا واستقروا في المنازل الشاغرة ليكونوا قريبين من اعمالهم في مساكن مجانية قاموا باصلاحها ولا يزالون فيها ٠ والمساكن في المخيم معظمها من الاسمنت وهي متسعة تصلها المياه وفي اكثرها حمامات خاصة ، فهي ملائمة ومقبولة لسكناهم اما الذين نزحوا الى المنطقة الغربية فمنهم من استأجر منزلا وعددهم قليل ومنهم لا يزال يعيش في منازل يقطنها مهجرون حتى الان ٠

٢ ـ **العمل** : حدث تطور ملحوظ في ظروف العمل والدخل في الفترة الممتدة بين ١٩٥٦ ـ ١٩٧٦ ٠ ولقد امتازت هذه الفترة بالاتجاه لاحتراف المهن بحيث انعدم في السبعينات وجود اي عامل غير مهني ٠ وذلك نتيجة لدخل المهنيين المرتفع في لبنان وخارجه ، ولشدة الطلب على اصحاب الاختصاصات المهنية وتوافر مدارس التعليم المهني المجاني في سبلين التابعة للانروا وفي بيروت مركز تابع لاتحاد الكنائس الانجيلية ٠ كذلك ارتفعت نسبة اصحاب الكفاءات العلمية الذين اتاحت لهم ثقافتهم العمل في الحقل الوظائفي واصبح الحرفيون نقابيين مرتبطين باتحاد عمال فلسطين ٠ غير ان المداخيل المرتفعة في مناطق النفط والعمل المنتظم حمل الايدي المهنية الشابة للعمل خارج لبنان في مناطق النفط المختلفة ٠ في حين ان اكثرية المهنيين الذين دأبوا على العمل في لبنان اتجهوا في الغالب الى اعمال البناء بكل متفرعاتها ٠ ولقد امتازوا بالنشاط والذكاء وحذق المهن فأصبحوا لامعين في المجالات المهنية ٠ ولقد تركزت اعمالهم في بيروت وجبل لبنان في الغالب ٠ ولا تزيد نسبة العاملين في لبنان من الايدي الشابة على ٢٥٪ من مجموع العاملين في حين ان ٧٥٪ يعملون في بلدان النفط ٠

ويقدر عدد المهنيين بحوالي ٥٠٠ موزعين على الشكل التالي :

مقاولو بناء وتوابعه	١٥
عمال كهرباء	٥

نجارون عربي وافرنجي	٣٥
نجارو باطون	٣٠
حدادو باطون	٢٨٦
دهانون	٨٠
راديو وتلفزيون	٥
تبريد	٥
بناؤون	١٠
مورقون	٢٥
حدادة افرنجية	٤
لحام اكسجين وكهرباء	١٠
المجموع	٥٠٠

متوسط دخل المهني اليومي ٢٥ ليرة في لبنان

متوسط دخل المهني اليومي ٥٠ ليرة في الخارج

اما الموظفون فيمكن تصنيفهم على الشكل التالي :

مدرسون ٢٩ في مدرستي البعثة البابوية والثانوية الانجيلية الوطنية في ضبية

مدرسون ٧ في الانروا

موظفون ٨ في مكاتب الانروا بلبنان

موظفون ٤٠ خارج لبنان

موظفون ٥ في شركات محلية في لبنا

متوسط الدخل الشهري للموظف الف لير

متوسط الدخل الشهري للموظف الفا ليرة في الخارج

من الملاحظ ارتفاع نسبة المهنيين وذلك لسرعة اكتساب المهن ، وشدة الطلب عليها ، وارتفاع نسب مداخيلها · والطموح المتزايد للتحول الى المقاولات من خلال ممارسة المهن · في لبنان وفي مناطق النفط ، اذ قد اصاب البعض نجاحا مرموقا مما اثار حماس الاخرين ·

٣ ـ **الاوضاع الصحية** : تحسن ع الصحية في المخيم الجديد عما كانت عليه قبلا · فالمسكن الجديد افضل من ، كذلك الموقع ، اضافة الى تحسن الاوضاع الاقتصادية الذي ادى بدوره الى تحسن التغذية والتطبيب ، والوعي الصحي · واستمرت الانروا بالمساهمة في التطبيب وبقي طبيب الانروا يقوم بزيارات ثلاث معاينة السريعة اسبوعيا في عيادة تابعة لوكالة الاغاثة تقدم ما تيسر من الادوية · وهذه الافادة محصورة بالفلسطينيين الحائزين على بطاقات انروا تسمح لهم بالتطبيب والتعليم لان كثيرين قطعت عنهم خدمات الانروا بسبب حصولهم على دخل ثابت في لبنان وخارجه · على ان مستوى التطبيب ظل متدنيا واكثر الادوية غير موجودة ، ونظرا لتحسن اوضاع الناس المادية اخذت الاكثرية الساحقة تبتعد عن تطبيب الانروا كذلك بالنسبة للحالات

المرضية التي تستلزم دخول مستشفيات او من اجل التوليد ، فلقد اصبح الكثيرون لا يعتمدون على الانروا لصعوبة موافقتها على تحمل النفقات وتحسن الاوضاع المادية والاتجاه للاعتماد على النفس · كما ان وسائل التطبيب تحسنت بعد دخول الثورة الى المخيم حيث اصبحت فيه عيادة تابعة للهلال الاحمر الفلسطيني وصيدلية وطبيب مناوب اضافة الى ممرضتين · واخذت هذه العيادة تؤمن الخدمات الطبية يوميا وتقدم الادوية مجانا · واستمرت تعمل بانتظام من عام ١٩٧١ حتى سقوط المخيم في كانون ثاني ١٩٧٦ · وكان عملها وخدماتها افضل من عمل وخدمات عيادة الانروا ·

وعلى صعيد النظافة استمرت وكالة الاغاثة بالاشراف على امرها وكان لديها مراقب صحة مع خمسة موظفين ، يقومون بجمع النفايات وتنظيف الاقنية والحمامات ورشها بالادوية ·ويمكن القول بالتالي ان الاوضاع الصحية كانت حسنة اجمالا نظرا لتحسن الاوضاع اقتصاديا وثقافيا وسكنيا ثم لتوافر التطبيب والاهتمام المتزايد بالطب الوقائي وتزايد الوعي الصحي ·

٤ ــ **التعليم** : استمر تزايد الاقبال على التعليم بين عامي ٥٦ ــ ١٩٧٦ ولقد اصبحت نسبة الدخول الى الدائرة الابتدائية مائة بالمائة ، واتسعت المدرسة للبعثة البابوية بناء وتجهيزا بتزايد عدد الطلاب ، وتحولت تدريجيا الى مدرسة ثانوية فيها حتى الصف الثانوي الثاني المعد لتقديم البكالوريا الاولى · لقد وصل عدد طلابها في منتصف السبعينات قرابة الالف ، وتشعبت اكثر الصفوف بمعدل شعبتين لكل صف تقريبا في الدائرة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، واربع شعب لصف الحضانة · وبلغ عدد الاساتذة اثنين وثلاثين استاذا ومعلمة مع مديرين وكاهن وراهبات يشرفن مع الكاهن على التعليم الديني · وتجدر الاشارة الى ان حوالي مائة وخمسين طالبا وطالبة كانوا يأتون يوميا من مخيم جسر الباشا حيث لم يكن في مدرسة مخيم الجسر التابعة ايضا للبعثة البابوية دائرة متوسط وثانوية · ومن المفيد ان نذكر ان البعثة البابوية هي مؤسسة خيرية مقرها نيويورك وليس الفاتيكان كما يبدو من اسمها ، وهي برئاسة الكاردنال نولن الاميركي · ويساعده الاب فوستر ، ولها مكتب في رأس بيروت يشرف على ادارته السيد فلوخوبلس · اما اموالها فهي عبارة عن تبرعات تجمع من العالم الكاثوليكي خاصة من الولايات المتحدة · واهدافها الظاهرية خيرية انسانية ، بدأت نشاطها عام ١٩٤٩ فاسست مدارس في كل من الرشيدية ، وضبية وجسر الباشا والدامور ، وما لبثت ان اغلقتها باستثناء مدرستي جسر الباشا وضبية منذ منتصف الخمسينات · وذلك لان مدارس الانروا حلت مكانها ولان اعدادا كبيرة من الفلسطينيين تركوا المناطق التي كان لها فيها مدارس · كما انها كانت تقدم بعض المساعدات من مون وملابس بين فترة واخرى لوقت قصير · كما انها كانت تسهل امر الهجرة الى الخارج لمن يريد مقدمة مساعداتها : معاملات وجانب من نفقات السفر على شكل قروض ·

استمرت البعثة البابوية بادارة المدرسة وتغذيتها بالاموال المطلوبة ، ولم تكن تتقاضى الا رسوما زهيدة جدا ، مكتفية بما يصلها من تبرعات وما تأخذه من الانروا عن الطلاب وما تحصله من الطلاب الذين ليس بحوزة ذويهم بطاقات انروا ، واستمرت في تقديم الكتب للطلاب بدون مقابل حتى توقفها النهائي مع الاحداث في كانون الثاني عام ١٩٧٦ · وتجدر الاشارة الى ان غالبية طلابها كانت من الفلسطينيين ومن اللبنانيين الذين يحملون بطاقات انروا ، ولم يزد عدد اللبنانيين على ٢٪ · وفيما يتعلق بالتدرج من مرحلة الى اخرى نجد ان العدد الاجمالي ينخفض تدريجيا بعد المرحلة الابتدائية ويزداد انخفاضا

في المرحلة الثانوية . وذلك لان كثيرين يتحولون الى التعليم المهني المجاني بحيث ينهون التخصص بسرعة ويصبحون منتجين في فترة قصيرة ، ويحصلون على مداخيل مرتفعة نسبيا من عملهم في بلدان النفط . بدل الانفاق الكثير على التعليم العالي . وقد يكون وراء هذه الظاهرة عوامل اخرى كعدم مبالاة الاهل وحسن توجيههم لابنائهم ، كذلك ضعف توجيه المدرسة ، وضيق يد البعض . ومن النظر الى مراحل التعليم الثلاثة الابتدائية والمتوسطة والثانوية وعدد الطلاب فيكل منها يتبين ان نصف العدد الاجمالي تقريبا محصور في الدائرة الابتدائية وحوالي ٤٠٪ في المرحلة المتوسطة و ١٠٪ في المرحلة الثانوية . وان حوالي ٧ ٪ ممن ينهون المرحلة الثانوية يتجهون للجامعات في بيروت ومصر والولايات المتحدة . لقد تحسن المستوى التعليمي الثانوي في المرحلة الاخيرة واصابت المدرسة نجاحا حسنا في امتحانات الدولة الرسمية ، كما تحسنت فيها بعض النشاطات الرياضية ، والثقافية، هذا ونتيجة للاحداث الاخيرة توقفت المدرسة نهائيا حتى بعد توقف الاشتباكات ووصول قوات الردع الى مقربة منها وتمركزها في المدرسة الانجيلية المجاورة . ولقد عمدت القوى اليمينية بعد سقوط المخيم بايديها الى نهب كامل مقتنياتها وتجهيزاتها تماما كما حصل في المدرسة الانجيلية . وبعد استقرار الامن امتنعت البعثة البابوية عن ترميمها وفتحها من جديد رغم المراجعات المتكررة . وقد قامت بصرف جميع الاساتذة واعطائهم تعويضاتهم القانونية . كما قامت بنقل مكاتبها من رأس بيروت الى جونيه فجل الديب وابتعدت كليا عن القيام بأي دور انساني تجاه الفلسطينيين واصبح عملها محصورا ولاول مرة في النطاق اللبناني الامر الذي يثير الدهشة والاستغراب . فبدل من ان تضاعف خدماتها نظرا للاحداث الدامية وذيولها توقفت عن اي نشاط انساني وهي التي دأبت على رعاية المدرسة منذ اوائل الخمسينات .

لقد قامت الانروا بجهود لاعادة فتح المدرسة في المخيم فاصطدمت بموانع سياسية وضغوط فتخلت عن الفكرة ، وبقيت ضبية بلا مدرسة حتى كانون الاول ١٩٧٧ حين اتبعت المدرسة بمطرانية الروم الكاثوليك في بيروت ولم تعد فلسطينية ، واصبحت مدرسة لبنانية خاصة تتقاضى رسوما كبقية المدارس الخاصة وتقبل الطلاب من كل حدب وصوب . ورغم هذا التحول فقد قامت الانروا بترميم المدرسة وتجهيزها بالاثاث اللازم . وما الغرض من هذا التحول الا طمس الشخصية الفلسطينية المعنوية وربطها بالعجلة اللبنانية التربوية ، ومما يشجع على هذا الظن تغير اسم المخيم ، فلقد اصبح يعرف بحي مار يوسف البرج بعد ان كان لربع قرن يعرف بمخيم ضبيةوبعد ان اصبحت الغالبية فيه من غير الفلسطينيين .

٥ ـ **المرأة** ـ امتازت هذه الفترة الممتدة سحابة عشرين عاما ٥٦ ـ ٧٦ باقبال الفتيات على التعلم واصبحت نسبتهن ٤٥٪ من مجموع الطلاب ، واتجهت اكثر الفتيات بعد انهاء المرحلة المتوسطة والثانوية الى التخصص في اعمال السكرتيريا والتمريض والخياطة ، في حين ان اللواتي لم يستطعن التوصل الى المرحلة التكميلية اما لضائقة مالية ، او لعدم اهتمام الاهل بتعليم الفتيات تمشيا مع الذهنية القديمة فقد اتجهن للعمل في مصانع الاقمشة والكبريت بيد ان عددهن لم يصل الى الخمسين ، واستمرت المتقدمات في السن يعملن في الزراعة الموسمية ولم يرتفع عددهن عن العشرين .

أما في الحقل السياسي فقد اتجهت المتعلمات للعمل في صفوف الحزب القومي الاجتماعي قبل الثورة ثم في صفوف الثورة فيما بعد ، وتجدر الاشارة الى ان المحافظة على التقاليد والعادات التي حملها الاهل معهم من فلسطين استمرت مع انخفاض نسبي بالنسبة لحرية

المرأة ، إذ ان الاتجاه الجديد سار الى اعطاء المرأة حقوقا اشمل في امر الزواج والعمل ، وابداء الرأي ٠

٦ ـ **النشاطات الاجتماعية** : توسعت النشاطات الاجتماعية في المخيم وتعددت في هذه المرحلة ، وكثرت الاندية الرياضية التي شاركت في مباريات متعددة مع اندية فلسطينية ولبنانية ، كما تأسس فريق كشفي عرف باسم الكشاف الوطني الفلسطيني وهو تابع للنادي الثقافي الرياضي ٠ ولقد شارك هذا الفريق في كافة الاحتفالات والمهرجانات التي كانت تنظم في المخيم ٠ كما أسس النادي مكتبة لانعاش الناحية الثقافية بين اعضائه وفي المخيم٠ وكانت تقام ندوات ومحاضرات ومناظرات ثقافية وسياسية ٠ ولقد انشئت في فترة لاحقة مكتبة عامة ثابتة تابعة لحركة فتح ٠

٧ ـ **الاوضاع العائلية والاجتماعية** : اخذ حجم العائلة يتناقص عن ذي قبل ، واصبح المعدل الوسطي للعائلة خمسة ، وذلك نتيجة لتحسن الاوضاع المادية ، والاهتمام المتنامي بالتعليم العالي ونفقاته ، وقد ظلت التقاليد الفلسطينية مستمرة الى حد بعيد متمثلة بنمط الحياة في كل المظاهر فمن الاهازيج الشعبية في الافراح والاتراح ، الى المعايدات والمؤاساة ، الى التقاليد والعادات الى الامثال ، الى الزواج والاختيار وحصره نسبيا بالاقارب وبابناء القرية الواحدة بيد ان سن الزواج اصبح متأخرا نسبيا خلافا لما كانت عليه العادة في فلسطين ، لقد تميزت المحافظة على التقاليد والعادات بقوة طابعها عند الذين هم في الاصل من سكان القرى في فلسطين وذلك لبقاء اكثرية سكان كل قرية في المخيم متجاورين ، وكأن القرية الفلسطينية الواحدة اصبحت بزيها وعاداتها وتقاليدها ولهجتها مستمرة الوجود في لبنان ٠ ومن الملاحظ ان انفتاح سكان المخيم على المنطقة المحيطة به قد ازداد نسبيا عن ذي قبل واصبحت هناك علاقات ودية محدودة بين اهالي المخيم والمنطقة المجاورة ، خاصة بعد انتقال اعداد غير قليلة من المخيم واستقرارها في المناطق القريبة منه نظرا لعدم وجود متسع من الارض عائد للانروا لبناء مساكن جديدة ٠

٨ ـ **خدمات الانروا** : انحصرت خدمات الانروا في المخيم بالامور التالية وهي شبيهة بخدماتها الاخرى في بقية المخيمات ٠

أ ـ المؤن الشهرية ، تناقص عدد الذين كانوا يأخذون مخصصات الانروا الشهرية الغذائية وذلك بسبب ايقاف هذه المخصصات عن الذين حصلوا على اعمال في لبنان وخارجه وكانت تدر عليهم شهريا مبلغا يزيد عن المائتي ليرة ٠ ولقد اظهرنا في البيان الاحصائي العدد الذي كان اصحابه محرومين من المؤن التي توزعها الانروا شهريا والعدد الذي بقي يحصل على هذه المؤن ٠

ب ـ الخدمات الطبية : وقد اشرنا اليها سابقا وهي تنحصر في العيادة ، والتطبيب ، والتوليد وادخال المستشفيات ٠

جـ ـ النظافة : وهي منوطة بعمال الصحة الذين ينحصر عملهم بجمع النفايات والاهتمام بالاقنية والحمامات ٠

د ـ الحمامات : انشأت الانروا مركزا للاستحمام ، مؤلفا من عدة غرف ، استمر قرابة ثلاثة اعوام ثم اقفلته في اوائل الستينات ٠

هـ ـ المطعم : وهو للاطفال الضعفاء والمسنين الذين يختارهم طبيب الانروا ، يقدم هذا

المطعم وجبة غذاء واحدة يوميا ، وكمية من الحليب السائل لكل الذين دون الخامسة عشرة وقد اغلق عـــام ١٩٧١ ٠

٩ ـ **الاوضاع السياسية** : انحصر النشاط السياسي في الفترة الممتدة بيـــن عامـــي ١٩٥٦ و ١٩٦٢ بالحزب السوري القومي الاجتماعي وحده دون سواه ، ويعود ذلك لعدم وجود احزاب يسارية في منطقة المخيم عداه ، ومن الطبيعي الا يتعاطف الاهلون مـــع الاحزاب اليمينية لمواقفها العدائية من الفلسطينيين ولتباعد ايديولوجيتها عن تطلعاتهـم القومية واهدافهم الوطنية ، ولقد وجد الحزب السوري القومي الاجتماعي تعاطفا متزايدا نظرا لتطلعاته الفلسطينية واحترام افراده دون غيرهم للفلسطينيين عامة ، فوصل عـــدد افراده في المخيم الى تسعين عضوا ، وكان يقوم بنشاطات سياسية واسعة فمن مهرجانات، الى حلقات اعلامية الى توزيع المنشورات والبيانات والصحف والمجـــلات والملصقات ، واستطاع ان يستقطب تعاطف غالبية الاهلين نظرا لمبادئه السياسية والاجتماعية ، وحسن تعامل اعضائه مع الفلسطينيين ٠ لكن الانقسامات داخل الحزب اضعفت نسبيا نشاطه واخذ الفتور يتسرب الى اعضائه في المخيم في أوائل الستينات ٠ فقل الالتفاف حوله والانخراط فيه ٠ على ان النشاط عاد الى صفوف اعضائه عام ١٩٦١ ٠ غير ان السلطات اللبنانية بدأت في هذا العام بالضغط على الفلسطينيين للابتعاد عن التعاطي بالسياسة واخـــذت بعض الاجهزة تستدعي اعضاء الحزب العاملين وغير العاملين وتطلب اليهم بقـــــوة التوقف عن النشاط السياسي واعلان الانسحاب من الحزب في الصحف اللبنانية ٠ وبعـد تزايد حملة الضغط هذه اضطر العاملون من الاعضاء الى التخلي عن العمل العلنـــي واللجوء الى السرية ، فتقلص نشاط الحزب نسبيا وقل زخمه وتياره الدافق انذاك ٠ ثم جاءت محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها الحزب في لبنان في بداية عام ١٩٦٢ فكانت ضربة موجعة لاعضائه في المخيم اذ أعتقلوا جميعا وتحملوا من ظروف التعذيب الوانا ، فكان ذلك عاملا في شل نشاطه في اوساط المخيم ٠ وزاد الطين بلة التدبيرات التـي اتخذتها السلطات الرسمية باقامة مخفرين ثابتين في المخيم واحد تابع لقوى الامـــــن الداخلي ، واخر تابع لقيادة الجيش عام ١٩٦٢ ٠ فبات التحرك السياسي شبه مستحيل لشدة المراقبة ومغبة العواقب ٠ واستمر النشاط السياسي مجمدا حتى دخول الثورة الـى المخيم عام ١٩٦٨ ٠ وخلال هذه الفترة اقتيد كثيرون للتحقيق والترهيب دون ان يمارسوا اي نشاط سياسي كما منع الكثيرون من السفر للعمل في الخارج ، وامست السياســـة الرسمية المتبعة التضييق المتعمد والاذلال المتناهي ، وبات الانسان العادي من السكـــان يشعر بانه مراقب في كل خطوة يخطوها وفي كل عمل يقوم به ، ولم يعد يسمح لاحـد بتصليح سقف ينفذ الماء منه او نافذة دون الحصول على موافقة ونادرا ما كان يستحصل عليها ٠ ولقد تعاونت الاجهزة الرسمية مع الانروا ومديرية شؤون اللاجئين ـ وهمـــا الهيئتان اللتان تعنيان بالاحصائيات والقيود والمعاملات ـ للتمكن من التشدد في المراقبة ومعرفة كل شاردة وواردة ، حتى ان وكالة الاغاثة باتت لا تستطيع البت بأمر روتينـــي دون موافقة الاجهـزة ٠

خلال هذه الفترة السوداء ضاق سكان المخيم الامرين ، ولقوا تعسفا وارهابا واذلالا ، فكان يفرض مثلا على حاملي الهويات اللبنانية من الفلسطينيين اثناء الانتخابات النيابية او البلدية التصويت لمرشحي السلطة بالاكراه مع أن هؤلاء كانوا في الغالب من المعادين للفلسطينيين ٠ وبين عامي ٦٨ ـ ٦٩ تشكلت في المخيم خلايا لحركة فتح كانت غالبيـــة اعضائها من السوريين القوميين الاجتماعيين الذين جمدوا نشاطاتهم السابقة ، وتم في هذه

الفترة استدعاء الكثيرين للتحقيق والتعذيب · ومع ذلك فقد نمت خلايا فتـــح وتحولت مجموعات اخرى من القوميين الى هذه الخلايا ، فلقد رأت بعد خمود حركة الحزب وسجن قادته في حركة فتح تعبيرا عن تطلعاتها وتجسيدا لامانيها · واستمرت خلايا فتح تعمـل في السر حتى عام ١٩٦٩ حين خرجت الى العلن بعد ابعاد المخافر من ارض المخيم وقبيل اتفاقية القاهرة · وعمت الفرحة انذاك بزوال عهد الكبت والضغط والظلم وتنفس الناس الصعداء بذهاب أدوات التعسف والقهر وبالتنعم باجواء الحرية التي طال الاشتيـــــاق اليها ، ثم للتمكن من العمل العلني الواسع في سبيل القضية المقدسة وبدا الارتياح التام بقيام عهد جديد ينصرف فيه الجميع للعمل المنظم من أجل معركة الكرامة والتحرير وبات الناس يتصورون ان الطريق الى فلسطين اصبحت ممكنة وعاد الامل يغمر قلوب الجميـع بعد التيئيس المتعمد والمرارات السامة التي كابدها الناس طويلا · وبات بمقدور كل عائلة أن تعمل على تحسين مسكنها وتوسيعه بحرية وكان ذلك قبلا من المحرمات ·

لم يكن على ساحة المخيم من التنظيمات الفلسطينية حتى منتصف عام ١٩٦٩ ســوى حركة فتح · التي استقطبت وجدان الاهلين ، وجذبت اليها اكثرية السكان ، فاخـــذت تقيم المهرجانات والندوات الاعلامية فازداد عدد المنتسبين وبدأت باجــراء التدريـب لعناصرها وارسال دفعات من الاعضاء الى سوريا والاردن لمتابعة التدريـــب في دورات خاصة · والتحق البعض في صفوف الحركة مقاتلا متفرغا ، وسقط اول شهيد في الارض المحتلة عام ١٩٦٩ وسمي مخيم ضبية باسمه ابتداء من عام ١٩٧١ فاصبح يعرف بمعسكر الشهيد حنا عيد ، واقيم يومها احتفال جرى فيه رفع الستار عن نصب تذكاري للثـــورة يحمل اسم الشهيد واسمه الجديد بحضور القائد الشهيد ابو يوسف الذي القى كلمـــة بالمناسبة · ولمزيد من توضيح المرحلة اللاحقة قسمناها الى مرحلتين ·

المرحلة الاولى ١٩٦٩ ــ ١٩٧٣

استمر نشاط حركة « فتح » في هذه المرحلة بتزايد ملحوظ على كافة الاصعدة التدريبية منها والاعلامية والتنظيمية ، فعلى صعيد التدريب ازدادت التمارين اليومية داخل المخيم واستمرت في ارسال عناصرها لدورات متقدمة في سوريا والاردن والتحقت بعض هذه العناصر بقواعد المقاتلين وخاضت معارك عمان وسقط الشهيد منير صباغ عام ١٩٧٠ في الاردن· وكانت الميليشيا التابعة لها تقوم طيلة هذه الفترة مع بقية التنظيمات بأعمال الحراسة الليلية المستمرة تحسبا لتسلل صهيوني · وعلى الصعيد الاعلامي استمرت باقامة الندوات والمحاضرات والمهرجانات وتوزيع البيانات والمنشورات اضافة للصحف وانشأت جريدة حائط يومية · وعلى صعيد التنظيم فقد ارتفع عدد المنتسبين ويمكن اعطاء صورة واضحة عنه بتفرعاته التي تعددت ·

أ ــ المليشيا : وصل عدد افرادها المتواجدين في المخيم الى مائة وخمسين عنصرا ، ودأبوا على التدريب والقيام بالحراسة اضافة الى النشاطات الاعلامية التي نقلوها الـى خارج المخيم واقاموا خلالها للحركة في الاوساط اللبنانية في منطقة المتن الشمالي ، تعاونت مع الحزبين المتواجدين في الساحة اللبنانية وهما الحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي اللبناني ·

ب ــ انشأت الحركة عام ١٩٦٩ تنظيما نسائيا اقتصر نشاطه في حقول التوعية ، والاعلام والاشغال اليدوية للمعارض التي كانت تقيمها الحركة ووصل عدد المنتسبـات الى خمسين عضوة ·

ج ـ التنظيم الطلابي ـ نشأ هذا التنظيم عام ١٩٦٩ ونما بسرعة ووصل اعضاؤه الى السبعين وهو مستقل جزئيا عن التنظيم العام · اقتصر نشاطه على الاعلام والتوعية ، والتدريب وكان الطلاب يقومون بالحراسات والاستنفارات ·

د ـ تنظيم الطالبات : تم قيام هذا التنظيم عام ١٩٦٩ وارتفع عدد المنتسبات الى الاربعين ساهم هذا التنظيم في التوعية الاعلامية ، والخدمات الاجتماعية وجرى تدريب اعضائه على الاسعافات الاولية واعمال التمريض ، وقام بخدمات جلـى من نواح اجتماعيـة متعددة ·

هـ ـ تنظيم الاشبال · وقد انشيء عام ١٩٦٩ وكان لمن هم دون الخامسة عشرة وارتفع عدد المنتسبين اليه الى ثمانين شبلا ، كان القائمون على امره يقومون بتدريب عناصـره على الاعمال الكشفية والرياضية اضافة الى التوعية والتثقيف ، والتدريب على حمـل السلاح ·

و ـ تنظيم الزهرات : انشيء عام ١٩٦٩ وهو مقتصر على الطالبات اللواتي دون الخامسة عشرة · شبيه بتنظيم الاشبال في نشاطاته وقد ارتفع عدد طالباته الى الخمسين·

ز ـ مكتبة عامة : اسست حركة فتح مكتبة عام ١٩٧٢ ، ضمت كتبا متنوعة ثقافيـة ، علمية ، ادبية ، ثورية ، اضافة لمنشورات الثورة وبياناتها ·

ح ـ العمل النقابي : نشطت الحركة ابتداء من عام ١٩٧٠ في توجيه اعضائها وغيـر اعضائها العاملين الى الانتساب الى اتحاد عمال فلسطين بحيث اصبحت الاكثرية مرتبطة بهذا الاتحاد · كما شجعت المعلمين للانتساب الى الاتحاد الخاص بهم ·

التنظيمات الاخرى

أ ـ الصاعقة : نشأ هذا التنظيم في المخيم في اواخر عام ١٩٦٩ واصبح له ميليشيا وصل عدد اعضائها الى الثلاثين شاركت في اعمال الحراسة والاستنفارات · وكان لهذا التنظيم نشاط اعلامي فأقام مهرجانات وندوات في مناسبات مختلفة ··

ب ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : نشأ هذا التنظيم في المخيم عام ١٩٧٠ ، واصبح له ميليشيا وصل عدد اعضائها الى الثلاثين ، ومارست اعمال التدريب والحراسـة بالتنسيق مع المنتظمين السابقين ، واهتم هذا التنظيم بالنشاط الاعلامي والتوجيهي فأقام الندوات والمهرجانات والمحاضرات ·

هذا على صعيد التنظيمات اما في المجالات الاخرى فقد اصبح في المخيم مركز للكفاح المسلح بعد اتفاق القاهرة عام ١٩٦٩ وانحصر عمله بالنواحي الامنية والنظاميـة وكان الصلة الرسمية بين المخيم والسلطة اللبنانية · وفي المجالات الاجتماعية انشأ الهـلال الاحمر الفلسطيني عيادة طبية عام ١٩٧١ استمرت في نشاط متزايد حتى سقوط المخيم في كانون الثاني ١٩٧٦ وقامت بخدمات طبية مجانية مع تقديم الادوية ولم تكن وقفا على الفلسطينيين وحدهم بل كانت لجميع سكان المنطقة ، وكان التطبيب فيها يوميا حيث كان طبيب متفرغ للمعاينة مع ممرضتين · ولقد ساهمت في حقلها مساهمة حسنة وكان لهـا دور في تحسين الاوضاع الصحية في المخيم ·

المخيم والجوار

امتازت فترة السنوات الاربع هذه ٦٩ ـ ١٩٧٢ بعلاقات ودية بين المخيم والمحيط الذي يجاوره ٠ لقد كان هناك تخوف في اول الامر بسبب قيام الثورة العلني في المخيم لكن هذه المخاوف تبددت تدريجيا وبسرعة وذلك بفضل الانضباط والوعي ، وحسن التصرف فلم تقع اية حادثة بين سكان المخيم ومحيطه ٠ لكن هذا لا يعني ان الفئات المناوئة اليمينية قد بدلت مواقفها العدائية ، فلقد قامت بعض الاستفزازات والتحرشات امكن السيطرة عليها بتجاهلها ولم تحدث ردود فعل ، وعلى سبيل المثال لا الحصر خطف ثلاثة فلسطينيين من اماكن عملهم في انطلياس وجرى الاتصال برئيس بلدية ضبية الذي اجرى اتصالا بالسلطات الرسمية بناء على طلب المخيم بأعيد المخطوفون بدون اية ردة فعل ٠ وبالرغم من الاعلام المعادي استمرت الالفة قائمة بشكل عام ولم تكن هناك تجاوزات او مخالفات ، وبقي الجو بعيدا عن التوتر الى ان وقعت احداث ١٩٧٣ ٠

احداث ١٩٧٣

تحركت وحدات من الجيش اللبناني بعد ظهر الثاني من ايار ١٩٧٣ باتجاه المخيم بعد اشتباكات دامية في بيروت ، وكان الوضع طبيعيا جدا في منطقة المخيم ٠ واخذت آليات الجيش تقترب منه من عدة جهات ، وكان التصور ان هذا التحرك يراد به احتلال المخيم والسيطرة عليه ، فتوزعت عناصر التنظيمات على اطراف المخيم تحسبا للطوارىء ٠ وباقتراب الاليات من عناصر الحراسة التابعة للتنظيمات بدأت الاشتباكات بقصف مدفعي من عدة مرتفعات محيطة بالمخيم اضافة الى نيران الاليات ٠ ومما يؤكد الرغبة في ضرب المخيم قيام الجيش قبل يوم واحد من الهجوم بقطع سياج من الاشجار الباسقة لبستان ليمون قريب من المخيم ، يحجب هذا السياج الرؤية داخل المخيم من الاماكن المجاورة ٠ استمرت المعركة يومين وليلتين ولم تكن في المخيم سوى اسلحة خفيفة وذخائر محدودة ، وتمكن الجيش بمساندة الانعزاليين من شق طريق خارج المخيم الى دير مار يوسف البرج المرتفع على قمة مطلة على المخيم وقريبة منه فاقام هناك نقطة ثابتة اضافة الى نقطتين ثابتتين غربي المخيم لرصد كل حركة وابقائه شبه مطوق ٠ وبقيت هذه النقاط الثلاث حتى احداث كانون ثاني ١٩٧٦ حيث كانت عاملا اساسيا في سقوط المخيم لمشاركتها الفعالة والقوية في مساندة هجوم اليمين وتنسيقها معه ٠

لقد كانت حصيلة المعركة سقوط ثلاثة عشر شهيدا ، وثلاثة مدنيين اثنان سقطا قنصا والثالث لاقى حتفه تحت التعذيب ٠ اما عدد الجرحى الذين دخلوا المستشفيات فكان خمسة ٠ كما نتج عن القصف خسائر مادية فتهدمت عشرات المنازل واحترقت اخرى ، ونتج عن ذلك نزوح اربعين عائلة الى خارج المخيم ، لكن غالبيتها الساحقة عادت اليه بعد اشهر قليلة ٠ ونتج عن هذه الاحداث جو من الحذر والقلق لم يكن موجودا من قبل ، وظهر نوع من الحساسية في المحيط المجاور ، تحول بالتدريج الى بغض وكره « للغرباء » الذين قاتلوا الجيش على اراض لبنانية وبتزايد التعبئة الاعلامية عبر صحف اليمين والاذاعة والتلفزيون تضاعفت موجة السخط على سكان المخيم واكبر دليل على ذلك ان امرأة من الجوار قتلت في بيتها برصاص طائش اثناء المعركة وارادت الثورة مساعدة ذويها وتقديم مخصص شهري لهم ، فكان جوابهم الرفض وحملوا « الغرباء » المسؤولية على اعتبار ان وجودهم المسلح في المخيم ادى الى الصدام مع السلطة اللبنانية ٠

المرحلة الثانية ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦

لم يعد مع الهدوء النسبي الى لبنان بعد احداث ١٩٧٣ الصفاء النسبي الذي كان قائما · لقد خيم جو من التوتر والقلق نتيجة للتعبئة اليمينية الناشطة ، التي شرعت باقامة المخيمات التدريبية وبدأت بتوزيع السلاح وشحذ النفوس بمعاداة «الغرباء» والدعوة جهرا للقضاء عليهم والتخلص منهم · كما تصاعدت الغارات الاسرائيلية على المخيمات وتزايدت عمليات التسلل الصهيوني اليها · ولقد توافق ذلك مع الحملات الاعلامية المضادة واتخذ مادة اعلامية تحمل الفلسطينيين الاسباب وتذكر بالنتائج التي تلحق بلبنان الاقتصادية منها والامنية ·

اما في المخيم فقد ازدادت اوضاع الحيطة والحذر في هذه المرحلة ، فقامت التنظيمات بحراسات ليلية مشددة من جهة ومن ناحية ثانية اهتمت باعادة بناء الثقة والمودة مع المحيط المجاور مشددة على الانضباط متمسكة بالابتعاد عن اي استفزاز وعدم الرد على اي استفزاز وتحاشي اي صدام مهما كانت التحرشات · وتحسبا للغارات الجوية على المخيم قامت الثورة بانشاء ستة ملاجىء من الاسمنت المسلح كان المدنيون يلجأون اليها عند التحسب لكل طارىء · وظهر على ساحة المخيم في هذه الفترة تنظيم جديد هو الجبهة العربية اقتصرت على ميليشيا تابعة له لم يزد عدد اعضائها عن العشرة · وعلى صعيد منطقة المتن الشمالي تزايد نشاط خلايا حركة فتح وازداد افرادها كما زاد التعاون والتنسيق مع الحزبين اللبنانيين السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي اللبناني فكانت لقاءات مستمرة مع تنظيم فتح في المخيم للتشاور والتعاون وتبادل المعلومات وكان من المكن ان يزداد هذا التعاون ويتوثق اكثر وتصبح له فاعلية اقوى لولا مداهمة الاحداث في لبنان وانتشارها السريع وتمكن اليمين وفق استراتيجيته من الالتفاف على الجيوب الوطنية تباعا والقضاء عليها ·

لقد فرزت احداث ١٩٧٣ الاتجاهات في المنطقة المحيطة بالمخيم وتحددت في خطين : الخط الاول وهو عبارة عن التنظيمات المتواجدة في المخيم والتي اصبح لبعضها خلايا منتشرة في المناطق المحيطة والحزبين المتعاطفين مع الثورة الفلسطينية ويمكن ان نضيف اليهما بعض الاصدقاء اللبنانيين الحياديين الذين استطاعت التنظيمات ان تكسب احترامهم وتقديرهم نتيجة للممارسات الحسنة والتشاور المتبادل لما فيه هدوء المنطقة وامنها وخير سكانها جميعا · والخط الثاني وهو عبارة عن احزاب اليمين التي دأبت بعد احداث ١٩٧٣ على التعبئة النفسية المعادية لكل ما هو فلسطيني وانتقلت بعد ذلك للتعبئة العسكرية وتوزيع الاسلحة · من هنا كان التنافر والتجافي لاختلاف المواقف بين هذين الاتجاهين وتباين التطلعات بينهما ادى الى توتر الاجواء وانعدام الثقة وتحكم الغريزة ·

ومع بداية الاحداث في نيسان ١٩٧٥ ازداد التجافي وتصاعدت الروح العدائية وخيم التوتر المستمر على المنطقة ، بيد ان تعليمات الثورة المشددة والتي تقضي بالامتناع عن اي استفزاز وتحاشي الانجرار الى اي صدام ابقت الوضع هادئا ، ولقد لعب الاصدقاء الحياديون اللبنانيون دورا بارزا في التهدئة وطرحوا شعار ابقاء المنطقة في سلام ووئام بعيدة عن النزاع · وكان تجاوب مسؤولي التنظيمات معهم كبيرا وامتد التعاون للقيام بأعمال انسانية بعيدة عن المنطقة ، وعلى سبيل المثال ، اتصالات اجراها مسؤولوا التنظيمات مع قياداتهم للافراج عن عدد من المخطوفين اللبنانيين اليمينيين في فترات متعددة بمختلف

المناطق ، ونجح هؤلاء المسؤولون في مساعيهم وافرج عن المخطوفين · فقد تم مثلا التوسط للافراج عن المدعو شهيد عازار وهو من اهالي عينطورة ـ المتن وكان قد خطف في طرابلس ونقل الى عكار ، ونجحت الوساطة وافرج عنه وسلم الى رئيس بلدية ضبية قبلان الاشقر الذي قام بدور الوساطة · ورغم هذا الدور الانساني البناء فقد اقدم اليمين على خطف المدعو حنا بلوط وهو مواطن فلسطيني كان يعمل في جل الديب ، وكل ما فعلته التنظيمات هو الاتصال برئيس البلدية لحل المشكلة سلميا ولم تقم باي رد فعل سلبي · لا نريد ان نسترسل في تعداد مثل هذه الحوادث السلبية التي كان يقوم بها الجانب المعادي والاعمال الايجابية التي كان يقوم بها مسؤولوا التنظيمات بالتعاون مع الاصدقاء الحياديين اللبنانيين في طليعتهم رئيس البلدية قبلان الاشقر الذي لا يزال مهجرا والذي تعرضت عائلته بعد سقوط المخيم الى الركل والضرب والابعاد ، وتعرض مسكنه للنسف من قبل اليمين ، جريمته انه كان انسانا محبا للجميع مساويا بين اللبنانيين والفلسطينيين ملتزما بالحق قولا وفعلا ·

اخذ الجو يكفهر بالمنطقة رغم كل الوسائل المكنة لابقائه صافيا في اواخر عام ١٩٧٥ واهتم الاهلون بتخزين المؤن بعد ان توقف العمل واصبح من المتعذر على اي فلسطيني التحرك الى مكان عمله ، وقامت تعاونية « فتح » التي انشئت عام ١٩٧٤ باحضار المزيد من المؤن على سبيل الاحتياط ، لقد اخذت استراتيجية اليمين تتضح وهي منحصرة في تصفية الجيوب الوطنية في المنطقة للانقضاض على مخيم ضبيــة في النهاية ، وخلق التبريرات الباطلة والاعلام المضلل في كل حادثة · لقد شرعت فصائل اليمين بالتعاون مع السلطة في تصفية الوجود القومي الاجتماعي المسلح في جل الديب ، ثم انتقلت لتصفية حارة الغوارنة ، وشرعت بعد ذلك بتمشيط المنطقة تباعا والتخلص من كل من هو غريب عن المنطقة مهما كانت جنسيته وزادوا على ذلك بالعمل العلني في التخلص من كل من هو من غير طائفتهم ولو كان لبنانيا · ولاعطاء الدليل على هذا القول فقد اقدم اليمين اللبناني قبل سقوط المخيم بثلاثة اشهر على نسف صيدلية هريش في محلة ادونيس المجاورة لجونية لا لشيء الا لان صاحبها ينحدر من اصل فلسطيني ومع انه يحمـــل الجنسية اللبنانية ، كذلك قام اليمين بنسف محل تجاري يخص ماري نعيم العســـل الفلسطينية الاصل والتي تحمل ايضا الجنسية اللبنانية في قلب جونية كذلك القى متفجرات على محلات صبحي لام ، ورفول جبر في نفس البلدة · ناهيك بقتل واهانة وابعاد عشرات من العمال السوريين الذين كانوا يعملون في الزراعة والبناء ·

لقد بدأ التصور العام لدى سكان المخيم بعد سلسلة الاحداث المتلاحقة هذه في المنطقة ان المخيم هو خاتمة المطاف بالنسبة لانظار اليمين في المنطقة ، لا سيما ان الجيوب الوطنية قد تمت تصفيتها ، واصبح وضع المخيم حرجا ، اذ ان الجانب المعادي اصبح محيطا بكل المرتفعات المطلة عليه ، وطرق الامدادات باتت مقطوعة عنه ، اضافة للحزام العسكري القائم منذ احداث ١٩٧٣ ·

كان اول استفزاز تعرض له المخيم يوم السبت الاسود المشهور حيث قتل احد المواطنين الفلسطينيين المدعو انيس نحاس وهو من سكان المخيم ونتج توتر واصطدام اسفر عن مقتل فلسطيني اخر هو راشد بشاره ، ومع سقوط شهيدين رضي المخيم بالتسامح رغبة في عودة السلام الى المنطقة وتماشيا مع دعوة الاصدقاء اللبنانيين الحياديين · لكن هذا الموقف المتسامح لم يغير شيئا من الموقف العدائي المشحون حقدا وكراهية نتيجة للتعبئة النفسية المتصاعدة · وبدأ التمهيد لاحتلال المخيم باطلاق افتراءات اعلامية لا صحة لها

اطلاقا ويعرف الجميع في المنطقة زيفها ، منها ما ذكرته جريدة «العمل» في تشرين الاول من ان الاغـراب في منطقة ضبية قد استولوا على بيوت اللبنانيين التـي بناها اباؤهم واجدادهم بعرق الجبين مع العلم ان الفلسطينيين المستأجرين في بلدة ضبية وذوق الخراب هم وحدهم الذين استمروا في دفع الايجار شهريا لاصحاب المباني اللبنانيين خلال الاحداث وانتقل اليمين بعد ذلك لاقامة متاريس واقامة حواجز ، ولم تسفر مراجعات مسؤولـي التنظيمات عن اية نتائج ايجابية ، ولم يتمكن الحياديون من تخفيف التأزم المتصاعد ولجم الاستفزازات المتمادية · ورغم كل الاجتماعات والحوارات لم يحدث اي تقدم يعيد الـى المنطقة الهدوء المنشود ·

ان الاستراتيجية اليمينية ازدادت سطوعا في اهدافها القاضية بتصفية اخر قلعة وطنية في المتن الساحلي وان التكتيك الذي اتبع في تصفية الجيوب الوطنية الواحد بعد الاخر في المنطقة انما يهدف بالنهاية لاحتلال مخيم ضبية وفقا لهذه الاستراتيجية أكان المخيـم مسلحا ام اعزلا ، اكانت عناصره تقوم بتجاوزات او لم تقم ، اكان سكانه ملائكة قديسين ام لم يكونوا · الاستراتيجية اليمينية تقضي بالتخلص منه بعد تهاوي الجيوب الوطنية كلها في المنطقة · لتبسط نفوذها عليها ويصبح طابعها كله من لونها ·

استشهاد مخيم ضبيه
١٤ كانون الثاني ١٩٧٦

لم يكن من المنطقي في مفهوم اليمين الانعزالي ان يبقى مخيم ضبية في المتن الساحلي الشمالي موجودا بعد ان تتم له تصفية الجيوب الوطنية المتفاعلة معه والمتعاملة مـع تنظيماته ، فبدأ الاستعداد للتخلص من اخر عدو في المنطقة · وازدادت التوقعات لليوم المشهود في ارجاء المخيم وبدأ جو الوجوم والقلق · فالاتصالات ببيروت وبقيادة الثورة امست مقطوعة ، والحصول على امدادات بات ضربا من المستحيل ، وامسى الجو مشحونا بالتوتر معدا للتفجير بين يوم واخر · ففي مساء العاشر من كانون الثاني عام ١٩٧٦ فيما كانت سيارة لاحد افراد الحزب السوري القومي الاجتماعي وبداخلها احد عناصر فتح واخر قومي تسير على الاوتستراد في طريقها الى المخيم اطلقت عليها النيران بغزارة قرب الطريق المتفرعة من الاوتستراد الى المخيم من كمينين انعزاليين فأصيب الثلاثة بجروح مميتة وتابعت طريقها الى المخيم ، ولعلع رصاص الانعزاليين فتكهرب الجو بسرعة ، وسارع الجانبان الى التهيوء والاستنفار ، وتزايد ازيز الرصاص ، وتمكنت ميليشيا التنظيمات وفقا لاستراتيجية عسكرية باحتلال معظم جانب بلدتي ضبية اللبنانية وذوق الخراب القريب من المخيم وتطويق مكتب الانعزاليين والغرض من ذلك الضغط علـى الانعزاليين لتفادي المعركة ، بحيث انهم يستنكفون عن المضي فيها لان ميدانها سيكون خارج المخيم وفي قلب الضيعتين المجاورتين وهذا بطبيعة الحال سيترك اسوأ النتائـج على سكانهما · من هنا عمد الانعزاليون الى الخداع حين طلبوا التفاوض لحل الاشكال سلميا على اعتبار ان الحادث عرضي ويجب ان يمر دون ذيول ، ورغبة في تجنب الصدام وتوسيع رحى الاصطدام تجاوب المسؤولون عن التنظيمات فتوقفت الاشتباكات وتم لقاء في بيت المدعو عبدالله ضومط المتعاطف مع الانعزاليين ، اتفق على عودة الامور الى طبيعتها دون ذيول ، واعتبار ما حدث وكأنه لم يكن ، ونتيجة لهذا الاتفاق جرى سحب عناصر الميليشيا عن مواقعها وتفرق اكثر العناصر الى البيوت وخرج الاهلون من الملاجىء بعد ان خيم الهدوء واطمأن الجميع الى عودة الوضع الى حالته الطبيعية ، وفيما وفد التنظيم

لا يزال في بيت عبدالله ضومط ، والناس فيالمخيم قد خرجوا للشوارع كالعادة بدأ القصف المدفعي الغزير والمتواصل على المخيم من كل المرتفعات المحيطة به ، فتبين للجميع بأن المفاوضات خدعة انطلت على المسؤولين الذين فقدوا زمام المبادرة في التحرك لان نيران الانعزاليين اصبحت تتحكم بكل اطراف المخيم وبداخله · اضافة الى نيران المراكـــز العسكرية الثلاثة المتواجدة حول المخيم منذ احداث ١٩٧٣ والمتحكمة استراتيجيا به فقد قدمت اضافة للمساندة التوجيه في التحرك والارشاد الى المراكز الدفاعية حول المخيم · استمرت المعركة اربعة ايام بلياليها ، والقصف المدفعي يتزايد من كل الاتجاهات ، خاصة من الاديرة التي على قمم التلال المحيطة بالمخيم · المليشيا التي لم يكن بين صفوفها مقاتل محترف تتصدى ، الاهالي في الملاجىء ، المياه مقطوعة والكهرباء كذلك ، ولم يكن هناك توازن بين الفريقين في العدد والعدة · الانعزاليون والعسكريون المهاجمون يربو عددهم على الخمسة الاف بينما عناصر المليشيا المدافعة لا تتجاوز المائتين · المواقع الاستراتيجية كلها بأيدي الانعزاليين وهي تحيط بالمخيم من كل الجهات ، والمخيم محصور بين نيرانها في مكان منخفض جدا عنها · الامدادات متواصلة للانعزاليين رجالا وعتادا واليات عسكرية ، والمخيم محاصر بلا امدادات وبلا اسلحة ثقيلة وذخائر كافية · الغدر الانعزالي في القيام بالهجوم بعد التفاوض ورجوع المليشيا عن مواقعها الدفاعية وعدم تمكنها من العودة الى اكثرها · اليات ثكنة صربا من دبابات ومجنزرات وناقلات جنود كان لاسلحتها ولخبرة جنودها تاثير فعال في حسم المعركة · ونتيجة لهذه المعطيات وللفارق الكبير بين الفريقين مال سير القتال الى جانب الانعزاليين واصبح الاستمرار في القتال انتحارا فكانت حتمية السقوط · ومساء ١٣ـ١٤ كانون الثاني شقت غالبية المليشيا طريقها بكامل اسلحتها سيرا على الاقدام الى ديك المحدي رغبة في الانتقال الى ضهور الشوير الصامدة انذاك في وجه الانعزاليين · وتمكنوا من الوصول بسلام ، واجروا اتصالا بأسد الاشقر لكي يساعدهم بمرشد يهديهم الى الطريق الجبلية المؤدية الى ضهور الشوير فاستمهلهم وابقاهم في ضيعته ثلاثة ايام اجرى خلالها اتصالا بالكتائب لتسليمهم به.اومة ، لكنهم لم يطمئنوا ولم يقبلوا ، وهذا ما قاله علنا امين الجميل في المخيم بعد سقوطه بيوم واحد · حيث اعلم الناس بأن الاشقر اتصل به والمفاوضات مستمرة · وعندما تحرك افراد المليشيا الى بيت شباب تمهيدا للانتقال الى ضهور الشوير ، اقام الانعزاليون الحواجز والكمائن والدوريات · ثم قاموا بمحاولة لتطويق القرية الامر الذي دعا افراد المليشيا لشق طريقهم عنوة الى ضهور الشوير ، وفي مكان حرجي بين بكفيا وضهور الشوير حدث صدام بين كمائن الانعزاليين وافراد المليشيا سقط على اثره احد عشر شهيدا تم التمثيل بجثثهم وتابع الناجون طريقهم الى ضهور الشوير حيث بقوا فيها لبضعة ايام ، اتجهوا منها بعد ذلك الى بيروت ·

اما على صعيد المخيم وقد ضعفت المقاومة فيه فقد دخله الانعزاليون صباح الرابع عشر من كانون الثاني ، وجرى تجميع الناس في ساحة خارج المخيم قريبة منه · وانصرف فريق الى نهب البيوت وحرقها وهدم بعضها ، وفريق احاط بالناس في الساحة يتلهى بالشتم والضرب والاذلال والتصفيات · ولم يسلم كاهن فلسطيني يدعى يوحنا أبو حمرا وهو في الخامسة والثمانين ويحمل الجنسية اللبنانية من الركل والرفس ووقع مغميا عليه · كما تم تجميع جثث خمس وعشرين شهيدا وبدأ التمثيل بها على مرأى من الناس عامة ·

اما موجة التهديم فقد توقفت واستقر الامر على الحريق وذلك بسبب الرغبة بعدم الضرر

ببيوت اللبنانيين في المخيم ، وهي متلاصقة ، والوحدة السكنية تضم عدة بيوت وبالنسبة للحريق فقد شملت اكثر من نصف بيوت المخيم ٠

لقد جرى تصفية بعض الجرحى علنا « بالبلطات » وبينهم قومي اجتماعي لبناني ماروني هو الشهيد طوني سلامة كما جرى الاعتداء على الاعراض ٠ وكان نتيجة لهذا القهر وروح الانتقام والتشفي شعور بالمرارة عنيف تمنى كل من كان في الساحة ان يصار الى هدم المساكن كافة وابادة السكان جماعيا تخلصا من الاذلال والقهر ٠ في المساء سمح للاحياء بالعودة الى منازلهم المحترق اكثرها والذهول يلف المخيم والحزن يغمر القلوب ٠ والزمر اليمينية المسلحة تجوب الشوارع تستجوب من تريد وتخطف من تريد ٠ لكن انتقال الانعزاليين الى حصار الكرنتينا والمسلخ خفف الضغط عن سكان المخيم لبضعة ايام ، حيث تمكن الكثيرون من الانتقال الى المنطقة الغربية ولم يبق في المخيم الا العجزة والاطفال واللبنانيون ٠ وعادت موجة الضغط والتنكيل والاذلال من جديد بعد الفراغ من احتلال المسلخ والكرنتينا ٠ وزادوا على ذلك فرض الاتاوات والغرامات ، وارغموا الاهالي على شراء منشوراتهم باسعار مضاعفة وحاولوا اقتياد الصغار الذين اعمارهم دون الخامسة عشرة الى العمل ثم الى التدريب بغية سوقهم الى مخيم تل الزعتر ولما باءت محاولتهم بالفشل لاصرار الصغار على الرفض قاموا بتعذيبهم لعدة ايام قبل اطلاق سراحهم ٠ ومن الناحية المعيشية توقف كل من بقي قادرا على العمل عن متابعة عمله وحال انقطاع المواصلات دون ايصال الاموال من الابناء للاباء ، وفرض على المخيم حصار تمويني ٠ دام اشهرا ٠ حاولت الانروا ارسال المؤن الشهرية فصادرها الانعزاليون بكاملها ٠ وحاولت الثورة ارسال شاحنتي تموين عن طريق الصليب الاحمر فتمت مصادرة المؤن بكاملها ، ولجأت الثورة مجددا الى ارسال مساعدات نقدية للمعدمين فتعرض الذين قبضوا للاهانات والشتائم واخذ الاموال منهم ٠

كانت النتائج الاولية اضافة للنزوح والتهجير الى المنطقة الغربية والى خارج لبنان اذلال الذين بقوا في المخيم وارهاقهم ماديا ومعنويا ٠ اما الذين بقوا فقسم جعلته اوضاعه المادية الصعبة مرتبطا بالبيت مطمئنا نسبيا لنزوح اولاده الشباب من المخيم الى بيروت الغربية وقسم لبناني يحمل بطاقات انروا ، سكن المخيم رغم امتلاكه عقارات في الجنوب اللبناني طمعا بالسكن المجاني وتناول مؤن الاونروا والحصول على التعليم المجاني ، هذا القسم انقلب بين عشية وضحاها واندمج مع الانعزاليين وعمل في صفوفهم بعيد سقوط المخيم ، وعلى سبيل المثال قام الشيخ بيار الجميل بأكثر من زيارة لهذا القسم ، ولم يوجه لاحدمنهم سؤال او لوم ، اضافة الى ممارسته حريته كاملة في الانتخابات النيابية والتحزب لليمين ٠ وعند توقف القتال في لبنان اخذ افراد كثيرون ممن كانوا خارج لبنان يأتون لتفقد ذويهم واهلهم ، فكانوا يستأذنون الانعزاليين لزيارة عائلاتهم ليوم او يومين مقابل مبلغ من المال تتراوح قيمته بين الالف ليرة والالفين ٠ وكان الابناء مضطرين لدفع هذه الخوات بسبب تشوقهم لرؤية الاباء والامهات وتقديم المعونات المادية لهم ٠ واستمرت اعمال الاذلال والجبايات واخذ الاتاوات فترة طويلة بعد دخول قوات الردع العربية الى لبنان ٠ بيد ان تمركز قوة الردع فيما بعد قرب المخيم ، ومراجعة اهالي المخيم لها ادى الى تخفيف جو الارهاب نسبيا ٠ لقد انشأت السلطة مخفرا امنيا في المخيم مؤلفا من ثلاثة عناصر ، لكن هذا المخفر بالواقع طرف وليس لديه اية صلاحية ، ولا يمكنه ان يتفرد بعمل دون الرجوع الى مسؤولي الانعزاليين الذين لا يتركون له الحرية الا اذا كان تصرفه للضغط على السكان ومضايقتهم ٠

ان الوضع الجديد القائم ادى بالنتيجة الى قناعة تامة بالنسبة لغالبية المهجرين من المخيم بأن العودة اليه وان تحقق الامن هي ضرب من المستحيل ، فالاستقرار في المناطق الغربية او خارج لبنان امسى هدفا نهائيا ، وهذا ناتج عن جو العداء والكراهية المتزايدين لجميع الذين نزحوا الى المنطقة الغربية اذ اعتبروا اعداء الداء ، ومن ناحية ثانية يشعر المهجرون من المخيم بعدم الارتياح النفسي على الاقل لمرأى قتلة ابنائهم وجلادي ابناء شعبهم ، بالاضافة الى ذلك استقرار ما لا يقل عن ستين عائلة لبنانية معظمها من التيار الانعزالي في بيوت النازحين عن المخيم وقيامهم بترميمها وتحسينها ثم تحويل المخيم الى ضيعة لبنانية بحيث يمحي الطابع الفلسطيني فيه ، وهذا ما دفعهم لتغيير اسمه ، وابطال مدرسته الخاصة بالفلسطينيين وجعلها لبنانية النهج والتبعية ٠

وهكذا يكون قد اسدل الستار على المخيم الذي كانت ولادته في اواخر عام ١٩٤٩ وكان شبابه بين عامي ١٩٦٨ ـ ١٩٧٦ ، ابان عهد الثورة تم موته على الصليب في ١٤ كانون الثاني ١٩٧٦ ٠

اسماعيل شموط

التراث الشعبي الفني الفلسطيني

مقدمة

ان تراث شعب من الشعوب لا يتكون الا من خلال حياة مستمرة لقوم على بقعة من الارض ، ذات عمق تاريخي طويل ، هي الوطن ، وذات ملامح محددة ترسمها قدرات الشعب في حب الحياة ، وتحمل مشاقها الى جانب التمتع بخيراتها ·

وشعب فلسطين يملك هذه الخصائص التي جعلته غنيا بتراث فني كبير ، متميز في كثير من اوجهه بمستوى راق يلفت النظر ·

ان شعب فلسطين ، هو خلاصة تواجد انساني على ارض فلسطين منذ الاف السنين · والمكتشفات الاثرية في كل من أريحا وجازر ومجدو تؤكد ان الانسان مارس على ارض فلسطين حياة متقدمة قبل اكثر من خمسة الاف سنة ، اضافة الى المكتشفات التي تدل على وجود حياة الانسان في العصور الحجرية القديمة والمتوسطة ·

ويعتبر الكنعانيون هم سكان فلسطين الاوائل ، الذين جاءوا ضمن موجات الهجرة العربية السامية من الجزيرة العربية بدءا من الالف الرابع قبل الميلاد · وكانت كبرى هذه الموجات هي التي حدثت حوالي ٢٥٠٠ ق·م· والتي عرفت باسم الموجة الامورية ـ الكنعانية · فنزل الاموريون داخل بلاد الشام وجنوبها الشرقي ، بينما استوطن الكنعانيون الجزء الذي يعرف اليوم بفلسطين ·

وهناك فئات قليلة استوطنت ارض فلسطين ، الى جانب الكنعانيين ، وفدوا من بقاع مجاورة ، منهم الاراميون والمؤابيون والادوميون · وفي حوالي ١٢٠٠ ق·م· لجأ الى الساحل الجنوبي لفلسطين اناس قدموا من جزر بحر ايجه والذين عرفوا بالفلسطينيين ·

ثم حدثت الموجة العربية الكبرى التي حملها الاسلام في القرن السابع الميلادي والتي شكلت منعطفا حاسما في تاريخ الشعب الفلسطيني وطبعته بالشخصية العربية ، وكونت ملامحه بشكل نهائي وصريح · ولما كانت فلسطين ، وما تزال ، بقعة جغرافية ذات اهمية

استراتيجية ، سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية او الدينية ، فقد تعرضت لكثير من الغزوات وللاحتلال عبر التاريخ · وكان الغزو العبراني عام ١٠٢٠ ق·م· احد هذه الغزوات ، والذي اسفر عن قيام مملكة اسرائيلية على جزء من ارض فلسطين لمدة تقارب السبعين عاما انقسمت فيما بعد الى اثنتين لفترة من الزمن قضى عليهما الاشوريون والبابليون فيما بعد · وتبع ذلك الغزو ، الفرس والاغريق والرومان ، وفي القرن الحادي عشر الميلادي غزا الفرنجة (الصليبيون) فلسطين واحتلوها لحوالي مائة عام ·

غير ان سكان فلسطين الاصليين لم ينزحوا عن الارض ، بل ظلوا يعيشون عليها ويمارسون حياتهم ، سواء في ظل الاحتلال او في فترات الانفراج ·

يقول جيمس هنري برستيد في كتابه « العصور القديمة » : « ولا يخفى ان مدن الكنعانيين كان ذات حضارة قديمة ، نشأت منذ الف وخمسمائة سنة (قبل العبرانيين) ومنازل متقنة حوت كثيرا من اسباب الراحة والرفاهية ، وحكومة وصناعة وتجارة ومعرفة بالكتابة ، وديانة · حضارة اقتبسها اولئك العبرانيون السذج من الكنعانيين » ·

كما شهدت فلسطين بعد الفتح الاسلامي نهضة في مختلف مجالات الحياة ، ويكفي للدلالة على ذلك الرجوع الى ما كتبه الرحالة والمؤرخون العرب والاجانب عن الحياة في فلسطين اثناء تلك الحقبة · ولعل افضل من يوضح تفاصيل ذلك هو محمد بن احمد ابي بكر المقدسي في مؤلفه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » (٩٨٥ م) ·

عام ١٩٤٨ تعرضت فلسطين وشعبها لابشع مؤامرة سافرة ، خطط لها ونفذها الامبرياليون والصهيونيون نتج عنها تشريد اكثر من نصف سكانها ، وحولتهم من مواطنين فلسطينيين الى لاجئين عرب ، واقامت كيانا صهيونيا عنصريا توسعيا على ارض فلسطين دعي اسرائيل ·

واثر عدوان ١٩٦٧ احتلت اسرائيل باقي اجزاء فلسطين اضافة الى احتلالها اراضي عربية اخرى ·

ويبلغ عدد الفلسطينيين اليوم حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون ، يعيش نصفهم تقريبا تحت الاحتلال الصهيوني ، والنصف الاخر مشرد في اقطار عربية مجاورة وفي دول مختلفة من العالم ·

ولم تقتصر المؤامرة على انتزاع الارض الفلسطينية وتشريد معظم سكانها ، وتدمير القرى وازالة اثارها من الوجود (ازيل من الوجود حتى الان اكثر من ٣٥٠ قرية) ، بل عمد العدو الصهيوني الى سرقة التراث الشعبي الفني الفلسطيني ، ونسبه اليه ، او محاولة طمس وجوده ·

ان تراث شعب فلسطين الفني هو جزء من التراث الشعبي العربي بشكل عام لعوامل كثيرة اهمها ان فلسطين هي جزء من الوطن العربي الكبير ، وشعبها جزء من الامة العربية التي تجمع بين شعوبها مقومات تاريخية وحضارية واحدة · غير ان هناك عوامل خاصة طبعت شعب فلسطين بمميزات فريدة · وشكلت تراثه الفني بطابع خاص يلاحظ بشكل واضح في كثير من مظاهره وملامحه ، والتي لا يمكن ان تكون الا فلسطينية ·

وردا على محاولة العدو الصهيوني طمس معالم تراث الشعب الفلسطيني ، احد اهم مظاهر الوجود الحيوي للشعب الفلسطيني الذي تحاربه الصهيونية ، ووعيا من الثورة

الفلسطينية لاهمية هذا التراث والحفاظ عليه كدليل على قدرات هذا الشعب في مجال العطاء الفني ، وادراكا منها لاهمية ذلك في مجال رصد الحركة الفنية الانسانية بشكل عام ، واظهار ما قدمه الشعب العربي الفلسطيني من مساهمة في بناء الحضارة الانسانية، فان منظمة التحرير الفلسطينية تولي هذا الموضوع الاهتمام اللازم لجمع تراث شعبها ، ولملمة اطرافه ، وحفظه ، وتقديمه في معارض متنقلة ، اضافة الى الحرص على التشجيع لممارسته وتطويره من خلال الاجهزة والمؤسسات الخاصة ، ومراكز التأهيل والعمل في اماكن تواجد الشعب الفلسطيني ٠

ان التراث الشعبي يشتمل على انتاجات فنية متنوعة ، منها الفنون الادبية كالشعر الشعبي والاقاصيص والامثال ، والفنون السمعية كالموسيقى والغناء والفنون الحركية كالرقص الشعبي ، والفنون الحرفية كالغزل والنسيج والتطريز ، والصناعات اليدوية المتنوعة من الفخار والخشب والاصداف والمعدن وما الى ذلك ٠

والتراث الشعبي الفلسطيني غني بهذه الفنون ، غير اننا لا نتناول هنا الفنون الادبية ، ولكننا سنقتصر الحديث عن الفنون السمعية والحركية ، وبالاخص ما يتعلق بالغزل والنسيج والتطريز والازياء الشعبية ٠

الفنون السمعية والحركية

ذكر البحاثة فيليب حتي في مؤلفه « تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين » :
« ظل الناس حتى الفترة الاخيرة يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون للحضارة واللغة والفنون وفن العمارة والادب والزراعة والصناعة » ٠

« كانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على الالات الموسيقية ٠ وكان الموسيقيون والمغنون الاول في الهيكل كنعانيين في اشخاصهم وتدريبهم ٠ وعندما بدأ داوود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان ، لم يكن هناك من نموذج يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني » ٠

ولعل في هذه المقتطفات ما يكفي للدلالة على ان سكان فلسطين الاوائل ، الكنعانيين ، عرفوا الموسيقى والغناء ، وبالتالي اخترعوا الالات الموسيقية لذلك ٠

كما عرف العرب الموسيقى والغناء ، وبلغوا بها مستوى راقيا ابان عصر النهضة العربية منذ حوالي الف عام ٠ ويذكر في هذا المجال الاصفهاني والفارابي اللذين كانا لهما اهتمام واضح بالموسيقى والغناء ، ومن العازفين والمغنين في تلك الحقبة يذكر ابن جامع وابراهيم واسحق الموصلي وزرياب ٠ واخترع العرب الالات الموسيقية الوترية ، الرباب ، والعود الذي زاد عليه زرياب وترا خامسا وقد كبر صندوقه وفتحت له فتحة تدعى الشمسية ، ووصل الاندلس ومن هناك دخل اوروبه ٠

تقول السيدة يسرى عرنيطة في كتابها « الفنون الشعبية في فلسطين » :

« وتمتع العود بمركز مرموق بين الالات الموسيقية الاوروبية ، وهو اول الة كتب لها الموسيقيون الغربيون مقطوعات الية منفردة بالمعنى الصحيح » ٠

كذلك عرف العرب القانون ، وهو من الالات الموسيقية الوترية العربية القديمة التي ذكرتها قصص الف ليلة وليلة ٠ وهناك ما يشير الى ان الفارابي قد حسن فيه ٠ وذكره

الفارابي في احد مؤلفاته قائلا : « كان العرب يستعملون الات كثيرة الاوتار من التي ينفرد كل وتر فيها باصدار صوت من اصوات السلم الموسيقي » ·

مما تقدم ، يعرف المرء ان الحديث عن الموسيقى والغناء في فلسطين هو بالضرورة حديث عن الموسيقى والغناء عند العرب · وليس من شك ان الحديث عن الموسيقى والغناء العربيين بشكل عام لا يعني الحديث عن الموسيقى والغناء الشعبيين في كل قطر او على الاقل في كل منطقة من مناطق العالم العربي ، رغم ان الفروق ليست حادة كبيرة بين الاثنين · كما ان للموسيقى والغناء العربيين اثرهما في الموسيقى والاغنية الشعبيتين سواء من حيث التقنية او الابداع ·

هناك الات موسيقية شائعة في العالم العربي ، كالعود والرباب والقانون ان اختلفت في شيء من منطقة لاخرى ، فما ذلك الا اختلاف بسيط جدا في الشكل · كذلك الات الايقاع والنفخ ·

كما ان هناك مقامات موسيقية شائعة تختلف من مكان لاخر في العالم العربي بطريقة تركيبها وبعلاقة المقام بالاخر وليس في جوهر المقام بحد ذاته ·

لذلك نجد الفن الموسيقي والغنائي الشعبي في فلسطين محكوما بهذه البديهيات · لكن ذلك كما هو الحال في معظم الاقطار العربية ، او جميع المناطق العربية ، ففي فلسطين نجد ألحانا واغاني والات فلسطينية الطابع ·

ان الموسيقى والغناء توأمان في العالم العربي ، اذ نادرا ما تكون هناك مقطوعات موسيقية دون غناء فردي او جماعي ، ذلك مرده الى تعلق الانسان العربي بالكلمة المحكية ، ولتراث عربي كبير من الشعر الذي اثر في الحس العربي وبالتالي في الفنون بشكل عام وخاصة الموسيقى والغناء · فالاغنية الشعبية الفلسطينية تعتمد هذا المنهج ايضا ، لذلك فان مضمون الاغنية هو جزء من العملية الفنية ·

هناك علاقة حميمة بين الموسيقى والغناء وبين الرقص الشعبي في فلسطين · ان جميع الرقصات الشعبية الفلسطينية تكون دائما بمصاحبة الموسيقى والغناء · لذلك ، فالحديث عن الموسيقى والغناء يجرنا للحديث عن الرقص في الوقت ذاته ·

وكما ذكرنا سالفا ، بان مضمون الكلمة المغناة هي جزء من العملية الفنية في الموسيقى والغناء ، فان الرقص ايضا جزء اخر مكمل للعملية الفنية الموسيقية الغنائية الراقصة ، باعتبارها وحدة من مجموعة عناصر يكمل كل منها الاخر في حالة الرقص الشعبي ·

ان غالبية الالحان الشعبية الفلسطينية بسيطة في تركيب جملها الموسيقية ، وهي صفة تتسم بها معظم موسيقى الشعوب الفطرية · كما ان المقامات الاساسية التي تعتمد عليها هي مقام البياتي وهو الغالب ، ومقام الراست والسيكاه والعجم والحجاز ·

وكغيرها من موسيقى الشعوب فان الموسيقى والغناء الشعبي الفلسطيني ذو حركة رتيبة متكررة ، غير ان ذلك يزيد في تصعيد الحس الفني عند الموسيقي والمغني والراقص والمستمع في الوقت نفسه · والمغني المتمكن ينطلق احيانا بالخروج عن اللحن المتبع بحرية ضمن حدود الحفاظ على الايقاع والعودة الى المقام الاساسي الذي يرتكز عليه اللحن ، وهو نوع من الزخرف يضفيه المغني الى الاغنية ·

ان الاغاني والاهازيج التي تغنى دون الرقص قليلة نسبيا في الاحتفالات الشعبية ٠ فالرقص كما اسلفنا ، يكون جزءا من عملية واحدة هي الموسيقى والغناء والرقص ، هو الاكثر شيوعا في تلك المناسبات ٠

هناك رقصات شعبية اساسية معروفة في فلسطين ، هي الدبكة والسحجة والسامر والدحي ٠

الدبكة ، وهي رقصة الشباب تؤدى على انغام المجوز او الارغول او الشبابة ٠ ويكون الشباب حلقة مفتوحة يديرهم « اللويح » الذي يلوح بمنديل في يده مشيرا بحركات من عينيه ويديه لادارة الرقصة ٠ ويبدأ الرقص بالعزف المنفرد على واحدة من الالات المذكورة ، حيث يليه « القويل » وهو المغني في المجموعة بالغناء ، في الوقت الذي تبدأ المجموعة بحركة بسيطة من الارجل بشكل رتيب حسب الايقاع ، ما تلبث ان يتصاعد عنفوانها مع اشارات اللويح ٠ وعندئذ تنطلق المجموعة في حركات رشيقة تدور حول العازف محافظة على شكل الحلقة بينما ينفصل اللويح بين الفترة والاخرى عن المجموعة بحركة حرة ضمن الايقاع المتبع ٠ ويستمر العازف طيلة الوقت بالعزف كما يستمر المغني ايضا بالغناء ٠ وفي اثناء الغناء تخف حدة حركات الراقصين ، بينما تعود لعنفوانها بين كل فقرة واخرى من الغناء ٠ وكثيرا ما تلعب الكلمة المغناة بما تحمل من معنى دورا كبيرا في اثارة الاحاسيس وتصعيد الحركة الراقصة وما يعكسه ذلك في المشاهدين من انجذاب وحماس ٠

وفي شمال فلسطين تشارك المرأة الرجل في رقص الدبكة ، بينما في اماكن اخرى ترقص المرأة رقصات مماثلة في حلقات خاصة بالنساء ٠

السحجة : تختلف عن الدبكة في تشكيل مجموعة الراقصين ، اذ يقف الرجال في صف واحد متشابكي الايدي ، يتمايلون بتناسق وانسجام جميلين مع خطوات مد وجزر ، وتتميز اضافة الى ذلك بان الراقصين جميعا يغنون وهم يرقصون معا على انغام الشبابة او المجوز ٠

السامر : وهي رقصة تختلف الى حد كبير عن سابقتيها ، وهي اكثر شيوعا في جنوب فلسطين ٠ يقف صفان من الرجال متقابلين ، يشتركون معا في حركة ايقاعية معينة ، ويغني احد الصفين مقطعا من الشعر بالعربية الاقرب الى الفصحى ، ثم يرد عليه الصف الثاني مقطعا اخر من الشعر ٠ واغرب ما في هذه الرقصة ان امرأة ملثمة بعباءة ، تمسك بيدها سيفا حادا وبالاخرى اطراف العباءة عند الوجه حيث لا يظهر منها سوى عين واحدة ، تقوم بحركات راقصة حرة امام الصفين من الرجال الى درجة تصل احيانا ان يمد الرجل يده على المرأة ، وفي هذه الحالة من حق المرأة ان تضرب تلك اليد بالسيف اثناء عملية الرقص ٠ ويحدث في كثير من الاحيان ان تصاب يد ذلك الرجل بالجروح ٠

وهذه الرقصة لا تتم الا في الليل وخاصة في الليالي المقمرة ، ولا تعرف من هي المرأة التي ترقص بين الرجال ٠ كما ان ذلك يتم دون مشاركة اية الات موسيقية ، بل ان صوت المجموعة ومن حولهم يكون ذا جمال موسيقي له تأثير كبير في النفس ٠

الدحي : وهي شبيهة بالسامر الى حد كبير ، غير ان الابيات المغناة تكون باللهجة العامية الخاصة بالمنطقة التي ينتمي اليها الجمع ٠

وتقام حفلات الرقص الشعبي هذه في الافراح ، خاصة مناسبات الزواج ، وفي الاعياد الشعبية والرسمية والدينية ٠

ان اهم الالات الموسيقية الشعبية في فلسطين هي :

الالات الوترية : العود ـ القانون ـ الربابة ـ البزق ٠

الات النفخ : الشبابة ـ الناي ـ المجوز ـ الارغول ـ المزمار ٠

الالات الايقاعية : الطبل ـ الدربكة او الطبلة ـ الدف ـ المزهر ـ النقارتـان ـ البـازة ـ الفقاشات ـ الطاسات ـ المهباش ٠

الفنون الحرفية

تتالف الفنون الحرفية الشعبية في فلسطين من : الغزل والنسيج ٠ الازياء الشعبية والتطريز ٠ الزجاج ٠ الصدف ٠ الخشب ٠ المعدن ٠ الفخار والخزف ٠

الغزل والنسيج :

ان صناعة الغزل والنسيج في فلسطين صناعة متوارثة منذ الاف السنين ـ فقد مارسها الكنعانيون واشتهروا بالثياب المصبوغة باللون الارجواني الذي اكتشف في الريق (الموركس وهو نوع من الرخويات البحرية) عند مصب نهر النعامين في خليج عكا ٠ كما ازدهرت هذه الصناعة اثر الفتح العربي الاسلامي حيث ذكرها كثير من الرحالة العرب والاجانب ٠

وفي العديد من مؤلفات الرحالة الاجانب الذين زاروا فلسطين في القرن الماضي واوائل القرن الحالي ومنهم تومسون (1876) THOMSON وليثغو (1814) LITHGOW وبوركهات (1822) BURCKHARDT ودالمان (1937) DALMANN ، ما يؤكد ان فلسطين كانت غنية بهذه الصناعة ٠

وكانت صفد والناصرة ونابلس وبيت جالا والخليل والمجدل وغزه من اشهر مدن فلسطين في هذه الصناعة ٠

ولم يكن الامر مقصورا على النسيج فحسب ، بل ان شعب فلسطين مارس العملية بدءا من زراعة القطن ، واستخراج حرير القز ، وجمع الصوف والوبر وشعر الماعز ، وغزله ونسجه وصبغه ٠ واخترع لذلك الانوال الخشبية المختلفة الانواع ، منها الارضي والعامودي المعقد والبسيط ٠

في اواخر القرن الماضي كان يوجد في مدينة الناصرة ٣٠٠ نول ٠ وفي الثلاثينات من هذا القرن كان يوجد في بيت جالا ٣٠٠ نول وفي المجدل ٥٠٠ نول ٠ ولقد بلغ عدد الانوال في المجدل عام ١٩٤٨ ، ٨٠٠ نول ٠

ويعرف من انواع القماش الذي كان يصنع في فلسطين حتى اواسط القرن الحالي وخاصة في المجدل مايلي :

الرهباني : قطني ذو خيوط سميكة ، ازرق واسود ٠

المبروم : قطني ذو خيوط متوسطة السماكة ، ابيض ٠

لب المبروم : قطني ذو خيوط رفيعة ، اسود ٠

المقطع : كتاني ، اسود ٠

الكرمسوت : قطني مخلوط بالحرير ، احمر بني ، ومنه مخطط ٠

الخضاري المبرسم : قطني مخطط وبه ازهار حريرية منسوجة ٠

الهرمز : حريري منه الوان عديدة وذو عرض قليل ٠

التوبيت : قطني ، اسود ٠

الروزا : حرير ناعم ، بيج فاتح ٠

وتستعمل جميع هذه الاقمشة للازياء الشعبية ، منها ما هو خاص بزي المرأة ومنها ما يستعمل في ازياء النساء والرجال ٠

ومن الصوف ووبر الجمال وشعر الماعز صنع الرجل والمرأة في فلسطين البسط ٠ وتشتهر كل من صفد ومجد الكروم ونابلس وابو دبس والخليل والسموع وغزة بهذه الصناعة ٠

وتستعمل البسط لاغراض عديدة ، منها تصنع خيام الشعر ، وفرش لارض البيت ، واكياس لحفظ الغلال والملابس ، ومهود للاطفال وخرجة للدواب واكياس صغيرة يستعملها الفلاح للبذار ، والراعي لحفظ حاجاته وماكولاته ٠

وتشارك المرأة في معظم عمليات الغزل والنسيج ٠ بل ان هناك اعمالا تقوم بها المرأة وحدها ، منها صناعة البسط على الانوال الارضية ٠ اما العمل على الانوال المعقدة نسبيا ، والتي يحتاج المرء فيها استعمال يديه وقدميه ، فهي منوطة بالرجل ٠

الازياء الشعبية والتطريز :

كان الزي الشعبي فيمامضى مظهرا يدل على الانتماء العشائري او القبلي ، ومع تطور الحياة ، اتسعت دائرة الانتماء فصارت القرية او البلدة ، ثم المنطقة ، الى ان اصبحت تعم الوطن بأسره ، ومن هنا برز تعبير الزي الوطني ٠

حتى اوائل هذا القرن كان من السهل جدا تحديد هوية الزي الشعبي للمرأة الفلسطينية ومعرفة القرية او على الاقل المنطقة التي تنتمي إليها المرأة من الزي الذي تلبسه ٠ غير ان ذلك اضحى صعبا بعد العشرينات من هذا القرن ، وذلك بسبب تطور وسائل النقل حيث انتقلت عبرها الخصائص المعنية لزي بلدة ما او منطقة ما الى مناطق اخرى ، وسببت امتزاجا في خصائص الزي الشعبي الفلسطيني بشكل عام ٠

لكن ذلك لم يقض نهائيا على الطابع المحلي لبعض الخصائص ، بل ابقى على بعضها كما كانت ، وزي بيت لحم خير مثال على ذلك ٠ومن ايجابيات هذا التغيير ان المرأة

الفلسطينية وهي دائما متطلعة فطريا نحو الافضل والاجمل ، انها استوحت ونقلت من ازياء مناطق اخرى ما رأته جميلا فاضافت الى ثوبها عناصر جديدة ٠

وبالرغم من وجود خصائص لزي كل بلدة او منطقة فانه يمكن القول ان معظم هذه الازياء خاصة في وسط وجنوبي فلسطين ، ذات قواسم مشتركة تجعل المرء يقول لمجرد النظر اليها انها ازياء فلسطينية ٠

ان الزي الذي نتحدث عنه هو زي المرأة في المدن الصغيرة وفي القرى ، وهي في هذه الاماكن امرأة مزارعة وعاملة ، وتشكل الغالبية من نساء فلسطين ٠ اما زي المرأة في المدن الرئيسية فكان في معظم مراحله زيا مستوردا ، تركي المظهر في اواخر الحكم العثماني ، واوروبيا بعد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ ٠

وللمرأة الفلسطينية ثلاثة انواع من الاثواب التي تعتبر الجزء الاساسي من الزي الشعبي :

ثوب العمل : وهو من القماش البسيط والرخيص الثمن ، ويحتوي على بعض التطريز القليل ، تلبسه المرأة اثناء عملها في الحقل او البيت ٠

ثوب المناسبات : وهو من القماش الغالي الثمن ، وله مميزات وخصائص معينة تفرضها تقاليد الزي في البلدة ٠ ويكون التطريز عليه اكثر كثافة ودقة وجمالا ٠ ويلبس هذا الثوب في مناسبات الافراح والاعياد والاتراح ٠

ثوب الجلاية : وهو زي ذو خصائص معينة تختلف من مكان لاخر حسب التقاليد المتبعة ويعتبر اهم ثوب في جهاز العروس تلبسه متجلية يوم زفافها ٠

يتشكل هذا الزي وسط وجنوب فلسطين من :

الثوب : وهو فضفاض بشكل عام ، ذو اكمام (اردان – جمع ردن) مختلفة الشكل من مكان لاخر ، نجدها ضيقة في بعض المناطق و متسعة في غيرها ٠ وفي اماكن اخرى ذات شكل قريب من المثلث الذي يكبر او يصغر حسب تقاليد متبعة ٠ وتنتشر الزخرفة المطرزة باليد وبالخيوط الحريرية على كل من الصدر والاكمام وجانبي الثوب (البنائق) والجزء السفلي من خلف الثوب (ذيال) وعلى الاكتاف (الردحة) التي كانت في معظم الاحيان تزين بقطعة من قماش المخمل او الساتان ٠

وتتميز الجلاية عن الثوب بالزخارف التي تكسو الجزء الامامي من الثوب ، ابتداء من الوسط حتى اسفله ، والمكونة من قطع الحرير الهرمزي المثبتة باشكال هندسية الى حد ما ، اضافة الى التطريز على الصدر والاكمام والجوانب والخلف ٠

الشداد او الحزام : وهو من القماش الذي يختلف نوعا ولونا من مكان لاخر ، منه الساتاني المخطط ، ومنه الصوفي او القطني ٠ ويربط على الخصر بطريقة تقليدية محددة لكل منطقة ٠

الوقاة والصمادة : وهي قبعة للرأس ذات خصائص معينة ، تختلف من مكان لاخر ، وتكون من القماش القطني او الكتاني المطرزة ، وتثبت عليها مجموعة من النقود الفضية التي غالبا ما تكون قديمة غير متداولة ، واحيانا تكون بعضها او كلها ذهبية ٠ غير ان لبيت لحم قبعة مختلفة وتدعى الشطوة ، وهي اشبه بالطربوش ، محلاة بالنقود الفضية او الذهبية ، وحبيبات المرجان ٠

غطاء الرأس : هي قطعة من القماش القطني او الصوفي او الكتاني او الحريري · يطرز بعضها حسب طرق معينة تتبع تقاليد كل منطقة · وفي بعض الاماكن يستعمل الشال الصوفي المصنع والذي يحتوي على شراريب ، كما ان هناك من يستعمل القماش الابيض البسيط او المخطط · ويغطي هذا الرأس بما في ذلك الوقاة التي تلبس تحته ·

الحذاء : لم يكن ذا خصائص معينة باعتبار ان طول الثياب يغطي قدمي المرأة ·

ان زي المرأة في الجليل الاعلى والاسفل يختلف الى حد كبير عن زي المرأة في وسط وجنوب فلسطين · ونكتفي في هذا المجال بالحديث عن زي معين كان يلبس في معظم انحاء الجليل حتى اواخر القرن الماضي ، غير انه انحسر اوائل هذا القرن في بعض انحاء الجليل الاعلى · وهو عبارة عن معطف طويل من القماش القطني الازرق الداكن اللون ، ذو اكمام قصيرة ، ومفتوح من الامام ، مطرز من الخلف بشكل جميل وبوحدات زخرفية انيقة · اما من الامام ، فتزين طرفي الثوب قطع من القماش الحريري او المخملي الملون وباشكال هندسية جميلة · ويلبس هذا المعطف عادة فوق ثوب ابيض يصل طوله حتى الركبة ، وله اكمام طويلة بسيطة دون سوار ، كما تلبس المرأة سروالا تحت الثوب الابيض من لون قماش المعطف ، واحيانا يكون ابيض اللون ، يزخرف الجزء السفلي منه بالتطريز · وتلف المرأة رأسها بقطعة من قماش داكن اللون ، تنسدل على الاكتاف وتربط حول العنق من الخلف ، وتعلو ذلك عصبة من الحرير الملون تدعى مقرونة ، تعقد خلف الرأس واحيانا يتدلى منها طرفا باقي العصبة ·

ان اللون الاكثر شيوعا في الاثواب الفلسطينية هو الازرق الداكن ، الا ان هناك اثوابا من اللون الاسود واخرى من اللون الابيض · وفي منطقة المجدل يتضمن القماش المستعمل للثوب خطوطا طولية ملونة عريضة ورفيعة ، ويكون لون القماش عادة ازرق داكنا ، اما الخطوط ، فتارة تكون بالازرق الفاتح او الاحمر او الاخضر · كما ان هناك بعض اثواب بيت لحم المخططة بخطوط رفيعة ملونة · ويوجد اضافة الى ذلك ثوب يدعى الملك وهو من قماش المخمل ، والذي يلبس في مناسبات خاصة ، وهذا احد اشهر اثواب بيت لحم ·

في بعض الاماكن ، وخاصة في بلدتي البيرة ورام الله ، يلبس الثوب الازرق الداكن شتاء والابيض صيفا _ اما في الاماكن الاخرى فلون الثوب هو جزء من تقاليد الثوب المحلية ·

ان معظم انواع القماش الذي يستعمل للازياء الشعبية الفلسطينية ، كما اسلفنا ، كان يصنع في فلسطين · وقليل من انواع اخرى كانت تستورد من دمشق او من الخارج ·

هناك ثلاثة انواع من التطريز هي : ١) التطريز بالغرزة الفلاحية (الصليبية) ٢) التطريز بغرزة الرشق والتحريري · ٣) التطريز بغرزة اللف · هذا بالاضافة الى ما يسمى بقطبة الحاشية او الحافة ، اي التي بواسطتها تثبت اطراف الثوب والقطع الحريرية المضافة فوق الثوب باشكال مختلفة ·

ان الغرزة الفلاحية هي السائدة ، والتي لا يخلو ثوب منها باستثناء ثوب بيت لحم · والتطريز بهذه الغرزة يتم بواسطة الابرة وخيط الحرير الملون بطريقة الغرزة المصلبة · وتأخذ الزخرفة في هذه الحالة اشكالا هندسية ·

اما التطريز بغرزة الرشق والتحريري ، فهي تثبيت خيوط حريرية سميكة ومبرومة او خيوط مقصبة اي من الخيوط المطلية بالذهب او الفضة على القماش · وتتشكل من

هذه الخيوط وحدات زخرفية تعتمد الخطوط المنحنية والدائرية المتواصلة المستمدة عناصرها الاساسية من حركة النبات والازهار ·

والتطريز بغرزة اللف يتم بواسطة الخيوط الحريرية التي تملأ فراغات معينة بقطبة لفائفية الحركة · وهذا النوع من التطريز يعتبر عنصرا مكملا اكثر من كونه اساسيا في التطريز الفلسطيني ، ولم تشكل هذه الغرزة كيانا مستقلا كالغرزتين السابقتين ·

ويغلب اللون الاحمر البني على غيره من الالوان في التطريز بالغرزة الفلاحية ، ويطعم بألوان مختلفة منثورة بشكل عفوي خاضع لذوق الفتاة او المرأة ، مشكلا توازنا مريحا وجميلا · اما التطريز بغرزة الرشق والتحريري ، فان اللون الاساسي يكون الذهبي او الفضي يشارك احدهما او كلاهما اللون الاحمر اضافة الى الالوان الاخرى والتي تكون مكملة · ويعتمد التطريز بغرزة اللف والالوان العديدة الصارخة في فراغات مهيئة بواسطة غرزة الرشق او التحريري ، وغالبا ما يكون ذلك على جانبي الثوب والاكمام ·

ان الوحدات الزخرفية الاساسية التي تستعمل في معظم انحاء فلسطين تستمد اشكالها واسماءها من علاقة الانسان الفلسطيني بالارض والحياة والكون · ولهذه الوحدات اسماء شائعة ، وبعضها يختلف اسمها من مكان لاخر ·

هذه طائفة من اسماء الوحدات الاساسية :

السرو ، السبلة ، النخل العالي ، عرق الورد ، عرق التفاح ، عرق البندورة ، قوار الورد ، الحية والعربيد، العصافير ، الريش ، عين البقر ، قرص العسل ، القلايد ، خيام الباشا ، المخدة ، الفنانير ، المشط ، الساعة ، عرق السيوف ، الحجاب ، طريق مصر ، النجوم ، الاقمار ، المناجل ·

وكما هو واضح من اسماء الوحدات ، فان المرأة الفلسطينية تعبر بذلك عن حبها لما يحيط بها وبحياتها ، خاصة علاقتها الحميمة بالارض وبالفلاحة ، فالسبلة اي السنبلة ، وعرق الورد وعرق التفاح وعرق البندورة والسرو والنخيل والمناجل ماهي الا اسماء لمحسوسات زراعية تحيط بحياة المرأة الفلسطينية ، بل بحياة الانسان الفلسطيني بشكل عام ، ويتعامل معها يوميا ·

ان الاختلاف الذي نلحظه في الطابع العام لثوب بلدة ما ، او منطقة ما وسط فلسطين وجنوبها لا يكمن في استخدام وحدات زخرفية خاصة بتلك المنطقة ، بل بطرق ترتيب وتنسيق هذه الوحدات على الثوب ، اضافة الى نوعية ولون القماش وتفصيله العام خاصة شكل الاكمام ، ونوع التطريز ·

وكما ذكرنا ، فان التطريز والازياء بشكل عام في الخمسين سنة الاخيرة تداخلت خصائصه المحلية ، واختلط الكثير منها بعضها ببعض · وبسبب وسائل النقل الحديثة تمكنت المرأة من التنقل في دائرة اوسع من الدائرة التي كانت تتنقل فيها سابقا ، بل وساعدها على ارتياد المدينة بشكل اكثر مما كان سابقا · وتعرفت المرأة على طرق تنسيق الوحدات الزخرفية في اماكن اخرى ، واقتبست من المدينة وحدات زخرفية شاهدتها في السجاد المستورد وفي مواد اخرى · كما ان عوامل اجتماعية اخرى لعبت دورا في تزاوج اساليب متنوعة في التطريز اهمها اتساع حلقة الزواج الذي كان يتم سابقا بين الاقارب او بين سكان القرية او البلدة او بين عروس من قرية وعريس من قرية اخرى مجاورة ·

بذلك انتقلت مع العروس اساليب تقليدية من التطريز، اثرت في ازياء بلدة العريس ، كما اثرت ازياء بلدة العريس عن طريق زيارات اقاربها لها والتعرف على انماط جديدة في زي بلدة العروس ·

ان افضل مثال على ذلك هو تأثير التطريز التلحمي في ثوب منطقة يافا وبالتحديد ثوب بيت دجن · لقد كان ثوب بيت دجن حتى اوائل هذا القرن يعتمد على التطريز بالغرزة الفلاحية ، الى ان جاءت بيت دجن فتاة من بيت لحم لتعيش فترة مع شقيقها هناك الذي انتقل بحكم ظروف عقله الى بيت دجن وعلمت هذه الفتاة عددا من الفتيات والنسوة اللواتي اعجبن بالتطريز البيت التلحمي · وهذه الفتاة كانت السيدة منه حزبون المولودة عام ١٨٨٠ والتي لا تزال تعيش حتى اليوم · ومنذ ذلك الوقت اصبح ثوب بيت دجن يحتوي على نوعين من التطريز ، الفلاحي والرشق والتحريري ·

وقد عمت شهرة التطريز التلحمي انحاء كثيرة من فلسطين في العشرينات من هذا القرن · ونتج عن ذلك حركة تطريزية احترافية في بيت لحم ، فبدأت نساء محترفات بتطريز قطع من القماش تصلح للصدر والاكمام والجوارب لتباع عن طريق باعة متجولين · وكانت مثل هذه القطع تثبت على الثوب ، وفي كثير من الحالات كانت القطع المطرزة تنقل من ثوب اهترأ الى اخر جديد · وهذا ما كان يحدث ، وما زال لكثير من الاثواب التي كانت الاجزاء غير المطرزة تتعرضللتلف قبل تلك المطرزة · ويفسر هذا اهتمام المرأة الفلسطينية بعملها الفني واعتزازها به ·

اضافة الى اشتهار تطريز بيت لحم ، اشتهر ثوب بيت لحم المسمى ملك ، ومعطف قصير ذو اكمام قصيرة يدعى « تقصيرة » وكلاهما مصنوع من قماش المخمل الازرق الداكن او الاسود ، ومطرز بغرزة الرشق التحريري · وقد اصبح ثوب الملك والتقصيرة منذ العشرينات من هذا القرن قطعتين اساسيتين في جهاز العروس ، على العريس ان يقدمها ضمن هدية العرس ان كانت احواله المادية تسمح بذلك ·

ان التطريز في فلسطين فن تمارسه المرأة في اوقات فراغها ، ملبية بذلك احاسيس فنية فطرية لديها ، ومتبعة تقاليد شعبية نشأت عليها · والمرأة الفلسطينية تقوم بهذا العمل الفني الى جانب مشاركتها زوجها او اهلها في العمل سواء في الحقل او في مجالات عمل أخرى اضافة الى عملها في المنزل ·

ومن المهام التي تقوم بها المرأة بشكل عفوي وتبعا للتقاليد ايضا هو تعليم الصغيرات هذا الفن · فعندما تصبح الطفلة في سن العاشرة تقريبا تكون قد اكتسبت معرفة مبادىء التطريز · وفي سن الرابعة عشرة تبدأ بالتحضير لثوب العرس · ومهارة الفتاة في التطريزتلعب دورا في اختيارها عروسا ، اذ يحكم على قدراتها العامة من خلال اتقانها فن التطريز · وفي هذه الحالة ينظر الى القطعة المطرزة من قبل الفتاة من الامام والخلف لمعرفة مدى نظافتها وذوقها وترتيبها · وكان هذا التقليد عاملا مشجعا لتطور فن التطريز في فلسطين ·

وبالاضافة الى اهتمام المرأة الفلسطينية بزيها ، فهي ايضا تقومبالاهتمام بتزيين البيت بقطع مطرزة على شكل وسائد وجدرانيات تعلق على الحائط ومفارش للطاولة · والغرزة الفلاحية هي الغرزة المتبعة في هذه الاعمال · وفي بعض الاحيان تستغل المرأة صدر ثوب ما زال في حالة جيدة ، فتحوله الى وجه لوسادة ·

ان احداث فلسطين عام ١٩٤٨ ، عندما تعرض شعبها للمؤامرة الامبريالية الصهيونية ، والتي نتج عنها تشريد اكثر من نصف سكانها ، اثرت بشكل كبير على هذا الفن الشعبي · لقد كانت لتلك الاحداث اثار بالغة في الحياة الاجتماعية · فبعد ان كان الانسان الفلسطيني يعيش على ارضه ، يفلحها ويزرعها في نمط حياة مستقرة نسبيا ، اصبح لاجئا يعيش في مخيمات للاجئين · واتجه الاهتمام في السنين الاولى بعد النكبة نحو تأمين سبل العيش في ظل الاوضاع الجديدة · وكان التعليم اهم هدف وجه الاباء والامهات ابناءهم اليه · وكان حظ الاناث كحظ الذكور في ذلك · ولاول مرة فتحت مجالات التعليم الجامعي للاناث ، الشيء الذي كان مقتصرا على الذكور فيما مضى · ففي ظل الاحتلال البريطاني وعملا بالتقاليد كانت الفتاة تحصل على قسط من التعليم الابتدائي والثانوي قبل عام ١٩٤٨ · وقليلات هن اللواتي استطعن اختراق هذه الحواجز وتحصيل التعليم الجامعي ومعظمهن من بنات العائلات المعروفة في المدن الرئيسية · وكانت الفتاة بعد تحصيلها لشيء من التعليم الابتدائي والثانوي تنتظر نصيبها للزواج ومن ثم مشاركة زوجها العمل ، وكان في غالبه عملا زراعيا ·

ولم يقتصر الامر على تحصيل الفتاة للتعليم العالي الجامعي فحسب ، بل مضت بعد ذلك الى العمل في مجالات مختلفة ، خاصة في التعليم ، سواء في البقعة التي يعيش فيها اهلها ، او بعيدا عنهم في بلدان الخليج العربي والجزيرة العربية وغيرها من الاقطار ·

وبهذه الظروف الاجتماعية المختلفة اصبحت المرأة الفلسطينية المعاصرة ، او الغالبية العظمى منهن غير قادرات على ممارسة التطريز كما كانت عليه التقاليد فيما مضى · غير ان الرغبة الكامنة في ممارسة هذا الفن اسفرت في اوائل الخمسينات عن انشاء مراكز خاصة للتطريز في اماكن التجمع الفلسطينية ، في قطاع غزة والاردن وسوريا ولبنان · وكان الهدف منها الحفاظ على هذا التقليد الفني ، وتمكين بعض العائلات من العيش عن طريق ما كان يدفع مقابل العمل في هذه المراكز · ان اهمية تلك المراكز لا تكمن في نوعية الانتاج او كميته فحسب ، بل في الشعور بضرورة الاستمرار في ممارسة وانتاج هذا الفن ·

وبعد انطلاق الثورة الفلسطينية ، خاصة في السنين الاخيرة ، ازداد الاهتمام بهذه النواحي ، وازدادت معها مراكز التطريز باشراف اجهزة ومؤسسات اجتماعية تعمل ضمن اطار الثورة الفلسطينية ·

ومن الجدير بالذكر ان بعض الفنانين التشكيليين خاصة الفنانات منهم ، يشارك في الرأي ، وفي تطوير الشكل العام ، وابتكار الجديد المستوحى من القديم ·

الزي الشعبي للرجل

لا شك في ان زي الرجل في فلسطين يتميز عن زي المرأة بالبساطة التامة · ان زي الرجل الاكثر شيوعا هو الزي الذي يلبسه الكثير من سكان المدن وجميع القرويين · ويتألف هذا الزي عادة من الثوب الذي يدعى القمباز ومن السروال والطاقية والحطة والعقال والحزام والمعطف والعباءة ·

القمباز : العادي وهو الشائع ، يصنع من قماش اطلس يميل لونه الى الازرق الرمادي الفاتح · البسيط وهو قماش كتاني مخطط بنفس الالوان السابقة تقريبا ، وهو ارخص ثمنا

ويدعى « ديماية » · المترف ، وهو من قماش حريري يدعى « الروزا » ذو لون بيج فاتح · واخر حريري القماش ويدعى « غباني » ذو لون بيج فاتح مطعم بزخارف بلون بيج غامق ·

الشتوي ، ويكون عادة من الصوف تغلب عليه الالوان الداكنة · والقمباز عبارة عن ثوب طويل حتى اعلى القدمين وباكمام طويلة ليست واسعة ومفتوح من الامام · يلبس كالمعطف ، ثم يرد احد جانبيه الى الداخل والجانب الاخر فوقه · وله رباطات من الداخل والخارج لتمسك الجانبين وتثبتهما على بعضهما البعض · وغالبا ما يلبس القميص العربي من تحته ، وهو قميص عادي ذو قبة غير مثنية مرتفعة قليلا عن قبة القمباز الدقيقة وغير المثنية ايضا ·

السروال : ويلبس تحت القمباز ، وهو من اللون ألابيض او الاسود او الازرق الداكن · وغالبا ما يكون الابيض صيفا والداكن شتاء · ويصنع السروال من قماش كتاني عادة ، الا ان القمباز يحدد نوعية قماش السروال ولونه · وهو في معظم الاماكن عريض من الخصر وضيق عند فتحات الاقدام ، ويزم عرضه عند الخصر بواسطة دكة من القيطان الخاص ·

الطاقية : اما قطنية او صوفية وهي تشغل باليد ، وكان بعض الرجال يصنعونها بايديهم، غير ان مثل هذه الطواقي كانت تتوفر جاهزة في محال البيع · وتلبس الطاقية القطنية عادة تحت الحطة ، الهدف منها امتصاص عرق الرأس ، لذلك تدعى في بعض المناطق عراقية · اما طاقية الصوف فتلبس في بعض المناطق وحدها على الراس اثناء العمل ·

الحطة : وتدعى ايضا الكوفية ، وهي قطعة قماش بيضاء مربعة الشكل من القطن الناعم، تلبس بعد ثنيها على شكل مثلث على الرأس منسدلة على الاكتاف ويثبتها العقال ·

العقال : وهو على هيئة حبل مجدول من وبر الجمال او شعر الماعز ، ذو لون اسود ، ويكون على شكل حلقة يوضع على الرأس بشكل حلقتين لتثبيت الحطة على رأس لابسها · ويتدلى منه خلف الرأس حبلان رفيعان او اكثر من نفس الخامة واللون ينتهي كل واحد منها بشراشيب صغيرة ·

الحزام : قطعة من القماش الحريري الاسود ينتهي طرفاها بشراريب قصيرة ، احيانا تكون ذات خطوط فضية عريضة فيطرفيها وتدعى الشملة · وهي تلف اكثر من لفة حول الخصر فوق القمباز · وهناك حزام اخر يلبسه الكبار في السن ، هو من قماش صوفي ناعم ، واحيانا حريري ذو زخاريف منسوجةبالوان متنوعة · ويستعمل الكثيرون الحزام الجلدي ، وهو « القشاط » العادي · كما يلبس القمباز دون حزام ايضا ·

المعطف : يكون عادة معطفا عاديا اوروبي الشكل ، قصير ذا قبة مقلوبة دقيقة ، واحيانا يكون المعطف طويلا حتى الركبة · ويتحكم في نوعية قماشه ولونه نوع القمباز الملبوس ·

العباءة : ومنها الرقيقة الشفافة من الصوف الناعم ذات لون ابيض او بيج وهي العباءة الصيفية · اما الشتوية وهي ايضا من الصوف وغالبا ما تكون من وبر الجمال ذات لون بني او اسود · والعباءة ذات شكل مربع لها فتحتان في اعلى كل جانب لليدين ، وهي مفتوحة من الامام وتزين الجزء المحيط بالرقبة زخارف مطرزة بالخيط الذهب ·

والعباءة رداء لا يلبس في اوقات العمل ، وهي على اي حال ليست لباسا شعبيا بقدر ما هي خاصة برجال ذوي مراكز مرموقة اجتماعيا · كما انها ليست لباسا فلسطينيا ، بل هي عربية تلبس في معظم انحاء بلدان الشرق العربي ·

هناك زي خاص يلبسه العاملون في البحر ، وينتشر هذا في مدن الشاطيء خاصـة مدينتي يافا وعكا · ويتكون هذا الزي من القميص العربي والصديري والسروال والشملة والطربوش · والقميص العربي ، كما اسلفنا ، هو قميص عادي ذو قبة مرتفعة قليـلا غير مثنية ، واكمام بسيطة دون سوار · وهو غالبا من القماش القطني او الحريري مـن لون ابيض وبيج ·

الصديري : وهي عبارة عن معطف بدون اكمام وبدون قبة ، قصير حتى الخصر مفتوح من الامام له على احد جانبي الفتحة صف من الازرار المصنوعة من القيطان ، يقابلها على الجانب الاخر صف مقابل من العراوي القيطانية ويحيط بالازرار والعراوي بعض الزخارف البسيطةالمطرزة بخيطان سميكة ذات لون قريب من لون الصديري ·

السروال : وهو اكثر عرضا واتساعا من السروال العادي الذي سبق ذكره ويختلـف عنه بوجود زخارف مطرزة بخيطان حريرية سميكة من نفس لون القماش على الجانبيـن حول الجيبين ·

الشملة : وهي السابق ذكرها ، تلف حول الخصر فوق ثنايا السروال العليا تحـت الصديري ·

زجاج الخليل :

قرب مصب نهر النعامين في خليج عكا ، وفي عهد الكنعانيين قبل نحو اربعـة الاف سنة اكتشف الكنعانيون صناعة الزجاج · فمن رمل ساحل خليج عكا النقي ومواد وجدت مصادفة قرب نار كانت موقدة لفترة طويلة ، وجد البعض بعد ان همدت النار قطعـا بلورية تكونت بفعل تلك العناصر · ومع التجارب اللاحقة تم اكتشاف الزجاج ، وصنـع منه الكنعانيون بعض الاواني ·

ومعمل زجاج الخليل التقليدي من احد اهم معالم التراث الفني الفلسطيني ، فقد شاعت شهرته عالميا · وهو معمل يعود تاريخه لمئات السنين · وتتولى ادارته والاشراف عليـه والعمل فيه عائلة تملك سر المهنة التي يورثهـا الاباء الى الابناء ·

ولا تزال الطريقة القديمة هي المتبعة في المعمل · وينتج هذا المعمل الزهريات والاباريق والكؤوس والقناديل والاطباق عن طريق النفخ والتشكيل باليد بالوان واحجام واشكال متنوعة كثيرة · كما ينتج الخرز باحجام تتراوح بين ٢ سم و ٤ سم طولا وحوالي ٢ سم عرضا يصنع منه قلائد للنساء وقناديل خاصة ·

ان الالوان الزرقاء هي الغالبة ، خاصة الازرق التركواز والازرق النيلي (اولترامارين) ومنها ايضا باللون العسلي والبنفسجي الفاتح والداكن · وكان يوجد اللون الاحمر العنابي الذي لم يعد المعمل ينتج منه منذ سنين لاسباب مجهولة ·

اعمال الصدف :

بالاضافة الى شهرة بيت لحم بتطريزها الفريد من نوعه تشتهر في صناعة الصدف ، وهي المدينة الوحيدة في فلسطين ، التي تصنع من الصدف تحفا ذات اشكال والوان ونقوش اصبحت معروفة بطابعها ٠

وكما هو حال معمل الزجاج التقليدي في الخليل ، فان صناعة الصدف في بيت لحم تعود لمئات السنين ٠ وقد بدأت في عمل المسابح بادىء الامر من اجل تزويد حجاج بيت لحم بها كتذكار من الاراضي المقدسة ٠ ثم تطورت في اواخر القرن الماضي وفي القرن الحالي الى صناعة الحلى النسائية وغلافات للكتب الدينية والعلب ذات الاشكال المختلفة والاحجام المتعددة ، اضافة الى نماذج مجسمة لمبان شهيرة كمسجد الصخرة ولصور تمثل ميلاد المسيح وما شابه ذلك ٠ ويستعان بخشب الزيتون في عمل العلب الصدفية المذكورة والصلبان ، كما تستخدم الفضة في صنع بعض الحلى الصدفية ٠

وهذه الصناعة مقتصرة على عائلات بيت لحم ٠ ومنذ اوائل هذا القرن لجأ التلحميون لتدريب جيرانهم في قرى بيت جالا وبيت ساحور للاستعانة بهم بعد ان ازداد الطلب على انتاجهم وعمت شهرة الاعمال الصدفية انحاء كثيرة في العالم ٠

ويستورد الصدف الخام من بومباي في الهند ومن جدة على البحر الاحمر ٠

وينقع الصدف الخام في الماء الممزوج ببعض المواد الكيمائية لازالة شوائبه وتليينه ويقطع فيما بعد باشكال مختلفة تستعمل حسب الحاجة ٠ ثم تمر هذه القطع بسلسلة من العمليات يتولى كل من العمال الاهتمام بجزء واحد منها ٠

هناك لونان اساسيان للصدف ، الابيض او المموج المتعدد الالوان المائلة الى الاخضر ، وكلاهما لماع ٠

خشب الزيتون :

تشتهر القدس بتصنيع خشب الزيتون ٠ ولا يظن انها صناعة قديمة كصناعة الزجاج والصدف بل تعود الى حوالي مائة سنة على الاكثر ٠ غير ان صناعة المسابح من خشب الزيتون ومن عجم الزيتون معروفة منذ القدم فقد ذكرها كثير من الرحالة العرب والاجانب قبل مئات السنين ٠

ان تدفق الحجاج والسياح على فلسطين باعتبارها الاراضي المقدسة ، خاصة الى القدس وبيت لحم ، دفع الاهلين لتطوير هذه الصناعة في اشكال منحوتات انسانية وحيوانية وعلب وحلى لتكون في متناول الحجاج والسياح كتذكار من القدس ٠

ومن المعلوم ان خشب الزيتون يمتاز بجمال لونه الطبيعي وتموجات الوانه ٠ كما يمتاز ايضا بصلابته وقدرته على البقاء طويلا ٠

ولا يستخدم خشب الزيتون في تصنيعه الا اذا كان كامل الجفاف ، اذ يتعرض للتشقق فيما لو استخدم رطبا ٠ ويستغرق جفافه وقتا طويلا يزيد على الشهور ٠
وهو لا يطلى باي طلاء ، بل يمسح بالليسترو (الكملاكة المحلولة بالسبيرتو) او بزيت الزيتون ، وذلك للحفاظ على جمال الوانه وتعريقته الطبيعية ٠

المعادن :

تنحصر الحرف المعدنية في فلسطين في : ١ ـ الحلى الفضية والذهبية • ٢ ـ الاواني النحاسية • ٣ ـ الادوات الحديدية • ٤ ـ الاسلحة التقليدية •

الحلى الفضية والذهبية :

وصناعة الحلى قديمة قدم الزمان الذي عاش به الانسان على ارض فلسطين منذ الاف السنين • فالمرأة الكنعانية عرفت الزينة وتحلت بالقلائد والاساور وغيرها •

ان صناعة الحلى كانت منتشرة في كل المدن الفلسطينية ، ذهبية كانت ام فضية • غير ان الفضية تتميز عن الذهبية بقيمتها الفنية • ان الحلى الذهبية في فلسطين لم تختلف كثيرا في شكلها العام عن باقي حلى المنطقة العربية • ان في الذهب قيمته المادية ، اما الفضية فالقيمة الفنية ذات الشكل المميز هي القيمة •

واشتهرت القدس اكثرمن غيرها من المدن الفلسطينية في هذه الصناعة ، خاصة في الخمسين سنة الاخيرة •

وكما الازياء التي ينتسب كل زي منها لمنطقة او بلدة في فلسطين ، كذلك الحلى الفضية • فالمرأة في نابلس تلبس في عنقها قلادة تختلف عن تلك التي تلبسها المرأة في بئر السبع او الخليل او القدس •

ويعرف من هذه الحلى الفضية :

القلائد : الزناق العادي ، وهو سلسال يثبت الوقاة على الراس ويتدلى منه تحت الذقن قطعة نقدية فضية قديمة •

زناق السبعة أرواح ، وهو سبع سلاسل متصلة تثبت الشطوة التلحمية على الراس •

الكردان ، اصابع من الفضة مثبتة على شريط قماشي ،تتدلى منها حلقات وحبيبات واشكال وقطع نقود صغيرة ، ومن الوسط يتدلى هلال او اكثر •

الشعيرة ، وهو قلادة تحتوي على صف من حبيبات بشكل حبة الشعير •

الحرز ، سلسلة يتدلى منها شكل مستطيل يحتوي على ايات قرانية او حجاب •

الماسكة ، سلسلة يتدلى منها مثلث معلق بها بعض قطع النقود الفضية القديمة •

السمكة ، على هيئة سمكة تحملها سلسلة •

ومن الاساور : البسيط ويدعى السحوب او السحب بدون زخرفة وهو رفيع •

المحبر وهو عريض ومزخرف وتكون الاجزاء العميقة من الزخرفة مسودة •

الحيدري متوسط العرض وذو خمسة نتوءات كالقباب •

الحبيات وهو يحتوي على حبيبات متراصة ، منه متوسط العرض ومنه العريض •

المبروم ، وهو سوار من حبلين من الفضة مجدول •

وهناك الخلخال ويسمى احيانا الحجل ، ويلبس في الساق فوق القدم ، ومنه ما يزين بالاجراس الصغيرة ٠ كما ان هناك الاقراط والخواتم والاشناف (جمع شناف) وهي حلقة ذات زخارف للانف ، كما ان هناك ايضا دبابيس الشعر ٠

الاواني النحاسية :

ان اهم هذه الاواني هي اباريق القهوة والتي يصنع منها انواع كثيرة ، ذات اشكال واحجام مختلفة حسب وظيفة كل منها ٠ كذلك اباريق الماء وتوابعها ٠ والمنقل وتوابعه ايضا ، ويستعمل للتدفئة بواسطة الفحم الخشبي كما يستعمل لتحضير وغلي القهوة ٠

والصواني ، سواء كانت للاستعمال ام للزينة ، فانها لا تخلو من القيمة الفنية خاصة تلك التي للزينة فتكون مكسوة بالزخارف ٠

ان هذه الصناعة كانت موجودة في عدد من المدن الفلسطينية كالقدس ويافا ونابلس والناصرة وعكا ، وهي حرفة عربية منتشرة في شتى انحاء الوطن العربي ٠

الادوات الحديدية :

ان معظم الادوات الحديدية التي تصنع هي في معظمها ادوات زراعية ـ ونادرا ما نالت قسطا من الاهتمام الفني ٠ انها ادوات بسيطة بدون اية زخارف ولها شكل يخدم الوظيفة التي من اجلها صنعت ٠ وكانت اهم هذه الادوات هي المحراث والمنجل والفأس والطورية (فأس ذو بطن عريض مقوس) وغيرها مما يستعملها الفلاح في عمله اليومي ، الى جانب الادوات التي يحتاجها النجار والحداد وغيرهما في العمل ٠ وقد وجدت هذه الحرفة في كل المدن الفلسطينية لتلبي حاجة الفلاح والعامل ٠

الاسلحة التقليدية :

مع انقراض استعمال هذا النوع من الاسلحة انقرضت هذه الحرفة ولم يتبق منها الا نفر قليل جدا يعمل فيها بالطرق والاساليب القديمة ٠ وقد تغير الهدف من صنع هذه الاسلحة ، كالسيف والخنجر والشبرية (خنجر ذو شكل يختلف عن شكل الخنجر العادي) فاصبحت تصنع من اجل الاستمرار في تقاليد معينة ، او من اجل الوجاهة او الزينة ٠ ومنها ما يصنع خصيصا ليباع الى السياح الاجانب كتذكار من فلسطين ، ويكون هذا الاخير من مواد وزخارف بسيطة ٠

وتغطي الزخارف العربية الاسلامية الطابع والمطعمة احيانا بالاحجار الكريمة والاصداف والعاج ، والتي تكون مادتها الاساسية غالبا من الفضة المطعمة بالذهب ، جميع انحاء المقبض والغمد ، واحيانا ينقش النصل ببعض النقوش ٠

الفخار :

تدل المكتشفات الاثرية على وجود اثار من الفخار التي يرجع تاريخها الى العصر الحجري الحديث ٠ وهي اوان مختلفة الاشكال ومتنوعة الوظائف ومزينة بالزخارف

المستمدة من اشكال الحيوانات والنبات · ويدل ذلك على تقدم في هذه الصناعة منذ الاف السنين ·

ان صناعة الفخار وجدت بشكل مستمر عبر الاف السنين في فلسطين · فمنها كان يصنع الانسان العادي معظم ادواته التي يستعملها في البيت ، والتي كان يحفظ فيها زيته وزيتونه وغلاله ·

اما صناعة الفخار في وقتنا الحاضر في فلسطين ، فهي ما تزال صناعة بدائية تتبع الطرق البسيطة في صناعته ، سواء من حيث تحضير الطين اللازم ، او صنع الاواني او شيها· فالدولاب الذي يدار بالقدم هو الشائع المستعمل ·

وهناك لونان من الفخار في فلسطين ، الاسود والبني الذي يكون تارة فاتح اللون لدرجة البيج الفاتح ·

وتشتهر مدينة الرملة والخليل وعكا وغزة بهذه الصناعة الشعبية ، وقد انحسرت بعد عام ١٩٤٨ في كل من غزة والخليل ونابلس · اما قرية الجيب وهي قرب القدس ـ فتشتهر بصناعة القدور ·

ومن الفخار تصنع اواني الطعام والماء باشكال مختلفة ، لها طابع مميز يختلف الى حد ما بتشكيله عن مثيله في الاقطار العربية المجاورة · كما يصنع من الفخار ايضا جسم بعض الالات الايقاعية مثل الدربكة او الطبلة والنقارة والبازة ·

وكثير من الاواني كان يزخرف بمادة ملونة خاصة من الاحمر والاسود وكانت بعض عناصرها من النبات ، وفي غالب الاحيان مجرد خطوط واشكال لا معنى لها ·

كما ان بعض الاواني مثل القدور واطباق الاكل والاوعية الكبيرة لحفظ الزيت كانت تلبس بقشرة زجاجية ·

الخزف :

ان معظم زخارف وكتابات مسجدي الاقصى والصخرة في القدس مصنوعة من الخزف · ونظرا لحاجة هذين المسجدين للترميم بشكل دائم من اجل الحفاظ على ما يحتويانه ويحتويه غيرهما من الاثار الفنية النفيسة ، فقد انشىء معمل للخزف في اوائل هذا القرن (١٩١٩) في مدينة القدس ·

ويعمل هذا على عمل بديل للقطع التي تتعرض للتلف بتاثير من العوامل الطبيعية او الحروب ·

واضافة الى ذلك ، حيث ان عملية الترميم ليست عملية مستمرة يوميا ، فقد بدأ المعمل ، منذ تأسيسه ، بصنع اوان واشكال مختلفة الاحجام والوظائف كالزهريات والاباريق والاطباق والقناديل وما الى ذلك · واصبحت هذه الصناعة واحدة من الحرف الفنية الشعبية التي تلبي حاجة الحجاج والسائحين في الحصول على تذكار من القدس ·

ويستعمل المعمل الطرق اليديوية في العمل · فالدولاب يدار بالقدم ، والرسوم تتم باليد ، وطريقة الشي تطورت نوعا ما باستعمالهم المازوت والغاز بدلا من الحطب · اما نوعية الزخارف ، فهي في معظمها مستمدة من روح زخارف مسجدي الصخرة والاقصى ، ومن زخارف ورسوم عربية اسلامية في فلسطين ، مثل قصر هشام في اريحا ·

خليل بركات

ممارسات الاحتلال الصهيوني في الجنوب

على الرغم من احتلال العدو الصهيوني لاجزاء كبيرة من جنوب لبنان ، في شهر اذار ١٩٧٨ ، فان الحرب التي خاضتها قوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ضد القوات الصهيونية ، قد ادت الى الحاق هزيمة معنوية بالعدو ، وتكبيده خسائر جسيمة في الارواح والمعدات ٠

وتتمثل هذه الهزيمة **اولا** ، في ان العدو لم يستطع الوصول الى الحدود التي وصل اليها في احتلاله ، الا في اليوم السادس للقتال ، وذلك بسبب صمود مقاتلي الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية في وجهه ، وخوفه من وقوع خسائر بشرية في صفوفه ٠

ولقد حاول العدو ان يخفي هزيمته تلك ، باعلانه بعد ظهر يوم الاربعاء في ١٥ اذار ١٩٧٨ ، اي بعد اربعة عشر ساعة على بدء الهجوم ، انه احتل اراض بعمق عشرة كيلومترات على طول الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة ٠ في حين ان احتلاله ، في ذلك اليوم لم يكن يتجاوز مسافة ثلاثة كيلومترات عمقا ، في ابعد نقطة من الحدود ، بما فيها المناطق التي كان الانعزاليون يسيطرون عليها ٠ كما اراد العدو باعلانه هذا ، ان يوهم الرأي العام العالمي ، بانه قد اوقف تقدمه ، وان عملياته العسكرية مقتصرة فقط على « تمشيط » المناطق التي احتلها من « المخربين » وذلك بغية تخفيف الضغط الدولي عليه ٠

وتتمثل الهزيمة المعنوية **ثانيا** ، بفشل العدو في سحق مقاتلي الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ٠ اذ انه على الرغم من اشتراك حوالي ثلاثين الف جندي صهيوني في الحرب ، مزودين بأعداد كثيفة من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة ، الى جانب النشاط الجوي الكثيف ، والذي شاركت فيه طائرات ف ١٥ لاول مرة ، فان العدو لم يتمكن من القيام بعملية السحق تلك التي كانت هدفا رئيسيا من اهدافه ، بل على العكس من ذلك ، فقد تكبد العدو خسائر بشرية جسيمة نسبيا فضلا عن تدمير العشرات من آلياته المدرعة ٠

وتتمثل الهزيمة المعنوية **ثالثا**، في حالة الخوف التي كانت تنتاب جنود العدو، على الرغم

من انعدام التكافؤ في القوى ، عدة وعددا ٠ اذ لم يكن عدد القوات المدافعة كبيرا ، وهي مزودة بالاسلحة الفردية والرشاشات المتوسطة والثقيلة ، وقواذف ب٧ المضادة للدروع ، وعدد من قطع المدفعية ٠ لقد تجسدت حالة الخوف هذه ، بتردد آليات العدو في التقدم ، دون غطاء جوي ، وتمهيد بالقصف الجوي والمدفعي على الاهداف المنوي التقدم نحوها ٠ وعلى سبيل المثال ، فان العدو لم يدخل بلدة « تبنين » الا بعد مرور اكثر من اربع وعشرين ساعة على القصف المتواصل للبلدة ، ظنا منه ان مقاتلي الثورة الفلسطينية يتمركزون في داخلها ، الامر الذي دفع ببعض الاهالي الى الخروج اليه ، وهم يحملون منديلا ابيض ، حيث طالبوه بايقاف القصف ، لان البلدة لم يعد فيها احد من المسلحين ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد هدد الضابط وتوعد ، فيما لو تعرضت قواته لخدعة وواجهت مقاومة في داخل البلدة ٠ والحقيقة انه لم يكن في البلدة سوى مركز ادارة يتواجد فيه سبعة من المقاتلين ، شاغلوا العدو لبعض الوقت ، ثم انسحبوا من البلدة عبر الوادي من الجهة الغربية ٠

الاجواء التي رافقت الاحتلال

اقدم العدو الصهيوني والمتعاونين معه من الانعزاليين على ارتكاب المجازر وقتل المدنيين ، ونسف وتدمير المنازل والاضرار بالاراضي والممتلكات الزراعية ، واعمال السرقة في المناطق التي احتلها في الجنوب ٠ وقد اثارت هذه الاعمال موجة من الفزع والرعب ، دفعت بالكثير من المواطنين الى النزوح وترك المنطقة ٠ ولعب الانعزاليون بقيادة سعد حداد دورا رئيسيا في ارتكاب تلك الجرائم بموافقة العدو الصهيوني الضمنية ٠ ذلك ان الانعزاليين لم يكن باستطاعتهم القيام بهذا الدور ، من دون ان يضمنوا رضى الصهاينة ٠ ويبدو ان العدو الصهيوني حاول ارهاب المواطنين في الايام الاولى للحرب ، بافساح المجال امام الانعزاليين لارتكاب جرائمهم ، بغية دفع المواطنين للالتجاء اليه وطلب الحماية منه ، لارغامهم على التعاون معه ٠

اولا – ارتكاب المجازر واعمال القتل :

على اثر احتلال العدو الصهيوني لبلدة **الخيام** ، دخلت القوات الانعزالية البلدة ، وكان فيها خمسون رجلا وامرأة من الطاعنين في السن ، وذلك من اصل حوالي عشرين الف نسمة كانوا فيها قبل اندلاع الفتنة في لبنان في نيسان ١٩٧٥ ، واقدمت هذه القوات على ارتكاب مجزرة رهيبة من نوعها ذهب ضحيتها تسعة وعشرون شخصا تتراوح اعمارهم ما بين ٦٠ – ٨٠ سنة (١) ٠ فقد جمع الانعزاليون هؤلاء ، واعدموهم رميا بالرصاص انتقاما من صمود البلدة في وجههم ، واستطاع الباقون الفرار باستثناء تسعة اشخاص ، اقدم العدو لاحقا على قتل ستة منهم ، من بينهم رجل مقعد يبلغ من العمر ثمانين عاما ، وزوجته ، في اواخر شهر نيسان ١٩٧٨ ، بينما وصل الثلاثة الباقون الى بيروت (٢) ٠

وفي بلدة **العباسية** ، استشهد مئة واربعون من المدنيين ، ما بين رجل وامرأة نتيجة القصف بالطائرات والمدفعية ، فدمر جامع البلدة على من كان مختبئا فيه ، واستشهد ستون شخصا تحت الانقاض ، كما استشهد الباقون تحت انقاض المنازل ، فكان من بينهم اسر بكاملها (٣) ، علما بأن هذه البلدة لم يكن فيها قواعد للفدائيين ٠

وفي قرية **كونين** ، استشهد ٣٥ شخصا من ابنائها المدنيين تحت الانقاض ، من بينهم

اسرة بكاملها ، نتيجة القصف الجوي والمدفعي · كما استشهد اربعة عشر شخصا بالقرب من **عدلون** ، كانوا في طريقهم ليلا الى بيروت ، عندما وقعوا في كمين للكومندوس الصهيوني ، فضربت السيارتان اللتان كانتا تقلانهم بالقذائف المضادة للدروع ، فقتلوا جميعا باستثناء اثنين من الركاب (٤) · كذلك ابيدت عائلة بكاملها من قرية **دير سريان** ، عند مداخل « الطيبة » كانت في طريقها الى بيروت ·

وفي قرية **الغندورية** ، استشهد من ابنائها عشرة اشخاص بواسطة القنابل العنقودية التي كانت ترميها الطائرات (٥) ، كما استشهد من ابناء **الهبارية** احد عشر مواطنا (٦) ·

كذلك فقد اقدم العدو الصهيوني على قتل شابين من قرية **عين بعال** بعد ان اعتقلهما ، بتهمة عدم تنفيذ الاوامر (٧) ·

وفي **راشيا الفخار** ، استشهد عدد من ابناء القرية ، كانوا مختبئين في الكنيسة ، بعد ان تهدمت بسبب القصف ·

وازاء هول المجازر التي ارتكبها الانعزاليون ، اضطر رئيس اركان حرب جيش العدو الصهيوني ، مردخاي غور ، الى الاعتراف بها ، تبرئة لقواته منها ، فأعلن ، « ان قواته اضطرت لحماية اهالي بعض القرى في جنوب لبنان من الاعمال الانتقامية والنهب التي ارتكبها بعض العسكريين المحافظين » وقال ، ان هذه الاعمال تتعلق « بالنهب وبما هو اسوأ » (٨) كذلك فقد اعترفت صحيفة « جيروزاليم بوست » « الاسرائيلية » ، بأن قوات سعد حداد ، « ارتكبت اعمال عنف في بلدتي « الخيام » و « بنت جبيل » (٩) ·

ثانيا ــ الاعتقالات وعمليات الارهاب :

بعد الاحتلال لجأ العدو الصهيوني ، الى فرض جو من الارهاب على القرى التي احتلها ، ففرض منع التجول من الساعة السابعة مساء وحتى السادسة صباحا (١٠) · كما قام بتطويق العديد من القرى واعتقال عدد من الاهالي ، كما جرى في بلدة **العباسية** (١١)، حيث كان العدو ينقل المعتقلين بطائرات الهليكوبتر ، الى داخل فلسطين المحتلة ، ويخضعهم للتحقيق ، وكذلك الامر بالنسبة للمواطنين في قرية **الناقورة** ، (١٢) وقرية **حانويه** ، (١٣) وغيرها · كما اقدمت قوات العدو على اعتقال وضرب احد المواطنين اللبنانيين ، لان ابنته متزوجة من شاب فلسطيني (١٤) ·

ومن جهة اخرى حاول العدو ممارسة الضغط على مخاتير القرى المحتلة ورؤساء البلديات فيها ، وتوجيه التهديدات لهم ، من اجل حملهم على توقيع عرائض وتوجيهها الى المسؤولين في السلطة اللبنانية ، يطالبون فيها :

١ ــ « ببقاء القوات الاسرائيلية في الجنوب حتى دخول القوات اللبنانية الشرعية وتعزيز القوات الدولية »·

٢ ــ « عدم السماح للمسلحين الفلسطينيين واليساريين بدخول القرى بعد انسحاب اسرائيل منها » (١٥) ·

ومن اجل هذه الغاية وجه القائد العسكري الصهيوني ، للمنطقة الشمالية وقرى الجنوب المحتل ، دعوة الى المخاتير ورؤساء البلديات في المدن والقرى المحتلة ، لعقد اجتماع في النادي الحسيني في قرية **المنصوري** ، حيث استخدم مع المدعوين اسلوب

الترغيب والرهيب لحملهم على توقيع العرائض ٠ الا ان طلبه باء بالفشل (١٦) ٠

كذلك وزع الجنود الصهاينة على المواطنين ، بيانا صادرا عن « القيادة الشمالية ـ منطقة جنوب لبنان » ، تضمن اشارة الى الخدمات التي يؤديها « الجيش » في المجالات « الصحية ، والعمرانية ، والامنية » بغية تحقيق « سلامة ورفاهية المنطقة » ، مذكرا المواطنين بأنهم تحت « حمايته » و « خاضعون لمراقبته » ، طالبا منهم ، « بصورة عاجلة ، ان يتعاونوا بصورة كاملة مع جيش الدفاع ، وان ينفذوا جميع اوامره » ، وان يمنعوا « اي نشاط سري من قبل مبعوثي المنظمات التخريبية » ، وان يعلموا « قواد وجنود جيش الدفاع الاسرائيلي في المنطقة عن كل ما يحدث بخصوص التنظيمات لتنفيذ عمليات تخريبية وسرية » ، مهددا باتخاذ الخطوات الحازمة « ضد كل شخص تسول له نفسه عدم تنفيذ هذا الامر ، وستتخذ بحقه جميع الوسائل القانونية » (١٧) ٠

كذلك فقد كان العدو الصهيوني ، يلجأ في العديد من القرى ، الى اعتقال آباء الشبان الوطنيين ، للتحقيق معهم ، وتهديدهم بغية انتزاع اعترافات منهم تتعلق بأبنائهم (١٨) ٠

وعلى الرغم من انسحاب القوات الصهيونية من جزء من المنطقة واحتفاظها « حتى اشعار آخر » بقرى على طول الشريط الحدودي ، اطلقت عليها اسم قرى « الحزام الامني » ، وهي بعمق حوالي عشرة كيومترات ، فان اجواء الارهاب ما زالت مخيمة على القرى المحاذية للمنطقة التي ما زالت القوات الصهيونية تحتلها ٠ اذ ان دوريات الجيش « الاسرائيلي » تقوم من حين لآخر ، بدخول هذه القرى ، وتفتيش البيوت فيها وتوقيف الاهالي واستجوابهم ، كما جرى في **كفرشوبا وكفرحمام** (١٩) في القطاع الشرقي ، وفي **برعشيت** ، في القطاع الاوسط بتاريخ ١٩٧٨/٥/٥ ٠

ثالثا ـ السرقات :

رافق الاحتلال الصهيوني لقرى الجنوب ، عمليات سرقة ونهب واسعة قام بها الانعزاليون والجنود الصهاينة ٠ فقد اقدمت القوات الانعزالية في القليعة على سرقة الابواب والشبابيك في **ابل السقي** (٢٠) وكل ما وجدته في طريقها من اثاث واوان منزلية مستخدمة سيارات الشحن في نقلها الى **القليعة** ٠ وكذلك تعرضت بلدة **الخيام** الى ما هو اسوأ ٠ اذ نقل مراسل اليونيتدبرس خبرا من داخل « الخيام » ، يقول فيه « ان قوات سعد حداد نظفت المتبقي من هذا المعقل ، آخذة كل ما يمكن استخدامه في المنازل » (٢١)٠

وفي القطاع الاوسط ، قامت القوات الانعزالية بقيادة الرائد حنا الشدياق ، بأعمال النهب والسرقة في بلدة **بنت جبيل** وغيرها من قرى المنطقة ، مستخدمة ايضا الشاحنات في نقل المسروقات الى قرى **عين ابل** و **دبل** و **رميش** ٠

كذلك ، اقدم الجنود الصهاينة على سرقة كل « ما خف وزنه وغلا ثمنه » ، بحجة التفتيش عن السلاح في المنازل المهجورة ، فشملت السرقات : المصاغ والحلي ، والاواني المنزلية الدقيقة ، والساعات ، والاموال النقدية ، وحتى « الثريات » و « مسكات الابواب » في المنازل الفخمة ٠ وشملت هذه السرقات معظم القرى التي دخلها الجنود الصهاينة ٠

لقد اعترف مردخاي غور ، رئيس اركان « الجيش الاسرائيلي » ، بان قواته اضطرت « لحماية القرى في جنوب لبنان من اعمال النهب ٠٠ التي ارتكبها بعض العسكريين

المحافظين » (٢٢) · لكنه اضطر الى الاعتراف ايضا ، في تصريح له الى جريدة « معاريف » الصهيونية ، بأنه « وقعت حوادث نهب قام بها جنود اسرائيليون ، وان هؤلاء سيمثلون امام المحاكم العسكرية » (٢٣) · وفي وقت سابق اعلن ان واحدا وخمسين جنديا احيلوا الى المحاكمة لاشتراكهم في عمليات السرقة والنهب ·

ولم يكتف العدو الصهيوني بسرقة المنازل ، التي قام بها جنوده ، وانما لجأت « دولة » العدو ، الى سرقة الآثار من المنطقة التي احتلتها · اذ اقدم خبراء الآثار على الحفر والتنقيب عن الآثار بجوار قرية حانويه ، « ونبش قصر الملك حيرام ، الذي عثر فيه على تماثيل ذهبية ورخامية ونواويس واواني خزفية ونحاسية.وتوابيت وبعض الآثار النفيسة » (٢٤) ، ثم نقلها بواسطة طائرات الهليكوبتر الى فلسطين المحتلة · وفي خراج قرية شقرا اقدم العدو ايضا على القيام بحفريات في منطقة اثرية ، وشوهد ينقل بطائرات الهليكوبتر كمية من الآثار التاريخية ·

النزوح الناتج عن الحرب

لم تكن شدة القصف الذي قامت به طائرات العدو ومدفعيته في ضرب مدن الجنوب وقراه ، تمليها الضرورات العسكرية فحسب ، وانما املتها الضرورات السياسية ايضا · فلقد ادت شدة القصف هذه ، الى جانب عمليات الارهاب التي قامت بها القوات الصهيونية ، وبصورة خاصة القوات الانعزالية بأمرة الرائد سعد حداد ، الى نزوح حوالي مئة وخمسين الف مواطن من اقضية « صور » و « بنت جبيل » و « النبطية » – تعرضت هذه المنطقة للقصف ، ولكنها لم تقع في دائرة الاحتلال الصهيوني – و « مرجعيون » ، و « حاصبيا » ، توجه معظمهم نحو العاصمة بيروت ، كما توجه اخرون الى مدينة « صيدا » ، عاصمة محافظة الجنوب ، والى منطقة الشوف ·

وليست هذه هي المرة الاولى التي يشهد فيها الجنوب نزوحا بهذه الكثافة · فمنذ مطلع عام ١٩٧٧ ، وبعد ان نقلت القوى الانعزالية المؤامرة الى الجنوب بالتعاون مع العدو الصهيوني ، وفي ظل حمايته ، بدأت عملية النزوح من الجنوب الى العاصمة بيروت ، بسبب القصف المدفعي الصهيوني – الانعزالي الذي استهدف مدن الجنوب وقراه · بحيث بلغ مجموع عدد النازحين في الفترة ما بين كانون الثاني ١٩٧٧ ومطلع شهر اذار ١٩٧٨ حوالي مئة وخمسين الف نسمة ·

لقد شكل النزوح الاخير ، الناتج عن الحرب ، ازمة اجتماعية حادة ، لم يشهدها النازحون الجنوبيون من قبل · وسبب ذلك ، ان هذا النزوح جاء دفعة واحدة ، وتم بصورة عاجلة بحيث ان معظم النازحين من القرى التي تعرضت للاحتلال ، لم يتمكنوا من جلب التموين والملابس والفراش معهم ، كما لم يجدوا اماكن سكنية كافية لايوائهم ·

الا انه بعد مضي اسبوعين على الاحتلال ، بدأت جموع النازحين تعود تدريجيا الى المنطقة ، بحيث وصل عدد العائدين خلال شهر واحد حوالي ٧٥ الف نسمة ، اي نصف عدد الذين نزحوا خلال فترة الحرب · وتركزت العودة بصورة رئيسية على القرى التي انسحب منها العدو ·

شق الطرقات وتعبيدها واقامة التحصينات

منذ اليوم الاول للاحتلال ، بدأ العدو بشق الطرقات وتعبيدها في المناطق المحتلة ، كي

يسهل على قواته الانتقال للامساك بمحاور الطرق في المنطقة ، الامر الذي يكشف نواياه العدوانية والتوسعية في المستقبل . وقد اعلن احد الجنود الصهاينة ردا على سؤال لاحد ابناء قرية « راشيا الفخار » : « اننا نشق الطريق ، فربما احتجنا اليها بعد خمسين سنة !! » . وعلى هذا الاساس اقدم العدو على شق وتعبيد الطرق التالية ، بالاضافة الى بناء بعض الجسور :

- شق وتعبيد طريق تصل فلسطين المحتلة ببلدة « شبعا » ، ويبلغ طولها اربعة كيلومترات (٢٧) ، وتركيب جسر حديدي طوله ١٢ مترا وعرضه ٣٫٥ م فوق نهر « شبعا » (٢٨) . وبذلك يكون العدو قد ربط قرية « شبعا » في منطقة العرقوب بفلسطين المحتلة ، بواسطة طريق معبد بعد ان كان الوصول اليها من قبله صعبا بسبب وعورة المنطقة .

- شق وتعبيد طريق تصل فلسطين المحتلة بقرية « راشيا الفخار » ، عبر قرية « الماري » ، ومزرعة « الخريبة » (٢٩) ، وبذلك يكون العدو قد سهل عملية انتقال قواته المحمولة ، وآلياته ، الى قرية « راشيا الفخار » التي تقع في مؤخرة منطقة العرقوب .

- شق طريق يربط « راشيا الفخار » بالتلال المحيطة بها لجهة « الهبارية » و « الفرديس » (٣٠) .

- شق طريق تصل القرى الاتية : « القليلة » ، « المعلية » ، « الكنيسة » ، « المالكية » ، « الشعيتية » ، « الرمادية » ، و « قانا » . وشق طرقات فرعية حول هذه القرى (٣١) . وبذلك يكون العدو قد وصل قرى هذا المحور بعضها ببعض وبالحدود مع فلسطين المحتلة .

- تعبيد الطريق الرئيسي الذي يربط مستعمرة « يرئون » في الجليل الاعلى ، في فلسطين المحتلة ، مع القرى الجنوبية وبعض قرى الجليل : « يارون » ، « مارون الراس » ، « حانوتا » و « البصة » - في فلسطين - ، « البستان » ، « يارين » ، « الجبين » ، « طير حرفا » ، « شمع » ، « رأس البياضة » ، « شيمين » ، « مجدل زون » (٣٢) .

والى جانب ذلك ، فان العدو ما زال يقيم التحصينات العسكرية في التلال المشرفة على قرية « كفرشوبا » في العرقوب ، وفي العديد من القرى التي ما زالت واقعة تحت الاحتلال .

الاضرار المادية الناتجة عن حرب الجنوب

تعرضت منطقة الجنوب ، بنتيجة الحرب ، لاضرار مادية جسمية في الممتلكات والمزروعات والمنازل ، تقدر بمئات الملايين من الليرات اللبنانية .

فعلى صعيد الاضرار اللاحقة بالمباني ، - نبرز القرى التي تضررت اكثر من غيرها - دمرت قرية **راشيا الفخار** بالقصف المدفعي والجوي ، ونسف عدد من المنازل فيها بعد الاحتلال ، فلم يسلم منها سوى خمسة منازل من اصل مئتي منزل (٣٣) . وفي بلدة **العباسية** بلغ عدد المنازل التي تهدمت ونسفت حوالي مئة وخمسين منزلا (٣٤) ، اما منازل قرية **ابل السقي** فقد تهدم معظمها ، علما بأن القرية تضم حوالي ٢٥٠ منزلا (٣٥) .

وفي **الغندورية** ، وهي قرية صغيرة ، تم نسف وتدمير جميع منازل القرية وعددها ٤٠ منزلا (٣٦) . وفي مزرعة **الخريبة** تهدم ٢٠ منزلا بما فيها كنيسة القرية (٣٧) . وفي بلدة **تبنين** تهدم ٣٠ منزلا ، وتصدع ١٠٠ منزل (٣٨) ونسفت عدة منازل . وفي **قانا** دمر واصيب بأضرار جسيمة ٦٧ منزلا (٣٩) . وفي **صديقين** تهدم ونسف ١٥ منزلا ، كما تصدعت عشرات المنازل فيها (٤٠) . وفي **حداثا** فان معظم منازل القرية التي يبلغ عدد سكانها اربعة الاف نسمة قد تهدمت او اصيبت بأضرار (٤١) . وفي **حاريص** بمرت ثلاثة منازل (٤٢) . وفي **دردغيا** تهدمت خمسة منازل ونسف منزل اخر (٤٣) . وفي **دير قانون** نسف منزلان وتهدمت عشرات المنازل (٤٤) . وفي **جويا** اصاب الدمار الكامل او الجزئي عشرات المنازل بالاضافة الى نسف عدة منازل . وفي **دير كيفا** نسف العدو ثلاثة منازل (٤٥) . كما نسف اربعة منازل في **كفردونين** ، واحرق اربعة منازل اخرى بالاضافة الى تهديم منزل واصابة عشرة منازل اخرى بأضرار . وفي **باتوليه** تهدم ونسف حوالي ٣٠ منزلا (٤٦) . وفي **الجبين** تم نسف سبعة منازل (٤٧) ، كما اصيبت عشرات المنازل بأضرار في قرية **معركة** (٤٨) . وفي **القنطرة** تم تدمير وحرق معظم منازل القرية (٤٩) . كما نسف العدو ٤ منازل في **القليلة** (٥٠) و ٢٨ منزلا في **الناقورة** ، وعدة منازل في **المنصوري والبياضة وشمع وطير حرفا والعلية وعين بعال** (٥١) . بالاضافة الى الاضرار الجسيمة التي وقعت بعشرات المنازل في هذه القرى وخاصة في قريتي **الناقورة وطير حرفا** ، من جراء القصف . وفي بلدة **البازورية** نسف منزل واحد ، ودمر ٣٥ منزلا من جراء القصف ، كما اصيب ٤٤ منزلا اخر بأضرار (٥٢) . وفي قرية **وادي الجيلو** هدمت ٤ منازل ، وفي **عيتيت** ٣ منازل (٥٣) . كما دمرت ٥ منازل في منطقة **الحوش** ، و ٣ منازل في **زبقين** ، ومنزلان في **جبال البطم** ، ومنزل في **حانويه** ، ومنزل في **الرمادية** واصيبت عشرات المنازل بأضرار في قرية **ياطر** (٥٤) . كما قام العدو بنسف معظم المنازل في مزرعة **الحنية** (٥٥) ، وعشرات المنازل في قرية **مارون الراس** التي تصدعت فيها معظم المنازل واصيبت بأضرار جسيمة .

اما في مدينتي **بنت جبيل والخيام** ، وكذلك في قريتي **الطيبة ورب ثلاثين** فانه يصعب التمييز بين الاضرار التي لحقت بمنازلها خلال فترة الحرب ، وبين الاضرار التي اصابتها منذ مطلع سنة ١٩٧٧ وحتى بداية الحرب . الا أنه من المؤكد ان العدو الصهيوني قد أقدم على نسف عدد من المنازل في كل منها وخاصة في مدينة بنت جبيل .

لقد دمرت معظم المنازل في قرية **رب ثلاثين** التي يبلغ عدد سكانها ١٥٠٠ نسمة ، وتصدع الباقي ، بحيث لم يعد صالحا للسكن فيها سوى بضعة منازل . اما قرية **الطيبة** التي يبلغ عدد سكانها اربعة الاف نسمة ، فان معظم منازلها ايضا قد دمر . وفي مدينة **الخيام** دمر اكثر من مئة منزل ، واصيبت مئات المنازل فيها بأضرار جسيمة ، وهي المدينة التي يبلغ عدد سكانها عشرين الف نسمة . وكذلك الامر بالنسبة لمدينة **بنت جبيل** التي يبلغ عدد سكانها عشرين الف نسمة ايضا .

وفي جولة لقائمقام « بنت جبيل » على عدد من القرى التي انسحب منها العدو ، صرح على اثرها للصحف فقال : « لفت نظري الدمار الكبير والخراب البشع الذي حصل في قرى : « صديقين » و « حداثا » و « تبنين » و « جويا » فهناك بيوت كثيرة نسفت » (٥٦).

كما زار المدير الاقليمي لمندوب الامم المتحدة لشؤون اللاجئين في الشرق الاوسط ، جون كيلي ، ٢٥ قرية من القرى التي انسحب منها العدو فتبين له ان ما يزيد عن « الف مسكن متهدم كليا ، وحوالي ثلاثة الاف مسكن متضرر جزئيا » فيها (٥٧) .

اما على صعيد **الاضرار بالمزروعات** ، فقد اصيبت البساتين الواقعة في منطقة صور ، بأضرار جسيمة • اذ لجأ العدو الى جرف بعضها بالجرافات ، مقتلعا الاشجار المثمرة منها ، بالقرب من قرية « القليلة » من اجل كشف المنطقة ، وخوفا من تسلل الفدائيين من بين الاشجار وقيامهم بغارات عسكرية على قطعاته المتمركزة في المنطقة • كما احترقت البساتين المحيطة بقريتي « باتوليه » و « حناويه » من جراء القصف (٥٨) • كذلك تضررت البساتين القريبة من نقاط تمركز العدو بأضرار جسيمة من جراء الرمايات بالاسلحة الرشاشة عليها عند حلول الظلام ، خوفا من تسلل الفدائيين منها لضرب مراكز العدو •

كذلك فان محصول التبغ لعام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، وهو المورد شبه الوحيد لمزارعي الجنوب ـ باستثناء الشريط الساحلي ـ والذي تباطأت الدولة باستلامه ، على الرغم من النداءات المتكررة التي كانت توجهها نقابة مزارعي التبغ الى شركة الريجي من اجل الاسراع في استلام المحصول ، قد اتلف قسم لا بأس به منه ، من جراء الاضرار التي لحقت بالمنازل في القرى • كما ان مشاتل التبغ للموسم الحالي قد اصيبت هي الاخرى بأضرار جسيمة نظرا الى ان معظم المزارعين تركوها دون رعاية ، بسبب نزوحهم الى خارج المنطقة ، الامر الذي يعني ان الموسم الحالي لزراعة التبغ قد اصيب بأضرار بالغة جدا •

رفض اغراءات العدو

حاول العدو الصهيوني تقديم الاغراءات للاهلين في القرى المحتلة ، بعد ان اشعرهم بقدرته على التنكيل والبطش ، اما مباشرة من قبل جنوده ، او بصورة غير مباشرة ، عن طريق الانعزاليين • وهذه الاغراءات هي الوجه الاخر لاساليب الارهاب بحيث تكتمل فيها سياسة العدو القائمة على « الترهيب والترغيب » •

ومن الواضح ، ان العدو اراد من وراء تقديم الاغراءات ، مد جسور التعاون بينه وبينهم ، ودفعهم الى التعاون مع الانعزاليين والانخراط في « جيش سعد حداد » ، مستغلا في ذلك حاجتهم الى العديد من السلع التموينية التي انقطعت عنهم بسبب ظروف الاحتلال ، وبصورة خاصة مواد الكاز ، والخضار ، والطحين •

وعلى الرغم من ضغط الحاجة التي تنجم في مثل ظروف الاحتلال فان سكان العديد من القرى التي عرض عليها التموين من قبل العدو الصهيوني ، قد رفضوا استلامه ، معبرين عن رأيهم بعدم الحاجة اليه • وهكذا رفض اهالي بلدة **شبعا** استلام حمولة خمس شاحنات تموين وصلت البلدة ، ثم عادت بها ، بعد ان فشل ضابط صهيوني في اقناع الاهالي باستلامها ، في اجتماع عقده معهم في جامع البلدة (٥٩) •

كذلك ، رفض الاهالي في قرية **القليلة** استلام التموين من العدو الصهيوني (٦٠) ، كما رفض اهالي قرية **مجدل سلم** قبول المساعدات الاسرائيلية (٦١) •

ومن جهة اخرى فشل العدو ، فشلا ذريعا في حمل الرجال الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٨ ـ ٤٥ سنة على التطوع في « جيش سعد حداد » • كما فشل سعد حداد بدوره في اخراج مشروع « التجنيد الاجباري » الذي اعلن عنه اثر الاحتلال مباشرة ، الى حيز التنفيذ بعد ان رفض الاهلون الاذعان لتهديداته •

ان رفض المواطنين حمل السلاح الى جانب الانعزاليين ، وحتى في ظل الاحتلال ، يشكل صفعة قوية لكل المشبوهين ، مدعي الغيرة على الجنوب واهله ، الذين يعملون ليلا نهارا على تأليب ابناء الجنوب ضد الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية · كما جاء ذلك ردا قاسيا على دعواتهم المضللة التي تقول بأن ابناء الجنوب يقفون موقفا معاديا من الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية · فلو كان الموقف العدائي موجودا ، كما يدعي هؤلاء ، لكانت الفرصة مؤاتية لان يحمل ابناء الجنوب السلاح الى جانب سعد حداد وجماعته ·

موقف الجبهة الانعزالية من الاحتلال ، والدفاع عن سعد حداد

في الوقت الذي كانت فيه قوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية تواجه جيش العدو الصهيوني بالقتال ، وتصمد في وجهه ، وتعيق تقدمه طيلة ستة ايام كاملة ، كانت الجبهة الانعزالية التي شاركت العدو في احتلاله للجنوب من خلال قواتها المتواجدة في المنطقة بأمرة الرائد سعد حداد ، تقوم بحملة اعلامية مركزة ضد الثورة الفلسطينية ، بغية تحويل الانظار عن الاحتلال ، بل والاستفادة منه لانتزاع مكاسب سياسية ، بالتواطؤ مع بعض القوى السياسية التقليدية ، ظنا من هؤلاء جميعا ، ان الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اصبحتا في موقف ضعيف ·

بل اكثر من ذلك ، فقد انبرى كميل شمعون ، رئيس الجبهة الانعزالية ، للدفاع علنا عن الرائد سعد حداد ، واصفا اياه بأنه « معيار الوطنية في هذا البلد » واضاف : « اذا كان هناك من ضابط قد قام بواجبه كما يجب ، فيكون هذا الضابط هو سعد حداد » · وهاجم « الذين يفتعلون الضجة على سعد حداد » (٦٢) · اما بيار الجميل رئيس حزب « الكتائب » ، فقد انكر معرفته بسعد حداد وقال : « ما معي خبر بهالموضوع · انا لا اعرف ضابطا اسمه سعد حداد » ! (٦٣) · هذا مع العلم بأن اذاعة حزب « الكتائب » تردد باستمرار اسم سعد حداد كقائد « للقوات اللبنانية الموحدة » ـ وهو الاسم الرسمي الذي يطلق على قوات الجبهة الانعزالية ـ في منطقة مرجعيون ·

لقد نجحت الجبهة الانعزالية ، في جر القسم الاكبر من اعضاء المجلس النيابي ، الى اصدار ما يسمى « بالوثيقة النيابية » ، التي جاءت لتشكل ، على الرغم من التعديلات التي طرأت عليها ، انتصارا سياسيا للقوى الانعزالية · فبدلا من ان يركز « المجلس النيابي » ومعه كل المسؤولين في الدولة ، انظارهم باتجاه الخطر الداهم المتمثل في الاحتلال ، وبدلا من ادانة موقف الجبهة الانعزالية المتواطىء والمشارك في عملية الاحتلال ، كان الشغل الشاغل لهؤلاء ، هو كيفية الاستفادة من ظروف الاحتلال لتوجيه ضربة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية · اذ ان الموضوع الاساسي الذي ركزت عليه « الوثيقة النيابية » كان « وقف النشاط المسلح » و « منع التواجد المسلح » لقوات الثورة الفلسطينية ، في الوقت الذي يرزح فيه الجنوب تحت نير الاحتلال ·

كذلك لم تتخذ السلطة اللبنانية اي اجراء بحق الرائد سعد حداد والرائد حنا الشدياق ـ قائد القوات الانعزالية في منطقة بنت جبيل ـ والجنود الذين يتعاونون معهما ، علما بأن هؤلاء جميعا هم في عداد « الجيش اللبناني » ويتقاضون رواتبهم من وزارة الدفاع ·

وفي الوقت الذي تتجاهل فيه « قيادة الجيش » تعاون هؤلاء مع العدو الصهيوني ،

وارتكابهم المجازر بحق ابناء الجنوب ، نراها تنتفض فجأة وبعنف ضد المقدم محمد سليم الذي استولى على ثكنة النبطية كاستمرار لانتفاضة جيش لبنان العربي ، وتصدر بيانا شديد اللهجة ، تحيل بموجبه المقدم سليم على المحاكمة العسكرية ، لمحاكمته واعدامه بتهمة « خيانة الشرف العسكري » !

موقف سعد حداد وجماعته من الانسحاب الاسرائيلي ·

لم يخف الرائد سعد حداد فرحته وسروره من قيام العدو الصهيوني بغزو الجنوب ، فقد قال في مقابلة مع التلفزيون الاسرائيلي : « لقد كنا في غاية السعادة عندما شاهدنا الدبابات الاسرائيلية تزحف على قرانا ، لاننا كنا ننتظر هذا اليوم على احر من الجمر · فمنذ معركة مارون الراس ، التي خسرناها ، طلبنا المعونة من اسرائيل ، لكنها تأخرت بعض الوقت وعادت اخيرا وحققت لنا احلامنا في القضاء على المقاومة ومن يعاونها من اليساريين » ·

ولان سعد حداد وجماعته كانوا فرحين باحتلال الصهاينة للجنوب ، فقد كانوا يصرون أن يستمر الاحتلال · ولذلك ما ان وصلت طلائع القوات الدولية الى الجنوب ، تنفيذا لقرار مجلس الامن الدولي رقم ٤٢٥ ، الذي دعا « اسرائيل » الى الانسحاب كليا وفورا من الاراضي اللبنانية ، حتى واجه الانعزاليون هذا القرار بغضب ، وتظاهروا في قرية « القليعة » رافعين في وجه القوات النرويجية التي دخلت المنطقة قادمة من الجولان ، بطريق القليعة ، يافطات تحمل شعار : « عودوا الى بلادكم ايها النروجيون » (٦٥) ·

اما سعد حداد ، فقد علق على نبأ الانسحاب الاول للقوات الصهيونية بقوله : « ان الفلسطينيين سيعودون بسرعة الى الاماكن التي ينسحب منها الاسرائيليون » ، ووجه كلامه الى مراسل اذاعة « الجيش الاسرائيلي » ، الذي كان يجري مقابلة معه ، فقال : « سيكونون قريبين جدا منا ·· وسيكونون قريبين جدا منكم » · لان « قوات الامم المتحدة لا تستطيع أن تحل محل الجيش الاسرائيلي ·· وانها لن تكون قادرة على منع الفدائيين الفلسطينيين من العودة الى منطقة الحدود » (٦٦) ·

وكان فرنسيس رزق ، الناطق الرسمي باسم القوات الانعزالية في المنطقة ، اكثر وضوحا في تمسكه بالاحتلال ، اذ صرح في مقابلة مع التلفزيون « الاسرائيلي » : « اتمنى من كل قلبي ان تحتل اسرائيل كل لبنان وتطهره من الاعداء » (٦٧) ـ المقاومة الفلسطينية واليسار المخرب ·

الحواشي :

١ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٤ـ١٩٧٨ ·

٢ ـ جريدة صوت الجماهير ·

٣ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٦ـ٣ـ١٩٧٨ بيان المؤتمر الصحفي لاهالي البلدة ، الذي عقد في مقر « الجمعية الخيرية لاهالي العباسية » ·

٤ ـ جريدة السفير ، وجريدة النهار بتاريخ ٢٤ـ٣ـ١٩٧٨ ·

٥ ـ جريدة السفير ، بتاريخ ٢١ـ٤ـ١٩٧٨ ·

٦ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٤ـ١٩٧٨

٧ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٤ـ١٩٧٨
وهما علي بسما ، وعلي ابراهيم بسما .
٨ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٣ـ١٩٧٨ .
٩ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٣ـ١٩٧٨ .
١٠ ـ جريدة النهار بتاريخ ٢١ـ٣ـ١٩٧٨ .
١١ ـ جريدة النهار بتاريخ ١٧ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٢ ـ جريدة السفير بتاريخ ١ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٣ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٦ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٤ ـ جريدة السفير بتاريخ ٣ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٥ ـ جريدة النهار بتاريخ ١٥ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٦ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٧ ـ جريدة النهار بتاريخ ٤ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٨ ـ جريدة السفير بتاريخ ٤ـ٤ـ١٩٧٨ .
١٩ ـ جريدة السفير بتاريخ ٨ـ٤ـ١٩٧٨ .
٢٠ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٦ـ٤ـ١٩٧٨ .
٢١ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٣ـ١٩٧٨ .
٢٢ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٣ـ١٩٧٨ .
٢٣ ـ جريدة السفير بتاريخ ٤ـ٤ـ١٩٧٨ .
٢٤ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٦ـ٤ـ١٩٧٨ ، وجريدة النهار بتاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .
٢٥ ـ جريدة السفير بتاريخ ٧ـ٥ـ١٩٧٨ .
٢٦ ـ جريدة النهار بتاريخ ١٧ـ٤ـ١٩٧٨ .
٢٧ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٩ـ٤ـ١٩٧٨ .
٢٨ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٣ـ٤ـ١٩٧٨ .
٢٩ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٩ـ٤ـ١٩٧٨ وجريدة النهار بتاريخ ١٥ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٠ ـ جريدة السفير بتاريخ ٩ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣١ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٣ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٢ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٢ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٣ ـ جريدة النهار بتاريخ ١٧ـ٤ـ١٩٧٨ ، وجريدة السفير بتاريخ ٢١ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٤ ـ جريدة السفير بتاريخ ٣ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٥ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٦ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٦ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢١ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٧ ـ جريدة النهار بتاريخ ١٧ـ٤ـ١٩٧٨ .
٣٨ ـ جريدة النهار بتاريخ ١٢ـ٥ـ١٩٧٨ .

٣٩ ـ جريدة النهار بتاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤٠ ـ جريدة النهار بتاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤١ ـ جريدة النهار بتاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤٢ ـ جريدة النهار بتاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤٣ ـ جريدة النهار بثاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤٤ ـ جريدة النهار بتاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤٥ ـ جريدة النهار بتاريخ ٣ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤٦ ـ جريدة السفير بتاريخ ٥ـ٥ـ١٩٧٨ .

٤٧ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٨ـ٤ـ١٩٧٨ .

٤٨ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٩ـ٤ـ١٩٧٨ .

٤٩ ـ جريدة النهار بتاريخ ١٦ـ٤ـ١٩٧٨ .

٥٠ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٠ـ٥ـ١٩٧٨ .

٥١ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٦ـ٥ـ١٩٧٨ .

٥٢ ـ جريدة السفير بتاريخ ٩ـ٥ـ١٩٧٨ .

٥٣ ـ جريدة السفير بتاريخ ١١ـ٤ـ١٩٧٨ .

٥٤ ـ جريدة السفير بتاريخ ٣ـ٤ـ١٩٧٨ .

٥٥ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٥ـ٤ـ١٩٧٨ .

٥٦ ـ جريدة النهار بتاريخ ٥ـ٥ـ١٩٧٨ .

٥٧ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٠ـ٤ـ١٩٧٨ .

٥٨ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٦ـ٤ـ١٩٧٨ .

٥٩ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٥ـ٤ـ١٩٧٨ .

٦٠ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٠ـ٥ـ١٩٧٨ .

٦١ ـ جريدة النهار بتاريخ ٥ـ٥ـ١٩٧٨ .

٦٢ ـ جريدة السفير بتاريخ ١ـ٤ـ١٩٧٨ .

٦٣ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢٠ـ٣ـ١٩٧٨ .

٦٤ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢١ـ٣ـ١٩٧٨ .

٦٥ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٢ـ٤ـ١٩٧٨ .

٦٦ ـ جريدة السفير بتاريخ ١٢ـ٤ـ١٩٧٨ .

٦٧ ـ جريدة السفير بتاريخ ٢١ـ٣ـ١٩٧٨ .

اوضاع التعليم العالي في الارض المحتلة واسس تطويره ودعمه

١ ـ المقدمة

عندما تلقت جامعة بيرزيت الدعوة لحضور الندوة الثانية لكليات التربية بالجامعات العربية حول « كليات التربية في العالم العربي : حاضرها ومستقبلها » وجدت انه من المناسب أن اقوم بكتابة تقرير عن اوضاع التعليم العالي العربي في الارض المحتلة واسس تطويره ودعمه ٠ ويعود السبب في اختياري هذا الى الامور التالية :

١ ـ ليس هنالك في الوقت الحاضر كليات تربية عربية كاملة ومتطورة بالشكل الصحيح في الارض المحتلة ٠

٢ ـ معظم جهود مؤسسات التعليم العالي في الارض المحتلة لا زالت حتى الان تؤدي الى تخريج معلمين للتعليم في المراحل المدرسية المختلفة او الى تخريج طلبة لا يجد معظمهم الا التعليم مجالا مفتوحا امامهم للعمل في الارض المحتلة ، وربما في خارجها ايضا ٠

٣ ـ لم يكتب حتى الان أي تقرير واف عن مؤسسات التعليم العالي في الارض المحتلة والمشاكل التي تواجهها تحت الاحتلال ، وخصوصا تلك المشاكل الناتجة عن عدم وجود مخطط شامل لتطوير هذه المؤسسات وبالتالي الى تطوير كليات تربية تفي بحاجة الشعب الفلسطيني التربوية في هذه الاراضي ٠

ويعود الاهتمام العربي بالتعليم العالي في فلسطين الى ثلاثين سنة على الاقل ، حينما اقترح جورج شبر اقامة جامعة عربية في القدس (١٩٤٧) ، ولكن هذا المشروع لم يتحقق بسبب عدم موافقة

★ اعدت جامعة بيرزيت هذا التقرير ، وقدم الى الندوة الثانية لكليات التربية في الجامعات العربية ٠ جامعة الرياض ، ٢٢ ـ ٢٦ نيسان ١٩٧٨ ٠

حكومة الانتداب البريطاني عليه ، ثم المشاكل المتلاحقة التي رافقت وتلت تقسيم فلسطين . اما اول خطوة عملية في هذا المضمار فقد تمثلت على نطاق محدود عندما ابتدأت كلية بيرزيت (جامعة بيرزيت حاليا) بتقديم دراسات على مستوى السنة الاولى الجامعية (١٩٥١) وانشاء دار المعلمات الحكومية في رام الله (١٩٥٢) . وقد تلى ذلك افتتاح معهد تدريب المعلمين في العروب عام ١٩٥٨ الذي اغلق عام ١٩٦٤ واعيد افتتاحه عام ١٩٦٩ ، وافتتاح دار المعلمين ودار المعلمات الحكوميتين في غزة (١٩٥٥) . كذلك افتتح معهد تدريب المعلمين التابع لوكالة الغوث في رام الله (١٩٦٠) وتبعه المعهد الزراعي في طولكرم (١٩٦١) ومركز تدريب الفتيات والمعلمات التابع لوكالة الغوث في الطيرة - رام الله (١٩٦١) واكتملت المرحلة الجامعية المتوسطة في كلية بيرزيت (سنة اولى وثانية في الاداب والعلوم) عام ١٩٦٢ . وافتتحت كلية النجاح معهد النجاح الوطني لتدريب المعلمين في نابلس (١٩٦٥) ، كما افتتحت كلية الروضة معهد الروضة الوطني للمعلمين في نابلس (١٩٧٠) ثم عادت فاغلقته بعد ثلاث سنوات .

وفي عام ١٩٧٢ باشرت كلية بيرزيت بتنفيذ تطوير الدراسة فيها الى المستوى الجامعي الكامل . وافتتحت جامعة بيت لحم عام ١٩٧٣ وتم تطوير كلية النجاح الوطنية الى جامعة التي افتتحت في ٥ - ١١ - ١٩٧٧ . كما ان هناك عدة معاهد مهنية مختلفة ومدارس تمريض في اماكن متعددة من الضفة الغربية .

وبصورة اجمالية فانه يوجد في الضفة الغربية وقطاع غزة في الوقت الحاضر اكثر من عشرين مؤسسة تعليمية تقدم دراسات بعد المرحلة الثانوية . وتقبل هذه المؤسسات بمجموعها حاليا حوالي ٩٧٥ طالبا وطالبة سنويا للدراسة الجامعية و ١١٠٠ في برامج تدريب المعلمين و ٥٠٠ في المجالات المهنية . ويبلغ مجموع المقبولين سنويا حوالي ٢٥٧٥ طالبا وطالبة اي حوالي ٢٣٪ من الناجحين في امتحان شهادة الثانوية العامة في الضفة الغربية وقطاع غزة (الذين يقدر عددهم بحوالي ١١٫٠٠٠ طالب وطالبة) . ومن الجدير بالذكر هنا ان العديد من مؤسسات الضفة الغربية يقبل بعض الطلبة (وبالاخص الطالبات) من القطاع ، ولا يزال العدد الاكبر من خريجي المدارس الثانوية في القطاع يتوجه الى الجامعات المصرية للدراسة الجامعية .

اما مجموع عدد الطلبة في هذه المؤسسات فهو حوالي ٦١٥٠ طالبا وطالبة ، منهم ٢٤٠٠ في الجامعات و ٢٤٥٠ في معاهد تدريب المعلمين و١٣٠٠ في المجالات الاخرى . ومما يذكر ان عدد الطلبة الذين يتوجهون الى الجامعات والمؤسسات الاسرائيلية ضئيل جدا ، وكذلك الامر بالنسبة لابناء الجليل والمثلث الذين يدرسون في مؤسسات الضفة الغربية .

ومن الواضح ان مجالات التعليم العالي في الارض المحتلة ، رغم نموها المتواصل ، لا زالت ناقصة ومحدودة جدا، فبالاضافة الى الاستيعاب غير الكافي للطلبة ، فان المجالات المتوفرة ضيقة للغاية ، ولا شك بان النقص في التنوع في فرص التعليم العالي - كعدم وجود كليات جامعية مهنية كالهندسة والطب - من الاسباب التي تدعو الكثير من الطلبة للسعي وراء التعليم العالي في الخارج مما يتسبب في هجرة الشباب من الوطن، كما انه يشكل عائقا امام نمو المؤسسات الموجودة بالسرعة اللازمة . ويمكن معالجة هذه الصعاب عن طريق توفر

الدعم اللازم لهذه المؤسسات ٠

ومن ناحية أخرى ، فان انقضاض الاحتلال على الضفة الغربية وقطاع غزة واستمراره لمدة طويلة ، مع ما يلازمه من ممارسات مدروسة لتضييق مجالات التعليم والثقافة امام شبابنا واغرائهم بالهجرة للخارج أو الانخراط في الاعمال التي لا تلزمها المهارة في الاقتصاد الاسرائيلي ، قد خلق مشاكل جمة تواجه مؤسسات التعليم العالي العربية وتفوق قدرتها على حلها دون دعم مادي ومعنوي واعلامي من جميع انحاء الوطن العربي ٠ ومما لا شك فيه ان من اكبر مساوىء التعليم العالي في الارض المحتلة هي افتقاره الى مخطط شامل يضمن سلامة غده على المدى البعيد ويكفل حسن الافادة من الموارد المتوافرة ٠ وسنفصل البحث في هذه المواضيع فيما بعد ، وننتقل الان الى اعطاء صورة اكثر دقة عن مؤسسات التعليم العالي الرئيسية ٠

٢ ـ مؤسسات التعليم العالي : تأسيسها وتطورها

المعلومات التي سأوردها هنا عن مؤسسات التعليم العالي في الضفة الغربية جمعت خلال الاعوام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ و ١٩٧٧ـ١٩٧٨، وقد جرى الحصول عليها عن طريق اجراء مقابلات مع المسؤولين عن هذه المؤسسات وطرح الاسئلة المختلفة عليهم وعن طريق النشرات التي اصدرتها بعض هذه المؤسسات ٠ واود الاشارة هنا الى ان المعلومات التي سأوردها عن الجامعات والكليات تشمل التطورات التي حصلت فيها خلال العام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، بينما لا تتعدى المعلومات عن المؤسسات الاخرى العام الدراسي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ وذلك لسببين رئيسيين :

١ ـ ان جامعات الضفة الغربية تتطور سنويا وبشكل ملحوظ من الناحيتين الكمية والنوعية ، اي من ناحية اعداد الطلبة والاساتذة والعاملين فيها ومن ناحية البرامج المقدمة فيها والكليات والاقسام التي تنشئها هذه الجامعات ومؤهلات الاساتذة فيها ، وبالتالي فانه من الضروري ملاحقة وتسجيل هذه التطورات سنويا من قبل اي باحث يكتب عن مؤسسات التعليم العالي العربية في الارض المحتلة ٠

٢ ـ وجدت خلال العامين الماضيين ان المؤسسات التعليمية الاخرى (غير الجامعات) لا تتطور بشكل ملحوظ من الناحيتين المذكورتين اعلاه وبالتالي فان اعداد الطلبة والاساتذة والعاملين فيها تبقى شبه ثابتة بينما لا تتغير البرامج المقدمة فيها ، ولهذا لم اجد داعيا من متابعة التغييرات خلال العام الدراسي الحالي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ٠ ويعود الجمود النسبي هذا في هذه المؤسسات الى عوامل عديدة سأقوم بتفصيلها في فقرات لاحقة من هذا التقرير ٠

ومن الجدير بالذكر هنا ان المدارس ومؤسسات التعليم العالي العربية في الارض المحتلة تقسم ، من ناحية الاشراف عليها وتمويلها ووضع الخطط اللازمة لتطويرها ، الى ثلاثة انواع :

١ ـ **المؤسسات الحكومية** : وتقع تحت الاشراف المباشر لضابط التربية والتعليم الاسرائيلي في الضفة الغربية وهذا بدوره يقع تحت اشراف الحاكم العسكري العام للضفة الغربية ٠ وكذلك هو الامر بالنسبة لقطاع غزة التي لها حاكم عسكري عام وضابط تربية وتعليم خاصان بها ٠ وضابط التربية والتعليم هو الذي يقرر الميزانية السنوية للمؤسسات التعليمية الحكومية ويوافق على التعيينات ، من اساتذة واداريين

وموظفين ، وهو مسؤول ايضا عن وضع الخطط اللازمة لتطوير التعليم في المناطق المحتلة · اما في مدينة القدس فان المدارس العربية تقع تحت اشراف بلدية القدس الاسرائيلية من ناحية التمويل ، واشراف وزارة المعارف والثقافة الاسرائيلية من الناحية الاكاديمية ·

٢ ـ مؤسسات وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين : تخضع للاشراف المباشر لدائرة التربية في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، التابعة للامم المتحدة ، من الناحية الاكاديمية والمالية والادارية · وتعمل وكالة الغوث على افتتاح مدارس لتعليم ابناء اللاجئين الفلسطينيين المسجلين لدى الوكالة حتى نهاية المرحلة الالزامية ، كما ان لديها ثلاث مؤسسات للتعليم العالي في الضفة الغربية ، وتتمتع المؤسسات الثلاث هذه بنوع من الاستقلالية من الناحية الادارية ومن ناحية اتخاذ القرارات اللازمة لتطويرها ، ولكن من الضروري حصولها على موافقة دائرة التربية التابعة للوكالة لوضعها موضع التنفيذ · وتدرس في مدارس الوكالة في الضفة الغربية المناهج المقررة من قبل وزارة التربية والتعليم الاردنية والمعدلة من قبل سلطات الحكم العسكري الاسرائيلية ، وفي قطاع غزة تدرس المناهج المقررة من قبل وزارة التربية والتعليم المصرية والمعدلة من قبل سلطات الحكم العسكري الاسرائيلية · اما مؤسسات وكالة الغوث للتعليم العالي فانها تتبع المناهج التي وضعتها اليونسكو وهي شبيهة بمناهج دور المعلمين والمعلمات الحكومية ·

٣ ـ المؤسسات الاهلية والخاصة : وهي مستقلة من ناحية التمويل والاشراف والادارة · وتدرس في المراحل الالزامية والثانوية المناهج الاردنية (في الضفة الغربية) والمصرية (في قطاع غزة) المعدلة من قبل سلطات الحكم العسكري الاسرائيلية مع اضافة بعض المواضيع الاخرى مثل اللغات الاجنبية في بعض هذه المدارس · اما مؤسسات التعليم العالي فلها الحرية في وضع او اختيار المناهج التي تراها مناسبة ، ومن الجدير بالذكر ان هذه المؤسسات ، رغم الضغوطات والعراقيل الكثيرة والمستمرة من قبل السلطات الاسرائيلية عليها ، قد نجحت في عدم السماح للسلطات الاسرائيلية بالتدخل في مناهجها سواء من ناحية المضمون او من ناحية المستوى (وكذلك هو الحال بالنسبة لمؤسسات التعليم العالي التابعة لوكالة الغوث) ·

اما مؤسسات التعليم العالي العربية في الاراضي المحتلة فهي :

أ ـ معاهد المعلمين والمعلمات والمعاهد المهنية

١ ـ المعهد الزراعي (الخضوري) ، طولكرم

انشيء المعهد كمدرسة خضوري الزراعية عام ١٩٣١ باموال تبرع بها السيد اليس خضوري من هونغ كونغ · تحول الى معهد زراعي فوق المستوى الثانوي عام ١٩٦١ وهو الان يتبع المنهاج الاردني ويقع تحت اشراف ضابط التربية والتعليم في قيادة الضفة الغربية · ويقدم المعهد دراسة ثلاث سنوات في قسم الزراعة ودراسة سنتين لتدريب المعلمين في العلوم ، الرياضيات ، اللغة العربية ، اللغة الانكليزية ، الاجتماعيات والدين ، التربية الرياضية · في المعهد ١٥ موظفا اداريا ، بينهم حامل شهادة دكتوراة واربعة من حملة شهادة البكالوريوس · اما الهيئة التدريسية فكانت تتكون عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ من ٢١ عضوا ، بينهم اثنان يحملان شهادة دكتوراه ، اربعة من حملة الماجستير

و ١٤ من حملة البكالوريوس ٠

بلغ عدد الطلاب في المعهد ، في العام الدراسي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٣٠١ طالب منهم ٦٠ في قسم الزراعة ، ٩١ في قسم العلوم والرياضيات ، و ١٥٠ في القسم الادبي ، ويقبل المعهد حوالي ١٤٠ طالبا سنويا ، ويشترط في القبول ان يكون الطالب قد حاز على ما لا يقل عن ٦٠٪ في امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة ٠ والدراسة في المعهد مجانية الا ان قيادة التربية والتعليم في الضفة الغربية قد اقرت مؤخرا شرطا بان يقوم الطالب بدفع ثلاث ليرات اسرائيلية يوميا كقسط رمزي مقابل تناول وجبات الطعام في المعهد ٠

تبلغ مساحة ارض المعهد حوالي ٤٠٠ دونم ، ولدى المعهد ٨ غرف جيدة للدراسة وقاعة كبيرة للمحاضرات وستة مختبرات للكيمياء العضوية والكيمياء غير العضوية وعلم النبات وعلم الحيوان والفيزياء والتربة ، يتسع كل منها لاربعة وعشرين طالبا ٠ وتحتوي مكتبة المعهد على ٢٤٫٠٠٠ مجلد باللغتين العربية والانكليزية ومعدل الزيادة السنوية في الكتب يتراوح بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ كتاب ، كذلك يوجه في المكتبة مجلات مختلفة معظمها يهتم بالزراعة ٠ ولدى المعهد كذلك منزل للطلاب ومرافق زراعية مختلفة تحتوي على اجهزة عديدة ٠

ويطمح المسؤولون في المعهد الى ان يلعب دورا ضمن خطط التطور العلمي في الارض المحتلة ، كأن يصبح كلية زراعة تابعة لجامعة ما ٠ ومن الواضح ان طولكرم وهي في السهل الساحلي لفلسطين ، من افضل الاماكن لكلية زراعة (الى جانب غور الاردن الذي يشكل امكانية اخرى كموقع جيد لهذه الكلية) ٠ الا ان مكان انشاء كلية زراعة جامعية مع ما تتطلبه من اراض ومنشآت فسيحة ، قد يكون اكثر حساسية للتقلبات السياسية من غيره من مكونات الجامعة ، والمعروف ان المعهد يقع على حدود عام ١٩٦٧ ٠

٢ ـ كلية الروضة الوطنية ، نابلس

اسس كلية الروضة الوطنية عام ١٩٤٩ السيد مروان عبد الهادي ، الذي لا يزال يديرها ، وابتدأت العمل كمدرسة ابتدائية وتطورت حتى اصبحت مدرسة ثانوية في عام ١٩٦١ ٠ وفي عام ١٩٧٠ افتتحت الكلية « معهد الروضة الوطني للمعلمين » وهو خاص بالتعليم العالي ويهدف الى اعداد المعلمين ويعتمد في انظمته ومناهجه على انظمة ومناهج معاهد المعلمين والمعلمات الاردنية الحكومية ٠ وفي عام ١٩٧٣ اغلق معهد المعلمين وانشىء مكانه فرع لاعداد مساعدي الصيادلة مدرسة ابتدائية ـ اعدادية ـ ثانوية فيها حوالي ٧٠٠ طالب٠ للكلية كادر اداري من سبعة اشخاص احدهم يحمل شهادة ماجستير واثنان يحملان شهادة ليسانس ٠ اساتذة قسم مساعدي الصيادلة من حملة شهادة البكالوريوس في العلوم واستاذ واحد فقط يحمل شهادة الماجستير ومعظم الاساتذة غير متفرغين ٠ تتراوح الرواتب للموظفين غير الاكاديميين والاساتذة ما بين ٢٣ ـ ٧٠ دينارا اردنيا ٠

درس في قسم مساعدي الصيادلة ، عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ١٤ طالبا وطالبة ٠ ويشترط في قبول الطلبة حصولهم على شهادة الدراسة الثانوية العامة او ما يعادلها ٠ وتبلغ الاقساط السنوية التي يدفعها الطلبة في هذا القسم ٩٠ دينارا اردنيا ٠

في كلية الروضة ، التي تبلغ مساحة ارضها حوالي ٧ دونمات ، مكتبة اسست

سنة ١٩٧٠ ، فيها ٧ ــ ٨ الاف كتاب (تلزم للدراسة في مختلف المراحل) ، وتبلغ نسبة الزيادة السنوية في الكتب ٥٪ ــ ١٠٪ · كذلك توجد ثلاث مختبرات للفيزياء والكيمياء والاحياء تبلغ مساحتها ٢٨٠ م٢ ، بلغت تكاليف انشائها حوالي ١٥ الف دينار اردني · وفي الكلية ثلاثة ملاعب خارجية ·

كان من المقرر ان تفتتح الكلية في بداية العام الدراسي ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨ قسما للتحليل المخبري (مدة الدراسة فيه سنتان ويشترط للالتحاق به حصول الطالب على شهادة الدراسة الثانوية العامة او ما يعادلها ، ويدفع الطالب ١٠٠ دينار اردني سنويا كأقساط دراسة) الا ان افتتاحه قد تأجل للعام الدراسي القادم ١٩٧٨ ــ ١٩٧٩ ·

وقد جرت محاولات من قبل المشرف على الكلية لتحويلها الى كلية للاداب مرتبطة باحدى الجامعات العربية خارج الارض المحتلة ، بالاضافة الى تطوير قسم مساعدي الصيادلة الى كلية صيدلة في السنوات القادمة · الا ان هذا التطوير ، حسب قول المشرف ، تقف في طريقه عوائق رسمية ·

٣ ــ معهد المعلمات الحكومي ، رام الله

يتبع هذا المعهد لوزارة التربية والتعليم الاردنية ، وبعد حرب حزيران انتقل الاشراف عليه الى ضابط التربية والتعليم في قيادة الضفة الغربية · تأسس هذا المعهد سنة ١٩٥٢ وهدفه تخريج معلمات للمرحلة الالزامية في التخصصات التالية : اللغة العربية ، اللغة الانكليزية، الاجتماعيات والدين ، علوم ، رياضيات، علوم منزلية ، التربية الرياضية · مدة الدراسة في المعهد سنتان · للمعهد جهاز اداري يتكون من ٩ عضوات ، اربع منهن من حاملات شهادة البكالوريوس والباقيات يحملن دبلوم دار المعلمات او الشهادة الثانوية · اما الهيئة التدريسية فكانت تتألف ، عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ ، من ١٣ معلما ومعلمة ، ١٢ من حملة شهادة البكالوريوس ومعلمة بدرجة الماجستير · وتبلغ الميزانية السنوية للمعهد حوالي ١٧٫٠٠٠ دينار اردني ·

درست في المعهد ، عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ ، ٢٢٠ طالبة ويشترط لقبول الطالبات ان تكون الطالبة حائزة على شهادة الدراسة الثانوية العامة او ما يعادلها ويبلغ القسط السنوي حوالي ١٢ دينارا اردنيا ·

في المعهد مكتبة تحتوي على ١٧ الف كتاب والزيادة السنوية تقدر بحوالي ٤٠٠ ــ ٥٠٠ كتاب · يوجد في المكتبة دوريات مختلفة ولكنها قليلة العدد ·يوجد في المعهد كذلك ٧ غرف للدراسة ، ثلاثة مختبرات للكيمياء والفيزياء والاحياء ، قاعتان كبيرتان ، بنايتان للطالبات في القسم الداخلي (معظم الطالبات في القسم الداخلي) كل بناية فيها ٣٢ غرفة ، ملعبان خارجيان ، وقد الحق بالمعهد عام ١٩٥٦ مدرسة ابتدائية نموذجية ·

ليس للهيئة الادارية اية خطط لتوسيع المعهد لان خطط التغيير والتطوير تأتي من ضابط التربية والتعليم في قيادة الضفة الغربية ·

٤ ــ مركز تدريب الفتيات والمعلمات التابع لوكالة الغوث ، الطيرة ــ رام الله

افتتح المركز عام ١٩٦٢ وتشرف عليه وكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين واليونسكو ·. ويضم المركز قسما لتدريب المعلمات للمرحلة الالزامية ، فترة الدراسة فيه سنتان مع تخصصات في : اللغة العربية ، اللغة

الانكليزية ، الرياضيات ، العلـــــوم ، اجتماعيات وتربية دينيـــــة ، التربيـــة الرياضية ، الفن ، تعليـــــم المرحلـــة الابتدائية · كما يضم المركز قسما مهنيا ، مدة الدراسة فيها سنتان ، مع تخصصات في : دور الحضانة ، التجميـــــل ، ادارة المنـــزل والمؤسســـات ، الخياطـــة ، السكرتارية ، الطب المساعد (مجـــال الالتحاق بالتخصص الاخير مفتوح امـام الطلاب بالاضافة الى الطالبات) ·

تتألف الهيئة الادارية من ٤ اعضـاء من حملة الماجستير · امـــا الهيئـــة التدريسية فقد تألفت عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧، من ٦٠ عضوا متفرغا و ٦ غير متفرغين · من المتفرغين ١٠ من حملة الماجستيـر ، ٣٠ من حملة البكالوريوس ، و ٢٠ معلمة مؤهلة بالخبرة · بلغت الميزانية للعـــام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ حوالي ٣٠٫٠٠٠ دينـار اردني ·

بلغ عدد الطالبات في قسم تدريـــب المعلمات ، عام ٧٦ ــ ٧٧ ، ٣٠١ طالبـــة وفي القسم المهني ٢٣٢ طالبة و ٩ طلاب · يشترط لقبول الطالبة في قسم تدريــب المعلمات أن تكون حائزة على شهـــادة الدراسة الثانوية العامة وان لا يزيـــد عمرها عن ٢١ سنة ويجب ان تكون لاجئـة وتعطى الاولوية للمسجلات في بطاقـــة تموين وكالة الغوث · ويتراوح القســط السنوي بين ٢٢ ــ ٣٠ دينارا اردنيا يدفع بالليرة الاسرائيلية حسب السعر الرسمي· وبلغ عدد الطلبة الذين دفعوا اقساطـــا ٦٢ طالبة ·

مساحة ارض المركز حوالي ٨٠ دونما وفيه ١٦ غرفة مخصصة لتدريس الفتيـات في قسم تدريب المعلمات و٣٢ غرفة للقسم المهني · هنالك بنايتان للنوم تحتوي كل واحدة منهما على ٢٠ غرفة · تضم المكتبة حوالي ١٣٫٠٠٠ كتاب و٧٨ دورية معظمها باللغة الانكليزية · في المركز اربعـــة مختبرات ، اثنان لقسم اعداد المعلمات (واحد للفيزياء والثاني للكيمياء والاحياء) والاثنان الاخران للقســـم المهني وهما مجهزان بأحدث الالات والاجهزة اللازمـــة للطلبة · كما يوجد في المركز ملعب واحد داخلي كبير وسبعة ملاعب خارجية ومسرح صيفي ·

ومن مقترحات ادارة المركز المحليـــة للتوسع في اعماله ما يلي :

١ ــ توسيع قسم الطب المساعد ليشمل اكثر من التخصصين الموجودين حاليـــا (وهما التحليل المخبـــري ومساعـــدي الصيادلة) ·

٢ ــ اقامة قسم للتمريض ·

٣ ــ توسيع تخصص اعمـــال المكاتب والسكرتارية وجعلها تتناول الاعمـــــال السياحية وشركات الطيران ·

٤ ــ توسيع قســم ادارة المنـــــزل والمؤسسات لكثرة الطلب عليه ·

٥ ــ جعل قسم تدريب المعلمات ثلاث سنوات (مع التعمق في التخصص)·

هذه اهم الخطط الان وبعضها قيـــد البحث ، ويعتمد اي توسع على الميزانيات والمساعدات التي تخصص للمركز من قبـل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين·

٥ ــ معهد تدريب المعلمين التابع لوكالة الغوث ، رام الله ·

تأسس المعهد عام ١٩٦٠ ويقدم دراسـة مدتها سنتان لتأهيل المعلمين في التخصصات التالية : الرياضيات ، العلوم ، اللغـــة الانكليزية ، اللغة العربية ، التربيـــــة الرياضية ، المرحلة الابتدائية · يتبع المعهد وكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيـل اللاجئين الفلسطينيين ، وتطبق فيه المناهج الاردنية باشراف اليونسكو · غاية المعهد

تزويد مدارس الانروا بالاساتذة اللازمين . تتكون الهيئة الادارية من ثلاثة اشخاص يحملون شهادة البكالوريوس . اما الهيئة التدريسية فقد بلغ عدد اعضائها عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ ، ١٧ عضوا من حملة شهادة البكالوريوس .

بلغ عدد الطلاب في المعهد ، عام ٧٦ــ ١٩٧٧ ، حوالي ٢٥٠ طالبا ، ٤٠٪ منهم من قطاع غزة ، مع انه بامكان المعهد استيعاب ٤٠٠ طالب . ويلاحظ ان عدد الطلاب قد تناقص على مر السنوات بحيث اصبح الطلاب فيه اقل بكثير من قدرته الاستيعابية . ويشترط لقبول الطالب حصوله على شهادة الدراسة الثانوية العامة (الاردنية والمصرية) ولا يدفع الطلاب الذين يحملون بطاقة تموين وكالة الغوث اية اقساط .

مساحة الارض التي يقع عليها المعهد حوالي ٥٠ دونما . وفيه ١٢ غرفة للتدريس ، ٢٥ غرفة نوم للطلاب ، غرفة للاجتماعات وثلاثة ملاعب خارجية . هنالك ايضا ثلاثة مختبرات للفيزياء والكيمياء والاحياء ، تخصص لها ميزانية سنوية تبلغ حوالي ٥٠٠ دينار اردني . ويوجد مختبر اخر للتربية وعلم النفس . اما المكتبة فتحتوي على ١٦٫٠٠٠ مجلد ويخصص مبلغ ٧٠٠ دينار اردني سنويا للكتب الجديدة . وفي المكتبة ايضا ٤٧ دورية باللغة الانكليزية والعربية .

٦ ــ معهد المعلمين ، العروب

وهو معهد حكومي تأسس سنة ١٩٥٨ ليكون معهدا لتخريج معلمين للمرحلة الابتدائية والاعدادية في مدارس التربية والتعليم . وفي سنة ١٩٦٤ الغي معهد المعلمين لعدم حاجة الاردن في ذلك الوقت الى المزيد من خريجي دور المعلمين. وتحول المعهد بعد ذلك الى معهد زراعي للمعلمين لتخريج معلمين زراعيين فنيين . وفي سنة ١٩٦٩ اعيد افتتاح معهد المعلمين مرة ثانية وتحول المعهد الزراعي الى مرحلة زراعية ثانوية . ويقبل في هذه المرحلة الطلاب الذين انهوا المرحلة الاعدادية حيث يقضون ثلاث سنوات في الدراسة الزراعية يقدمون في نهايتها امتحان شهادة الدراسة الثانوية الزراعية . اما معهد المعلمين فيقوم بتخريج معلمين للتدريس في مدارس التربية والتعليم في الضفة الغربية،ويقتصر التخصص في المعهد على الفرع الادبي فقط حيث يتخصص الطالب في الاجتماعيات والدين أو اللغة الانكليزية او اللغة العربية . مدة الدراسة في المعهد سنتان ويتبع منهاج وزارة التربية والتعليم الاردنية . الكادر الاداري للمعهد يتألف من ١١ عضوا احدهم من حملة شهادة الماجستير ، واثنان من حملة شهادة البكالوريوس . اما الهيئة التدريسية فقد كانت عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ تتألف من ٩ اعضاء،ثمانية منهم من حملة البكالوريوس او الليسانس وواحد من حملة دبلوم معهد المعلمين .

بلغ عدد الطلاب في معهد المعلمين ، عام ٧٦ــ٧٧ ، حوالي ٨٠ طالبا . ويشترط في الطالب الملتحق أن يكون حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية العامة او ما يعادلها وان يكون ناجحا فياللغة الانكليزية والرياضيات العامة والعلوم العامة (الفرع الادبي) . وقد كانت الدراسة حتى سنة ١٩٧٧ مجانية ولكن السلطات الاسرائيلية ، التي تشرف على المعهد منذ حرب حزيران، قررت فرض اقساط سنوية تبلغ حوالي ٢٥ دينارا اردنيا .

مساحة ارض المعهد ١٣٠ دونما . فيه ٧ غرف للتدريس ، ١١ غرفة نوم ، قاعة مسرح ، ملعبان داخليان ، ثلاثة ملاعب خارجية ، ومختبر واحد يتسع لخمسة وعشرين طالبا وينقصه الكثير من الاجهزة اللازمة لطلاب معهد المعلمين . اما المكتبة

ففيها ٨٠٠٠ كتاب ، والزيادة السنوية ضئيلة جدا ، والدوريات شبه معدومة .

تقتصر خطط المستقبل على نية لتوسيع وتطوير المكتبة لانها ضعيفة جدا من الناحية الكمية والنوعية بالنسبة لدار معلمين . ليس هنالك نية لزيادة عدد الطلاب الحالي وذلك لعدم توفر الوظائف لهم عند التخرج .

٧ ـ دار المعلمين ودار المعلمات في غزة

اسستهما الحكومة المصرية عام ١٩٥٥ لتأهيل المعلمين والمعلمات للمرحلة الالزامية ، وكانتا انذاك تقبلان الطلبة الذين ينهون المرحلة الاعدادية ، وفي عام ١٩٧٤ اصبحتا تقبلان الطلبة الذين ينهون المرحلة الثانوية فقط ، وهما الان تحت اشراف ضابط التربية والتعليم الاسرائيلي بقطاع غزة . للدارين في العام الحالي ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، نفس المدير ، ويبلغ عدد اعضاء الهيئة التدريسية فيهما ٥٢ مدرسا ومدرسة ، من متفرغين وغير متفرغين . معظمهم من حملة البكالوريوس وعدد قليل من حملة الماجستير .

فترة الدراسة في دار المعلمين سنتان وتتبع فيه المناهج المصرية بالتخصصات التالية : علوم ، اداب ، تربية رياضية ، تربية فنية وموسيقى ، وسيضاف اليها في العام القادم ، ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ ، تخصص في اللغة الانكليزية . ويبلغ عدد الطلاب في دار المعلمين في العام الحالي ٢٠٣ طلاب ، منهم ٨٨ في السنة الاولى و١٥٥ في السنة الثانية .

وتقدم دار المعلمات نفس التخصصات المقدمة في دار المعلمين بالاضافة الى تخصص في الاقتصاد المنزلي . ويبلغ عدد الطالبات فيها في العام الحالي ٢٧٢ طالبة، منهن ١٣٠ في السنة الاولى و١٤٢ في السنة الثانية .

ب ـ الجامعات والكليات الجامعية

١ ـ جامعة بيت لحم

فتحت الجامعة ابوابها للدراسة في مبنى مدرسة الفرير في بيت لحم في تشرين الاول من عام ١٩٧٣ ، وكان قد اعلن عن الجامعة في الشهر السابق تحت اسم « جامعة الفرير » ثم تحول الاسم الى «جامعة بيت لحم » في الشهر نفسه . وقد اتخذت توصية بتأسيس الجامعة في اجتماع دعا اليه القاصد الرسولي في القدس ، الاسقف بيو لاغي عام ١٩٧٢ وضم مدراء بعض المدارس في الضفة الغربية .

والجامعة ما زالت تحت اشراف القاصد الرسولي ومؤسسة الفرير (اخوة دي لاسال) وقد شكل مؤخرا مجلس استشاري للجامعة من اعضاء محليين . وللجامعة مجلس امناء مقره الفاتيكان ، يتحمل مسؤولية الجامعة ويشرف على وضع خطط لتطويرها .

تضم الجامعة الكليات والمعاهد التالية :

(١) **كلية الاداب والعلوم** مدة الدراسة فيها ٤ سنوات وتمنح شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وادابها ، اللغة الانكليزية وادابها ، علم النفس ، الخدمة الاجتماعية، علم النفس ـ علم الاجتماع ، علم الاجتماع الخدمة الاجتماعية ، الرياضيات ، الرياضيات ـ الكيمياء ، الرياضيات ـ الفيزياء ، الكيمياء ـ الاحياء .

(٢) **كلية ادارة الاعمال والاقتصاد :** مدة الدراسة فيها ٤ سنوات وتمنح شهادة البكالوريوس في الاقتصاد والمحاسبة .

(٣) **كلية المعلمين :** تمنح درجة البكالوريوس للمعلمين الذين يلتحقون بها في فروع تخصصهم (المقدمة في كلية الاداب والعلوم) وشهادة التربية لحملة الشهادات الجامعية ، ونظام الدراسة فيها مسائي وهو عبارة عن برنامج تأهيل

للمعلمين اثناء الخدمة ٠

(٤) كلية التمريض : مدة الدراسة فيها ٤ سنوات وتمنح شهادة البكالوريوس٠

(٥) معهد ادارة الفنادق : مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ويمنح الدبلوم في ادارة الفنادق ٠

الهيئة الادارية في الجامعة مكونة من سبعة اعضاء (ثلاثة اجانب واربعة عرب) اربعة منهم من حملة الدكتوراه ، واثنان من حملة الماجستير وواحد يحمل شهادة الدبلوم في ادارة الفنادق ٠ بلغ عدد اعضاء الهيئة التدريسية ، عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٦١ عضوا ، حوالي النصف منهم من غير المتفرغين ، منهم ١٤ حملة دكتوراه ، ٢٧ ماجستير ١٤ حملة بكالوريوس ، و٤ حملة دبلوم ٠ اما العام الدراسي الحالي ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، فان الهيئة التدريسية تتألف من ٦٠ عضوا ، ٢٥ منهم غير متفرغين ، ١٣ حملة دكتوراه ، ٢٨ حملة ماجستير ، ١٥ حملة بكالوريوس، ٣ حملة دبلوم وواحد يحمل شهادة دورة في التربية الرياضية ٠

بلغ عدد الطلبة ، عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٣٤٧ طالبا وطالبة نظاميين ، ٢٠٠ طالب وطالبة في كلية المعلمين و٢٥ طالبا وطالبة دراسة خاصة ٠ اما في العام الدراسي الحالي ، فيبلغ عدد الطلبة ٤١٦ طالبا وطالبة نظاميين و٢٥٤ طالبا وطالبة في كلية المعلمين ٠ ويشترط لقبول الطلبة اما حصولهم على شهادة الدراسة الثانوية العامة او الحصول على ستة مواضيع فيامتحان شهادة التربية العامة البريطانية G. C. E. مستوى عادي وموضوعين مستوى متقدم احدهما اللغة العربية ٠ اما اقساط التعليم فتبلغ ١٠٠ دينار اردني في فصلي الخريف والربيع وتتبع الجامعة نظام الساعات المعتمدة ٠

تقع الجامعة على بعد ٨ كم جنوب القدس ومساحتها ١٧٫٧ دونما فيها ١٧ غرفة تدريس ، قاعة مسرح وملعب خارجي للرياضة ٠ تحتوي مكتبتها على ١٤٫٠٠٠ كتاب ، منها ٣٫٠٠٠ باللغة العربية ، ٩٫٠٠٠ باللغة الانكليزية و٢٠٠٠ بلغات اخرى هي الفرنسية ، الاسبانية، الايطالية، والالمانية ٠ وتشترك المكتبة بحوالي ١٥٠ دورية باللغة الانكليزية و ٥٠ دورية باللغة العربية ٠ ويبلغ معدل زيادة عدد كتب المكتبة السنوية حوالي ٣٠٠٠ كتاب ٠ وبناء المكتبة الحالي الذي تم انجازه قبل بضعة اشهر يتسع لحوالي ١٠٠٫٠٠٠ كتاب ويعمل في المكتبة خمسة موظفين ثلاثة منهم لديهم مؤهل جامعي ٠ يوجد في الجامعة كذلك مختبر للكيمياء مساحته ٦٠ مترا مربعا يستوعب حوالي ٣٠ طالبا وتقدر قيمة موجوداته بحوالي ٢٠٫٠٠٠ دينار وتبلغ الميزانية السنوية المخصصة حاليا لمشترياته ١٫٥٠٠ دينار ٠ وهنالك مختبر اخر للاحياء مساحته ١٧٠ مترا مربعا ويتسع لحوالي ٢٤ طالبا ، تبلغ قيمة موجوداته حوالي ٣٠٫٠٠٠ دينار وميزانية مشترياته السنوية ١٫٥٠٠ دينار٠والمختبر الثالث هو للفيزياء مساحته ١٨٠ مترا مربعا ويتسع لـ ٣٦ طالبا ، قيمة موجوداته حوالي ١٥٫٠٠٠ دينار وميزانية مشترياته السنوية حوالي ١٫٥٠٠ دينار ٠

اما خطط المستقبل فأهمها :

١ ـ بناء عمارة جديدة لكلية العلوم بتكلفة تقدر بمليوني دولار ٠

٢ ـ بناء سكن للطلاب والطالبات خارج الحرم الجامعي ٠

٣ ـ بناء مقصف جديد لطلبة الجامعة ٠

٤ ـ بناء قاعات اجتماعات للاحتفالات العامة ومنشآت رياضية حديثة ٠

وقد تقدمت الجامعة بطلب عضوية الى اتحاد الجامعات العربية عام ١٩٧٧ الا انها لم تقبل ٠

٢ ـ جامعة بيرزيت

تأسست جامعة بيرزيت كمدرسة صغيرة عام ١٩٢٤ على يد الانسة نبيهة ناصر ، واستمرت المدرسة بالتطور فبدأت في سنة ١٩٥١ بتقديم مواد دراسية فوق المستوى الثانوي · وفي سنة ١٩٥٣ اكتمل الصف الجامعي الاول بفرعيه العلمي والادبي وتبعه الصف الجامعي الثاني سنة ١٩٦١ والغيت الصفوف الابتدائية والاعدادية والثانوية بصورة تدريجية الى أن تم الغاء اخر صف ثانوي في نهاية العام الدراسي ١٩٦٦ـ١٩٦٧ · واقتصر التعليم حينذاك على الصفين الجامعيين الاول والثاني اي ما يعرف بالمرحلة الجامعية المتوسطة · وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ رأت الكلية ان انشاء جامعة عربية في الارض المحتلة هو من الامور الملحة ، فقامت بدراسات مطولة اقرت على اثرها في حزيران ١٩٧٢ برنامج التوسع لاربع سنوات جامعية بحيث يضاف الصف الجامعي الثالث في عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ والصف الجامعي الرابع في عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ · وشكل في عام ١٩٧٢ مجلس امناء من ١٤ عضوا من الفلسطينيين من ذوي الخبرة والاهتمام بالامور التربوية في الضفة الغربية ، وأخذ هذا المجلس مسؤولية الاشراف على تطوير الجامعة من المؤسسين وبافتتاح الصف الجامعي الرابع عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ تحول اسم المؤسسة رسميا الى « جامعة بيرزيت » بعد ان كانت تعرف باسم « كلية بيرزيت » ·

الهيئة الادارية في الجامعة مكونة حاليا من خمسة اعضاء ثلاثة منهم من حملة الدكتوراه واثنين من حملة الماجستير ، كما أن هناك خمسة مناصب ادارية عليا اخرى في الجامعة يشغلها واحد من حملة الدكتوراه ، واحد من حملة الماجستير ، اثنان حملة بكالوريوس ، وواحد من حملة دبلوم في المحاسبة ·

بلغ اعضاء الهيئة التدريسية ، عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٦٢ عضوا ، منهم ٥٣ متفرغين و٩ غير متفرغين ، ١٨ من حملة الدكتوراه ، ٤ مرشحين دكتوراه ، ٣٠ من حملة الماجستير ، و١٠ معيدين من حملة البكالوريوس · اما عددهم في العام الحالي ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، فيبلغ ٨٤ عضوا ، ٧٦ متفرغين و٨ غير متفرغين ، ٢٦ حملة دكتوراه ، ٣ مرشحي دكتوراه ، ٣٨ من حملة الماجستير ، ٢ مرشحي ماجستير ١٣ من حملة البكالوريوس ، و٢ من حملة الدبلوم في التربية الرياضية ·

تحتوي الجامعة على كليتين : (١) **كلية العلوم** : مدة الدراسة فيها اربع سنوات وتمنح شهادة البكالوريوس في الفيزياء ، الكيمياء ، الرياضيات ، والعلوم الحياتية (علم الحياة والكيمياء الحياتية) ·

(١) **كلية الاداب** : مدة الدراسة فيها اربع سنوات وتمنح شهادة البكالوريوس في اللغة العربية، ادارة الاعمال، الاقتصاد وادارة الاعمال ، اللغة الانكليزية ، الادب الانكليزي ، دراسات الشرق الاوسط ، علم الاجتماع ، وتخصص مزدوج في علم الاثار واي موضوع اخر في العلوم الاجتماعية (كما ان بامكان الطلاب الحصول على بكالوريوس بتخصص مزدوج في اي موضوعين من مواضيع كلية العلوم او مواضيع كلية الاداب) ·

كما تقدم دائرة التربية وعلم النفس برنامجا يؤدي الى شهادة الماجستير في الاشراف التربوي ، وبرنامجا يؤدي الى شهادة التعليم يؤهل حامليها للتعليم في المرحلة الثانوية ، ويمكن للطلبة الحصول على شهادة التعليم خلال الدراسة لشهادة البكالوريوس ، او بعد الحصول على شهادة البكالوريوس · ويلتحق للدراسة ببرنامج شهادة التعليم وبرنامج الماجستير في التربية عدد من العاملين والمدراء والموجهين من مختلف مناطق الضفة الغربية ، وهؤلاء

يشغلون مناصب قيادية ومسؤولة في مجال التربية في الارض المحتلة ٠

بلغ عدد الطلبة ، عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٦٠٠ طالب وطالبة ٠ اما عددهم في العام الحالي ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ فيبلغ ٩٢٧ طالبا منهم ١٠٦ غير متفرغين ٠ ويشترط في قبول الطالب ان يكون حائزا على شهادة الدراسة الثانوية العامة بمعدل جيد وان يتقدم لامتحان اللغة الانكليزية الذي تعقده الجامعة لتحديد مستوى مادة اللغة الانكليزية التي يسجل فيها خلال السنة الاولى ٠ والطلبة الملتحقون بجامعة بيرزيت يفدون من مختلف مناطق فلسطين بما فيها الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ ، كما يدرس فيها ايضا عدد قليل من ابناء الفلسطينيين في المهجر، وابناء موظفي الوكالة والامم المتحدة الاجانب الذين يعملون في الاراضي المحتلة٠ تبلغ اقساط الدراسة السنوية (لفصلي الشتاء والربيع) ١١٠ دنانير ، ويحصل العديد من الطلبة على انواع مختلفة من المنح والقروض ٠ وتشكل اقساط الطلبة ٢٠٪ من الميزانية السنوية المتكررة للجامعة التي بلغت في العام الدراسي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ حوالي ٤٣٠ الف دينار ٠ حاليا ، يتقدم بطلبات التحاق بالجامعة حوالي ٢٠٠٠ طالب وطالبة سنويا ، ولكن قدرة الجامعة الاستيعابية لا تسمح الا بقبول ما بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ طالب ٠

تقع جامعة بيرزيت ٢٦ كيلومترا الى شمال القدس وهي مركز الضفة الغربية الجغرافي ٠ مساحة اراضي الجامعة الحالية ١٧ دونما ٠ فيها ٢١ غرفة تدريس و٥ ملاعب خارجية وملعب واحد داخلي ، قاعة اجتماعات ومسرح ٠ اما المكتبة فتحتوي على ٣٤٫٠٠٠ كتاب ، منهم ١٥٫٠٠٠ باللغة العربية و١٩٫٠٠٠ باللغة الانكليزية وتشترك المكتبة بـ ٣٠٦ دورية، منها ٥٢ باللغة العربية و٢٥٤ باللغة الانكليزية ٠ ويبلغ معدل زيادة عدد كتب المكتبة سنويا حوالي ٤٫٠٠٠ كتاب ٠

يعمل في المكتبة ٧ موظفين ، احدهم يحمل شهادة الماجستير ، وواحد شهادة البكالوريوس واثنان دبلوم علم المكتبات ٠ اما امين المكتبة فانه من حملة شهادة الدكتوراه ٠

في الجامعة مختبر للفيزياء مساحته ١٦٢ مترا مربعا ، يتسع لـ ٥٠ طالبا ، تقدر قيمة موجوداته بحوالي ١٥٫٠٠٠ دينار اردني والميزانية السنوية المخصصة لمشترياته ٢٧٥٠ دينارا ٠ مختبر الكيمياء تبلغ مساحته ١٥٠ مترا مربعا ويستوعب حوالي ٥٥ طالبا ، تقدر قيمة موجوداته بـ ١٥٫٠٠٠ دينار والميزانية السنوية المخصصة لمشترياته بـ ٢٧٥٠ دينارا ٠ وهنالك مختبر للاحياء مساحته ١٠٠ متر مربع ، يتسع لـ ٣٥ طالبا ، تقدر قيمة موجوداته بحوالي ٥٠٠٠ دينار والميزانية السنوية المخصصة لمشترياته بـ ١٥٦٢ دينارا ٠ كما ان هنالك مختبرا للغات يستوعب ٢٤ طالبا ٠

كذلك يوجد في الجامعة قسم لمكافحة الامية وتعليم الكبار يعمل على فتح صفوف لمكافحة الامية في مختلف مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة بالتعاون مع الجمعيات الخيرية والنوادي المتواجدة في تلك المناطق ٠ ويقوم القسم كذلك بعقد دورات لتدريب معلمي صفوف مكافحة الامية لاستعمال احدث المناهج والاساليب المتوفرة في هذا المجال كما يقوم باجراء وحصر اسبابها ٠ ويصدر القسم نشرة فصلية خاصة بمكافحة الامية في الارض المحتلة تحت عنوان « الانسان الجديد » ٠

اما القسم الاخر الجدير بالذكر في جامعة بيرزيت فهو مكتب الوثائق والابحاث الذي انشأته الجامعة خلال العام الدراسي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ للقيام بجمع كل ما يصدر من وثائق في الارض المحتلة ، عمل ابحاث تتعلق بالنواحي الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية والتربوية في الارض المحتلة ،

وتسهيل الباحثين في داخل وخارج الجامعة عن طريق فهرسة الوثائق واخبار الصحف المحلية وجمع النشرات الاحصائية والاعلامية · ويصدر المكتب نشرة فصلية تحتوي فهرسة اخبار الجرائد المحلية تحت عنوان « فهرس بيرزيت الصحفي » · الى جانب ذلك ، بدأ العمل خلال العام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ على تطوير مركز الفلكلور الفلسطيني الذي يعنى بجمع التراث العربي الفلسطيني وبعمل الدراسات المتعلقة بهذا المجال · كذلك تشرف دائرة الاثار على القيام بحفريات في بعض مناطق الضفة الغربية للتنقيب عن الاثار كما انها بدأت العمل على تطوير متحف فلسطيني في الجامعة ·

اما خطط المستقبل فهي كثيرة ولا مجال لحصرها جميعها هنا ولذلك سوف اقتصر على ذكر اهمها الذي هو قيد التنفيذ او الدراسة :

١ ـ افتتاح كلية ادارة الاعمال والاقتصاد في بداية العام الدراسي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ التي ستقدم برامجا تؤدي الى شهادة البكالوريوس في ادارة الاعمال ، المحاسبة ، الاقتصاد والادارة العامة ·

٢ ـ افتتاح كلية الهندسة في بداية العام الدراسي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ التي ستمنح شهادة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية، والهندسة المدنية وثم المعمارية والكهربائية· وسيلحق بالكلية معهد تكنولوجي لسد الحاجة الماسة الى العمال الفنيين ·

٣ ـ التوسع في بعض الدوائر الموجودة حاليا بحيث تقدم برنامجا على مستوى الدراسات العليا ومن الدوائر التي ستباشر باعطاء هذه البرامج دائرة دراسات الشرق الاوسط ، دائرة اللغة الانكليزية ، دائرة علم الاجتماع وعلم الانسان ، ودائرة التربية وعلم النفس التي ستضيف الى برنامج الماجستير في الاشراف التربوي المقدم حاليا برامج اخرى للمعلمين على مستوى الماجستير ابتداء من عام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ (ماجستير في تعليم التخصصات المختلفة) ·

٤ ـ بناء حرم جامعي جديد على ارض في مشارف بيرزيت تبلغ مساحتها الحالية حوالي ٢٥٠ دونما ، والعمل قائم في هذا المشروع حاليا حيث بوشر ببناء مبنى كلية العلوم ومبنى المكتبة · وسيجري الانتقال الى الحرم الجامعي الجديد ابتداء من العام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ، وعند اكتمال الحرم الجديد ستحول مباني الحرم القديم الى مدرسة نموذجية تابعة لدائرة التربية وعلم النفس (التي من المقرر ان تصبح كلية للتربية ابتداء من العام ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ ، وسوف اورد في نهاية هذا التقرير ملحقا عن خطة تطوير دائرة التربية وعلم النفس خلال السنوات العشر القادمة) · وتقدر ميزانية البناء والتطوير للعام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ بحوالي ٤٠٠ر٠٠٠ دينار اردني ·

وتتوقع الجامعة ان يكون عدد الطلبة المقبولين للدراسة فيها عام ١٩٨٦ ـ١٩٨٧ حوالي ١٨٥٠ ومجموع عدد طلبة الجامعة ٥٤٠٠ طالب وطالبة بما فيهم ٣٥٠ في الدراسات العليا ·

وقد انضمت جامعة بيرزيت الى اتحاد الجامعات العربية في عام ١٩٧٦ والى اتحاد الجامعات العالمي في نفس العام ·

٣ ـ جامعة النجاح الوطنية

تأسست جامعة النجاح الوطنية كمدرسة ابتدائية عام ١٩١٨ ، على يد مجموعة من شباب نابلس (الحاج حسن حماد ، ابراهيم قاسم عبد الهادي ، الحاج قاسم كمال ، كامل هاشم ، ابراهيم هاشم، دكتور حافظ كنعان ، علاء الدين حلاوة ، اديب مهيار ، داود طوقان ، فارس السخن ، الشيخ فهمي هاشم ، جميل كمال) واطلق عليها انذاك اسم « مدرسة النجاح الوطنية

النابلسية » • وفي عام ١٩٤١ اصبح اسمها « كلية النجاح الوطنية » • وفي عام ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ افتتح في الكلية معهد لاعداد المعلمين للمرحلة الالزامية وما زال هذا المعهد يقدم برامج دراسية مدتها سنتان ، وتشمل مناهجه دراسات تربوية ومسلكية مع تخصصات في تعليم العلوم العامة ، الرياضيات ، التربية الرياضية ، اللغة الانكليزية ، اللغة العربية ، الاجتماعيات والدين ، الفن • وكان يشرف على الكلية حتى نهاية العام الدراسي الماضي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ هيئة عمدة محلية من اثني عشر عضوا • وكان عدد اعضاء الهيئة التدريسية في الكلية في العام الدراسي الماضي ٣٠ استاذا متفرغا و٢٧ استاذا غير متفرغ ، جميعهم من حملة شهادة البكالوريوس او الليسانس • وقد بلغ عدد الطلبة في معهد المعلمين ، في العام الدراسي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٦٦٠ طالبا وطالبة ، وكان يشترط لقبول الطلبة في المعهد حصولهم على معدلات في شهادة الدراسة الثانوية العامة لا تقل عن ٦٨٪ في الفرع العلمي ، وتبلغ اقساط التعليم فيه ٩٠ دينارا اردنيا سنويا •

وفي عام ١٩٧٦ قررت هيئة عمدة كلية النجاح تطوير الكلية الى « جامعة النجاح الوطنية » وبالتالي تغير اسم هيئة العمدة الى مجلس امناء ، وكان الهدف المعلن للخطة هو اقامة «كلية جامعية تهدف الى اعداد مدرسين للمرحلة الثانوية بحيث يختصون في موضوع اكاديمي على مستوى المؤهل الجامعي البكالوريوس او الليسانس مع توفر عدد من المساقات التربوية مناسبة لاعدادهم تربويا لمهنة التدريس • ويمنح الخريجون شهادة جامعية في تخصصهم ودبلوم تعليم • وتقدم هذه الكلية برنامجا تربويا لمن انهوا دراستهم الجامعية وحصلوا على الليسانس او البكالوريوس، ويمنح الخريجون من هذا البرنامج«شهادة الدبلوم » • وقدر لهذه الغاية ميزانية انشائية تبلغ ٢٣٠٠٠٠ر٢٣٠ دينار اردني وقدر العجز للعام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ بحوالي ٢٩٠٠٠٠ر٢٩٠ دينار •

واعلن عن فتح باب التسجيل للسنة الاولى يوم ٢٥ـ٨ـ١٩٧٧ في الرياضيات ، العلوم ، اللغة العربية ، اللغة الانكليزية ولبرنامج الدبلوم في التربية • لكن اعلن في اليوم التالي عن تأجيل التسجيل لاسباب فنية (ويظهر ان السبب هو تدخل السلطات الاسرائيلية واصرارها على أن تحصل كلية النجاح الوطنية على ترخيص منها للتطور الى المرحلة الجامعية) • وفي ١٢ تشرين اول ١٩٧٧ اعلن عن حصول كلية النجاح الوطنية على اذن السلطات الاسرائيلية بافتتاح الجامعة وبالتالي تم افتتاح الجامعة بتاريخ ١٥ـ١١ـ١٩٧٧ ، وعين للجامعة عميد لتنفيذ خطة التطوير •

واصبحت جامعة النجاح الوطنية تضم ، في الوقت الحاضر ، كلية العلوم والاداب حسب التنظيم التالي :

١ ـ **دائرة العلوم** : وتقدم برامج في مستوى البكالوريوس في تخصصات الرياضيات والكيمياء والاحياء والفيزياء •

٢ ـ **دائرة الاداب** : وتقدم برامج في مستوى البكالوريوس في تخصص اللغة العربية واللغة الانكليزية والتاريخ والاقتصاد وادارة الاعمال •

٣ ـ **دائرة التربية** : وتقدم :

أ ـ برنامج دراسات عليا في التربية ويمنح الناجحون فيه الدبلوم العالي في التربية ، وسيختار المتفوقون منهم للتسجيل في برنامج الماجستير ومدة الدراسة فيه سنة واحدة بعد الدبلوم بالاضافة الى متطلب اعداد رسالة علمية ذات صلة بتخصص الطالب •

ب ـ برنامج بكالوريوس في التربية

وعلم النفس مع تخصص فرعي في موضوع اكاديمي في العلوم او الاداب (لم يبـدأ الالتحاق بهذا البرنامج بعد) ٠

جـ ـ برنامج في التربية مدة الدراسة فيه عامان يحصل الناجحون فيه على دبلـوم متوسط في التربية يؤهل حامله للتدريس في المرحلة الالزامية ويقدم هذا البرنامج مـن خلال معهد النجاح للمعلمين (الذي اصبح احد اقسام الجامعة) ، كما والحقت المدرسة الثانوية (كلية النجاح الوطنية سابقا) بدائرة التربية لتكون بمثابة مركز للتطبيقات التعليمية ٠

يبلغ عدد الاساتذة الجامعيين ١٩ استاذا واستاذة من المتفرغين وغير المتفرغين ، ٤ من حملة الدكتوراه، ٧ من حملة الماجستير، و٨ من حملة البكالوريوس ٠

ويبلغ عدد الطلبة في العام الدراسـي الحالي ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، ١٢٠ طالبـا وطالبة في برنامج البكالوريوس في العلوم، ٢٥٤ طالبا وطالبة في برنامج البكالوريوس في الاداب ، ٧٩ في برنامج الدبلوم العالي في التربية ، ٤٩٥ في برنامج الدبلـوم المتوسط (اعداد المعلمين) ، و ٩٣ فـي برنامج التعليم الثانوي ٠ ويشترط حاليا في قبول الطلبة لبرامج البكالوريوس فـي العلوم والاداب وفي برامج اعداد المعلمين الحصول على معدل في امتحان شهـادة الدراسة الثانوية العامة لا يقل عن ٦٠٪ ويشترط في قبول الطلبة لبرنامج الدبلوم العالي في التربية حصول الطالب علـى بكالوريوس او ليسانس في العـلوم او الاداب ويراعى عند الاختيار عدد سنوات الخبرة ، التقدير في الشهادة الجامعيـة ونوع المسؤولية التي يتولاها المتقـدم للتسجيل ٠ اما الاقساط السنوية لطلبـة البكالوريوس فهي ١٦٠ دينارا اردنيـا للطالب العلمي و١٥٠ دينـارا للطالب الادبي ، اما لطلبة الدبلوم العالي فـي التربية فتبلغ الاقساط ٥ دنانير للساعـة المعتمدة ٠

تبلغ مساحة ارض الجامعة حوالي ٢٣ دونما وفيها عشرون غرفة تدريس للمرحلة ما بعد الثانويـة ومختبرات للفيزيـاء والكيمياء والاحياء مجموع مساحتها ٢٢٤ مترا مربعا ٠ وتحتوي المكتبة حوالـي ٨،٠٠٠ كتاب وقد اعلن مؤخرا عـن تخصيص ٣٠٠٠ دينار اردني لزيادة عـدد الكتب فيها وتحسين نوعيتها بما يتناسب والتدريس على المستوى الجامعي ٠ ولدى الجامعة اربعة ملاعب خارجية ٠

اهم خطط المستقبل بالنسبة للجامعة هي:

١ ـ شراء ارض جديدة تقام عليهـا المرافق اللازمة حتى تتمكن الجامعة مـن قبول الطلاب الجدد اذ ان مرافقها الحالية لا تكاد تتسع لطلاب السنة الاولى ودائرة التربية ، وقد اعدت المخططات الهندسيـة اللازمة لبناء طابق ثالث لعمارة الجامعة ولبناء كلية علوم في ارض بجانب مبنى الجامعة الحالي ٠ ويبلغ مجموع المبالـغ التي تحتاج اليها الجامعة حاليا لتنفيـذ مشاريعها اربعة ملايين دينار اردني ٠

٢ ـ زيادة عدد طلاب الجامعة بحيث يبلغ عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ما لا يقل عن ثلاثة الاف طالب ٠

٣ ـ النظر في اقامة كليات اخرى اذا دعت الحاجة الى ذلك واضافة نواة لمركـز ابحاث ودراسات يعنى بمختلف الامـور التي تتطلبها مصلحة الجامعة وتستند عليها حاجة الارض المحتلة ٠

وقد انضمت جامعة النجاح الى اتحاد الجامعات العربية في شهر كانون الاول من عام ١٩٧٧ ٠

٤ ـ كلية الشريعة ، الخليل

يطلق عليهـا اسم « كليـة الشريعـة

والاداب » ، ولكن كلية الاداب لم تظهر الى حيز الوجود حتى الان . اسسها الشيخ محمد علي الجعبري عام ١٩٧١ ولها مجلس امناء محلي من تسعة اعضاء (هم هيئة ادارة الجمعية الخيرية لمركز الدراسات الاسلامية في الخليل) ، وهي تقدم برنامجا دراسيا مدته اربع سنوات يؤدي الى شهادة الليسانس في الشريعة الاسلامية .

تتكون الهيئة الادارية من عضوين ، احدهما العميد وهو يحمل درجة الدكتوراه. وقد كانت الهيئة التدريسية عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ مؤلفة من ١٤ مدرسا بما فيهم العميد ومن حملة الماجستير ، و ٨ من حملة البكالوريوس ومدرس لا يحمل شهادة جامعية . اما في العام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ فيبلغ عدد اعضاء الهيئة التدريسية ٨ مدرسين متفرغين و٤ مدرسين غير متفرغين ، احدهم ، العميد ، يحمل درجة الدكتوراه ، ٤ حملة ماجستير ، ٦ حملة ليسانس ، وواحد لا يحمل شهادة جامعية. تنحصر تخصصات الهيئة التدريسية ، وذلك حسب برنامج الكلية الدراسي ،بالدين الاسلامي والشريعة الاسلامية والقانون واللغة العربية ، بالاضافة الى مدرس اللغة الانكليزية .

بلغ عدد الطلبة ، عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٢٥٠ طالبا وطالبة بين منتسب وملتحق . اما عددهم ف يالعام الحالي ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، فهو ٤٠٠ طالب وطالبة ، ٢٥٧ منتسبون و١٥٣ ملتحقون . ويشترط في قبول الطالب حصوله على شهادة الدراسة الثانوية العامة او ما يعادلها والا يزيد عمره عن ٢٢ سنة . اما الاقساط السنوية فتبلغ ٣٠ دينارا اردنيا للطلبة الملتحقين و١٥ دينارا للمنتسبين ، ويستثنى من ذلك الطلبة المحتاجون .

ويأمل المشرفون على الكلية بتطويرها الى جامعة وقد انتهى العمل مؤخرا في بناء عمارة التدريس في الحرم الجديد الذي سيحوي الجامعة . وهذا الحرم يقع على ارض مساحتها حوالي ٥٣ دونما ، وتقدر تكاليف البناء بحوالي ١٠٠ر٠٠٠ دينار اردني ويحوي ٩ غرف للدراسة ، قاعة اجتماعات ، ملعبين خارجيين ، بركتين للسباحة مسجدا كبيرا وقاعة مكتبة ، الى جانب غرف الادارة . وتحتوي المكتبة حاليا على ٢٠٠٠ كتاب ويعمل فيها موظف واحد.

خطط التطوير التي لدى المشرفين على الكلية تتمثل في اتمام مباني الحرم الجديد (سكن للطلاب والطالبات والمرافق الاخرى)، ويأملون ان تتطور الكلية الى جامعة (تحمل اسم الجامعة العربية) .

وقد تقدمت الكلية بطلب عضوية الى اتحاد الجامعات العربية عام ١٩٧٧ الا انها لم تقبل .

ج ـ مؤسسات اخرى

الى جانب المعاهد والجامعات السابقة هنالك بعض المؤسسات الاخرى التي تقدم برامجا دراسية لحملة شهادة الدراسة الثانوية العامة ، وتذكر هذه البرامج منفردة هنا لانها محدودة من ناحية عدد الطلبة الملتحقين بها او لانها تقدم في مؤسسات تفتقر الى مكتبة مناسبة او اساتذة ومشرفين للعمل على تطويرها ، او لانها لا تتشدد في حصول الملتحقين بها على شهادة الدراسة الثانوية العامة .

وهذه المؤسسات هي :

١ ـ مدرسة التمريض التابعة لمستشفى الاتحاد النسائي في نابلس ـ وتقدم برنامج مساعدة ممرضة مدته ثمانية عشر شهرا ويلتحق بها عادة اقل من ١٦ طالبا وطالبة .

٢ ـ مدرسة التمريض الحكومية بنابلس

ـ اسستها السلطات الاسرائيلية عام ١٩٧٠ وهي تقدم دورتين : (١) دورة قابلة قانونية ، مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، عدد الملتحقين بها لا يزيد عادة عن ١٥ طالبة • (٢) دورة تمريض ، مدة الدراسة فيها ١٨ شهرا ولا تحتوي على اكثر من ١٤ طالبة •

٣ ـ مدرسة ابن سينا للممرضات القانونيات ـ اسستها السلطات الاسرائيلية عام ١٩٧١ وستقدم برنامجا مدته ثلاث سنوات يؤدي الى شهادة ممرضة قانونية، ويضم المعهد عادة عددا من الطالبات لا يزيد عن ٥٠ طالبة •

٤ ـ مركز التدريب المهني ـ قلنديا ـ أسسته وكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين عام١٩٥٣ • يقدم برامج مهنية عديدة منها ما يتطلب شهادة الدراسة الثانوية العامة ومنها ما يتطلب مستوى الثالث الاعدادي فقط • وهذه البرامج هي : تجارة ، مساحة ، رسم معماري ، فن عمارة ، مواصفات وكميات (جميع هذه تتطلب شهادة الدراسة الثانوية العامة) ، كهرباء ، حدادة ولحام ، تجارة ، بناء وطوبار ، تركيب ادوات صحية ، ميكانيكا سيارات ، خراطة ولحام (هذه لا تتطلب شهادة الدراسة الثانوية العامة) • مدة الدراسة في هذه البرامج ٢٢ شهرا • قدرة المركز الاستيعابية تبلغ حوالي ٧٠٠ طالب •

٥ ـ مدرسة التمريض التابعة لمستشفى المقاصد بالقدس ـ اسست عام ١٩٧١ • تقدم دورة في التمريض العلمي • مدة الدراسة فيه ١٨ شهرا • عدد الطالبات في كل دورة لا يزيد عن ١٢ طالبة •

٦ ـ مدرسة التمريض التابعة للاتحاد اللوثري العالمي بالقدس ـ اسست عام ١٩٥٠ • تقدم حاليا دورتين : (١) ممرضة قانونية ، مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، عدد الملتحقين لا يزيد عن ٣٠ طالبا وطالبة • (ب) تمريض عملي ، مدة الدراسة فيها ١٨ شهرا ، عدد الطلاب والطالبات لا يزيد عن ٩ •

٧ ـ دورة التربية والشؤون الاجتماعية بمدرسة دار الطفل العربي بالقدس ـ اسست مدرسة دار الطفل العربي عام ١٩٤٨ وهي مدرسة اهلية ثانوية اصبحت المدرسة تقدم ابتداء من عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢دورة في التربية والشؤون الاجتماعية مدتها ثلاث سنوات • عدد اللواتي يلتحقن بالدورة سنويا لا يزيد عن ١٤ •

٨ ـ المعهد الشرعي بالقدس ـ أسسته دائرة الاوقاف الاسلامية بالقدس عام ١٩٧٥ ، يقدم دورة في الشريعة الاسلامية مدة الدراسة فيها سنتان • لا يزيد عدد الطلاب في المعهد عن ٤٠ •

٣ ـ ممارسات الاحتلال في مجال التعليم العالي

يبلغ عدد الطلبة الذين يتمون امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة بنجاح سنويا في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي ١١ر٠٠٠ طالب وطالبة وتستطيع مؤسسات التعليم العالي في الضفة الغربية ان تستوعب منهم حوالي ٢٥٧٥ طالبا ، اما الطلبة الباقون فمنهم من يلتحق بالجامعات في البلدان العربية والاجنبية ومنهم من يدرس بالانتساب الى جامعات عربية وخصوصا جامعة بيروت العربية • والقسم الباقي يعمل معظمهم في الاراضي المحتلة وخصوصا في المنشآت الاقتصادية الاسرائيلية ، الصناعية منها والزراعية • ومن الضروري هنا ان نشير الى ان اغراءات العمل في المنشآت الاسرائيلية كبيرة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ندرة فرص العمل في الضفة الغربية وقطاع غزة وان هؤلاء الطلبة المتخرجين قد شجعوا وتعودوا على هذا العمل اثناء سني

دراستهم الثانوية ،اما بعد الدوام المدرسي اليومي او اثناء العطل الصيفية . ولسنا هنا بصدد التوسع في هذا الموضوع ولكن من الضروري التشديد على انه يضع الكثير من الطلبة في وضع نفسي يشجعهم على العمل وعلى عدم متابعة دراستهم العليا (او حتى على عدم اتمام الدراسة الثانوية من قبل العديد من طلبة المدارس).

نقطة اخرى هامة قبل التطرق الى موضوع ممارسات الاحتلال في مجال التعليم العالي بالارض المحتلة هي حول وضع ومشاكل الطلبة الذين يدرسون خارج الارض المحتلة (١) . اول ما يواجه هؤلاء بين ما يواجهونه من مشكلات ، مشكلة الحصول على طلبات التحاق بالجامعات وخصوصا الجامعات العربية وهذا يؤدي في كثير من الاحيان الى تأخرهم عن تقديم الطلبات في الموعد المحدد وبالتالي حرمانهم من الالتحاق بالجامعات لسنة على الاقل . (٢) وحتى عند حصولهم على الطلبات وارسالها في الوقت المحدد فانهم يواجهون مشكلة تقديم امتحانات القبول التي تتطلبها بعض الجامعات وذلك لان السلطات الاسرائيلية لا تسمح للشباب الذين يغادرون الارض المحتلة بالعودة اليها قبل انقضاء ستة شهور على تاريخ مغادرتهم ، (يستثنى من هذا القانون شباب مدينة القدس على اعتبار ان المدينة قد ضمت رسميا الى اسرائيل وتطبق على اهلها القوانين المدنية بدل العسكرية) . طبعا ، يمكن لهؤلاء الطلبة الحصول على اذن من السلطات العسكرية الاسرائيلية بمغادرة الضفة لفترة قصيرة لتقديم الامتحانات ولكن يبقى هذا الامر عائدا الى مزاج السلطات . ونفس هذه المشكلة يواجهها الطلبة المنتسبون الى جامعات عربية عند اضطرارهم لمغادرة الارض المحتلة لتقديم الامتحانات السنوية .

الدراسة في جامعات خارج الارض المحتلة لها مضار وسلبيات عديدة اهمها :

١ – انها تشكل عبئا اقتصاديا كبيرا على عائلات الطلبة .

٢ – يحتاج العديد من الطلبة الى بعض الوقت للتأقلم مع البيئة الجديدة التي يدرسون فيها مما يؤخرهم في بعض الاحيان عن دراستهم ، خصوصا الذين يدرسون في بلدان اجنبية .

٣ – حرمان نسبة كبيرة من الطالبات من فرصة التعليم العالي ، حيث ان كثيرا من العائلات في مجتمعنا لا تقبل فكرة ارسال البنات الى الخارج للدراسة . وقد ينطبق هذا على الشباب الذين يعيش اخوانهم في الخارج ولم يبق سواهم في البيت مع الوالدين .

٤ – يبقى العديد من الطلبة ، وخصوصا الشباب منهم ، خارج الارض المحتلة بعد تخرجهم (٣) وذلك لاسباب عديدة منها :

أ – مضايقة سلطات الاحتلال لهم عند عودتهم عن طريق التحقيقات المتكررة والاعتقال والتعذيب .

ب – انقضاء فترة التصريح السنوي ، المعطى لهم من السلطات الاسرائيلية ، قبل تمكنهم من العودة وبالتالي عدم السماح لهم بدخول الارض المحتلة ووجوب قيام اهلهم بتقديم طلب جمع شمل لهم .

ج – عدم الرغبة في العودة الى الارض المحتلة حيث الحرية السياسية والاجتماعية، وربما الفكرية ايضا ، معدومة .

د – عدم توفر وظائف لهم في الارض المحتلة وهذا عائد الى ندرة فرص العمل ولانعدام التخطيط لدراسة الطلبة الجامعية لعدم وجود سلطة وطنية او حكومة تشرف على ذلك .

هـ – حصولهم على وظائف برواتب عالية وخصوصا في دول الخليج العربي .

وتفادي هذه المشاكل يصبح لزاما على

مؤسسات التعليم العالي في الارض المحتلة، وعلى جميع المعنيين بهذا التعليم وضع الخطط ودراستها لتطوير مؤسسات التعليم العالي لاستيعاب معظم الطلبة المؤهلين والراغبين في استكمال دراستهم بعد المرحلة الثانوية وذلك حسب احتياجات المنطقة آنيا ومستقبلا ·

اما ممارسات ومضايقات سلطات الاحتلال في مجال التعليم العالي فهي كثيرة وخطيرة وتهدف ، فيما تهدف اليه ، الى عدم تطوير التعليم العالي في الارض المحتلة من الناحية الكمية والنوعية وذلك لابقاء سكان هذه الارض عبارة عن مجموعة من العمال غير المهرة الذين يعملون بأجور زهيدة في المنشآت الاسرائيلية ، ولتشجيع الشباب على مغادرة البلاد كخطوة من سلسلة خطوات تتبعها السلطات لتفريغ الارض المحتلة من سكانها ، وللحد من التفاعل الفكري بين ابناء مختلف مناطق الارض المحتلة لانه في نظرها يؤدي الى ازدياد الشعور بالتماسك والشعور بالهوية والانتماء والى تصعيد التصدي للاحتلال ومناهضته ·

من المعروف ان السلطات العسكرية تشرف اشرافا مباشرا على جميع مراحل التعليم في المؤسسات الحكومية في الارض المحتلة · ولهذا الاشراف نتائج خطيرة لانه يعني ان السلطات العسكرية يمكنها ان تحدث اية تغييرات في وضع هذه المؤسسات التربوية وفي الوضع التربوي بشكل عام بحجة ان هذه الاجراءات لها مبررات امنية · فيمكن ، مثلا ، لسلطات الاحتلال ان تغير المناهج الدراسية وان تحذف اقساما منها ، ان تجري تنقلات وتغييرات بين المسؤولين في مكاتب التربية والمدارس والمعلمين ، ان تمنع اساتذة عن العمل وطلابا عن الدراسة ، وهذه كلها امثلة واقعية حصلت فعلا في السنوات القليلة الماضية ·

وتقع معاهدة التعليم العالي الحكومية في الضفة الغربية تحت الاشراف المباشر لضابط التربية والتعليم في قيادة الضفة الغربية (وكذلك هو الوضع في قطاع غزة) وهو الذي يحدد ميزانيتها وعدد الاساتذة الذين يوظفون للتعليم فيها مع تحديد مؤهلاتهم ونوعياتهم ، ويحدد كذلك عدد المستخدمين فيها ، ويشرف على تطوير المناهج وتطبيقها · وبالتالي فان لضابط التربية الصلاحية بمنع حدوث اي تطور في مناهج وطرق التعليم المتبعة في هذه المعاهد وقد وضعت عراقيل عديدة في وجه اقامة دورات تأهيل صيفية لمعلمي المدارس الحكومية في هذه المعاهد عن طريق المنع او عن طريق عدم تخصيص ميزانيات لها· كذلك يحاول ضابط التربية باستمرار منع حصول تفاعل وتبادل خبرات بين هذه المعاهد ومؤسسات التعليم العالي الاهلية ، على سبيل المثال حاول ضابط التربية منع اساتذة من جامعة بيرزيت (٤) من المشاركة في دورات تدريب لمعلمي المدارس الحكومية للمرحلة الالزامية عقدت في معهد المعلمات الحكومي برام الله في صيف عام ١٩٧٧ · الا انه رضخ في النهاية لعدم تمكنه من ايجاد بديل لهؤلاء الاساتذة · ومنع التفاعل هذا لا يقتصر على منع اشتراك الاساتذة في دورات تعقد في معاهد حكومية ، ولكن يتعدى ذلك الى منع اساتذة المدارس الحكومية من حضور دورات تعقد في جامعة بيرزيت والى منع طلبة الجليل من الالتحاق بجامعة بيرزيت · فقد منع مدير التربية والتعليم في قطاع غزة من ترتيب دورات تعقد في جامعة بيرزيت لاساتذة الرياضيات المعاصرة في المدارس الحكومية في القطاع ، وقد استمرت المحاولات لعقد هذه الدورات خلال العامين الدراسيين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ و ١٩٧٥ ـ

١٩٧٦ · كذلك وجه امر شفهي من قبل الحاكم العسكري الى جامعة بيرزيت خلال العام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ بعدم قبول طلبة الجليل والمثلث في الجامعة ، وقد نوقش هذا الموضوع في الكنيست الاسرائيلي بناء على طلب من احد الاعضاء العرب فيه ، وفي معرض اجابته قال وزير الدفاع الاسرائيلي انذاك ، شمعون بيرس ،ان جامعة بيرزيت بؤرة للتحريض· ولكن لم يتخذ اي قرار رسمي ولم يوجه اي امر كتابي الى جامعة بيرزيت بهذا الصدد ·

اما المؤسسات الاهلية فانها كذلك لا تنجو من مضايقات السلطات العسكرية فهي بحاجة لترخيص من هذه السلطات في حال التوسع او عند افتتاح مؤسسات جديدة ، وعادة يتطلب هذا الترخيص سنوات عديدة للحصول عليه ، هذا اذا ووفق عليه في النهاية · وبالتالي فان التوسع في المؤسسات الاهلية اما ان يكون بطيئا او لا يكون ابدا · على سبيل المثال، منعت بلدية رام الله من استملاك اراض ضمن حدود بلدية رام الله من اجل بناء الحرم الجامعي الجديد لجامعة بيرزيت عليها ، مما اضطر جامعة بيرزيت ان تشتري اراض في منطقة بيرزيت لهذا الغرض ، وقد اعاقت هذه العملية اقامة الحرم الجامعي الجديد ثلاث سنوات على الاقل · كما سبق ايضا ذكر عملية اعاقة افتتاح جامعة النجاح الوطنية بسبب عدم حصولها على الترخيص من الحكم العسكري ·

ولربما كان الوضع محتملا لو اقتصرت المضايقات على هذا الامر · الا ان مؤسسات التعليم هذه ، الحكومية منها والاهلية ، لم تنج من الاعتداء المباشر عليها · فمع تصاعد الانتفاضات الشعبية المناهضة للاحتلال في الارض المحتلة تعرضت هذه المؤسسات مرارا وما زالت ، للاعتداء الهمجي من قبل الجنود الاسرائيليين الذين تعرضوا لطلبتها واساتذتها بالضرب والاعتقال الى جانب تحطيم اجزاء من الاثاث الموجود فيها · والامثلة على ذلك كثيرة ومعروفة ولا داعي لايراد بعضها هنا · الى جانب ذلك ، ولمعاقبة هذه المؤسسات لانها عبرت عن مشاعرها تجاه الاحتلال فان التهديد باغلاقها وباعتقال ، وحتى ابعاد ، المسؤولين عنها كثيرا ما يوجه من قبل الحاكم العسكري العام للضفة الغربية · وقد حصل فعلا ان طبقت هذه التهديدات· فمثلا ، ابعد د· حنا ناصر ، رئيس جامعة بيرزيت بتاريخ ٢١ـ١١ـ١٩٧٤ ، وقد اغلقت الجامعة عندما استنكر طلابها عملية ابعاد بعض رجالات الضفة لمدة اسبوعين ، من ١٥ـ١٢ـ١٩٧٣ الى ٣١ـ١٢ـ١٩٧٣ ، كما واغلق معهد المعلمات الحكومي في رام الله لمدة ثلاثة اسابيع خلال شهر كانون الثاني ١٩٧٧ بسبب رفض ادارة المعهد فصل ست طالبات اتهمن من قبل الحاكم العسكري بالاشتراك في اعمال معادية لسلطات الاحتلال · وهناك امثلة اخرى عديدة على العقوبات الجماعية كالمذكورة اعلاه والتي طبقت ليس على مؤسسات التعليم العالي فقط بل وعلى مدن باكملها حيث فرض منع التجول او منع اهل المدينة من السفر الى عمان ، مثلا منع اهالي بيرزيت من السفر الى عمان لفترة اسبوعين خلال شهر ايلول ١٩٧٧ ، كما ويمنع حاليا اهالي بلدة عابود من السفر·

وفي بعض الاحيان ، وتفاديا للضجة الاعلامية التي تثيرها الاعتداءات المتكررة على هذه المؤسسات من قبل جنود الاحتلال ، تلجأ السلطات العسكرية الى اساليب غير مباشرة لمعاقبة او لمضايقة هذه المؤسسات · فالمخابرات الاسرائيلية تستدعي باستمرار العديد من طلبة واساتذة هذه المؤسسات والعاملين فيها للتحقيق ، وغالبا ما تبقي الكثيرين منهم

رهن التحقيق فترة طويلة او تفرض عليهم الاعتقال الاداري لكي لا تضطر الى توجيه التهم اليهم . وهذا ما تتعرض له جامعة بيرزيت باستمرار ، وقد اعتقل احد اساتذتها (تيسير عاروري ، مدرس الفيزياء) اعتقالا اداريا مدة ٤ سنوات . وكثيرا ما يوجه الى هؤلاء الاساتذة والطلاب تهديدات بالسجن والتعذيب او الابعاد بدون سبب او مبرر او لمجرد انهم يرفضون التعاون مع المخابرات الاسرائيلية . ويجري استدعاء طلبة للتحقيق من جميع مؤسسات التعليم العالي بشكل يومي ، فمثلا استدعي من جامعة بيت لحم خلال العام الدراسي الماضي ، ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ ، ١١٠ طالب وطالبة منهم عدد بقي رهن الاعتقال لمدة لا تقل عن الاسبوعين .

ومن المضايقات الاخرى لهذه المؤسسات وخصوصا تلك التي تحتاج لاساتذة غير متوفرين في الارض المحتلة ، كجامعة بيرزيت وجامعة بيت لحم التي تتعاقد مع اساتذة جامعيين عرب واجانب ، ان السلطات تمنح هؤلاء الاساتذة تصاريح اقامة لمدة نصف سنة فقط او سنة واحدة قابلة للتجديد بناء على موافقة الحاكم العسكري العام . وبالتالي فان هذه المؤسسات تبقى باستمرار تحت رحمة الحاكم العسكري . وقد رفض الحاكم العسكري مؤخرا تجديد اقامة احد اساتذة جامعة بيرزيت (فواز زيدان ، مدرس اللغة العربية) في نهاية السنة الدراسية ٧٦ـ٧٧ وفي وقت (شهر حزيران) اصبح فيه من الصعب الحصول على بديل لهذا الاستاذ، وما زال الاستاذ فواز زيدان بدون اقامة حتى تاريخ كتابة هذا التقرير . كذلك يمنع بعض اساتذة هذه المؤسسات من السفر للاشتراك في مؤتمرات تعقد خارج الارض المحتلة ، فمثلا منعت الاستاذة حنان ميخائيل عشراوي مدرسة الادب الانكليزي في جامعة بيرزيت ، من السفر الى الولايات المتحدة خلال العام ٧٦ـ٧٧ للاشتراك في مؤتمر خريجي الجامعات الاميريكية العرب الذي عقد في نيويورك . كما وتفرض السلطات الاسرائيلية رقابة شديدة على منشورات جامعة بيرزيت المختلفة من دراسات ونشرات وعلى المجلة الطلابية « الغدير » التي توزع داخل الجامعة فقط ، وحتى على الكتب المستعملة في صفوف مكافحة الامية التي وضعت مؤخرا على لائحة الكتب الممنوع تداولها في الارض المحتلة .

هذا كله الى جانب الرسوم الجمركية العالية التي تفرضها سلطات الاحتلال على مشتريات هذه المؤسسات ، وخصوصا الاهلية منها ، من المواد التعليمية واجهزة للمختبرات والمكاتب ومن مواد البناء ، بينما تعفى المؤسسات التربوية الاسرائيلية من هذه الرسوم . وقد كانت مؤسسات الضفة الغربية تعفى من هذه الرسوم قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبالتالي فان السلطات الاسرائيلية لا تتقيد بالقوانين التي كان معمولا بها في هذه الاراضي قبل احتلالها لها . وتبلغ هذه الرسوم في معظم الاحيان اكثر من ١٠٠٪ من سعر المشتريات مما يشكل عبئا ثقيلا على المؤسسات التعليمية هذه ويحرمها من الاستفادة بشكل افضل من مواردها المحدودة والتي تأتي معظمها من المساعدات والتبرعات .

وبشكل عام ، فان سلطات الاحتلال تحاول جاهدة منع اي جهة وطنية في الارض المحتلة من القيام بتخطيط شامل للتعليم على مستوى الضفة الغربية وقطاع غزة او على مستوى الضفة الغربية لوحدها . فقد جرت محاولات خلال العام الدراسي ٧٦ـ٧٧ للترتيب لمؤتمر تشترك فيه جميع المؤسسات التربوية من مدارس ومعاهد وجامعات

الى جانب مدراء التربية العرب للتباحث في مشاكل التربية في الضفة الغربية ، ولكن هذه المحاولات بترت من قبل السلطات الاسرائيلية وهي في خطواتها الاولى · وعلى ذكر « مدراء التربية العرب » ، فانه يجب ان لا يفهم من هذا الاسم ان هؤلاء لديهم صلاحيات ومسؤوليات بالمعنى العادي لمفهوم « مدير التربية » في لواء او منطقة ما · فهؤلاء المدراء مسؤولون عن تنفيذ اوامر ضابط التربية الاسرائيلي ويتحملون مسؤولية الامور الفنية في الادارة ولا يستطيعون القيام بأية خطوة بدون استشارة ضابط التربية والحصول على الموافقة ·

واذا زدنا على كل ما تقدم انقطاع مؤسسات التعليم العالي في الارض المحتلة عن التطور الفكري ، الثقافي ، والتربوي الحاصل في العالم العربي ، بسبب عدم سماح السلطات الاسرائيلية لهذه المؤسسات بادخال الكتب والدوريات الصادرة في العالم العربي ، نستطيع ان نشعر بمدى صعوبة الواقع الذي تعيشه هذه المؤسسات ومدى ضرورة الاسراع بوضع خطط محكمة وشاملة لدعمها · على انه يجب الا ننهي هذا الجزء من التقرير بهذه الطريقة او الصورة القاتمة · فانه بالرغم من كل ما ذكر ، استطاعت هذه المؤسسات بطريقة او باخرى ان تستمر في الصمود والتطور النسبي وان تتصدى لمحاولات الاحتلال المتكررة بطمس هوية وتراث الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة وان تساهم في الحفاظ على هذا التراث وان تنمي الشعور بالهوية الفلسطينية وبالانتماء للعالم العربي ، (كما ذكرت سابقا ان المؤسسات الاهلية والخاصة قد استطاعت حتى الان ان تمنع سلطات الاحتلال من التدخل في مضمون ومستوى المناهج التي تدرس فيها) ، كما وتساهم هذه المؤسسات باستمرار في توفير عدد لا يستهان به من الكوادر المتعلمة اللازمة للمجتمع المحلي ·

٤ ـ اسس التعليم العالي وخطط مقترحة لتطويره

انتشر خلال السنوات القليلة الماضية اهتمام واسع موضوع التعليم العالي في فلسطين · وقد ظهر هذا الاهتمام بعدة اشكال ، منها العام ومنها المحدود ، وشملت الكتابة في الصحف والمجلات ، كما ضمت ايضا اللقاءات والندوات التي خصصت لهذا الموضوع في الارض المحتلة وخارجها · وقد كان لهذا الاهتمام والنقاش المنبثق عنه حسنتان : اولا ، انه سلط الاضواء على احدى المشاكل الهامة التي تواجه الشعب الفلسطيني الذي يعاني من مصيبته المزدوجة ، الاحتلال والتشرد ، وثانيا ، انه عالج بعض نواحي هذه المشكلة باقدار متفاوتة من الدقة والتفصيل · الا ان هذا النقاش قد انحصر في غالبيته بموضوع التعليم العالي من دون الالتفات الى مرحلة التعليم الدنيا ، لان التعليم عملية تراكمية مترابطة ومتسلسلة واي ضعف او نقص في احدى مراحله الاولى تؤثر على مراحله اللاحقة · ولذلك فاننا سنسرد هنا بعض المشاكل والازمات التي نواجهها في مجال التعليم عامة ، بجانب تلك التي ذكرناها تحت عنوان « ممارسات الاحتلال في مجال التعليم العالي » ،لنتمكن من تكوين صورة متكاملة للوضع الحالي ، وهذه المشاكل هي :

١ ـ انعدام رياض الاطفال (٥) مع ان المجتمعات الحديثة قد وجدت انها الوسيلة المثلى لتنشئة الطفل ومساعدته على النمو والاندماج الاجتماعي · وازدياد نسبة الامهات العاملات الذي يفرضه التطور الاقتصادي يزيد من أهمية وجود رياض للاطفال ، ولذلك بالاضافة الى ان هذه الرياض تخفف من

هذه المشاكل التي يواجهها الاطفال بسبب التفاوت في خلفياتهم وبيئاتهم البيئية ·

٢ ـ انعدام المكتبات والمختبرات المدرسية الكافية (٦) مما يحول التعليم المدرسي الى عملية ضيقة ومحصورة جدا وغير محببة لدى الطلبة ·

٣ ـ استمرار انحدار المستوى التعليمي في المدارس ·

٤ ـ انعدام الارشاد النفسي والاجتماعي والتوجيه الاكاديمي والوظيفي في المدارس بحيث ينهي معظم الطلبة دراستهم الثانوية دون اية فكرة واضحة ومعقولة عن امكانياتهم الذاتية لمتابعة الدراسة او المهارات المطلوبة في المجتمع والتي تؤمن لهم فرصا عالية للتوظيف في المستقبل ، او حتى اية معرفة بتفاصيل الاعمال والوظائف المختلفة · وبذلك ، بدلا من ان يكون اتمام الدراسة الثانوية بداية مشرقة للعمل او التدريب او التعليم الجامعي ، اصبح بالنسبة لنا أزمة نفسية ـ لا بل كابوسا ـ ومشكلة اقتصادية للطالب ولاهله وليس من المبالغة القول بان هذه المشكلة اتسعت حتى اتخذت أبعاد ازمة قومية حادة ·

٥ ـ عدم الاهتمام الكافي بمكافحة الامية (٧) ·

٦ ـ عدم الاهتمام الكافي بالتأهيل الوظيفي · وهذا الاهمال ـ كاهمال مكافحة الامية ـ يسبب هدرا لطاقات بشرية موجودة في المجتمع وغير مستغلة بحكمة ·

٧ ـ عدم توفر الخدمات التعليمية الاساسية ـ والصحية والاجتماعية ايضا ـ بمستوى مقبول في القرى ، وهذا يسبب ارهاق مرافق المدن وتخلف القرى وهجرة اهلها عنها · وهذه الظواهر جميعا تعمل حاليا على تغيير معالم مجتمعنا وتوزيعه السكاني في اتجاه غير سليم ·

٨ ـ عدم شمولية الزامية التعليم والتقيد بها ، وهذا يسبب مواصلة تواجد افراد في المجتمع تنقصهم ادنى الكفاءات المطلوبة في هذا العصر لحياة انسانية كريمة ومنتجة · ومما لا شك فيه ان احد الاسباب الرئيسية لتأزم جميع هذه المشاكل المختلفة هو عدم سيطرة مجتمعنا على عملية تحديد اولوياته التربوية والاشراف على تحقيقها بنفسه · ويدخل ضمن هذه المشكلة عدم توفر المدارس الخاصة للاطفال المعوقين · وان كان هذا لا يؤثر مباشرة الا على عدد قليل من الاشخاص فانه بالحقيقة مأساة لا يمكن القبول باستمرارها ·

اما التعليم العالي في الارض المحتلة ، فقد تقدمنا بعرض لاوضاعه وعلينا الان ان ننتقل الى الخطط المقترحة لتطويره ، وخصوصا التعليم الجامعي منه ، وتكاليف هذه الخطط · وقد عولج هذا الموضوع بشيء من التفصيل في دراسة قام بها د· حنا ناصر ، رئيس جامعة بيرزيت (٨)· وفي هذه الدراسة ، اقترحت ثلاثة نماذج رئيسية للتكوين الجامعي وسوف نعيد ذكرها هنا مع التشديد على النموذج الانسب وابراز ميزاته :

١ ـ أنشاء جامعتين او اكثر في مناطق مختلفة من البلاد تضم كل واحدة حوالي ٥٠٠٠ طالب ولكن « من الحكمة عدم انشاء الجامعة الثانية قبل التأكد من ان الجامعة الاولى قد تركزت واصبحت لها مكانة مرموقة اكاديميا واجتماعيا ويعود السبب في ذلك الى ان اية جامعة ناشئة تحتاج الى موارد كبيرة من المال والطاقة البشرية · وهذه الموارد محدودة عادة · وانشاء جامعتين في نفس الوقت سيوزع هذه الموارد بين الجامعتين وبالتالي يضعف كلا منهما · وعدا عن ذلك فان انشاء جامعتين ، واحدة بعد الاخرى ،

يساعد الجامعة الثانية في تلافي الاخطاء التي تكون قد برزت في التخطيط للجامعة الاولى » · (د· ناصر صفحة ١٣٩) ·

٢ ـ انشاء جامعة « ام » في مكان ما تتسع لحوالي ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ طالب مع عدد من الكليات المتوسطة (سنتان بعد الدراسة الثانوية) في مناطق مختلفة من البلاد ومنسقة مع الجامعة « الام » بحيث ينتقل الطلبة بعد اتمام الدراسة في الكليات الى الجامعة · ويكون عدد الطلبة في كل كلية حوالي ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ طالب · وبرأينا ان هذا النموذج هو الانسب للارض المحتلة وللظروف التي نحياها وسوف نحياها في المستقبل القريب ، ومزايا هذا النموذج هي :

أ ـ توفير المرافق الثقافية (محاضرات. دورات ، دراسة مسائية ، مسرح ، مكتبة ·· الخ) في مختلف المناطق وذلك بسبب تواجد الكليات فيها ·

ب ـ التكاليف الانشائية والمتكررة للكليات المتوسطة للطالب الواحد اقل بكثير من تكاليف الجامعة ، ولذلك فان مجموع التكاليف لهذا النموذج اقل من تكاليف انشاء جامعات متعددة ·

ج ـ ان معظم التسرب من الدراسة الجامعية يحدث في مراحلها الاولى (اول سنتين) وبذلك تتوفر المقاعد في الجامعة نفسها لطلبة من شبه المؤكد ان يتموا الدراسة فيها بنجاح ·

د ـ هذا النموذج يتمتع بالمرونة لانه يجمع بين مركزية التخطيط ولا مركزية التنفيذ ·

هـ ـ يتم قبول الطلبة في السنة الاولى في كلياتهم المحلية ، وهذا يسهل عملية انتقالهم الى المرحلة الجامعية نظرا لامكانية الاتصال المباشر بين الكلية والطالب وهو ما زال في المدرسة ·

و ـ ان مرافق الكليات المتوسطة بالمقارنة مع المرافق الجامعية تمتاز بأنها مرنة الاستعمال ، وهذا يسمح لرد الفعل السريع لتلبية حاجات المجتمع المتغيرة ·

ز ـ تجمع المرافق المتخصصة والباهظة التكاليف والكفاءات البشرية العالية والنادرة في الجامعة « الام » بحيث لا يلزم توفيرها في جميع الكليات المتوسطة، مع ان فرصة الاستفادة منها تبقى مفتوحة امام الكليات عند الحاجة ، كما ان هذا التجمع يسمح بتفاعل الكفاءات المختلفة مع بعضها البعض ·

ح ـ واخيرا يمكن تطوير اية كلية متوسطة الى جامعة اذا تطلب ذلك الازدياد السكاني والتطور الاجتماعي والاقتصادي· ويكون وجود الكلية المتوسطة بخبرتها ومرافقها وطاقاتها البشرية اساسا متينا من الناحيتين المادية والاكاديمية لجامعة جديدة · وذلك افضل بكثير من البداية من نقطة الصفر ·

« وعند انشاء كليات متوسطة ، يجدر ملاحظة التحفظ السالف الذكر مرة اخرى، وهو عدم انشاء مثل هذه الكليات قبل انشاء الجامعة « الام » وتركيزها اكاديميا وماديا · كما انه من المناسب عدم انشاء كليات متوسطة قبل التأكد ان مجموع عدد الطلبة المتوقع الالتحاق بها لا يقل عن ٧٠٠ والا لاصبحت كلفة التعليم للطالب مرتفعة كما يحدث في السابق · وبالطبع فان هذا التحفظ يحدد مواقع الكليات الممكن انشاؤها الى المدن الكبيرة والمناطق ذات الكثافة السكانية العالية نسبيا » · (د· ناصر ، صفحة ١٤٠) ·

٣ ـ انشاء « كليات جامعية كاملة ـ مثل كلية علوم واداب وطب ـ في مناطق مختلفة ، وهذه الكليات بمجموعها تكون الجامعة · ان لهذا النموذج بعض السيئات ، فهنالك عدد من المواد المشتركة التي يجب ان يدرسها طلبة السنة الاولى

وبعض طلبة السنة الثانية في معظم الكليات . وستزداد الكلفة اذا تكرر تدريس هذه المواد في الكليات المختلفة . وعدا عن ذلك فان التربويين يؤكدون أن اندماج طلبة الكليات المختلفة (والاساتذة) في حرم جامعي واحد له اثره التربوي الايجابي . وبالرغم من هذه التحفظات فانه يلزم احيانا ايجاد كليات متخصصة في مكان غير الحرم الجامعي . وعلى سبيل المثال ، يفضل ان تكون كلية الطب قريبة من مستشفى حالي اذا لم يكن المستشفى ضمن او قرب الحرم الجامعي » . (د. ناصر ، صفحة ١٤٠).

اما تكاليف التطوير فقد فصلت في الدراسة المشار اليها ولن نعيد ذكرها هنا .

٥ ـ اسس الدعم

ان تطوير التعليم العالي العربي في الارض المحتلة ليس مسؤولية ابناء هذه الارض وحدهم بل مسؤولية اشقائهم العرب في خارج الارض المحتلة ايضا ، وبالتالي فان هذا التطوير لا يمكن ان يتم الا بدعم الاشقاء العرب المادي والمعنوي .

وقبل الخوض في بعض الاسس العامة التي يجب مراعاتها عند دعم التعليم العالي في الارض المحتلة ، لا بد من التشديد على ان هذا الدعم يجب ان يأتي بعد بلورة نظرة شاملة وخطة محكمة ومدروسة درسا عميقا لتطوير التعليم العالي بكافة اوجهه . وخطة التطوير هذه لا يمكنها ان تكون بمعزل عن مخططات التطوير الاخرى من اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية . ومن البديهي ان تفتت التخطيط يؤدي الى تعثر التنفيذ وبالتالي الى خلق مشاكل اضافية للمجتمع المحلي في الارض المحتلة . ومن البديهي ايضا ان خطط التطوير التربوي تشكل ركنا اساسيا في قاعدة المخطط العام للتطوير لاي بلد او دولة . فالتعليم بمراحله وانماطه المختلفة ، هو الذي يكسب المجتمع الكفاءات والمهارات اللازمة لتحقيق اهدافه الاخرى من نمو وتقدم وانتاج ، بينما يجب ان يؤمن التخطيط العام امكانيات فرص التعليم لابناء المجتمع حتى يحصلوا على الكفاءات المطلوبة . كذلك يجب ان يؤمن التخطيط العام فرص العمل لخريجي معاهد التعليم العالي عن طريق اقامة ودعم مشاريع التنمية والتطوير في الارض المحتلة ، والا اصبح هذا التعليم من العوامل الهامة المساعدة على الهجرة وبالتالي نكون قد فشلنا في واحد من اهم اهدافنا لتطوير التعليم العالي الا وهو الحد من هجرة الشباب .

ولا بد من التذكر هنا ان الشعب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة له وضع خاص يستلزم عناية خاصة عند البحث في اية ناحية او مشكلة تخصه . وفيما يلي بعض الملاحظات الاولية التي تهمنا في البحث الحالي :

١) ان الفرص المتاحة لهذا الشعب لاخذ زمام المبادرة لتحقيق بعض تطلعاته المختلفة هي محدودة جدا بسبب تسلط الاحتلال عليه ، ولذا عليه ان يستغل هذه الفرص ، عندما تسنح ، احسن استغلال . وطبعا يجب ان تكون هذه التطلعات ضمن التطلعات العامة للشعب الفلسطيني اينما تواجد ، وهي كذلك لا يمكن انجازها بدون التنسيق والحصول على دعم الفلسطينيين والاخوة العرب خارج الارض المحتلة .

٢) ان منطقتي الضفة الغربية وقطاع غزة صغيرتان من الناحيتين الجغرافية والسكانية ، بحيث يجب ان يخطط لكل منهما ، او لكلتيهما معا ، كوحدة متماسكة لا كمجموعة اولية منفصلة ، كما يجب تخطي الاعتبارات الاقليمية الضيقة،

بالرغم من الاندفاع والحماس المحلي الذي يساندها · ويجب الا نهمل اخوتنا في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، وهذا يلقي على عاتقنا مسؤولية دراسة وضعهم وامكانية دعمهم بشيء اكثر من التعمق · ويجب الملاحظة ان أي تطور في مجال التعليم العالي في الارض المحتلة عام ١٩٦٧ يمكن ان يستفيد منه اخوتنا في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، هذا اذا لم يمنعوا من قبل السلطات الاسرائيلية ·

٣) ان معظم الكفاءات الفلسطينية العالية موجودة الان في المهجر ·

٤) هناك عدة عوامل اساسية قد تتغير جذريا فجأة ، كما حدث ان تغيرت في الماضي ، كالهجرة عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وتغيير السلطة الحاكمة في السنتين نفسهما ، وتغير مستوى وانماط العمالة والتوظيف · وهذه التغيرات المفاجئة تتطلب من الافكار والمخططات ان تتسم بالدقة والمرونة في آن واحد ، وهذا متطلب صعب ·

ولكل هذا ولاعتبارات اخرى ، يجب عند دعم التعليم العالي في الارض المحتلة مراعاة الاسس التالية :

١) وضع خطط شاملة للتنمية الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية والتربوية وتنفيذها جنبا الى جنب · وهذا يعني انه يجب الاهتمام بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وبقدر الاهتمام بالنواحي التربوية ، وهذا يعني ايضا انه يجب الاهتمام بالتعليم في المراحل الاخرى بقدر الاهتمام بالتعليم العالي ، وبالتالي فانه يجب دعم المؤسسات التربوية بشكل عام لمساعدتها للتغلب على الصعاب التي تواجهها ولتحسين نوعية التعليم الجاري فيها ·

٢) تخطي الاعتبارات الاقليمية الضيقة والحماس العاطفي المبني عليها ، وبالتالي يجب التخطيط لدعم التعليم العالي ، والتعليم بشكل عام ، على اعتبار أن الارض المحتلة وحدة متماسكة وعلى اعتبار انها نواة اي كيان فلسطيني مستقل ينشأ مستقبلا (٩) ·

٣) تخطي الاعتبارات والاحتياجات الانية والاخذ بعين الاعتبار اوضاع واحتياجات الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة فقط ·

٤) بالتالي ، التشديد على ان يكون التعليم بكافة مراحله في الارض المحتلة مبنيا على اسس وطنية ويشرف على التخطيط له وتنفيذه هيئات وطنية غير اجنبية ·

٥) التنويع في انماط التعليم العالي المتوفرة حاليا · فمثلا يجب ادخال تخصصات في الهندسة والطب والصيدلة والزراعة على المستوى الجامعي ·

٦) تلافي التكرار في مجالات التعليم العالي المتوفرة حاليا ، فمثلا ، افتتاح جامعات عديدة تقدم نفس التخصصات يشكل هدرا وخسارة اقتصادية كما يمنع الاستفادة الى اكبر قدر ممكن من الكفاءات العالية المتوفرة في الارض المحتلة · وقد اوضحنا ذلك في القسم من البحث المتعلق بالنماذج المقترحة لتطوير التعليم الجامعي ·

٧) الاهتمام بالناحية النوعية قدر الاهتمام بالناحية الكمية · بمعنى اخر يجب الاهتمام برفع مستوى التعليم العالي المقدم في الارض المحتلة وليس فقط بقدرة مؤسسات التعليم العالي الاستيعابية ، (كما يجب دعم بعض هذه المؤسسات لتقوم بما تقوم به حاليا بشكل افضل) ·

٨) الاخذ بعين الاعتبار عدد ونوع مؤسسات التعليم العالي الموجودة حاليا عند وضع خطط لتطوير التعليم العالي في الارض المحتلة · كما يجب الاهتمام

بمستوى التعليم الجاري في هذه المؤسسات ، وبمرافقها ، امكانياتها ، الكفاءات المتوفرة فيها وخططها للمستقبل ومدى توافق هذه الخطط مع خطط التطوير الشاملة ·

٩) مساعدة المؤسسات القائمة حاليا على رفع مستوى ومؤهلات الاساتذة العاملين فيها ، اما عن طريق ارسال اساتذة عرب بكفاءات عالية للعمل في الارض المحتلة او عن طريق توفير البعثات الدراسية للاساتذة المتواجدين في هذه المؤسسات حاليا او للذين من الممكن ان يعملوا فيها مستقبلا ·

١٠) اشراك اكبر عدد ممكن من العاملين في مجال التعليم العالي في الارض المحتلة عند التخطيط لتطوير هذا التعليم وذلك لمعرفتهم بالواقع الذي يعيشونه وبالمشاكل التي يعانون منها ·

ختاما ، نود التشديد مرة اخرى على ضرورة وضع خطط شاملة لتطوير النواحي الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ، والثقافية التربوية في الارض المحتلة على ان تشكل خطط تطوير التربية بكافة مراحلها ركنا اساسيا من الخطط الشاملة · كذلك من الضروري التشديد على ان تأخذ هذه الخطط بعين الاعتبار احتياجات الشعب الفلسطيني اينما تواجد ، احتياجاته الانية والمتوقعة ، وان تراعي هذه الخطط ان هذا الشعب هو وحدة متماسكة وانه جزء من الشعب العربي بشكل عام ·

الحواشي

١ ـ يقدر عدد الطلبة الذين يدرسون في جامعات خارج الارض المحتلة بحوالي ٨٠٠٠ ـ ٩٠٠٠ طالب وطالبة ، ويقدر عدد الذين يلتحقون سنويا بالجامعات خارج الارض المحتلة بحوالي ٢١٠٠ طالب وطالبة ·

٢ ـ على سبيل المثال بلغ عدد الناجحين في امتحان الدراسة الثانوية العامة في الفرعين العلمي والادبي في قطاع غزة ، في العام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، ٤٦٧٢ طالبا وطالبة ، وصلهم عن طريق اليونسكو من جمهورية مصر العربية ٩٠٠ طلب التحاق بالجامعات المصرية · وهذا العدد قليل نسبيا (حوالي ١٩٪ من عدد الناجحين) اذا ما اخذ بعين الاعتبار ان معظم طلبة قطاع غزة يلتحقون بالجامعات المصرية وان التنافس على الالتحاق بالجامعات في جمهورية مصر العربية شديد ·

٣ ـ على سبيل المثال : اوردت جريدة « القدس » الصادرة بتاريخ ٤ ايار ١٩٧٧ نبأ مفاده ان مصادر الحكم العسكري قد صرحت بأن ١٥ الف مواطن من الضفة الغربية تتراوح اعمار معظمهم بين ١٨ـ٣٠ سنة قد غادروا الضفة ولم يعودوا اليها خلال العام ١٩٧٦ · ويعتقد انهم استقروا اما في الاردن او في دول وامارات الخليج العربي ، وقد أدى ذلك الى نقص كبير في المؤهلين اكاديميا في المنطقة ·

٤ ـ الامثلة الواردة في هذه الفقرة مأخوذة في معظمها من احداث مرت بهـا جامعة بيرزيت وذلك لسهولة اطلاعي عليها ومعرفتي بها ، ولكن هذه الامثلة تتكرر كثيرا في معظم مؤسسات التعليم العالي العربية في الارض المحتلة ·

٥ ـ يقدر عدد الاطفال الذين هم في سن رياض الاطفال في الضفة الغربية بحوالي ٦٢ الف طفل ، يوجد منهم في رياض الاطفال حوالي ٨٫٣٠٠ طفل اي ١٣٪ فقط ·

٦ ـ ٥٠٪ من المدارس الثانوية في

الضفة الغربية لا يوجد فيها مختبرات ومكتبات ·

٧ ـ ولكن من الضرورة الاشادة بجهود المؤسسات الاجتماعية من جمعيات خيرية، ونواد ، وجامعة بيرزيت في هذا المجال · وقد تم قبل ثلاثة اشهر تشكيل لجنة عليا لمكافحة الامية وتعليم الكبار من قبل اتحادات الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية والجمعيات في قطاع غزة الى جانب جامعة بيرزيت لتوحيد الجهود وتنشيطها في هذا المجال · ويبلغ عدد الدارسين والدارسات في صفوف مكافحة الامية في الارض المحتلة حوالي ١٥٠٠ بينما لا تقل نسبة الامية في الضفة الغربية وقطاع غزة عن ٣٥٪ من السكان في جميع الاعمار (اي لا يقل عدد الأميين عن ٣٨٥٫٠٠٠ نسمة) ·

٨ ـ د· حنا ناصر ، جامعة عربية في فلسطين : دراسة اولية · **شؤون فلسطينية** ، اذار ١٩٧٦ ، عدد ٥٥ ، ص ١٣٢ ـ ١٤٥ ·

٩ ـ تجدر الاشارة هنا الى الجهود المبذولة لتوحيد الجهود وللتنسيق بين مختلف المؤسسات في الارض المحتلة في مجال التعليم العالي والمتمثلة بتأسيس مجلس التعليم العالي في القدس ، وقد اعلن عن تأسيسه بتاريخ ٩ـ٩ـ١٩٧٧ ·

مـراجعـات

Y. Porath, **The Palestinian National Movement : From Riots To Rebellion, Volume 2,** 1929 - 1939 (Frank Cass, London : 1977) .

ان تاريخا حاسما موثوقا للحركة الوطنية الفلسطينية خلال سنوات الانتداب البريطاني لم يكتب بعد · اذ يمكن تصنيف كل ما ظهر حتى الان ، ان بالعربية او الانكليزية ، تحت عناوين ثلاثة رئيسية : كتابات دعاوية ، واعمال صحفية ، ومحاولات تبريرية · وقد يكون هذا الوضع ناجما عن عاملين : الاول والاهم هو ان بحث القضية الفلسطينية ما زال موضع خلاف سياسي يستثير العواطف والاحقاد والخلافات ، خاصة وان تاريخ الحركة الوطنية عبر السنوات الستين الماضية يشكل جزءا لا يتجزأ من نضال الشعب الفلسطيني لانتزاع حقه في تقرير المصير واقامة دولته القومية المستقلة · اما العامل الثاني ، فهو تبعثر المواد الاولية ووفاء بعض زعماء الحركة الوطنية في تلك الفترة ، واحجام البعض الاخر عن الكتابة الموضوعية عنها ، فالمساهمات القليلة في هذا المجال ، من مثل كتابات الحاج امين الحسيني واميل غوري ، لا تتعدى كونها محاولات لتبرير الذات ·

لقد كتب الدكتور يهوشع بوراث ، المحاضر في الجامعة العبرية في القدس ، كتابا سيصبح دون شك مرجعا اساسيا لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية في سنوات الانتداب ، بالرغم من كون الكاتب في بعض الاحيان يسقط فريسة تحيزاته السياسية ، ويتخلى عن واجبه كمؤرخ حيادي ، ليلعب دور الخصم المعني ·

المراحل الثلاث في تطور الحركة الوطنية الفلسطينية :

يمكن تلمس ثلاث مراحل في تطور الحركة الوطنية منذ سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٤٨ · كانت المرحلة الاولى ابتداءا

بفرض الانتداب وحتى سنة ١٩٣٥ ـ ٣٦ وتتسم بمحاولات متعددة بذلتها القيادات العربية للوصول الى تفاهم مع سلطات الانتداب الاستعمارية . وفي هذه الفترة كان العديد من الشخصيات الوطنية موظفين لدى حكومة الانتداب كما كان عداء الحركة الوطنية الرئيسي موجهـا نحو الاعداد المتزايدة من المهاجرين اليهود ، وضد الحركة الصهيونية التي كانت تشكل في نظر القيادات القومية الخطر الرئيسي . ولم تستطع هذه القيادات القومية ان تميز في اي وقت من الاوقات بين سكان البلاد اليهود وبين الحركة الصهيونية . واصدق مثال على هذا ، المذابح التي واكبت احداث عام ١٩٢٩ حيث كان شعار المتظاهرين العرب « الدولة معانا » ، وقد حاولت القيادات القومية ان تظهر للمستعمرين البريطانيين ان عداءها لم يكن موجها ضد الانتداب بشكل عام بل فقط ضد الفقرة المتعلقة بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ضمن بنود الانتداب ، وضد الوجود اليهودي في البلاد ، والخطر الناجم عن ذلك .

تشكلت تدريجيا لدى بعض الاوساط في الحركة الوطنية قناعة مفادها ان النضال الموجه ضد اليهود وحدهم ، لم ولن يؤدي الى اية نتائج ايجابية . ونجم عن ذلك دخول الحركة الوطنية الفلسطينية في طورها الثاني عندما اصبح البريطانيون انفسهم هدف النضال الوطني الرئيسي . غير ان هنالك امرين يجب اخذهما بعين الاعتبار . اولهما كون الحركة الوطنية غير موحدة في استعدادها لتوجيه النضال ضد الاستعمار البريطاني لوجود قوى هامة ، مثلها راغب النشاشيبي وما اطلق عليه « المعارضة » ، ظلت تفضل الاسلوب القديم القائم على توجيه الحركة الوطنية ضد اليهود ، والمثابرة على محاولات الوصول الى تفاهم مع البريطانيين (وقد كان مثالا على ذلك مشروع المجلس التشريعي ومساندة قوى « المعارضة » له) وثانيهما ان اوساط القيادة الوطنية التي ادركت ضرورة توجيه النضال ضد البريطانيين . لم تر في ذلك اكثر من اسلوب ناجع للضغط على سلطات الانتداب لحملها على التراجع عن سياستها في تأييد الوطن القومي ، ولم تكن موجهة ضد الاستعمار البريطاني نفسه او وجوده في البلاد . فخلال سنوات النضال المسلح ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ حاولت القيادات القومية الفلسطينية ان تمارس ضغطا على بريطانياعبر ويتوسط المجموعة الصغيرة من الدول العربية « المستقلة » . وهكذا فان الوجود الاستعماري البريطاني لم يكن ابدا الهدف الرئيسي للنضال المسلح . فحتى عندما تم القيام بعمليات عسكرية ضد سلطات الانتداب ، ظل العدو الرئيسي وهدف النضال يقتصر عمليا على الحركة الصهيونية والوجود اليهودي في البلاد .

شكلت مظاهرات عام ١٩٣٣ ، التي كان الطابع المسيطر عليها توجهها ضد سلطات الانتداب البريطانية ، مقدمة لظهور حركة الكفاح المسلح التي كان من ابرز رموزها مجموعة الشيخ عز الدين القسام . وكذلك الاضراب العام في نيسان ١٩٣٦ ، والثورة المسلحة التي تبعته . شكلت هذه الفترة المرحلة الثانية في تطور الحركة الوطنية . وبالرغم من القضاء على الثورة عسكريا ، فان النتيجة السياسية التي تمثلت في الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ كانت ايجابية . ولكن هذا النجاح الايجابي للثورة المسلحة ، ونجاح القيادة العربية الفلسطينية في ادخال الدول العربية « المستقلة » في حلبة الصراع كوسيلة « للضغط » على بريطانيا ، ترافق مع تفسخ وانحلال

القيادة العربية الفلسطينية ، وانهاك الحركة الوطنية ، واحلال الدول العربية « المستقلة » مكان الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصير فلسطين ، وقد برهنت أحداث عام ١٩٤٨ على ان «نعمة» تدخل الدول العربية لم تكن في واقع الامر سوى نقمة خالصة ·

امتدت المرحلة الثالثة للحركة الوطنية الفلسطينية من عام ١٩٣٩ وحتى انجاز التقسيم في عام ١٩٤٨ ، وكان ابرز ما يميز هذه المرحلة الفراغ الداخلي ، وغياب القيادات الوطنية عن الساحة · فقد كانت الحركة القومية منهكة ومنسحقة ، اذ كانت قياداتها قد نفيت او فرت خارج البلاد او قتلت خلال سني الثورة · وكان الحاج امين الحسيني ، بتحالفه مع النازية خلال الحرب العالمية الثانية قد قدم للبريطانيين خير عذر للابقاء على حظر النشاط السياسي في صفوف عرب البلاد ·

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، عندما سمحت السلطات البريطانية للمواطنين العرب بمعاودة بعض اوجه النشاط السياسي ، اخذت الدول العربية المبادرة في تنصيب القيادة السياسية الجديدة للحركة الوطنية ·

ومن المهم ، عدم اغفال حقيقة ان انشاء الجامعة العربية كان وليد المخططات الاستراتيجية البريطانية ، وان الدول العربية التي لعبت دورا اساسيا في تقرير مصير فلسطين وهي الاردن والعراق والسعودية كانت خاضعة لنفوذ الاستعمار البريطاني ولا تتمتع من الاستقلال الا بمظاهره الشكلية · وعندما اتخذت منظمة الامم المتحدة قرار التقسيم لم يلعب سكان فلسطين العرب الا دورا ثانويا في الصراع الذي نشب نتيجة لذلك · فقد كانت الحكومات العربية المجاورة قد انتزعت منهم زمام المبادرة قبل ذلك بزمن طويل ، تلك الحكومات التي عارضت التقسيم لفظيا لتعمد الى تنفيذه عمليا عن طريق ارسال جيوشها الى الجزء الذي اخضعه قرار التقسيم للعرب والحيلولة دون اقامة الدولة العربية الفلسطينية · وقد ظلت المبادرة حتى زمن قريب في ايدي الحكومات العربية ومارس الفلسطينيون دورا محدودا بالقدر الذي سمح به هذا النظام العربي او ذاك ·

تاريخ يهوشع بوراث للحركة الوطنية الفلسطينية :

يشكل هذا الكتاب الجزء الثاني من مشروع بوراث لدراسة الحركة الوطنية الفلسطينية ، وقد عالج المؤلف الاول أعوام ١٩١٧ ـ ١٩٢٩ · اما الجزء الثاني الذي بين ايدينا فيتابع تسلسل الاحداث حتى نهاية الثورة في فلسطين عام ١٩٣٩ ·

لقد جمع الكاتب قدرا هائلا من المعلومات متابعا تطور الاحداث بتفصيل دقيق ، وربما بافراط في بعض الاحيان · فهو يعرض بقدر كبير من الاستفاضة لامور عديدة ، منها على سبيل المثال وليس الحصر : مداولات القيادات السياسية الفلسطينية ، مراسلاتها مع السلطات الانتدابية ، تعاملها مع المندوب السامي ، مداولات وزارة المستعمرات البريطانية في المناحي التنظيمية لثورة ١٩٣٦ ، التكوين الاجتماعي للمشاركين في الثورة ، تقرير مفصل عن حركة الشيخ القسام · ورغم تقديرنا للعمل الشاق الذي قام به المؤلف في سبيل جمع هذا القدر الشامل من المعلومات وهو امر يستحق الثناء ، الا ان الكتاب يشوبه بعض الضعف الذي يعود اساسا الى الافراط في الاستناد الى مصادر هيئات الاستخبارات اليهودية · فكما كتب الدكتور

برنارد فاسرتين (استاذ جامعي بريطاني) في مراجعة مؤلف بوراث الاول، تشتهر تقارير المخابرات ، التي تعتمد على انجواسيس والمجندين ، بافتقارها الى الدقة ، وفي بعض الاحيان كذبها المتعمد • وهي لذلك لا يمكن الاعتماد عليها لاستخلاص حقائق ثابتة الا اذ دعمتها قرائن اخرى من مصادر اكثر وثوقا • ورغم اعترافنا بصعوبة الحصول في كثير من الاحيان على مصادر اولية بصدد موضوع البحث الذي يتناوله الكتاب • فانه من المؤسف ان الدكتور بوراث وجد من الضروري الاعتماد على مصادر كهذه لا يمكن الا ان تعتبر بحق مصادر متميزة اذا ما اخذ المرء بالاعتبار طبيعة الصراع في فلسطين • تكمن قوة الكتاب في حجم المعلومات والتفاصيل التي يحتويها ، بينما يكمن ضعفه في غياب التحليل وفي تبنيه ضمنا نظرية تآمرية تجعل من الحاج امين الحسيني « الداهية الشرير » • كما يصر الكاتب على رؤية الحركة الوطنية الفلسطينية من منظار ديني ويقترب اسلوبه بعض الشيء من كتابات مدرسة « فرق تسد » التي تحترف تبرير الاستعمار • فهو يحاول ان يفرق بين الدروز والمسلمين والمسيحيين مدعيا معارضة بعضهم للخط العام للحركة الوطنية وتعاونهم مع الحركة الصهيونية•

كذلك يسيء الكاتب الى عمله القيم باقحامه روايات تتحدث عن « معادات العرب للسامية » و « اغتصاب الفتيات » ابان ثورة عام ١٩٣٦ ، و « الجبن العربي » •

اود فيما يتبع ان اعرض لبعض القضايا التي يثيرها بوراث والتي تشكل امثلة على نقاط قوة وضعف الكتاب •

يركز الكاتب على نشاط راغب النشاشيبي وانصاره الذين كانوا يشكلون داخل الحركة الوطنية كتلة المعارضة للعناصر الاكثر راديكالية وللحاج امين الحسيني شخصيا • وكانت المعارضة التي استقطبت تأييد فئات واسعة من ملاك الاراضي والبيارات ورؤساء البلديات وزعماء الحمائل الكبيرة وجميع المعارضين لعائلة الحسيني ، تمثل القسم الاكبر من الحركة الوطنية ، وانه لمن المؤسف ان الدور الهام الذي لعبته هذه المجموعة قد اغفل سابقا اذ لم يكتب عن نشاطها سوى القليل • وقف راغب النشاشيبي وانصاره منذ بداية الانتداب في مواجهة المنادين بالتصدي لسلطات الاحتلال مطالبين باتباع « سياسة اكثر ايجابية » • مظهرين استعدادهم للتعاون مع الحكم الاستعماري البريطاني • وقد رفعوا في العشرينات شعارات التأييد لمشروع المجلس التشريعي المعين • اما في المؤتمر الفلسطيني السابع عام ١٩٢٨ فقد نجحوا في ان يفرضوا سياستهم المهادنة للاستعمار على بقية الحركة الوطنية ، وقد عرف هذا المؤتمر بكونه اكثر المؤتمرات الفلسطينية « اعتدالا » • وقد وصف حمدي الحسيني ، احد المشاركين في المؤتمر ومن نشيطي حزب الاستقلال ، المؤتمر بقوله : « ••• كنت ترى العناصر الحكومية سائدة فيه ••• وكنت ترى الاصابع على الشفاه اسكاتا لمن يريد ان يتكلم خوف الخروج عن الموضوع والقلوب مسرعة الدقات خوف الخوض في الابحاث السياسية التي تزعج الحكومة والحكوميين • كرفض الانتداب ووعد بلفور ، والسعي للاستقلال والوحدة العربية •• •وظننت نفسي في مؤتمر موظفين جمعتهم الحكومة لامر من امورها ولست في مؤتمر عربي فلسطيني ••• » •

وفي عام ١٩٣٣ مثلا ، وقفت «المعارضة» في مواجهة المظاهرات التي عمت البلاد في اكتوبر من ذلك العام • وبينما كان راغب النشاشيبي واعضاء آخرون يارزون

من مؤيديه يعلنون تأييدهم التام لمطالب الحركة الوطنية في العلن ، كانوا في الوقت ذاته ، كما يسجل بوراث ، يؤكدون على ذلك في محادثاتهم السرية مع القيادات الصهيونية مؤكدين لهم استعدادهم التام الى التوصل الى اتفاق معهم · ومن هؤلاء الزعماء الذين يذكرهم بوراث ، راغب وفخري النشاشيبي ، حسن صدقي الدجاني ، بولس شحادة ، الشيخ عبد الله القلقيلي ومغنم الياس مغنم · ويذكر كذلك ان العديد من شخصيات « المعارضة » طالبوا الوكالة اليهودية بعون مالي ، وان عددا من الصحف (مرآة الشرق مثلا) حصلت على دعم مالي من تلك الهيئات ·

وقد كان من ابرز سمات نشاط « المعارضة » في سنوات الثورة محاولاتهم احباط مساعي الحركة الوطنية ووضع العراقيل في طريقها · وكانت استقالة راغب النشاشيبي من الهيئة العربية العليا في يوليو ١٩٣٧ النتيجة المنطقية لتغيبه المتعمد عن اجتماعاتها لاشهر عديدة · ويفسر بوراث هذه الخطوة بانها جاءت تلبية لحض الامير عبد الله الذي كان على علاقات قوية مع « المعارضة » في فلسطين ويحظى بتأييدها وثقتها ·

بالرغم من ان رجالات « المعارضة » قد اضطروا في البداية لاعلان تأييدهم للاضراب العام وكان من بينهم من لعب دورا بارزا في الثورة (مثل فخري عبد الهادي الذي كان احد قادة الفصائل المسلحة في منطقة جنين) ، الا انهم اعلنوا معاداتهم الصريحة لها فور بدء مرحلة الثورة الثانية في منتصف عام ١٩٣٧ · وقد طورت « المعارضة » ممارساتها الى ما يتعدى مجرد العداء اللفظي ، فقد توجه راغب النشاشيبي في ديسمبر ١٩٣٧ الى الوكالة اليهودية مطالبا اياها بدعم مادي بهدف تنظيم فرق مسلمة من انصاره لمقاتلة الثوار ·

وقد اقام فخري النشاشيبي فيما بعد ما عرف بـ « فصائل السلام » التي مولت وسلحت من قبل الجيش البريطاني ، ولعبت دورا فعالا في مقارعة الثوار · وقد كان من ابرز قادة هذه المجموعة فخري عبد الهادي وفريد ارشيد وكلاهما ينتميان الى عائلات جنين الكبيرة ·

وكان الوجه الاخر للعلاقات القوية بين الامير عبد الله والمعارضة يكمن في العلاقات الودية بين الامير والوكالة اليهودية · ويسجل بوراث ان هذه العلاقة ترجع الى سنوات العشرينات ، ويشكل عام ١٩٣٣ حدا فاصلا اذ ان العلاقات اصبحت متينة لدرجة ان المشاورات السرية والمباحثات اصبحت امرا دوريا ·

وفي عام ١٩٣٥ عرض الامير عبد الله على الوكالة اليهودية شراء اراض في غور الكبد في الضفة الشرقية لنهر الاردن ولكن المشروع فشل نتيجة لمعارضة البريطانيين الذين رغبوا في حصر النشاط الصهيوني في غربي نهر الاردن ، والابقاء على امارة شرق الاردن كمنطقة نفوذهم الخاصة · الا ان الوكالة اليهودية دفعت للامير عبد الله مبلغا كبيرا من المال من اجل الاحتفاظ بحقها في طلب تنفيذ العقد في المستقبل · وقد استمر الطرفان في التشاور خلال سني الثورة ، انطلاقا من مصلحتهما المشتركة في القضاء عليها · وقد ظهر موقف الامير عبد الله المعادي للثورة اثر لجوء احد قادة الثورة الشيخ يوسف ابو دره الى شرق الاردن عام ١٩٣٩ · فقد اعتقل ثم سلم للسلطات البريطانية في فلسطين ،التي قامت باعدامه في وقت لاحق · وكما يفسر بوراث فان المصلحة المباشرة لعبد الله ولبقية الحكومات العربية كانت

وضع حد لهذه الثورة باسرع وقت ممكن. وقد حاولت الحكومات العربية تلك ان تؤدي دور الضاغط في سبيل الاعتدال على القيادات القومية الفلسطينية وفي سبيل منع احراق الجسور مع الاستعمار البريطاني ، مناشدة الفلسطينيين اظهار الثقة بحسن نوايا البريطانيين .

ان الاساليب التي استعملها الجيش البريطاني في سبيل القضاء على الثورة الشعبية المسلحة قد اصبحت الان في عداد الطرق المتعارف عليها لقمع الحركات الثورية . ولكن بعض اساليب الجيش البريطاني كانت من القسوة والبربرية الى درجة يحق معها للاستعمار البريطاني ادعاء شرف الريادة في هذا المضمار .

لقد استعمل البريطانيون اليد الحديدية مباشرة بعد مقتل اندروز في اكتوبر ١٩٣٧ ، واطلقوا موجة من الارهاب الحكومي تضمنت القاء القبض على المئات ونفي العشرات خارج البلاد . فقد اعلنت السلطات عدم شرعية اللجان القومية كما اصدرت اوامرها بالقاء القبض على اعضاء الهيئة العربية العليا . امّا بالنسبة للحاج امين الحسيني فقد عزل من منصبه كرئيس للمجلس الاسلامي الاعلى ، ووجدت قيادة وكوادر الحركة الوطنية نفسها في معسكرات الاعتقال . لكن جميع هذه الاجراءات لم تات باية نتيجة . ويسجل بورات انه في ايلول ١٩٣٨ كان الثوار يسيطرون على اكثرية الريف الفلسطيني . وأن الادارة المدنية والسيطرة الحكومية على البلاد كانت شبه معدومة . في النهاية استطاعت القوات البريطانية ان تلحق هزائم عسكرية ساحقة بالثوار وكان سبيلها الى ذلك اعلان الحرب على الريف الفلسطيني باكمله . فانزلت العقوبات الجماعية على القرى وقصفتها من الجو ، واعدم قرابة المئة شخص ما بين سنوات ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨

وفي اكتوبر ١٩٣٨ اقتحمت القوات البريطانية مدينة القدس القديمة مستعملة اهالي العرب كـ « دروع بشرية » ،وانشأت مراكز شرطة اضافية في القرى ، وارغم سكان تلك القرى على تحمل نفقاتها . ولحماية القطارات البريطانية التي كانت معرضة للتفجير وهجمات الثوار ، ابتدع البريطانيون اسلوبا فريدا لتأمين سلامتها، يكمن في وضع اقارب قادة الثوار المعروفين في عربات مكشوفة تتقدم القطار . كذلك يسجل بورات التعاون الوثيق بين الجيش البريطاني و « فرق السلام » . وتنظيم الضابط البريطاني وينجات لـ « فرق الليل الخاصة » التي تدرب فيها عدد كبير من قادة اسرائيل العسكريين وتعلموا فيها اساليب شن الارهاب المضاد . ولكن الكاتب لا يقدم تفصيلات وافية عن هذين الموضوعين .

عندما يعالج الكاتب قضية الاراضي في فلسطين ، فانه يصل الى نتيجة ان الارقام الحكومية لعدد الفلاحين الذين خسروا مصدر رزقهم نتيجة لعمليات الشراء الصهيونية ، قليلة جدا ، وينفي صحة الادعاء الصهيوني ان شراء الاراضي لم يؤد الى طرد او تجريد ملكية اعداد كبيرة من الفلاحين العرب ، ولكنه يصر متراجعا ان « بضعة الاف عائلة فقط قد اجليت عن آراضيها » . ويحاول ان يفسر ظاهرة بيع الاراضي كنتاج لرغبة الملاكين العرب في الحصول على سيولة مالية لتحديث اساليبهم الزراعية . ولكن الارقام التي يقدمها لا تؤكد ذلك (بين سنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، كانت ملكية ٥٢ر٦٪ من الاراضي المباعة لمالكين عرب غير فلسطينيين ، و ٢٤ر٦٪ لملاك عرب فلسطينيين،وفقط ٤ر٦٪ للفلاحين، ويفسر بورات نفسه بيع الاراضي من قبل الفلاحين الصغار ، كنتاج لديون هؤلاء الفلاحين لمرابي المدن الذين كانوا يتقاضون فوائد مذهلة ادت الى اجبار الفلاحين

على بيع اراضيهم لسداد الديون المستحقة. ويؤكد كذلك ان بيع الاراضي ادى الى نتائج اقتصادية سلبية في القطاع العربي في البلاد (وهو طبعا يغفل كون قضية انتقال ملكية الاراضي قضية سياسية في الدرجة الاولى) .

لقد كتب الكثير عن حركة الشيخ عز الدين القسام ومجموعته ولكن احدا لم يعطها ذلك القدر من الاهمية كمعالجة بورات لها في كتابه وخصوصا خلال سنوات ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ .

يتابع الكاتب نشاط القساميين بعد موت القسام نفسه في اواخر عام ١٩٣٥ ، ويقدم جداول تبين المنشأ الجغرافي والاجتماعي للقساميين ولقادة الثورة البارزين . ان قلة المصادر ، وطبيعة حركة القسام من حيث كونها سرية ادت بمعظم الكتاب الذين عالجوا تلك الفترة اما الى صرف النظر عن الظاهرة واهمالها ، واما الى المشاركة في خلق « الرجل - الاسطورة» . لقد احرز القسام كظاهرة رومانسية مكانة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية بالرغم من انه لم يكن ممثلا لاي اتجاه سائد في صفوفها . لكن بورات يرفض هذا التقييم ، ويؤكد ، ربما بافراط زائد على مكان حركة «اخوان القسام » الرئيسي في الحركة الوطنية .

كتب بورات مقالا قبل بضع سنوات ذكر فيه انه باستثناء عصبة التحرر الوطني (تنظيم الشيوعيين العرب في فلسطين) لم يكن هنالك اي حزب عربي في فلسطين بالمعنى الغربي الحديث للتنظيم السياسي. وبالرغم من انه يكرس قسما من كتابه هذا لعرض الاحزاب السياسية العربية الفلسطينية في سنوات الثلاثينات ، فان معالجته للموضوع ليست شاملة ولا تتعدى العموميات . فهو لا يقدم تفصيلا للخلفية الاجتماعية لمؤيدي هذه الاحزاب ، ولا لمدى التأييد الذي كانت تتمتع به . ان الانطباع السائد هو ان تلك الاحزاب لم تكن اكثر من تجمعات لزعامات تقليدية تتمتع بتأييد عائلي وعصبية عائلية وتفتقر الى اي تنظيم قاعدي . ان بورات يلمح الى هذا بتصويره مدى انتشار الصراع والتنافس بين العائلات التقليدية ، ولكنه لا يقدم تفسيرا لهذه الظاهرة ، ولا يخرج باي استنتاج بالنسبة لصواب او خطأ اضفاء صفة الحزبية على تجمعات كهذه .

وفي مجال عرضه للمنحى الراديكالي الذي اخذته الحركة الوطنية في سنوات الثلاثينات ، يؤكد بورات على الدور الذي لعبه اعضاء حزب الاستقلال . ولكنه يهمل بعض الحقائق المهمة : (١) كون حركة الاستقلال نشأت في الاصل كحليف للهاشميين . (٢) وجود حركة الاستقلال كحزب منظم (!) لم تدم اكثر من سنين معدودة . (٣) كون اعضاء سابقين في حزب الاستقلال ، قد اتجهوا نحو معسكر الحاج امين الحسيني وتخلوا عن ارتباطاتهم السابقة . ان الاصرار على دور الاستقلاليين في سنوات الثلاثينات كرواد (تجذير) الحركة الوطنية لا يرتكز على اساس واقعي .

وبينما يحاول بورات ان يظهر ان الحاج امين الحسيني كان يتبع سياسة ذات وجهين ، وانه كان بالفعل زعيم الجناح الراديكالي في الحركة الوطنية ، يهمل بيناته ويجد نفسه مضطرا الى الاعتماد على مصادر غير موثوقة مثل كتابات اميل الغوري . فبورات يخفق في اظهار اية ادلة تؤكد ان المفتي كان يستعمل موارد المجلس الاسلامي الاعلى الحالية في سبيل تقوية الحركة الوطنية ، ويهمل كذلك حقيقة ان المفتي وحتى عام ١٩٣٦ كان معارضا لاي صدام مع الاستعمار البريطاني . كما واظب على رفض اتساع سياسة عدم التعاون مع الحكومة ، وظل في وظيفته الحكومية حتى عزلته سلطات الانتداب ابان الثورة .

بينما تحتوي دراسة الدكتور بوراث على عرض وقائعي شامل لتطور الحركة الوطنية ، فهنالك اغفال تام لاي تحليل اجتماعي لهذه الحركة ولعوامل فشلها ·

ان هذا الفشل مصدره في الاساس اغفال الكاتب لسؤال اساسي يتعلق فيما اذا كان في الامكان التكلم عن حركة وطنية سياسية منظمة مشابهة على سبيل المثال للحركة الصهيونية واجهزتها · فبالرغم من وجود « الاحزاب » والتنظيمات العديدة ، وعقد المؤتمرات ، ظلت الحركة الوطنية الفلسطينية تتشكل من قيادة تفتقر الى التنظيم والى الهياكل والاطر التنظيمية المطلوبة ، فهي تتشكل من زعامات تقليدية ترتكز على العصبية العائلية ، منقسمة على نفسها ، تتبع سياسات محكومة بالمصلحة الشخصية على المدى القصير ، مظهرة بوضوح عدم الاستعداد وعدم القدرة على التصدي لمهام حركة التحرر الوطني ، والتمييز بين الاعداء والاصدقاء ·

موسى خليل البديري

Z. Brezeinski : Illusions dans lequilibre des puissances
(Edition de l'herne , Paris : 1977)

هذا الكتاب ، ليس تحليلا سياسيا عاما او نظريا بل محاولة لصياغة سياسة اميركية جديدة ، تتناسب مع المرحلة الجديدة ، مرحلة ما بعد فيتنام ، سياسة عملية تسعى الى الحركة والخروج من مبدأ المحافظة على « الوضع الراهن » · وفي هذه الزاوية فالكتاب شديد البساطة من حيث اسلوبه ، بالغ التعقيد من حيث مضمونه ، ذو ابعاد متداخلة ·

فبريجنسكي ، خليفة كيسنجر في الادارة الاميركية ، مستشار الامن القومي ، لا يتناول الواقع الستراتيجي كمعطى جامد ، بل انه يركز على التناقضات ، ويحاول استخدام تيارات الواقع المتعارضة لدفعها باتجاه معين وتغليب الميول المنسجمة مع مصالح الامبريالية الاميركية ·

١ ـ الستراتيجية والسياسة

يحاول بريجنسكي ان يلتقط خصوصية المرحلة الراهنة وان يتخطى « البهلوانية الكيسنجرية » · هزيمة فيتنام اجبرت اميركا في رأيه على اعادة النظر بمجمل سياستها الخارجية · ويفسر بريجنسكي هذه الهزيمة ، بطبيعة المجموعة التي

حكمت اميركا من الخمسينات الى السبعينات ، وهي مجموعة ذات تراث بروتستنتي منحجر ، انهارت مع انهيار المواقع الاميركيه في جنوب شرقي اسيا . هذه النخبة هي التي صاغت فلسفة اميركا الغازية ، المتوحشة واحرقت صورة « اميركا الحرة » الداعية الى الحرية الفودية والديمقراطية . اميركا البدايات ، التي يستعيد بريجنسكي ذكراها الان بحنان ويستلهم رموزها .

وقد يبدو سهلا ان نجيب على هذا الرأي باستحضار القوانين العامة للامبريالية ، وبالقول ان التاريخ الاميركي كان لا بد ان يأخذ هذا المنحى . ولكن هذا الرأي يحمل شيئا من التبسيط بالنسبة لمفهوم التاريخ ، اذ يخفي احتمالاته المتعددة ، ويهمل المستوى السياسي الغني بمفاجآته المتنوعة .

والحقيقة ان ما يقوله بريجنسكي ، يطرح تساؤلات مهمة خاصة فيما يتعلق بالمنطقة العربية . فلماذا ورثت اميركا الامبريالية التشكيلات الاستعمارية من انكلترا التي ابقت عليها طوال قرن ، وبعد ان انتقلت في الداخل من الاستعمار الى الامبريالية نهائيا ؟ ان هذا التفاوت بين اشكال المجتمع الاميركي من جهة والتشكيلات التي يسيطر عليها واشكال هذه السيطرة من جهة اخرى ، هي لب المشكلة التي يثيرها بريجنسكي ، دون ان يطرحها . ويجيب عليها بشكل متسرع ، حاصرا ابعادها بتركيبة المؤسسات الاميركية وطبيعة النخبة الحاكمة .

وعلى كل حال ، فلكلام بريجنسكي هدف النقد المباشر ، هدف تحطيم هذه النخبة ووراثتها ، ومحاكمة كيسنجر على اساس موقفه منها . كيسنجر لم يشكل في رأيه البديل المتجانس لهذه النخبة المنهارة ، لقد كان وليد هذا التخبط والفراغ في السلطة. ولكنه لم يستطع تمثيل مجموعة نخبوية ذات ايديولوجيا واضحة . ان كيسنجر ، او ادارة نيكسون بشكل عام ، هي برأي مستشار كارتر ، ادارة انتقالية اجلت الكارثة واخفتها بحذلقة و « شطارة » ، ولم تعالجها .

والكارثة هي ضعف القوة الاميركية وقدرة اميركا الستراتيجية على تركيز مواقع نفوذها في العالم . لقد ادار كيسنجر السياسة الخارجية وكأن موقع اميركا الستراتيجي لم يتغير في الواقع ، اي انه لم يغير سوى الشكل ، ولم يعترف بالكارثة ، وتلافى مواجهتها وجها لوجه . اي استعاد نفس انماط السياسة الخارجية التي سادت اوروبا بعد مؤتمر فينا والتي ارتكزت جوهريا على مبدأ توازن القوى بين الدول الكبرى الخمس .

كان كيسنجر يواجه توازن القوى الستراتيجي ، بمحاولة سياسية دائمة لتثبيت هذا التوازن والاستمرار بالوضع الراهن . ولكن اي توازن ستراتيجي ، بين اميركا والاتحاد السوفياتي يتضمن وهمين : وهم ثبات مواقع الخصم وقوته، ووهم اعتبار اوروبا واليابان والصين كقوى متساوية مع الاتحاد السوفياتي . فالواقع ، اي واقع الستراتيجية العالمية ، هو بنظر بريجنسكي واقع استقطاب ، واقع متجاذب بين قطبين متصارعين ، يحاولان استخدام القوى الرئيسية الثلاث الباقية ، او منع الخصم من استخدامها .

وضمن هذا العالم لا يمكن لاميركا ان تتعامل مع الاتحاد السوفياتي وكأنه قوة من بين هذه القوى ، يعادلها اهمية ، او ان تعامل نفسها على هذا الاساس . فهذا التعامل لن يؤدي الى توازن استراتيجي بل الى معادلة « سياسية » وهمية تفقد ضمنها الولايات المتحدة حلفاءها الاساسيين ، فاذا تعاملت هذه الاخيرة مع اوروبا كما تتعامل مع الاتحاد السوفياتي ، فلا شك ان اوروبا

ستصبح عرضة لتقدم النفوذ السوفياتي ٠

لا بد لاميركا اذن برأي المؤلف ان تعتمد في استراتيجيتها على فهم الواقع الذي يتميز بالاستقطاب ، لا بتعدد القوى المتعادلة ، وان تعي ضعفها النسبي كي تصوغ سياسة تتناسب مع مصالحها ، وتخلصها من خطر الانكماش على نفسها، اي من انهيار مواقعها ٠

سياسة بريجنسكي الجديدة تريد تغيير الواقع الستراتيجي ومناهضة تياراته العميقة ٠ تناهض الاستقطاب ذا الطرفين او الذي يجمع قوتين متناقضتين بسياسة مثلثة الاطراف ٠ اي باستخدام التحالفات لرفع مستوى القوة الاميركية الى حد يفوق قوتها الذاتية ٠ يحاول اعطاءها قوة اضافية وذلك بمحاصرة الاتحاد السوفياتي وضرب تحالفاته ، وبجلب حلفاء اساسيين ، والانتقال من التحالف بين القوى في الجبهة الاميركية ، الى مبدأ القوة الموحدة التي تجمع الحلفاء ، وان كان هذا الانتقال يتطلب تنازلا اميركيا ضمن هذه الجبهة ٠

عندما تضعف قوة اميركا عليها ان ترتب اوضاع جبهتها قبل ان تثبت توازنها الستراتيجي مع الاتحاد السوفياتي ٠ ومن هنا فان المعاهدات والانفتاح على السوفيات الذي اقدم عليه نيكسون لم يفد ٠ ذلك ان اميركا لم تستطع انذاك ضبط مواقعها ، فأتت هذه الخطوة لتعمق الهوة بينها وبين اليابان ، وكذلك بينها وبين اوروبا ٠ التمييز بين الحلفاء والاعداء هو المبدأ السياسي الرئيسي ، اما تخفيف العداء فهو المبدأ الثانوي ٠ من هنا فمعاهدات « السالت » لن تصل ابدا باهميتها الى مستوى العلاقات المثلثة بين اليابان ــ اوروبا ــ اميركا ، ومن الخطأ ان تصل ٠

٢ ــ العلاقات المثلثة

الا ان هذه العلاقات المثلثة ليست علاقات موجودة وقائمة ٠ بل هي هدف يجب تحقيقه عبر مشروع « هندسي » يتطلب جهودا شاقة ٠ ذلك ان الضربات المتتالية التي تلقتها اوروبا خلال الحربين العالميين لم تجزئها فقط الى اثنين ٠ بل ان اوروبا الغربية بعد انحسار مواقع نفوذها في العالم ، وبعد ان فقدت صفتها كقوة سياسية ذات حجم استراتيجي ، لا تسير الان نحو الوحدة بشكل تلقائي ، بل على العكس من ذلك ٠ اي ان دولها القومية تأخذ اهمية اكبر من ذي قبل ، وان اقتصادها قد اصيب بالانكماش ، ويتوجه الان نحو الحماية لا نحو الانفتاح الى الخارج ٠ اوروبا تتنازعها اليوم العقائد الليبرالية والاشتراكية ، وهي منبع التراث العقائدي ، ومصدر الفكر السياسي النظري الذي لم تعرفه الوضعية (الذرائعية) ولم يدركها انسانها البسيط ٠

ولكن كيف « سينقذ » بريجنسكي اوروبا من ازمتها ، هل يضمها الى اميركا المتأزمة اصلا ، المهددة هي نفسها بالانكماش على الذات ؟

هذا السؤال طرحه « بيار كوت » في تقديمه لكتاب بريجنسكي ، الطبعة الفرنسية ، الا ان « كوت » لا يحاكم بريجنسكي من منطلق سياسي بل من ناحية اخلاقية ، فكأنه يرى في مبادىء كارتر الاخلاقية تلك الصرخات الانسانية التي تعبر عن حنين الى اميركا القديمة، مبادىء سياسية فعلية ٠ فهو يطالب باستقلالية اوروبا ، وينتقد مشروع بريجنسكي من زاوية تاريخية ، زاوية قوانين الرأسمالية الاحتكارية ، فهذا المشروع متناقض ، اذ انه يدعو اوروبا للاضطلاع بمسؤولياتها . وللمشاركة في القضايا العالمية ، بينما لن تتمكن اوروبا من ان تصبح قوة ذات شأن

دون شيء من الاستقلالية الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية · فاذا ظلت اوروبا امتدادا اميركيا ، فانها لن تقوى على التعبير عن نفسها بحرية ، او ان تطمح الى اكثر من بعض المسؤوليات الاقليمية · فهل ان اميركا مستعدة الان ان تأخذ بعين الاعتبار هذا الواقع وان تتقيد باستقلال اوروبا التقني او بالنسبة للتشريعات الجمركية ؟ هل انها ستحد من نشاط شركاتها المتعددة الجنسيات ؟

في الحقيقة ، ان المشكلة التي يطرحها كوت ليست المشكلة · اذ ان الغطاء الاخلاقي ، الذي يستخدمه بريجنسكي لا يهمنا هنا · فبريجنسكي واضح بالنسبة لما يريده من اوروبا · انه يضعها امام خيار لا مفر منه · فاما اميركا او الاتحاد السوفياتي ، وهذا يعني في سياق اشتداد الصراع بين القوتين الرئيسيتين ، ونظرا لميول الدول الاوروبية وطبيعتها ، ارتباطا اكيدا باميركا · احتدام الصراع مع العدو هو الذي يلجم الجبهة الاميركية · هذا هو المبدأ البسيط الذي يعبر عنه بريجنسكي حين يتكلم عن العلاقات المتوترة مع السوفيات سلبا وايجابا ، عن دفع الحياة السياسية الى اقصى حركة ، او عن بلوغ حافة الحرب العالمية دون الوقوع فيها ·

اوروبا القوية « غير المستقلة » اوروبا كما يريدها مستشار كارتر هي اوروبا المشتركة في الهجوم الدفاعي المستمر على الاتحاد السوفياتي ، والمشاركة في ضبط العالم الثالث ، وهي ، من اجل حل ازمتها الاقتصادية ، ومناهضة انكماش الرساميل ومجابهتها ، تندفع نحو توظيف الرساميل المنتجة في « العالم الثالث » ·

٣ ـ اعادة ترتيب « العالم الثالث »

فالهندسة المثلثة الاطراف التي تسعى الى زيادة القوة عبر مبدأ التحالف ، لا تكتمل اذن الا باعادة النظر في علاقات اميركا « بالعالم الثالث » · مناهضة النزعة الانكماشية تهدف الى الحد من الانكماش الاوروبي والى كسر الاتجاه الذي يدفع اوروبا نحو التشتت اقتصادي ، ان الازمة الرأسمالية لن تحل برأي بريجنسكي الا بالانفتاح على العالم الثالث باساليب جديدة ، وبطرق استتباع متطورة ·

لقد اهتزت بعد فيتنام المواقع الاميركية في العالم ، واثبتت الحرب في انغولا ، ان الدبلوماسية الاميركية قد فتحت ثغرة في حصونها ما لبث الاتحاد السوفياتي ان سارع الى العبور منها · ان بريجنسكي لن يرضى بعد الان أن ترتكب اخطاء كهذه · يجب التخلي عن دور « البوليس » المحافظ على الوضع القائم لقوى محلية في افريقيا والشرق الاوسط ، « لقوى فعالة » تتمتع « بوزن عملي » ، منخرطة في تكوين المنطقة · ان عصر روديسيا وافريقيا الجنوبية قد ولى ، وكذلك تعدل دور اسرائيل ١٩٥٦ او ١٩٦٧ ·

وباختصار ، فما يراه بريجنسكي هو ان اميركا لم تعد تستطيع ادارة مصالحها في « العالم الثالث » من الخارج ، اي بواسطة العنف الخارجي ، القهر الاستعماري القائم على مجموعات اقليمية غير منسجمة مع طبيعة المناطق التي تسيطر عليها · فاذا كانت اميركا ترسم الان سياسة دفاعية ، تحاصر بها الاتحاد السوفياتي الذي بلغ مرحلة هجومية ، ان بالنسبة للمحافظة على مواقعه الستراتيجية ، او لاكتساب مواقع جديدة ، فعلى الادارة الاميركية تفويت الفرص السوفياتية ، وكذلك تلافي الصدام المباشر مع الاتحاد السوفياتي ، **وذلك لا يتم الا اذا انتقلت اشكال النفوذ الاميركي من نمط التحكم الخارجي المبني على الاشكال الاستعمارية : النهب الاقتصادي والاعتماد**

على قوى متنافرة مع وسطها الاقليمي ، او هامشية ، الى نمط تحكم قائم على « برجوازيات » محلية منخرطة في الانتاج الرأسمالي العالمي ، وان كانت هامشية بالنسبة لدورة الرأسمال ، اي متخصصة في الصناعات الخفيفة . ان التحكم غير المباشر يقتضي كسر التيارات الانكمآشية الاوروبية والاميركية ، وتغليب تصدير التكنولوجية على نهب الثروات . فالانتقال من تحالف القوى الى مبدأ دمج القوى المتحالفة ضمن الشكل المثلث : اوروبا — اميركا — اليابان ، يقضي الانتقال من التحكم بالعنف الخارجي الى التحالف مع قوى محلية تابعة ، تفترض التعامل مع مبدأ « الزعامة المحلية » .

ان عصرا جديدا تحاول ان تدخله الان اميركا تحت ضغط المكاسب التي حصلت عليها « الحركات الوطنية البرجوازية » في السابق ، وهجوم الاتحاد السوفياتي ، وضعف قواها الاقليمية الضاربة . عصر البرجوازيات غير الوطنية القوية .

ولكن هذه الرؤية التي تحاول توزيع القوى للمحافظة على المواقع ، تصطدم بهدفها نفسه ، وهو الاستعاضة عن القوة المركزية بالتحالفات الاقليمية . فهذه التحالفات ، التي تقوم على تبديل في مراكز القوى الاقليمية . تتطلب اصلا قوة مركزية هائلة .

لنأخذ ما يجري الان في « الشرق الاوسط » ، « فمبادرة السادات » ، المرحلة الاولى من « دوائر بريجنسكي الثلاث » همشت فعليا السياسة السوفياتية ، وكسرت التوازن المتمثل بمؤتمر جنيف . الا ان هذه المبادرة فشلت فعلا امام تصلب اسرائيل . ولكن هل ان تصلب اسرائيل هو تصلب امام السياسة الاميركية ؟ انه اتجاه في هذه السياسة . اتجاه يعكس حاجة اميركا الى ادواتها القديمة وعدم قدرتها على صياغة تحالفات جديدة مع قوى محلية تعطيها الفرصة كي تصبح قوى فعالة . فهل يمكن للسادات ان يتوسع نحو السودان ، وهو يراوح في سيناء ؟ وهل يمكن لاميركا ان تضبط الحركة التي قد تقلص دور اسرائيل وترسم حدودها ضمن ظرف عالمي لا يسمح لها بشن اي هجوم اقليمي او موضعي تستخدم فيه قوتها العسكرية المركزية ؟

يبدو لنا ان الانتقال من سياسة « الوضع الراهن » الكيسنجرية ، الى سياسة الحركة ، قد ارتطم في الشرق الاوسط قبل ان يبدأ ، وقد تصبح اميركا مضطرة بعد الان للعودة بصعوبة الى « سياسة الوضع الراهن » بدل المحافظة على « الوضع الراهن » !

نزيه جابر

المقاومة الفلسطينية

صيغة الوفاق

استمر الموضوع الفلسطيني (٤/١٥ ـ ٥/١٥) مطروحا على رأس جدول اعمال السياسة اللبنانية · وجاء الغاء جلسة الملف الفلسطيني في البرلمان اللبناني يوم ٤/١٨ ليكون مدخلا لمحاولة الاتفاق على صيغة حل تمثل مواقف الاطراف السياسية (النيابية) بشكل فعلي · ومن المؤكد ان مداولات سرية جرت بين الاقطاب السياسيين ورؤساء الكتل البرلمانية والقصر الجمهوري مهدت لالغاء جلسة الملف والبدء بالبحث عن الصيغة المطلوبة· ففي ٤/١٨ ترأس كامل الاسعد اجتماعا مفاجئا لـ ٢٥ نائبا يمثلون جميع كتل المجلس التي كان مقررا عقدها يوم ٤/٢٠ ، واستبدلت جلسة الملف بلقاء نيابي يعقد في نفس موعد جلسة الملف ليبحث في امكانية الوصول الى « صيغة مقبولة » ·

عقد اللقاء النيابي صباح ٤/٢٠ بحضور ٤٠ نائبا ، وبعد جدل حاد ومتناقض حول الموقف من الوجود الفلسطيني المسلح تشكلت لجنة من ١٠ نواب ، (اصبحت عند اجتماعها ١٣ نائبا) ، واوكلت لها مهمة وضع صيغة حول الموقف اللبناني من الوجود الفلسطيني المسلح · وفور الاعلان عن تشكيل هذه اللجنة وبدء اجتماعاتها قدم الرئيس سليم الحص استقالة الحكومة اللبنانية ، واقترنت مسألة تشكيل الحكومة الجديدة المطلوبة بالصيغة المطلوب من اللجنة النيابية ان تتوصل اليها ، بحيث تكون هذه الصيغة مدخلا للوفاق اللبناني، ومدخلا بالتالي لتشكيل حكومة لبنانية على اساس هذا الوفاق الذي يتفق فيه الطرفان على أسلوب معالجة الموضوع الفلسطيني في لبنان · وترافقت استقالة الحكومة وتشكيل لجنة الصيغة مع موقفين لهما دلالتهما :

موقف الشيخ بيار الجميل الذي طالب الجناح الثاني (المسلم) في لبنان ان يقول رأيه بالوجود الفلسطيني ، معتبرا ان هذا الجناح « يبدو وكأنه يغطي الوجود الفلسطيني المسلح » ·

وموقف للبطريركية المارونية طالبت فيه الدولة « ان تمنع الوجود المسلح بكل ما لديها من وسائل » (٤/٢٢) ·

وحين اجتمعت لجنة الـ١٣ نائبا صباح ٤/٢٢ توصلت الى صيغة بيان من ٦ نقاط تتضمن الدعوة الى « وقف العمل المسلح ، الفلسطيني وغير الفلسطيني في جميع الاراضي اللبنانية » (البند الثاني) ،

و « منع اي وجود مسلح لغير قوى السلطة الشرعية اللبنانية » (البند الثالث) ·

وبين البنود التي تتحدث صراحة عن الغاء الوجود الفلسطيني المسلح وبين مقدمة المشروع التي تشير الى اتفاقي الرياض والقاهرة وما يعنيه ذلك ضمنا من اقران بشرعية الوجود الفلسطيني المسلح، برز مجال واسع لتفسيرات متناقضة لمضمون الصيغة ، واعلن ثلاثة نواب شاركوا في اعمال اللجنة (رشيد الصلح ، حسن الرفاعي ، كاظم الخليل) ان مشروع الصيغة لا يلغي اتفاق القاهرة · واتسع نطاق النقاش حول هذه النقطة في اليوم التالي ٢٤/٤ ، فأعلن بيار الجميل ان مشروع الصيغة لم يتناول اتفاق القاهرة لا سلبا ولا ايجابا ، وتهرب كميل شمعون من الاجابة المباشرة قائلا « اقرأوا تفهموا » ··أما خارج النطاق اللبناني فقد جرت الامور على شكل مختلف تركز على رفض الصيغة ، فأعلنت الحركة الوطنية رفضها للصيغة ككل مؤكدة ان اللجنة التي وضعتها « تمثل فريقا واحدا » وحذرت المس بالوجود الفلسطيني الذي « يستمد شرعيته من الاتفاقيات » ، واعلن الحزب التقدمي الاشتراكي ان « وجهة نظر وحيدة سيطرت على لجنة ال ١٣ » ، واعلن بشير الجميل بالمقابل رفضه لحل مليشيات « الجبهة اللبنانية » لان « الحاجة الى المليشيات تنتفي فور انهاء الوجود الفلسطيني المسلح على الاراضي اللبنانية كافة » · وفي حمى هذا الجدل اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية في بيان رسمي ، انها حريصة على وحدة لبنان ، وعلى اتفاق القاهرة في نفس الوقت ، واكدت ان الاتفاقيات التي اكتسبت شرعيتها في مؤتمرات عربية لا تفسخ من جانب واحد ·

اجتمعت اللجنة النيابية الموسعة صباح ٢٥/٤ لتناقش الصيغة ، وقد أقرها ٢٦ نائبا من اصل ٢٩ حضروا الاجتماع ، بعد ان أدخلوا عليها تعديلات طفيفة ولكنها هامة · ففي البند الذي يشير الى اتفاق الرياض ويرفق ذلك بعبارة (جمع الاسلحة) اتفق على تعديل يقول (ومنها جمع الاسلحة) ، واعتبر ذلك بمثابة اعتراف غير مباشر ببقاء اتفاق القاهرة، الذي يشير اليه اتفاق الرياض جنبا الى جنب مع موضوع جمع الاسلحة الثقيلة ، كأحد الشروط التي وضعت انذاك لانهاء الحرب اللبنانية · كذلك حذفت من النص عبارة كانت تشير الى (مقررات مجلس الدفاع العربي المشترك) وهي مقررات كانت تدعو في حينه الى (وقف العمليات العسكرية) غير النظامية ضد اسرائيل · وعقد الرئيس كامل الاسعد فور انتهاء اعمال اللجنة ندوة صحافية أعلن فيها ان المجلس النيابي اللبناني لا يستطيع الغاء اتفاق القاهرة لان ذلك من صلاحية السلطة التنفيذية الممثلة برئيس الجمهورية والحكومة ، وصدر في نفس اليوم بيان عن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تضمن ثلاث قضايا : الحرص على الوفاق اللبناني ، والتمسك باتفاق القاهرة ، واعلان الاستعداد لبحث تنظيم العلاقات بين المقاومة والسلطة بعد الانسحاب الاسرائيلي من جنوب لبنان · ودعمت سوريا موقف المقاومة هذا بعد لقاء بين الرئيس حافظ الاسد وياسر عرفات (٢٦/٤) جرى التأكيد فيه على ان اتفاقي القاهرة وشتورا ينظمان العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية · وفي ٢٧ نيسان اجتمع المجلس النيابي اللبناني في جلسة رسمية، ووافق على الصيغة بأغلبية ٧٤ نائبا بعد ان أدخل عليها تعديلا جديدا يشير الى « الالتزام » بمقررات مؤتمري الرياض والقاهرة (التي تتضمن اتفاق القاهرة) ·

ويلاحظ أن لجنة الـ ١٣ التي وضعت الصيغة ، واللجنة النيابية الموسعة التي اعتمدتها ، وجلسة المجلس النيابي التي اقرتها ، تمت كلها دون تدوين محاضر

للمناقشات ، ولم يكن هناك بالتالي اي تدوين رسمي للتفسيرات التي وافق النواب بمقتضاها على بنود الصيغة ، الامر الذي يسمح لكل فريق بأن يقول بانه وافق على الصيغة بناء على فهمه لبنودها وتفسيره لها ، وهو وضع يسمح لفريق بالقول انها تؤكد ضرورة بقاء الوجود الفلسطيني المسلح ، بينما يستطيع الفريق الثاني ان يؤكد ان الصيغة تلغي هذا الوجود · ويلاحظ هنا ان الوصول الى هذه الصيغة اعتبر انجازا على طريق تحقيق الوفاق اللبناني ـ اللبناني ، وان الوضع بات يسمح بعدها بتشكيل حكومة برلمانية ـ سياسية · وفي ضوء هذا الاعتقاد الذي ساد الاوساط الرسمية جرى اعادة تكليف الدكتور سليم الحص بتشكيل الحكومة ، وما هي الا ايام حتى تبين ان مسألة الوفاق اللبناني لم تحلها الصيغة التي وضعت ، وتعذر بالتالي تشكيل حكومة سياسية ، وجرى تعويم حكومة الحص نفسها ، ليعود الوضع الى النقطة التي كان فيها يوم الاستقالة ·

الجنوب والاحتلال وقوات الطوارىء :

تمهيدا لانسحاب اسرائيلي ثالث من الجنوب ، قام كورت فالدهايم أمين عام الامم المتحدة بزيارة للبنان واسرائيل قابل خلالها ياسر عرفات في مقر قيادته ، وتحدد الموقف الفلسطيني خلال هذه الزيارة وبعدها من القوات الدولية كما يلي :

☐ اعلن بيان للمنظمة ان عرفات ابدى للامين العام استعداد المنظمة لمساعدة الامم المتحدة في تأدية مهامها في الاشراف على الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية · وأكد فالدهايم ذلك بقوله « ابلغني عرفات انه اصدر أوامره لقوات المقاومة الفلسطينية باحترام القرار والتعاون مع القوات الدولية » ·(٤/١٧) ·

☐ وعند انتقاله الى اسرائيل (٤/١٩) اعلن فالدهايم ان اسرائيل « وعدته بسحب قواتها قبل ٣٠ نيسان من نحو ٦٥٪ من اراضي الجنوب المحتلة ، وان الانسحاب من باقي الجنوب سيستغرق وقتا ·

☐ في ٢٤ نيسان وصل انزيو سيلاسفيو منسق القوات الدولية في الشرق الاوسط الى بيروت لبحث خريطة الانسحاب الاسرائيلي الثالث المنتظر ·

☐ وفي ٣٠ نيسان بدأت اسرائيل انسحابها الثالث وأعلنت انه سينتهي في الخامس من ايار · وشمل انسحابها الجديد ٣٠ موقعا من مساحة تقدر بـ ٣٠٠ كلم٢ ، بينما كان من المقرر ان تنسحب من مساحة مقدارها ٥٥٠ كلم٢ ·

☐ وفور اعلان هذا الانسحاب أعلن فالدهايم ان القوات الدولية ستمنع التسلل وتستعمل القوة عند الضرورة ، وأرفق تصريحه هذا بالطلب الى مجلس الامن أن يزيد عدد القوات العاملة في جنوب لبنان من ٤ الاف الى ستة الاف رجل (٢ أيار) ، وهو ما وافق عليه المجلس يوم ٣ ايار ·

وقد حدث بعد الانسحاب الاسرائيلي الجديد ، وبعد تقدم قوات من المقاومة نحو المناطق التي شملها الانسحاب ، ان قامت القوات الدولية بمحاصرة مجموعة فدائية من ٤٠ عنصرا قرب قرية العزية (٢ أيار) واشتبكت القوات الدولية في طيردبا مع عناصر من القوات الوطنية اللبنانية سقط بسببها شهيدان من « جبهة المقاومة الشعبية لتحرير الجنوب » ، وقد امتدت هذه الاشتباكات لتشمل عدة قرى منها العباسية والبص والبرج الشمالي ومعركة البازورية ورأس العين وباتولية ، ولتصل في النهاية الى مدينة صور ، وسقط في هذه الاشتباكات جرحى من الطرفين ودمر عدد من الملالات الفرنسية وحاملة

جنود · وبينما كان الكولونيل سالفان قائد القوات الفرنسية يخرج من ثكنة صور مع الرائد الفلسطيني تمراز ، ويتوجهان معا الى مواقع الاشتباكات لتهدئتها ، حتى تعرضت سيارتهما لاطلاق نار كثيف أصيب على اثره الكولونيل سالفان بجراح وقتل مرافق الرائد تمراز ، وتولى الهلال الاحمر الفلسطيني نقل سالفان الى مستشفى غزة في بيروت لمعالجته ، ثم جرى نقله في اليوم التالي الى مستشفى اوتيل ديو (٣ أيار) ·

وقد اجتمعت قيادة فتح لبحث الموقف الناشيء والمتوتر ، ثم اجتمعت القيادة اللبنانية - الفلسطينية المشتركة ، وتقرر تشكيل لجنة لضبط الوضع في صور بالتنسيق مع قوات الطوارىء وساعد على تهدئة الموقف تصريح لسالفان أدلى به من المستشفى أكد فيه التعاون الذي كان قائما بينه وبين منظمة التحرير لوقف الاشتباكات ، والتي كانت حصيلتها ثلاثة قتلى وثلاثة عشر جريحا من القوات الدولية ·

وقد أثارت هذه الاشتباكات ضجة دولية ، فأعلن لوي دي غرينغو وزير الخارجية الفرنسي اسفه للحادث وربطه بعناصر غير منضبطة ، ودعت واشنطن الزعماء الفلسطينيين الى معاقبة الفاعلين، وذكر ناطق باسم القوات الفرنسية في الجنوب ان موقف قواته « حيادي ، والمقاومة أنقذت سالفان » ·

وقد ساد على أثر كل ذلك هدوء في مدينة صور (٤ ايار) ، واعلن الجنرال ارسكين قائد القوات الدولية في الجنوب (٤ ايار) انه سيتفاهم مع الفلسطينيين لفرض الانضباط ، وان اهتمامه يتركز على التفاوض وليس على المجابهة ، وقال « لسنا هنا لنقاتل احدا ، ولكن علينا ان نمنع المسلحين من دخول مناطق واقعة تحت تصرفنا ، وسأوضح هذه النقطة لعرفات » · وبعد اجتماعه مع عرفات (٥ أيار) قال أرسكين « اتخذت اجراءات عملية لمنع وقوع صدامات ··· والتسلل المسلح في مناطق قوات الطوارىء يجب ان يتوقف » ·

وقد رد عرفات اثناء جولة له في السعودية ودول الخليج موضحا موقف المقاومة من هذه القضايا ، فقال في مؤتمر صحافي في ابو ظبي ان « الثورة لن توافق على اي قرار لوقف اطلاق النار ، وقد ابلغت فالدهايم بهذا واننا لن نوافق على القرارات ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٤٢٥ · وقواتنا تعمل في جنوب لبنان خلف خطوط العدو ، وطلبت من فالدهايم تموين قواتنا بالتعاون مع القوات الدولية ، وأوقفنا القصف المدفعي ليتمكن اللاجئون اللبنانيون والفلسطينيون من العودة » · (١١ ايار) ·

ولكن الجنرال أرسكين عاد في ١٤ ايار ليعلن ان القرار رقم ٤٢٥ يتعارض مع اتفاق القاهرة ، وان « على عرفات انتظار تنفيذنا للانسحاب الاسرائيلي ثم يسوي مشكلاته مع السلطة اللبنانية » · وذكر ارسكين ان « القرار ٤٢٥ عهد الينا بالحيلولة دون وصول اية عناصر مسلحة الى الجنوب » · وقامت القوات الدولية في اليوم نفسه بمحاصرة مجموعة فدائية قرب صور ، واعلن صلاح خلف (ابو اياد) ان المقاومة « فوجئت بتصريح أرسكين الذي جاء مخالفا لما دار بين عرفات وفالدهايم » · ولكن هذه المواقف من فالدهايم الى أرسكين أبرزت تناقضا في فهم مهمة القوات الدولية من شأنه ان يؤدي الى خلاف متواصل حول حق قوات المقاومة في الحركة على أرض الجنوب ، اذ تعتبر المقاومةان تنفيذ القرار ٤٢٥ يعني ان تشرف قوات الطوارىء على تأمين الانسحاب الاسرائيلي فقط ، باعتبار ان تواجد المقاومة المسلح هو أمر شرعي حسب منطق اتفاق القاهرة بينها وبين

السلطة اللبنانية ٠

عمليات المقاومة :

نفذت المقاومة الفلسطينية خلال هذه الفترة عدة عمليات فدائية في الداخل عكست حالة ملحوظة من النشاط العسكري ٠ ومن هذه العمليات التي اعترفت بها اسرائيل :

☐ قنبلة على سيارة اسرائيلية قرب مخيم قلنديا بين القدس ورام الله اصيب فيها ٤ جنود (٤/١٦) ٠

☐ قنبلتا مولوتوف القيتا على باص اسرائيلي في القدس ولم تنفجرا (٤/٢٤) ٠

☐ قنبلة في نابلس على سيارة اتوبيس قتل فيها ٢ وجرح ٧ واعتقل ٤١ مواطنا للتحقيق ٠

☐ قنبلة على سيارة جيب في جنين (٤/٢٧) ٠

☐ انفجار قنبلة في القدس ، وانفجار شحنة ناسفة داخل سيارة في عكا واصابة ٣ بجراح (٥/٤) ٠

☐ اطلاق صاروخ كاتيوشا في القدس سقط قريبا من منزل مناحم بيغن (٥/٧) ، عثرت السلطات الاسرائيلية على بقايا جهاز اطلاقه في اليوم التالي ٠

☐ انفجار قنبلة في سيارة اتوبيس قرب البحر الميت (٥/٨) ٠

☐ العثور على قنبلة موقوتة في نابلس (٥/١٣) ، جرت على اثرها حملة اعتقالات واسعة بين شباب المدينة ٠

وضع فتح الداخلي :

عقدت اللجنة المركزية لحركة « فتح » اجتماعا يوم ٤/٢٥ بكامل اعضائها ٠وفي ٤/٢٧ حضر كل قادة فتح مهرجانا شعبيا خطب فيه عرفات وقال « كثيرون يراهنون على شق وحدة حركة فتح ، ولكن وحدة الحركة أقوى مما يتصورون » ٠ وفي مهرجان بمناسبة اول أيار اشار ابو اياد الى الموضوع نفسه فقال ان « فتح لا تنقسم » ٠

ولوحظ في هذه الفترة موقفان متميزان لحركة فتح :

الاول : زيارة وفد من فتح برئاسة عرفات الى دمشق واجتماعه مع الاسد وخدام (٨ أيار) ، اعلن بعده ابو جهاد ان « اللقاء الاخير مع الاسد تركز على وضع خطة استراتيجية للتعاون بين فتح وسوريا ، وتم الاتفاق على تشكيل لجنة لوضع خطة التعاون » (٥/١١) ٠

والثاني : اعلان ابو أياد يوم ١٠ ايار ان وفدا من فتح سيزور الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، وتأكيده ان هذه هي أول مرة يتوجه فيها وفد من فتح الى هذه الدول ، واستطرد ابو أياد قائلا « نتحرك باسم فتح اسوة بغيرنا وليس في اطار منظمة التحرير » ٠

وأصدرت حركة فتح في هذه الاثناء بيانا سياسيا حدد مواقف الحركة من القضايا المطروحة ، وابرز البيان هجوما حادا على السياسة الاميركية في الشرق الاوسط مع دعوة لدول النفط كي تعيد النظر بسياستها من الولايات المتحدة ٠ وحدد البيان رفض الحركة لاي مؤتمر قمة عربي يتم في ظل مبادرة الرئيس انور السادات باتجاه اسرائيل ٠

تنازلات السادات :

في العاشر من أيار دعا أثرتون مساعد وزير الخارجية الاميركي اسرائيل « للانسحاب على الاقل من جزء من الاراضي العربية المحتلة » ٠ ولم يمض سوى يومين على ذلك حتى أعلن السادات في حديث لصحيفة « نيويورك تايمز »

الاميركية (٥/١٢) عن اقتراح جديد يشكل تنازلا جديدا من قبله عن موقفه السابق الذي كان يصر فيه على البحث بالقضية الفلسطينية مع اسرائيل وتحت شعار حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، ويدعو اقتراح السادات بدلا من ذلك الى اعادة الضفة الغربية للاردن، واعادة قطاع غزة لمصر · وقد اعلنت اسرائيل فورا رفضها لهذا الاقتراح ،ورد عليه عرفات من الكويت قائلا انه « ليس في استطاعة اي دولة تجاهل الثورة الفلسطينية » ·

وفي ١٥ ايار قدم السادات تنازلا جديدا لاسرائيل عبر مجلة « شيكاغو تريبيون » حيث اعلن استعداد « لعقد صلح منفرد مع اسرائيل ، اذا كان ذلك يحقق السلام » ، وفي اليوم نفسه كشف عيزر فايتسمان وزير الدفاع الاسرائيلي النقاب عن ان « هناك تطورات مهمة ستتم خلال الاشهر القليلة المقبلة بين مصر واسرائيل » · وكان مناحم بيغن اكثر وضوحا في الكشف عن هذه التطورات حين قال امام مؤتمر جمعية الصناعيين الاسرائيليين ان ثمة مفاوضات جارية للوصول الى اتفاق جديد حول سيناء ·

وبهذه التطورات وضع السادات مبادرته خارج اطار الشروط التي وضعها بنفسه لها ، وهي الشروط التي كانت تصر على الحل الشامل لازمة الشرق الاوسط ، وعلى ضرورة البحث بالقضية الفلسطينية وايجاد حل لها ·

بلال الحسن

المناطق المحتلة

اخذت الانتفاضة التي تفجرت في المناطق المحتلة مع اندلاع الحرب الاخيرة في جنوب لبنان اشكالا عدة في مقارعة الاحتلال ، من بينها الاضرابات والتظاهرات ، والتصدي لوسائط النقل الاسرائيلية بالقنابل الحارقة ، وقد شهد الشهر الماضي سلسلة من اعمال قذف السيارات الاسرائيلية بالقنابل الحارقة ، ففي مخيم قلنديا القيت زجاجة حارقة على سيارة تقل جنودا اسفر انفجارها عن اصابة اربعة جنود بجراح ، كما وتمكن الفدائيون بالقرب من قرية سلفيت من السيطرة على سيارة باص واشعال النار فيها ، والقيت زجاجة حارقة في مدينة جنين على سيارة باص تقل جنودا اسرائيليين ، واستشهد احد

المواطنين هناك نتيجة الاشتباك مع قوات الجيش الاسرائيلي ·

وفي السادس والعشرين من نيسان القيت قنبلة يدوية داخل سيارة باص في مدينة نابلس كانت تقل عددا من المتطوعين الالمان الذين قدموا الى اسرائيل للقيام بنشاطات لـ « افتداء جرائم النازية ضد اليهود » وينتمون الى منظمة تطلق على نفسها اسم « علامة التكفير » · واسفر الانفجار عن مقتل المانيين واصابة ستة اخرين بجراح ·

وكان من نتيجة تراكم اعمال المقاومة هذه واشتدادها ، ان اندفعت سلطات الاحتلال وفرضت اجراءات قمعية ضد سكان نابلس ، من بينها فرض نظام حظر التجول على اجزاء من المدينة ، وفرض الحصار حولها ، وسط اعمال التفتيش والمداهمات واعتقال المئات من ابناء المدينة · وقد استمرت هذه الاعمال اكثر من عشرة ايام · وخلال ذلك اصدر المجلس البلدي للمدينة بيانا دعا فيه سلطات الاحتلال الى فك الحصار المضروب حول المدينة ورفع نظام حظر التجول المفروض على بعض اجزائها ، كما وبعث رؤساء البلديات والمجالس المحلية والمؤسسات العامة ، وكذلك رئيس بلدية الناصرة بمذكرات تأييد لصمود المدينة ، واستنكار الاجراءات الارهابية لسلطات الاحتلال ·

وكانت مدينة نابلس قد شهدت مع المدن والتجمعات الفلسطينية في الضفة الغربية تظاهرات واضرابات ضد النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في الضفة الغربية ، واستنكار مقتل احد المواطنين في مدينة جنين على يد قوات الاحتلال ·

وفي السابع عشر من نيسان ، وبمناسبة « يوم السجين » جرت تظاهرات واضرابات في عدد من المدن والقرى استجابة لنداء العناصر الوطنية ، واقام المتظاهرون في نابلس وجنين حواجز من الحجارة على الطرقات ، واشتبكوا مع قوات الاحتلال ·

الاعمال المشينة واقالة قائد الضفة الغربية

اقالت سلطات الاحتلال ، في اوائل شهر ايار الماضي ، العميد دافيد هجوئيل من منصبه كقائد للضفة الغربية ، وعينت مكانه العميد بنيامين بن اليعيزر ، واشفعت الاقالة بتقديم ثلاث ضباط من بينهم حاكم منطقة بيت لحم ومساعده الرائد نسيم كوهين الذي قاد عملية الاعتداء على كلية مدرسة اسكندر خوري في بيت جالا ، للمحاكمة ·

ومن المعروف عن دافيد هجوئيل الذي ذهب ضحية السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق المحتلة ، انه اتخذ خطا متعنتا عقب تسلمه مهام منصبه قبل قرابة عامين ضد رؤساء البلديات والمجالس المحلية وخاصة المؤيدين منهم لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فقد حاول خلال الفترة الماضية تنمية زعامات منافسة لرؤساء البلديات من بين أوساط رؤساء الغرف التجارية ، ودرج عند زيارته للمدن العربية على التغاضي عن رؤساء بلدياتها في محاولة منه للانتقاص من مكانتهم · ولم يكن ذلك مغايرا للخط السياسي العام الذي اتخذه التجمع العمالي عقب الانتخابات البلدية في الضفة الغربية ، تجاه البلديات ، وسار عليه بعد ذلك الليكود · لقد جاءت اقالة هجوئيل عقب سلسلة من الاعمال الهمجية التي قام بها الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان وفي المناطق العربية المحتلة ، ومن المشكوك فيه ان تتم اقالة هجوئيل لولا تزامن حدوث تلك الاعمال ، وتناقلها في المحافل الدولية · ففي جنوب لبنان قامت وحدات من الجيش الاسرائيلي ، علاوة على هدم قرى بأكملها ، بنهب كل ما تقع عليه اليد في تلك القرى ، ولم

تنج حتى قطعان الماعز والابقار من حملة النهب تلك ، وفي الوقت نفسه كانت وحدات الجيش الاسرائيلي تتصدى بكل شراسة ، وباساليب متعددة ، للانتفاضة في المناطق المحتلة طوال ايام القتال . وقد كذبت البيانات الرسمية الاسرائيلية في بداية الامر حدوث « تجاوزات » في جنوب لبنان وفي الضفة الغربية ، الا انها عادت واعترفت بحدوثها في جنوب لبنان، واضطرت للاعتراف بوجودها في الضفة الغربية عقب تسرب معلومات عنها الى الصحف العالمية ، ومن بينها التايمز الاميركية .

وامام هذا الواقع ، وفي محاولة منها لتحسين صورة اسرائيل في الخارج ، وجدت السلطات الاسرائيلية نفسها مضطرة لاقالة دافيد هجوئيل من منصبه وتقديم عدد من الضباط للمحاكمة ، مرجعة اسباب اقالته الى عدم تقديمه تقارير دقيقة حول ما حدث في الضفة الغربية وخاصة في مدرسة اسكندر خوري في بيت جالا . الامر الذي اثر على مصداقية البيانات الاسرائيلية خاصة بعد تناقل الصحافة العالمية صورة مغايرة تماما للتقارير الاسرائيلية . ومن هنا فان اقالة هجوئيل تأتي لتحسين سمعة الجيش الاسرائيلي اولا ، وترميم مصداقية البيانات الاسرائيلية ثانيا ، ولم تكن الاعمال المشينة او « التجاوزات » هي سبب الاستقالة .

وقد ابدى عدد من المعلقين الاسرائيليين تخوفهم من ان تؤدي الاقالة الى عكس ما ترمي اليه ، وتثير تساؤلا حول التهم التي وجهت في السابق ضد تصرفات الجيش الاسرائيلي ضد السكان العرب والتي درجت سلطات الاحتلال على تكذيبها .

ومن الجدير بالذكر ان تظاهرة جرت في القدس تأييدا لدافيد هجوئيل ، قام بها انصار حركة « كاخ » التي يتزعمها الحاخام مئير كهانا ، واصفين الاقالة بانها تخدم اعداء اسرائيل ، وطعنة في ظهر احد كبار ضباط الجيش .

ماذا حدث في مدرسة بيت جالا ؟

في الحادي والعشرين من اذار الماضي، وخلال احتدام المعارك في جنوب لبنان ، ووسط الانتفاضة الشعبية التي عمت مدن وقرى المناطق المحتلة ، قامت مفرزة من الجيش الاسرائيلي بقيادة الرائد نسيم كوهين ، مساعد الحاكم العسكري لمنطقة بيت لحم باقتحام مدرسة اسكندر خوري في بيت جالا اثناء تلقي التلاميذ دروسهم . والقى جنود المفرزة قنابل الغاز المسيلة للدموع وسط الصفوف ، الامر الذي دفع التلاميذ للقفز من النوافذ من الطابق الثاني ، وتسبب ذلك بكسر ارجل سبعة من التلاميذ . وقد حدثت اعمال مشابهة في مدارس رام الله ، كما وارتكبت قوات الاحتلال فظائع في عدد من المدن اثناء تصديها للتظاهرات . وما حدث في مدرسة بيت جالا هو بمثابة نموذج لما حدث في معظم التجمعات الفلسطينية ، وتناقلته وكالات الانباء والصحف العالمية للتدليل على سياسة القمع التي تنتهجها سلطات الاحتلال ضد السكان العرب . وكان لرئيس بلدية بيت جالا بشارة داوود الذي تصفه المصادر الاسرائيلية بانه مقرب من م.ت.ف ، وللعناصر الوطنية في المدينة ، الفضل في نقل صورة ما حدث الى الرأي العام العالمي ، فقد عقد رئيس البلدية مؤتمرا صحفيا دعا اليه مندوبين عن الصحافة العالمية ، وابلغهم بحقيقة ما حدث .

وسنقف هنا على شهادات ثلاث ، نقلها الكاتب الاسرائيلي يوسف تسورائيل (معاريف ٤ـ٥ـ٧٨) عن مدير المدرسة وطالب وامرأة ، حول الاعتداء الذي حاولت سلطات الاحتلال طمس اخباره .

قال لويس عبد ربه مدير مدرسة اسكندر خوري في مجال سرده لقصة ما وقع في المدرسة :

« في الحادي والعشرين من اذار ، وفي الساعة التاسعة والنصف صباحا ، كنت اجلس في مكتبي ، والتلاميذ يتلقون دروسهم في الصفوف · وفجأة دخل ساحة المدرسة حوالي ١٥ جنديا ، وامر القائد الذي وقف وسط الساحة كل جندي بالوقوف امام مدخل كل صف · تخوفت من هذا التأهب ، وتوجهت نحو القائد للتحدث اليه ، الا انه رفض التحدث معي ، وامرني بالانصراف من المكان ، واردت الاتصال هاتفيا بالمسؤول عن الجهاز التعليمي في المنطقة ، ولم يسمح لي القيام بذلك » ·

واضاف « عدت الى غرفتي ، وخلال دقيقتين حدث صخب مخيف · لقد اطلقت في الساحة قذيفتا غاز مسيل للدموع · وفي الوقت نفسه القيت قنابل غاز مسيل للدموع داخل الصفوف · وبعد ذلك انصرف الجنود بسرعة من المكان · وعندما شاهدتهم يتركون المدرسة ، سمعت اصوات الاستغاثة الصادرة عن التلاميذ وامتلأت عيناي ورئتي برائحة شديدة · خرجت الى الساحة لكي احاول فهم ما حدث · وما شاهدته عيناي كان امرا فظيعا ، الاولاد يركضون وكأنهم مسممون، يبحثون عن ماء لغسل اعينهم وحناجرهم· كان هنالك سبعة تلاميذ مستلقين في الساحة ، بعد ان قفزوا من الطابق الثاني وتكسرت ارجلهم ، وكان المعلمون حائرين » ·

ـ ويروي التلميذ بسام صرصور البالغ من العمر ١٥ عاما ، والذي حدث له كسر في ساقه ، قصة ما حدث :

« الحقيقة ان الجنود هم الذين القوا بقنابل الغاز المسيل للدموع داخل الغرف· حدث ذلك اثناء درس الرياضيات · كان المعلم واقفا يدرس وسط الصف ، وفجأة فتح الباب · بعد ذلك القيت قنبلتان واغلق الباب · كان المعلم منذهلا ، ولم يقل لنا كيف نتصرف ، ولكن لم يكن من الضروري قول اي شيء · شعرنا باننا نختنق ، قمنا وحاولنا الهرب · وقفزت الى الساحة ، واصبت بجراح » ·

وتروي ام التلميذ بسام قصة ما حدث بالقول :

« عندما شاهدت الاضطراب بالقرب من المدرسة ، اسرعت لنقل ابني الى البيت · اعتقدت ان حريقا قد هب او كارثة قد حلت ·وفي طريقي الى ساحة المدرسة دفعني جندي وضربني على ركبتي · وبعد لحظات شاهدت قريبي مازن يحمل ابنه على ظهره · ونقلناه الى مستشفى الحسيني ، وهناك شاهدت عددا اخر من التلاميذ الجرحى » ·

النشاط الاستيطاني

تقوم حركة جوش ايمونيم في الوقت الحاضر ، باعمال استيطانية بدون ضجة في مناطق مختلفة من الضفة الغربية بمؤازرة الليكود والهيئات الاستيطانية · وتمكنت هذه الحركة حتى الان من اقامة ١٨ مستوطنة جديدة ، معظمها في عهد الليكود · وهذه المستوطنات هي : (١) معاليه ادوميم (٢) يريحو (٣) جبعون (٤) بيت حورون (٥) مفو حورون «ج» (٦) بيت ايل (٧) عفره (٨) النبي صالح (٩) شيلو (١٠) تبوح (١١) حارس (١٢) بئيريم (١٣) قرني شومرون (١٤) الون موريه (١٥) ترتسه (١٦) سيله الظهر (١٧) شومرون (١٨) دونان ·

ومن الجدير بالذكر ان هذه النقاط الاستيطانية لم تقم كلها داخل معسكرات للجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية ، كما اقرت بذلك حكومة الليكود بعيد

تسلمها مقاليد الحكم ، وانما اقيم العديد منها خارج نطاق المعسكرات ، كما توسع البعض الاخر منها ، وامتد الى خارج العسكرات ، ورافق ذلك اعمال مصادرة للاراضي من بينها مئة دونم قبل قرابة شهرين في منطقة رام الله ٠

بعد ان تمكنت حركة جوش ايمونيم من تثبيت النقاط الاستيطانية في اماكن مختلفة ومختارة في الضفة الغربية ، تركز الحركة الان على امرين : الاول ، مضاعفة عدد المستوطنين في المستوطنات القائمة ، حيث من المقرر اضافة مئة عائلة في كل مستوطنة ، والثاني ، مضاعفة المباني ٠ وتقوم المصانع الاسرائيلية حاليا بانتاج منازل جاهزة تكفي لايواء مئة عائلة في كل مستوطنة ٠ وتنشط الحركة الى جانب ذلك في اقامة مستوطنة مدينية في حارس، حيث تجري اعمال البناء بسرعة ٠

وفيما يتعلق بالخطط المستقبلية البعيدة المدى ، كشف السكرتير العام لجوش ايمونيم يوحنان بن بوزات في مؤتمر صحفي عقده في تل ابيب (معاريف ٢٤-٤-٧٨) النقاب عن ان حركته انتهت من اعداد خطة استيطانية في الضفة الغربية ، يصبح بموجبها عدد اليهود المستوطنين بعد ٢٥ عاما مليون مستوطن٠ وافاد ان حركته اقامت ١٦ مستوطنة في الضفة الغربية خلال ستة شهور فقط ٠ وان الحركة تعتزم في المستقبل القريب الاحتفال بتدشين مستوطنة « قرني شومرون » الواقعة الى الشرق من قلقيلية ٠

وكشف النقاب مؤخرا عن وجود هيئة استيطانية قذف بها مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، للعمل الى جانب جوش ايمونيم في استيطان الضفة الغربية تطلق على نفسها اسم « المجتمع الصهيوني السليم » ومتعاطفة مع « التجمع العمالي » المعارض، ويستحوذ على تفكيرها استيطان منطقة القدس عن طريق اقامة ضواح للشريحة المثقفة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ٠ وقد وجهت هذه المجموعة مؤخرا طلبا الى وزير الزراعة ورئيس اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان اريك شارون تدعوه فيه للسماح لها باقامة اربعة نقاط استيطانية حول مدينة القدس ، وذلك لاستيعاب الفنانين والادباء (المصدر السابق) ٠

وفيما يتعلق بنشاط الحكومة الاستيطاني فانه يتمثل في تنفيذ المشروعات الاستيطانية لجوش ايمونيم في الضفة الغربية ٠ وقد وجدت حكومة الليكود في حركة جوش أيمونيم ، غير الرسمية ، ضالتها ، خاصة في مرحلة المفاوضات حول السلام التي تتطلب من الجهات الرسمية وقف الاستيطان « الرسمي » او تجميده لاضفاء صفة « الاعتدال » على الطرف الاسرائيلي المفاوض ٠ وامام هذا المأزق ، ارتأت الحكومة ان حركة الجوش يمكن لها ان تمنحها الاستيطان الذي تريده دون ان تكون هي المسؤولة عن الاستيطان ! وابتدعت سياسة استيطانية جديدة : الاستيطان داخل المعسكرات واعتبار المستوطنين جنودا يقومون « بمهمات للجيش الاسرائيلي » ٠ وقد اصبح من الواضح ان معظم المستوطنات اقيمت خارج المعسكرات ومدعومة بالاساس من الحكومة التي تقوم في الوقت الحاضر بتوسيعها ٠

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة الائتلافية بزعامة الليكود كانت قبل انضمام الحركة الديمقراطية للتغيير - التي اشترطت دخولها الائتلاف الحكومي بعدم اقامة مستوطنات اضافية - للحكومة اتخذت قرارا في الثالث والعشرين من تشرين الاول الماضي باقامة عشر مستوطنات جديدة في الضفة الغربية هي :

بيزك ، دوتان ، ترتسه ، تبوح ، سيلة الظهر ، شيلو ادورايم ، دوتان «ب» ، معاليه حورون .

ويقي هذا القرار طي الكتمان ، وازالت الستار عنه صحيفة عل همشمار (٣٠ـ٤ـ٧٨) . وقد رمت الحكومة من ورائه التحايل على الشرط الذي وضعته الحركة الديمقراطية للتغيير لدخول حكومة الائتلاف ، بحجة ان قرار اقامة المستوطنات قد اتخذ قبل دخول الحركة الحكومة . بيد ان هذا القرار السري الذي اميط اللثام عنه مؤخرا يكشف مدى الترابط القائم بين المشروعات الاستيطانية للجهات الرسمية والجهات غير الرسمية .

الى جانب ذلك استكملت سلطات الاحتلال مؤخرا بواسطة الكيرن كييمت شق طريق بين البحر الميت والقدس على امتداد ٤٠ كم في جبال الخليل .

وفيما يتعلق بالنشاط الاستيطاني في سيناء ، وخاصة منطقة شرم الشيخ حيث ينعدم نشاط جوش ايمونيم هناك ، تقوم السلطات الرسمية لوحدها بالنشاط في المنطقة . وقد قام خلال الجزء الاول من نيسان الماضي اعضاء لجان المالية والاقتصاد والعمل والرخاء التابعة للكنيست بجولة في المستوطنات الواقعة بين شرم الشيخ وايلات ، للوقوف عن كثب حول تطويرها . وكان رئيس الحكومة مناحيم بيجن قد دعا الى الاستمرار في تطويرها على الرغم من مفاوضات السلام الجارية بين مصر واسرائيل .

وتسير اعمال التطوير هناك باشكال عدة من بينها :

١ ـ استكمال شق طريق بين شاطيء سيناء وحتى دير سانتا كاترينا على امتداد ٨٧ كلم .

٢ ـ اقامة فندق بالقرب من مطار جبل سيناء بلغت تكاليفه ٨ مليون ليرة .

٣ ـ مضاعفة عدد المباني في المستوطنات القائمة ، ففي مستوطنة اوفيرا المدينية ، والتي تحتوي على ٣٠٠ وحدة سكنية مأهولة ، يجري العمل لاقامة ٢٠٠ وحدة سكنية ، كما وتقرر اقامة ١٠٠ وحدة سكنية اخرى . وفي مستوطنتي نفيعوت ودي زهاف يجري العمل لاقامة ٥٠ وحدة سكنية في كل منهما . ويوجد في مستوطنة نفيعوت لوحدها ١٢٠٠ مستوطن ، ويطالب هؤلاء بالتوسع في اقامة المباني ، ويدعون لاقامة ٥٠٠ وحدة سكنية اخرى .

صفقات استملاك الاراضي في الضفة الغربية

الى جانب اقامة النقاط الاستيطانية الجديدة في الضفة الغربية بهدف تكريس الاحتلال وتهويدها ،تنشط سلطات الاحتلال في مجال مصادرة الاراضي واستملاكها بطرق عدة ، وقطعت في هذا الميدان شوطا بعيدا ، فقد كشف التقرير السنوي لعام ١٩٧٦ـ١٩٧٧ الصادر عن ادارة اراضي اسرائيل ، النقاب عن ان الادارة استكملت خلال العام الماضي في الضفة الغربية ٦٣١٧٦ دونما ، بلغت تكاليفها حوالي ٢٨ مليون ليرة .

وجاء في التقرير ان الادارة قامت بتحديد قطعة ارض تبلغ مساحتها ٢٠٠٠ دونم في « مفوحورون » في قضاء رام الله بغرض اقامة مستوطنة مدينية هناك ، وقامت بتحديد قطعة ارض اخرى مساحتها ٢٥٠٠ دونم في نفس المنطقة ، وحددت منطقة مساحتها ٢٧٦٨ دونما في « معاليه افرايم » ، وفعلت نفس الشيء بالنسبة لاراضي في منطقتي طولكرم وجنين (انظر يديعوت احرونوت ١٩ـ٤ـ٧٨) .

ومن ناحية ثانية كشفت نفس الصحيفة النقاب ، عن وجود خطة سرية تتدارسها الحكومة ، بخصوص شراء الاراضي واستملاكها في الضفة الغربية . وافادت ان « مباحثات سرية بهذا الخصوص قد جرت بين وزارة المالية ووزارة الزراعة » لاقامة شركة حكومية تناط بها مهمة استملاك الاراضي في الضفة .

عبد الحفيظ محارب

اسرائيليات

زيارة بيغن لواشنطن بين التفاؤل والحقيقة

قام كل من مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي ووزير خارجيته موشي دايان ، في نهاية شهر نيسان وبداية شهر ايار بزيارة للولايات المتحدة بقصد تغيير الجو الذي طغى على العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية خلال زيارة بيغن الاخيرة لواشنطن . ومع ان هذه الزيارة ليست رسمية ، اذ سافر بيغن الى اميركا بحجة المشاركة في الاحتفالات التي تقيمها الجالية اليهودية هناك بمناسبة مرور ثلاثين عاما على قيام الدولة اليهودية ، فقد جاءت هذه الزيارة متعمدة للتخفيف من حدة التوتر الذي ساد العلاقات الاسرائيلية مع اميركا مؤخرا . وقد سبق دايان بيغن الى واشنطن للتمهيد للزيارة ، بعد ان استطاعت الحكومة الاسرائيلية التوصل الى اتفاق يجعل من الممكن فك الجمود في المفاوضات حول الشرق الاوسط . وهذا الاتفاق هو بمثابة محاولة جديدة تقوم بها الحكومة الاسرائيلية لفك عزلتها بعد ان واجهت حملة عنيفة من الانتقادات الخارجية والداخلية .

المخرج الاسرائيلي

عندما شعرت الحكومة الاسرائيلية بحراجة الموقف بسبب فشل المحادثات الاخيرة مع واشنطن وازدياد حركة الاحتجاج الداخلية في اسرائيل ومشاركة العديد من الشخصيات اليهودية الاميركية في ذلك ، اخذت تبحث عن وسيلة الخروج من هذا المأزق . وقد وجدت ذلك في التلويح للولايات المتحدة بان تغيرا ما قد حدث في السياسة الاسرائيلية . وكان دايان قد عقد ، قبل زيارته الاخيرة لواشنطن ، مناظرة تلفزيونية مع وزير الخارجية الاسرائيلية الاسبق ، ابا ايبان ، ذكر فيها بان قرار مجلس الامن ٢٤٢ يسري على كافة الجبهات ، الامر الذي كانت ترفضه حكومة بيغن حتى الان . وقال دايان في تلك المناظرة : « ان حكومة اسرائيل مستعدة للتفاوض حول حل اقليمي وسط مع الاردن ، اذا ما ارادت هذه الدولة ذلك » (يديعوت احرونوت ، ٢٤ـ٤ـ١٩٧٨) .

ويمكن ان نستنتج من اقوال دايان هذه بان اسرائيل قد وافقت على التفاوض مع الاميركيين حول هذا الموضوع ، بعد ان عبر اولئك عن موافقتهم على بقاء الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد فترة السنوات الخمس الانتقالية ، وذلك لفترة غير محددة . ويبدو ان هذا التطور هو الذي قرب بين مواقف الطرفين ، بحيث لا توجد الان بين مواقفهما فجوة لا يمكن تخطيها (المصدر نفسه) .

ومن جهة ثانية ، قدمت الحكومة الاسرائيلية ، على لسان وزير خارجيتها ، اقتراحا جديدا بهدف تحريك المفاوضات ولكسب المزيد من الوقت . فقد اقترح دايان خلال محادثاته مع مسؤولي الادارة الاميركية ، وذلك عشية لقاء كارتر ـ بيغن ، التخلي عن فكرة «اعلان المبادىء» والبدء بمفاوضات مع مصر حول مستقبل الضفة الغربية ، الامر الذي رفضت اسرائيل ايضا القيام به حتى الان . وكذلك اعطت اسرائيل دورا رئيسيا في

المفاوضات لواشنطن بعد ان كانت ترفض ذلك ، بطلبها من الادارة الاميركية ان تترك الاطراف في الشرق الاوسط تتفاوض وحدها دون اي تدخل · ولكن بعد ان لمست الحكومة الاسرائيلية ان ذلك لن يتم ، اتخذت موقفا جديدا ، فأعلن دايان « بان للولايات المتحدة وظيفة رئيسية وبدونها لا يمكن التوصل الى اتفاق » (هآرتس ، ٣٠-٤-١٩٧٨) ·

وقبل سفر وزير الخارجية الى واشنطن جابه الحكومة الاسرائيلية السؤال : ماذا سيحمل معه الى هناك ؟ وقد وجدت الحكومة الجواب في ان اسرائيل توافق على سريان القرار ٢٤٢ على كافة الدول بما فيها الاردن ، واما بالنسبة لموضوع المستوطنات ، اذا ما اثير ، فان باستطاعة دايان ان يوضح للاميركيين انه لن تقام مستوطنات جديدة في سيناء (دون اعطاء تعهد رسمي مماثل بالنسبة للضفة الغربية) · ولكن هذا العرض ، بحسب رأي الاسرائيليين ، ليس « بضاعة » يمكن بواسطتها الاسراع في المفاوضات مع مصر ، لان اسرائيل لا « تعطي » شيئا للسادات في الضفة من اجل تشجيعه للدخول في المفاوضات ، وتمكينه من ان يعرض مكاسب تتعلق بالغرب جميعهم ، وليس بمصر وحدها · وهكذا ظهرت فكرة دايان بشأن التنازل عن اعلان المبادىء والذهاب فورا للمفاوضات الموضوعية (معاريف ، ٥-٥-١٩٧٨) ·

الموقف الاسرائيلي والتغير في السياسة الاميركية

يبدو واضحا من كافة التعليقات والتصريحات الاسرائيلية الرسمية والصحفية ، انه لم يطرأ اي تبدل في الموقف الاسرائيلي من القضايا الرئيسية وخاصة فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة ، وان التبدل الاخر في ذلك الموقف انما هو لكسب الوقت فقط ، وعدم الظهور بمظهر المعطل للوصول الى تسوية · وعلى الرغم من قول دايان ان القرار ٢٤٢ يسري على كافة الجبهات ، فقد نفى بيغن ذلك نفيا قاطعا وكرر الموقف الرسمي والاستراتيجي للحكومة ، عندما صرح امام حشد من اليهود في مدينة شيكاغو قائلا : « ان اسرائيل لا تنوي الانسحاب من الضفة الغربية ، لان جيلنا لا يستطيع ان يفعل ذلك ، وانه لن يفعل ذلك » (يديعوت احرونوت ، ٤-٥-١٩٧٨) ·

وقد أشار بعض المعلقين الاسرائيليين الذين رافقوا بيغن خلال زيارته الى ان الشعور الذي يسود الاوساط الاميركية هو ان بيغن لا يريد الانسحاب من الضفة الغربية ، وان زيارة دايان لواشنطن وكذلك زيارة فايتسمن للقاهرة انما هي مناورات مخصصة لكسب الوقت ، حيث ستبدأ المنافسة على انتخابات الكونغرس خلال شهرين او ثلاثة · وذكر يوئيل ماركوس، احد المعلقين الاسرائيليين ان بيغن قد اخبره وهو في الطائرة (وذلك خلافا للانطباع الذي أعطاه دايان) انه « لا يوجد موقف جديد ، نحن لم نغير مواقفنا » · واشار بيغن ايضا الى انه لن يسمح بان تتحول الضفة الغربية الى قاعدة يمكن الوثوب منها على اسرائيل ، «وانه لن يقترح اي خيار على الفلسطينيين بشأن الاستقلال ، سواء كان ذلك مع الاردن او بدونه » (هآرتس ، ٣-٥-١٩٧٨) · ويبدو ان الخطة الاسرائيلية القادمة ، وكذلك المسار السياسي للحكومة الاسرائيلية ، سيعتمد خلال الفترة المقبلة على ايجاد مخرج ينقذها من المواجهة مع الولايات المتحدة حول مسألة الضفة الغربية ، وينقذ ماء وجه السادات تجاه العالم العربي – وذلك بواسطة قيام اسرائيل بدراسة مشروع يبقي الضفة الغربية عمليا تحت حكم اسرائيل

وسيطرتها ، بينما يوهم لعرب بان اسرائيل ستمنح الفلسطينيين حق تقرير المصير في المستقبل ، اي سيحدث بالضبط ما حدث مع القرار ٢٤٢ ، بحيث يبقى الموقف مطاطا وغامضا ، فتفسره الحكومة الاسرائيلية كما تريد ، والسادات كما يشاء (معاريف ، ٥ـ٥ـ١٩٧٨) ٠

هناك دلائل كثيرة تشير الى ان زيارة بيغن الاخيرة قد حققت بعض الانجازات والمكاسب ، وذلك خلافا لما حدث خلال زيارته لواشنطن في شهر اذار الماضي ٠ فقد اشار بيغن الى ان محادثاته مع الرئيس كارتر ومع وزير الخارجية فانس، قد جرت في جو من الصداقة ، خلافا لجو الازمة الذي سيطر على محادثات اذار ٠ ويرى بيغن انه حقق انجازا كبيرا خلال هذه المحادثات خلافا لما جرى في محادثات حزيران من العام الماضي ، فقد « اختفت » ، حسب قولة م٠ت٠ف والدولة الفلسطينية من المواقف الاميركية ٠ كما ان المحادثات تجري الان على اساس المشروع الاسرائيلي للحكم الذاتي في الضفة ٠ وقد وافق الاميركيون على ان تقدم اسرائيل اقتراحا بديلا للاستفتاء العام على شرط ان يضمن الاشتراك الشعبي الواسع للعرب الفلسطينيين في رسم مستقبل الضفة (دافار ، ٣ـ٥ـ١٩٧٨) ٠ وقد لخص بيغن المكاسب السياسية التي تحققت خلال الزيارة الاخيرة ، والتي وصفها « بانها مكاسب من الدرجة الاولى » بما يلي :

☐ لم تعد م٠ت٠ف٠ تشكل طرفا في المنطقة ، بالنسبة للمواقف الاميركية ـ الاسرائيلية ٠

☐ تم استبعاد قيام دولة فلسطينية من الحسبان ٠

☐ الموافقة على التواجد العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية ٠

☐ استبعاد فكرة الاستفتاء العام ٠ (يديعوت احرونوت ، ٢ـ٥ـ١٩٧٨) ٠

وتشير كافة الدلائل والتصريحات الى انه حدث تراجع في الموقف الاميركي بالنسبة لموضوع الضفة الغربية والمسألة الفلسطينية ، فقد اوضح الرئيس كارتر لرئيس الحكومة بيغن بان الولايات المتحدة ترفض اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، كما ابدت استعدادا للتنازل عن طلبها باجراء استفتاء عام في الضفة وغزة ، بعد مرور خمس سنوات على تطبيق مشروع الحكم الذاتي ٠ ولكن لم يتم الاتفاق بينها وبين اسرائيل حول اية وسيلة اخرى يمكن بواسطتها منح الفلسطينيين امكانية التاثير على مستقبلهم السياسي ، كما اتضح من التقارير التي بعث بها موشيه دايان الى القدس (هارتس ٣٠ـ٤ـ١٩٧٨) ٠ وهناك من يشير الى انه خلافا للانطباع الذي ساد لدى الجمهور فقد حدث تحرك كبير في مواقف الرئيس كارتر في موضوعين جوهريين : الموافقة على تواجد الجيش الاسرائيلي في نقاط استراتيجية في الضفة بعد فترة الخمس سنوات ، وفي الاستعداد لاختبار ضمانات والتوقيع على اتفاقية امنية بين اسرائيل والولايات المتحدة كجزء من اتفاقية الانسحاب (دافار ٢٦ـ٤ـ١٩٧٨) ٠

ومن جهتها قدمت الولايات المتحدة لاسرائيل عدة اسئلة تتعلق بالحل الاسرائيلي المقترح بالنسبة للضفة الغربية ووضع الفلسطينيين ، وسيتطلب من الحكومة الاسرائيلية الرد عليها ٠ وقد أشار دايان الى انه ينبغي على الحكومة الاسرائيلية اتخاذ قرار بالنسبة للحلول العملية في سيناء وفي قطاع غزة والضفة الغربية التي ستوافق عليها في حال استجابة مصر للاقتراح الذي قدمته اسرائيل بشأن التخلي عن « اعلان المبادىء » والبحث في صلب القضايا الجوهرية ٠ ويقول دايان ، انه اذا ما وافقت مصر على هذا الاقتراح ، فان

اسرائيل مستعدة للتفاوض معها حول الحلول في سيناء وكذلك حول الوضع الذي سيسود الضفة بعد مرور السنوات الخمس الواردة بحسب مشروع الحكم الذاتي · فبالنسبة للوضع في سيناء ، يشير دايان الى ان المحادثات ستتطرق الى الترتيبات الامنية ، وجود مناطق مجردة، مستقبل المستوطنات الاسرائيلية الخ · واما المفاوضات بالنسبة للضفة والقطاع فستتطرق الى المسائل التالية : استمرار تواجد الجيش الاسرائيلي ، التنقل الحر للاسرائيليين في هذه المناطق ، مستقبل المستوطنات الاسرائيلية ، علاقات اليهود والعرب في هذه المناطق ، شروط هجرة الفلسطينيين اليها ، مسائل تصريف المنتوجات الزراعية من هذه المناطق الى اسرائيل ، تنقل القوى العاملة من الضفة وغزة الى اسرائيل وغيرها · (هآرتس ٥ـ٥ـ١٩٧٨) · وتتركز الاسئلة الاميركية التي طرحت على كل من بيغن ودايان ، حول مدى الانسحاب الاسرائيلي وشكله من الضفة ، المكانة التي ستمنح للفلسطينيين في المحادثات حول تحديد مستقبلهم ، شكل الحل السياسي للمشكلة الفلسطينية ، مستقبل المستوطنات الاسرائيلية في الضفة ، حجم وشكل التواجد العسكري الاسرائيلي فيها (المصدر نفسه ٣ـ٥ـ١٩٧٨) · وأشار البعض الى الاسئلة العملية التي اثارها الاميركيون خلال محادثتهم مع دايان ، والتي تشير الى الاتجاه الذي تسعى اليه واشنطن ، فهناك من يقول ان واشنطن تسعى « لتحسين » مشروع الحكم الذاتي الاسرائيلي ، حتى يمكن اعتباره تجسيدا لفكرة « الكيان » الفلسطيني او شيئا قريبا منه ·

فقد سئل فانس وزير الخارجية الاميركي ، دايان هل ستوافق اسرائيل على « الحكم الذاتي » بدلا مما ورد في مشروع الحكم الذاتي حول منح سكان الضفة والقطاع « سلطة ذاتية » · وسأل ايضا من سيكون مسؤولا عن الشرطة ؟ ولكن الاميركيين يعتقدون خلافا لما ورد في المشروع الاسرائيلي ، حول تولي اسرائيل للامن والنظام في الضفة والقطاع ، ان وجود شرطة محلية مستقلة، يمكن ان يعطي دليلا خارجيا والى حد ما جوهريا ، للحكم الذاتي · كما سئل فانس حول توزيع الصلاحيات بين المجلس الاداري للحكم الذاتي وبين السلطات الاسرائيلية ، لدى الغاء ادارة الحكم العسكري (معاريف ٥ـ٥ـ١٩٧٨) ·

نقاط الخلاف

بات من الواضح ان اهم المشاكل التي تثير الخلاف بين وجهتي النظر الاميركية والاسرائيلية ، هي ماذا سيحدث في الضفة الغربية وغزة في نهاية السنوات الخمس من الحكم الذاتي الاداري طبقا لمشروع بيغن ·

ففي حين تصر الادارة الاميركية على تلقي جواب اسرائيل منذ الان فان الموقف الاسرائيلي الرسمي لا يعتقد بضرورة تقديم الرد بسرعة ، فالرد يمكن ان يكون بعد خمس سنوات · ويجب ان تبقى الفرصة مفتوحة طوال هذه المدة · ويدور التساؤل داخل الاوساط الاسرائيلية ، عن السبب الذي يدفعها لاعتبار السنوات الخمس فترة زمنية تكون فيها انظار عرب الضفة الغربية متوجهة لهدف واحد ، حيث يدركون سلفا انهم في مرحلة مؤقتة وبالتالي فان الحكم الاداري في هذه الحالة سيكون مصيره الفشل · وكذلك فان المطالبة بتحديد الذي سيحدث بعد خمس سنوات منذ الان، سيكون نصيبها الفشل أيضا · وتذكر المصادر الاسرائيلية ، ان تلك كانت اجوبة كل من دايان وبيغن على اسئلة الاميركيين في واشنطن · الا ان الاميركيين أصروا على تسلم جواب

واضح الان ، وابلغوا المسؤولين الاسرائيليين بأنه يجب تقرير ما الذي سيحدث بعد خمس سنوات والا فلا امل في التقدم في المفاوضات . كما أن الموقف الاميركي من مسألة الحكم الذاتي الاداري يختلف عن الموقف الاسرائيلي ، حيث يرى الاميركيون نقاطا مشجعة فيه واخرى غير مشجعة ، وان هناك جدلا مبدئيا يدور حول النقاط التالية بين واشنطن وتل أبيب :

● متى يجب اتخاذ قرار بشأن منطقة الحكم الذاتي ؟ أليوم او بعد خمس سنوات .

● ما هو طابع الحكم الذاتي قبل السنوات الخمس ؟

● هل سيسمح بانتقال اللاجئين من لبنان الى المنطقة ؟

● ما هو العدد الذي سيسمح به ؟

● كيف ستكون الحياة بين الحكم الذاتي واسرائيل في ظل الحدود المفتوحة وامكانيات تشغيل عشرات الاف العرب في اسرائيل وربما الاقامة فيها ؟

● ماذا سيكون مصير المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية ؟

● ماذا سيكون مصير الوجود العسكري ؛ متحركا او محددا ؟

● كيف سيكون بمقدور الجيش الاسرائيلي مراقبة الحدود بفعالية (رالا ١٣-٥-١٩٧٨) .

ويمكن تلخيص الوضع السياسي ، بالقول ان اسرائيل لا تزال تنتظر الجواب المصري على مقترحاتها ، والتي اشارت بعض الدوائر الى ان هناك موافقة مصرية حول ذلك ، لانه كما قال وزير الدفاع الاسرائيلي ، فان السادات ، كان قد قدم له هذا الاقتراح ، خلال محادثتهما الاخيرة في القاهرة . في حين تنتظر واشنطن الحصول على اجوبة من اسرائيل حول الاسئلة التي طرحتها عليها واهمها ، البديل الاسرائيلي للاستفتاء العام الذي ارادت بواسطته كل من مصر والولايات المتحدة الى اشراك الفلسطينيين سكان الضفة وغزة في تحديد مستقبلهم (هآرتس ٥-٥-١٩٧٨) .

هل تغير الموقف الاميركي

هناك من يقول على ان الموقف الاميركي قد تغير بالنسبة للتسوية في الشرق الاوسط وخاصة فيما يتعلق بمسألة الضفة الغربية وقطاع غزة ، ويقف على رأس هؤلاء رئيس الحكومة بيغن ووزير خارجيته دايان ، وذلك في اعقاب التفاؤل الذي ساد جو العلاقات خلال المحادثات الاخيرة .

يقول بيغن « انه لم يحدث تغيير في موقفه هو ، وانما الذي حدث انهم اصبحوا يفهمونه ويفهمون مشروعه بصورة اكبر الان في واشنطن » ، واما دايان فيقول ، « بان الولايات المتحدة تبدي الان استعدادا للبحث عن طرق جديدة لحل النزاع في الشرق الاوسط بعد أن تأكد لها ، ان المحاولات التي قامت بها حتى الان والاساليب التي اتبعتها لم تعط نتائج ملموسة » . (معاريف ٥-٥-١٩٧٨) .

وهناك من يرى ان الادارة الاميركية قد توصلت الى استنتاج وهو ان موقف المواجهة لا يعطي ثمارا اكثر ، لانه قد حقق ما اراده الاميركيون . ففي اسرائيل ولدى الجاليات اليهودية في اميركا وفي الكونغرس ، بدأ الكثير من الشخصيات في ابداء الشك بالنسبة للمواقف الاسرائيلية : فقد تركت حركة « السلام الان » أثرها ، كما ان العديد من الشخصيات اليهودية المهمة ورجال الفكر اليهود في امريكا قد نشروا رسالة تأييد لحركة « السلام الان » ، وان الكونغرس قد ابدى موقفا مؤيدا لاسرائيل ولكنه اكثر اعتدالا من الماضي ، ومن هنا تعتبر الادارة الاميركية انها حققت كل ما

ارادته ، وانه حان الوقت للتوقف عن المجابهة والجدل مع بيغن ، وابداء الرغبة في التعاون بهدف ايجاد وسيلة للخروج من الجمود في المفاوضات (عيدو ديسنتسك ، معاريف ٥ـ٥ـ١٩٧٨) · ويرى البعض ان التغير الذي حدث على الموقف الاميركي يشير الى « نهاية فترة بيرجنسكي » ، وهي فترة توجيه الضغوط على اسرائيل من اجل كسر معارضتها للقيام بتنازلات تعرض أمنها للخطر · وهناك من يشير الى ان الاسباب التي دعت الى التغير في السياسة الاميركية يعود الى ان زيارة بيغن ستتم خلال مناقشة مسألة صفقة الطائرات الثلاثية ولهذا ارادت الادارة الاميركية ابداء بادرة طيبة بالنسبة لزيارته ، ومن هنا كان الاستقبال الحافل الذي اعد لبيغن في البيت الابيض، كما ان البيت الابيض خشي من احتمال توجه بيغن الى الرأي العام الاميركي ومهاجمته للادارة الاميركية ، لذلك كان لا بد من « تحرك » ما في السياسة الاميركية (هآرتس ٨ـ٥ـ٧٨) ·

وهناك رأي اخر معاكس يقول بانه لم يحدث اي تغير في الموقف الاميركي او السياسة الاميركية · وانتقد اصحاب هذا الرأي التفاؤل الذي عبر عنه بيغن خلال زيارته لواشنطن ، فقد وصفت بعض الجهات ان هذا التفاؤل « ليس في محله »، واجمعت كافة التعليقات من اصحاب هذا الرأي على القول ، انه ليست هذه هي المرة الاولى التي يعبر فيها بيغن عن تفاؤله الكبير ، الذي سرعان ما يبدو مناقضا للحقيقة · فقد حدث ذلك ثلاث مرات كما ذكرت بعض المصادر الاسرائيلية ، المرة الاولى : خلال زيارته لواشنطن في الصيف الماضية ، والثانية : في لقائه التاريخي في الاسماعيلية ، والثالثة : خلال زيارته الاخيرة لواشنطن · وينتقد البعض قول بيغن ان الفرق بين زيارته السابقة والحالية كالفرق بين الليل والنهار وكذلك قوله ان اليهود والمسيحيين يؤيدون المسألة الاسرائيلية · فقد علق يوئيل ماركوس على ذلك بقوله : « اذا كان بيغن يقصد المسيحيين الموجودين في البيت الابيض ووزارة الخارجية ، فانه مخطىء مرة اخرى · حيث انه لم يحدث اي تغيير حقيقي على مواقف الادارة · وانه لا توجد اية دلائل جدية للتحول ··· وان الاستقبال الحافل في البيت الابيض كان عملية مدروسة » (هآرتس ٨ـ٥ـ١٩٧٨) ·

وعلقت صحيفة دافار في افتتاحيتها (٣ـ٥ـ١٩٧٨) حول الموضوع بقولها : « ان تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل لا يعني تأييدها لكل المواقف الاسرائيلية · لا توجد دائما وحدة في الاراء ولا تماثل في المصالح ··· ويوجد في الوضع الحالي خلاف في الاراء بين ادارة واشنطن والحكومة الاسرائيلية بالنسبة لعدة قضايا رئيسية فيما يتعلق بالمفاوضات مع مصر · اما بالنسبة للقضايا العملية التي تقف على المحك ، والتي يمكن ان تقرر شبكة العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة في المستقبل القريب ، فانه لا يوجد اي سبب يدفع رئيس الحكومة الى التفاؤل ، الا اذا قرر خلال الايام الاخيرة تغيير مواقفه ··· وأنه لمن الافضل الا نخدع انفسنا ، بان تفاؤل رئيس الحكومة مرتكز على تقارب في المواقف بين الدولتين » وتطرق معلق اخر الى نفس الموضوع ، وهو شموئيل سيغف فلخص الموقف بقوله : « ان الولايات المتحدة لم تتراجع عن افكارها التي تدعو الى انه في اطار التسوية الشاملة ، سيتطلب من اسرائيل الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد اجراء تعديلات طفيفة على الحدود · وان الولايات المتحدة لم تتخل عن وجهة نظرها التي تقضي باقامة « وطن » للفلسطينيين في الضفة الغربية ، بحيث سيكون مرتبطا مع الاردن » · (معاريف ٤ـ٥ـ١٩٧٨) ·

حمدان بدر

قضايا عسكرية

دعوة اسرائيلية لخفض تسلح مصر عن طرف واحد

نشرت مجلة « نيوزويك » الاميركية ، في عددها الصادر في ١-٥-٧٨ ، حديثا للجنرال « موردخاي غور » ، عقب احالته على التقاعد . في ١٥-٤-٧٨ ، قال فيه ، ردا على سؤال لمراسل المجلة « ميلان كوبيك » عما اذا كان مرتاحا لعرض اسرائيل اعادة سيناء لمصر ، « انني اعتقد اننا يمكن ان نتخلى عن سيناء كلها - باستثناء مطاراتها - وذلك سيساعد اسرائيل ومصر على التوصل الى اتفاق سلام حقيقي . والمطارات في ذاتها تعتبر هامة بالنسبة لنا طالما ان العرب ونحن نحتفظ بقوات مسلحة كبيرة على نحو شاذ . واني مقتنع بان تخفيض التسلح في الشرق الاوسط يعد امرا ضروريا واقعيا ، وانه يمكن القبول به من كلا الطرفين . ولكن على المصريين ان يقوموا بالخطوة الاولى . فانهم يستطيعون ، مثلا ، وضع بعض فرقهم العاملة في الاحتياطي ، او ان يخفضوا قوتهم الجوية من ٦٠٠ الى ٤٠٠ طائرة . ولسوء الحظ ، فاننا يجب علينا الاحتفاظ بقوتنا لاننا نواجه ايضا الجبهة الشرقية، التي تضم سوريا ، والعراق والاردن ، والتي تحمل امكانية الحرب بصورة مضاعفة عن الجبهة المصرية . ولكنني آمل ان يتوصل المصريون الى فهم ذلك ، وان تتوفر لديهم الشجاعة لكسر الحلقة المفرغة . وانني اعتقد ، ان بقية العرب ، سوف يحتذون بعد ذلك حذو « القاهرة » » !

ويثير حديث الجنرال « غور » هذا عدة قضايا بالغة الاهمية ، من الناحيتين الاستراتيجية والعسكرية ، في الصراع العربي - الاسرائيلي ، نتناولها بالبحث والتعليق الموجز في النقاط التالية :

١ - يقول « غور » ان اسرائيل مستعدة للتخلي عن سيناء كلها لمصر ، لان ذلك سيساعد على التوصل لسلام حقيقي بينها وبين اسرائيل ، ولكنه يستثني المطارات الاسرائيلية الموجودة فيها ، نظرا لاهميتها العسكرية والاستراتيجية بالنسبة لاسرائيل ، في ظل الاوضاع القائمة حاليا بين العرب واسرائيل ، من حيث حجم القوات المسلحة لديهما ، وعدم التوصل بعد لاتفاقات خفض متبادل للتسلح بين الطرفين . والمطارات التي يقصدها « غور » هي مطار « ايتام » القريب من « رفح » في شمال سيناء ، ومطار « اوفيرا » القريب من « شرم الشيخ » عند مدخل خليج العقبة في الطرف الجنوبي لسيناء ، ومطار « عتسيون » القريب من قلعة « طابا » في الاراضي المصرية القريبة من « ايلات » في الطرف الشمالي من خليج العقبة .

ويشكل مطار « ايتام » جزءا من منطقة المستوطنات الاسرائيلية المقامة قرب «رفح» ، والتي تريد اسرائيل الاحتفاظ بها الى الابد ، ودون ان تجد في ذلك تعارضا مع السيادة القانونية المصرية على سيناء ، وذلك ضمن خطتها الاستراتيجية العامة في اقامة حاجز بشري بين مصر وقطاع غزة ، بهدف السيطرة على طريق الاقتراب الرئيسي نحو الارض المحتلة في فلسطين ، في حالة خرق مصر مستقبلا ، وبعد عقد اتفاق السلام الدائم المفترض ، لشرط بقاء قواتها المسلحة المتقدمة عند ممرات سيناء المعروفة « رمانة » و « جفجافة » و « الجدي » و « متلا » ، الذي سيتضمنه الاتفاق المذكور . ومن ثم

فانه سيكون بمثابة قاعدة جوية متقدمة تسمح بسرعة التدخل الجوي الفعال ضد القوات المصرية ، التي قد تزحف على كلا المحورين الشمالي ، وهو محور « القنطرة – رمانة – العريش – رفح » ، والاوسط كذلك ، وهو محور « الاسماعيلية – جفجافة – ابو عجيلة » . بل ان الطائرات المتمركزة فيه ، ذات المدى البعيد نسبيا ، مثل « الفانتوم » ، تستطيع التدخل منه ضد التحركات المصرية المحتملة على المحور الجنوبي ،سواء عبر ممر « جدي » نحو « بير تمادة » ثم بير الحسنة ، أو سواء عبر ممر « متلا » نحو « نخل » ثم « التمد » و « الكونتلا » او « القسيمة » . اما مطار « اوفيرا » المقام عند « رأس نصراني » قرب « شرم الشيخ » ، فيمكن للطائرات الاسرائيلية المتمركزة فيه ان تتحكم في مدخل كل من خليجي « العقبة » و « السويس » ، ومباشرة التدخل السريع الفعال ضد اي تحركات مصرية ، برية او بحرية ، نحو « شرم الشيخ » او نحو ابار النفط التي تنوي اسرائيل الاحتفاظ بها في جنوب سيناء وخليج السويس حتى عند التسوية النهائية (كما صرح بذلك وزير الطاقة الاسرائيلي في ٥–٤–٧٨) (١) . وذلك فضلا عن ان الطائرات بعيدة المدى مثل « ف – ١٥ » تستطيع تأمين الملاحة الاسرائيلية في البحر الاحمر ، حتى مدخله الجنوبي عند مضيق « باب المندب » ، بسهولة اكبر بكثير مما لو انطلقت من مطارات في جنوب صحراء النقب قرب « ايلات » في الارض المحتلة بفلسطين . ولذلك قال فايتسمان ، وزير الدفاع الاسرائيلي انه بدون مطار « اوفيرا » لا يستطيع الطيران الاسرائيلي الوصول ، فضلا عن العمل ، فوق هذا المدخل الحيوي في جنوب البحر الاحمر .

اما مطار « عتسيون » ، فهو يدعم القاعدة المتقدمة « اوفيرا » ، كما انه يمكن أن يلعب دورا هاما ضد الجناح الجنوبي للجبهة الشرقية المحتملة في الارض ، فضلا عن انه يمكن ان يستخدم ضد قاعدة « تبوك » السعودية التي تبعد نحو ٢٢٠ كلم عن « ايلات » ، في حالة تمركز طائرات « ف – ١٥ » السعودية فيها مستقبلا ، او في حالة سماح المملكة للاردن بأن يستخدم القاعدة المذكورة ، او غيرها من القواعد السعودية ، عند تعرض الاخير لهجوم اسرائيلي ، كما اشارت الى ذلك بعض الانباء الصحفية(٢) . وبالاضافة الى ذلك فان المطار المذكور تستخدمه ، فيما يبدو ، طائرات الاستطلاع الاميركية التي تقوم بدوريات فوق البحر الاحمر والقرن الافريقي والمحيط الهندي ، منذ اوائل اذار (مارس) على الاقل ، كما ذكرت صحيفة « يديعوت احرونوت » في ٣–٣–٧٨ ، نقلا عن مصادر بريطانية (٣) . وكما اكدت مصادر صحفية في واشنطن مؤخرا ايضا (٤) . وبالاضافة الى ذلك فان لمطارات سيناء اهمية عسكرية ثانوية اخرى تتمثل في توفير اجواء تدريب اكثر ملاءمة فوق سيناء عن ارض فلسطين المحتلة المحدودة الاجواء ، وايضا في ضمان انتشار افضل للطيران الاسرائيلي تجنبا للضربات الجوية العربية المفاجئة المحتملة مستقبلا ، او للتقليل من نجاحها .

٢ – ولا يكتفي « غور » . والقيادة السياسية الاسرائيلية ايضا ، بمطالبة مصر بمنح اسرائيل حق الاحتفاظ بقواعدها الجوية المذكورة ومستوطناتها في سيناء كشرط من شروط التسوية السلمية ، وانما يطالب مصر ايضا بأن تقدم على خطوة مبادرة شجاعة لكسر حلقة سباق التسلح المفرغة بين العرب واسرائيل ، تتمثل في احالة بعض فرقها العاملة الى الاحتياطي، او تخفيض قوتها الجوية من ٦٠٠ الى ٤٠٠ طائرة فقط ، اي بنسبة الثلث تقريبا ، مع بقاء اسرائيل محتفظة بقوتها العسكرية ، البرية والجوية ، كاملة دون اي تخفيض ،

نظرا لمخاطر احتمال مواجهتها الحرب على الجبهة الشرقية !

واذا ترجمنا اقتراح « غور » الى الواقع القائم حاليا في مجال ميزان القوى العسكري العربي ـ الاسرائيلي بالنسبة للقوات البرية فاننا سنجد أن الجيش الاسرائيلي يتألف حاليا من نحو ٥٨٩ الف رجل ، في حالة التعبئة العامة ، يمكن تعبئة نحو ٣٧٥ الفا منهم خلال ٤٨ ـ ٧٢ ساعة فقط ، وانه يضم نحو ٦٠ لواء (٢٤ لواء مدرع و١٢ ميكانيكي و٩ مشاة و٦ مظليين و٩ مدفعية) ، لديها حوالي ٣٢٠٠ دبابة ونحو ٤٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة و١٢٠٠ مدفع ميدان وهاوتزر (ذاتي الحركة ومقطور) و١٠٠٠ هاون ثقيل وراجمات صواريخ ومئات من المدافع المضادة للدبابات واخرى المضادة للطائرات الخ . (٥) في حين ، ان الجيش المصري يتألف من ٣٠٠ الف جندي ، بالاضافة لنحو ٥٠٠ الف من الاحتياطي ، ولكن يصعب ادخالهم في القوة الفعالة عند نشوب القتال فجأة ، نظرا لبطء اجراءات التعبئة والحشد ونقص مستوى تدريبهم ، على خلاف الحال بالنسبة لقوات الاحتياطي الاسرائيلية التي لا تقل كفاءة بصورة ملحوظة عن القوات العاملة . والقوات العاملة موزعة على ٢ فرقة مدرعة و٣ ميكانيكية و٥ مشاة و٣ الوية مدفعية و٢ هاون ثقيل ولواء صواريخ م/د ، اي ما مجموعه نحو ٤٧ لواء (١٠ منها مدرعة و٨ ميكانيكية و١٢ مشاة و٣ محمولة جوا ومظليين و٨ مدفعية وهاونات ولواء م/د) ، لديها نحو ٢٢٠٠ دبابة و٢٧٠٠ ناقلة جنود مدرعة و١٥٠٠ مدفع ميدان وهاوتزر و٣٠٠ هاون ثقيل و٤٠٠ راجمة صواريخ،و٢٨٥٠ مدفع م/ط الخ (٦) ومن الواضح ان الجيش الاسرائيلي يتمتع بتفوق واضح في اجمالي القوة البشرية المقاتلة الفعالة ، وكذلك في تشكيلات المدرعات والمشاة الميكانيكية والمظليين ، فضلا عن اجمالي الدبابات وناقلات الجنود المدرعة ، اي في القدرة الحركية الهجومية، بنسبة عامة تزيد عن ٥٠٪ ، ومن ثم فأي تخفيض في القوات العاملة المصرية (بنسبة الثلث مثلا ، كما يقترح غور بالنسبة للقوة الجوية) سيؤدي الى تدهور خطير في ميزان القوى بين مصر واسرائيل ، وقد يصل بالتفوق الاسرائيلي الكمي ، في الرجال والاسلحة والاليات المدرعة ، الى نسبة تزيد عن ٧٠٪ ، الامر الذي يعرض الامن القومي المصري ، فضلا عن العربي ، لخطر كبير دون توفر اي ضمانات عملية اخرى ضد التوسع والعدوان والسيطرة الاسرائيلية ، في الحاضر والمستقبل القريب والبعيد . واذا انتقلنا الى اقتراح « غور » الثاني البديل ، وهو تخفيض قوة الطيران المصري بنسبة الثلث فسنجد الامر اكثر خطورة . ذلك لان الطيران الاسرائيلي لديه حاليا نحو ٦٨٠ طائرة قتالية (٢٥ منها « ف ـ ١٥ » و ٢٥٠ « فانتوم » و١٠٠ « كفير » و ٣٠ « ميراج ٣ » و٢٧٥ «سكاي هوك ») ، تستطيع ان تركز قوة نيران تبلغ نحو ٢٩٨٨ طنا من القنابل في الطلعة الواحدة لها جميعا ، في حالة استخدامها في مهام القصف . ونحو ١٩٦٠ صاروخ جو ـ جو ، في الطلعة الواحدة ، في حالة استخدامها في مهام الاعتراض الجوي(٧). على حين ان الطيران المصري لديه حاليا نحو ٥٣٤ طائرة قتالية (٢٥ قاذفة «ت يو ـ ١٦ » و٢٤٤ « ميغ ـ ٢١ » و٣٢ « ميغ ـ ٢٣ » و١٨ « ميغ ـ ٢٧ » و ٥٠ « ميغ ـ ١٧ » و٥٢ «ميراج ٣ و٥» و٤٨ «سوخوي ـ ٢٠ » و ٦٠ « سوخوي ـ ٧ »و٥ البريوشن ـ ٢٨ ») ، ويبلغ اجمالي القوة النارية لهذه القوة الجوية نحو ١١١٩ طنا من القنابل في الطلعة الواحدة ، في حالة القصف . ونحو ١٠٤٤ صاروخا جو ـ جو ، في الطلعة الواحدة ، في حالة الاعتراض الجوي . وبمقارنة هذه القوة الجوية ، سواء من حيث عدد الطائرات او اجمالي القوة النارية ، بالقوة الجوية

الاسرائيلية الحالية ، سنجد انها تعاني تدنيا كبيرا بالنسبة لها ، خاصة في قوة النيران (١١١٩ طنا من القنابل مقابل ٢٩٨٨ طنا ،و١٠٤٤ صاروخا مقابل ١٩٦٠ صاروخا) ، ومن ثم فان تخفيضها بنسبة الثلث سيؤدي الى انعدام اي توازن في واقع الحال بين القوتين . فأي شجاعة تلك المطلوبة من مصر أن تمارسها كمبادرة من طرف واحد في مجال خفض تسلحها بالنسبة لاسرائيل ، كي تكون نموذجا رائدا تتبعه بقية الدول العربية ؟! وهكذا تؤكد اسرائيل ، من خلال اقوال قادتها ، وتصرفاتها العملية ، انها تريد السيطرة الكاملة على مقدرات الامة العربية ، وحرمانها من اي قوة عسكرية تحمي مصالحها الامنية والوطنية بدعوى السلام الدائم !

الجنرال « ايتان » والجبهة الشرقية

في حديث له بمناسبة الذكرى الثلاثين لانشاء دولة الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ، يوم ١٥ــ٥ــ١٩٤٨ ، ادلى الجنرال « رفول ايتان » ، رئيس الاركان الاسرائيلي الجديد بحديث للاذاعة الاسرائيلية بثته يوم ٦ــ٥ــ٧٨ ، قال فيه « ان الجبهة الشرقية الاسرائيلية هي اشد الحدود خطرا، لانه ينقصها العمق الاستراتيجي ، ولانها تضع اهم المراكز السكانية الاسرائيلية في مجال نيران العدو » (٨) . ثم ادرج الاردن والعراق في لائحة دول المواجهة على الجبهة الشرقية بالاضافة الى سوريا ، مؤكدا « ان جيوش هذه الدول مجهزة ومدربة جيدا ، وان الجيش العراقي اقوى من الجيش السوري ، وان العراق سيكون سعيدا بالانضمام الى اي حرب ضد اسرائيل ، كما فعل في كل الحروب السابقة » (٩) . كما قال « ايتان » ايضا ان السعودية ، التي تسعى للحصول على طائرات « ف ــ ١٥ » الاميركية ، هي جزء لا يتجزأ من الجبهة الشرقية (١٠) . وتذكرنا اقوال « ايتان » الحالية بخصوص افتقار الجبهة الشرقية الاسرائيلية للعمق الاستراتيجي بالتصريحات التي كان يدلي بها القادة الاسرائيليون قبيل حرب ٦٧ ، والمتعلقة بتوضيح مدى خطورة استمرار الضفة الغربية والقدس القديمة تحت سيطرة الاردن على امن اسرائيل ، وذلك مثل « موشى ديان » الذي قال في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ ، في مقال له بعنوان « مشكلة الحدود والامن في اسرائيل » نشرته مجلة «الشؤون الخارجية» الاميركية، ان اسرائيل تواجه مشكلة امن معقدة تعقيدا غير عادي ، نظرا لان مساحتها لا تزيد عن ٨١٠٠ ميل مربع وطول حدودها ٤٠٠ ميل، ولان « ثلاثة ارباع سكان اسرائيل يعيشون في السهل الساحلي الممتد من شمال حيفا الى جنوب تل ابيب . ان متوسط عرض هذه المنطقة المكتظة بالسكان لا يتجاوز ١٢ ميلا بين البحر الابيض المتوسط وحدود الاردن ، وبالامكان رؤية مقر رئاسة الاركان الاسرائيلية الواقعة في السهل الساحلي ، وذلك من التلال الواقعة على الحدود الاردنية . ان الطرق الرئيسية والسكك الحديدية معرضة للغزو السريع السهل . ويكاد لا يوجد مكان في اسرائيل لا يطاله العدو باستثناء صحراء النقب » (١١) .

وقد شكلت مثل هذه الاقوال والحجج أسسا دعائية للاطماع التوسعية الصهيونية، التي وضعت موضع التنفيذ بعد ذلك في حرب ٦٧ . وشعرت اسرائيل بالارتياح عقب قضمها للضفة الغربية في الحرب المذكورة ، الامر الذي عبر عنه « ايغال الون » قائلا « وبالنسبة لخط الحدود مع الاردن ، فقد طرأ عليه تغيير كبير ، اذ يمتد الان خط الحدود على مجرى نهر الاردن ... هذا الوضع الجديد يلغي نقطة الضعف الجيو ــ ستراتيجي التي عانت منها اسرائيل حتى حرب الايام الستة ... ويرتكز التشكيل الدفاعي الاسرائيلي في الشرق اليوم على نهر الاردن وغور الاردن وسلسلة جبلية من الصعوبة

بمكان ان يمـر جيش ميكانيكـي حـديث فيها » (١٢) ٠

ثم اخذت تبنى المستوطنات على طول خط المواجهة مع الاردن ، الامر الـذي عبر عنه « آلون » وقتئذ بقوله ان علـى اسرائيل ان تعمد وبسرعة الى « خلق واقع استيطاني زراعي ودفاعي في تلك المناطق، والتي تعتبر هامة جدا من الناحيـة الدفاعية ، والتي لا يمكن التنازل عنهـا تحت اي ظرف ٠٠٠ والذي اقصده هنا هو الشريط الدفاعي الواسع على طول غور الاردن ٠ والذي يرتكز احد اجزائه على النهر ، ويرتكز الجزء الثاني على الجبل ، مع ابقاء حرية الاختيار لحلول مختلفـة بشأن المستقبل السياسي لسكان الضفـة الغربية » (١٣) ٠ وهكذا ظهر ما عـرف بمشروع « آلون » ، الذي انشأت بموجبه عدة مستعمرات فوق المرتفعات المحاذيـة لنهر الاردن ، وبعمق عـدة كيلومترات ؛ بحيث اصبحت الضفة الغربية معزولة عـن الضفة الشرقية للنهر ، باستثناء ممر ضيق مسيطر عليه تماما يمر بمدينة « اريحا » ٠ والان ، وبعد ان استوعبت اسرائيـل « قضمة » ٦٧ ، واقامت نظامها الدفاعي وشبكة الانذار الراداري على مرتفعـات الضفة الغربية ، يأتي « ايتان » ليقول ان هذه الحدود الشرقية الجديدة « هي اكثر الحدود خطرا ، لانه ينقصهـا العمـق الاستراتيجي ، ولانها تضع اهم المراكـز السكانية الاسرائيلية في مجـال نيران العدو » ! وكأنه بذلك يطرح مجددا مزيدا من التوسع نحو الشرق عبر نهر الاردن حتى المرتفعات الواقعة الى الشرق منه ، علـى الاقل ، كي تأمن الحدود الشرقية للكيـان الصهيوني النيران المحتملة للمدفعية الاردنية مثلا في المستقبل ٠ الامر الذي دفع الملك حسين الى القول ، في كلمة ألقاها فـي ضباط الفرقة المدرعة نشرت في ٩ـ٥ـ٧٨ ، ان « الاردن يقف على اطول خط من خطوط المواجهة واخطرها ٠٠٠ فسلسلة جبـال الاردن من اليرموك حتى العقبة عمقهـا محدود ، ومفتوحة الى قلب الوطن العربي الذي يضم مقدساتنا وثرواتنا ٠٠٠ ان هذه الرقعة الاستراتيجية التي نعيش عليهـا تجعلنا باستمرار هدفا للاطماع الصهيونية٠ فالضفة الشرقية مشمولة بوعد بلفور لاقامة دولة يهودية عليها وعلى فلسطين ولا أحد يعلم ما هي حدود خريطـة الاطمـاع الاسرائيلية على الارض العربيـة ٠٠٠ وليست هناك بوادر او مؤشرات تدل على ان اسرائيل تريد السلام ، بل هي علـى العكس تخطط باستمرار للوقت المناسب لتغيير الواقع على الضفة الشرقية لنهر الاردن لتصل الى قلب الوطن العربي» (١٤)٠

وفي الوقت نفسه فانه بالاضافة الـى التمهيد الدعائي الاولي لفكرة مزيد مـن التوسع شرقا ، التي بدأت اسرائيل فـي التحضير لها بتصريح « ايتان » هذا ، والتي تنتظر تنفيذها وقتا وظرفا مناسبين (مثل حرب جديدة يشارك فيها الاردن وتحقـق اسرائيل فيها انتصارا) ، فان هـذه التصريحات والاقوال تشكل هجوما مضادا ضد المطالبة العربية بانسحاب اسرائيـل من اراضي الضفة الغربية المحتلة فـي ١٩٦٧ ، بحيث تتحول هـذه المطالبـة « الهجومية » العربية ، اذا صح التعبير ، الى مطالبة « دفاعية » تستهدف الحيلولة دون مزيد من التوسع الاسرائيلي لضـم الضفة الشرقية لنهر الاردن ، فضلا عـن استبقاء الضفة الغربية ! ولذلك عـاد الجنرال « ايتان » وصـرح في حديث تليفزيوني في ختام احتفالات الذكرى ٣٠ لانشاء « اسرائيل » يوم ١٢ـ٥ـ٧٨ ، فقال «ان هدف الدول العربية لا يزال هو ازالة اسرائيل عن الخريطة ٠٠٠ ان اعتقادي هو ان الهدف الاساسي للعرب لم يتغير ٠٠٠ وعلى رغم كل الوسائل الحديثة للحـروب فان اسرائيل لا يمكن الدفاع عنهـا او المحافظة على حدودها من دون « اليهودية» و« السامرة » (اي الضفة الغربية) ومن

دون مرتفعات الجولان » (١٥) ٠

وسارع وزير الدفاع عيزر فايتسمان الى تبني حديث « ايتان » مؤكدا انه لم يتخط سلطاته ومشيرا الى ان مصر والولايات المتحدة تعترفان بأن اسرائيل في حاجة الى ضمانات امنية ، وأن هذه المسألة لا تزال قيد البحث ، وذلك ردا على جملة المعارضة الاسرائيلية المضادة للتصريح المذكور، التي قامت على اساس ان التصريح يعد تدخلا من المؤسسة العسكرية في السياسة ومن شأنه عرقلة مفاوضات السلام الدقيقة مع مصر ٠ ويطرح هذا الواقع الاسرائيلي الواضح في دلالاته ، سواء من حيث الرفض المطلق للانسحاب من الضفة الغربية والجولان ، او من حيث تجسد الاطماع التوسعية الصهيونية في الضفة الشرقية لنهر الاردن في « قضمة » جديدة يجري الاعداد لتنفيذها مستقبلا ، يطرح مجددا على العرب مسألة الجبهة الشرقية،وضرورة تشكيلها ودعمها بقوة ، لانها تمثل حاليا درع العرب الرئيسي في التصدي للتوسع الصهيوني ، وفي العمل على تحرير الارض المحتلة عام ٦٧ في الجولان والضفة الغربية، اي باختصار من اجل خلق توازن استراتيجي فعال مع اسرائيل من اجل ردعها واحتوائها ٠ وهذه الجبهة تفترض بطبيعة الحال حد ادنى من وحدة العمل السياسي والعسكري بين كل من سوريا والاردن والعراق ، فضلا عن الثورة الفلسطينية٠ فهل تشكل الاطماع والتحديات الاسرائيلية المشار اليها ، القدر الكافي من الشعور بالمخطر لدى القوى العربية المعنية .

هل تشكل طائرات الميراج عصب القوة الجوية المصرية

خلال زيارة لاحدى القواعد الجوية المصرية في ٦ـ٥ـ٧٨ قال الفريق اول «عبد الغني الجمسي » ، وزير الحربية المصري ، ان « طائرات الميراج هي عصب القوات الجوية وطائرات القتال الرئيسية حاليا ومستقبلا بناء على استراتيجية موضوعة تستمر سنوات طويلة ، وذلك سواء عن طريق شراء هذه الطائرات او تصنيعها محليا بواسطة الهيئة العربية للتصنيع»(١٦) واستطرد وزير الحربية المصري موضحا حقيقة موضع الـ ٥٠ طائرة «ف ــ ٥ اي » ، التي ستشتريها مصر من الولايات المتحدة ، ضمن القوة الجوية المصرية ، فقال ان الهدف من الحصول عليها هو استبدال طائرات « الميغ ــ ١٧ » الموجودة حاليا لدى الطيران المصري ، باعتبار انها اقل تطورا من «ف ــ ٥ » التي ظهرت في الستينات ، وذلك في انتظار استكمال تزويد القوة الجوية المصرية بطائرات « الميراج » ٠ ثم اردف قائلا ان « الطائرات الغربية احدث وافضل ومزودة بتسهيلات عدة » وان طائرات النقل الاميركية « سي ــ ١٣٠ هيروكوليز » تبلغ حمولتها «ضعفي حمولة الطائرة السوفييتية « انطونوف ــ ١٢ » المستخدمة حاليا في عمليات النقل الجوي » ٠ ويثير هذا الحديث ، الذي جرى قبيل موافقة مجلس الشيوخ الاميركي على صفقة الطائرات الثلاثية الاطراف لكلمن اسرائيل والسعودية ومصر ، والذي تبدو فيه لهجة متحفظة بالنسبة لاهمية طائرات « ف ــ ٥ » ، يثير عدة نقاط جديرة بالقاء الضوء عليها ، نوجزها فيما يلي :

١ ــ لا شك في ان الطائرة « ف ــ ٥ » تعتبر بديلا اكثر تطورا من الناحية التقنية عن الطائرة « الميغ ــ ١٧ » الاقل حداثة ، والتي تمتلك مصر منها حاليا نحو ٥٠ طائرة من بقايا صفقات الاسلحة السوفييتية السابقة ، او اللاحقة مباشرة ، لحرب ١٩٦٧ ٠ وذلك سواء من حيث السرعة ، او الحمولة الحربية ، او المعدات الفنيةالمجهزة بها ، وانها بالتالي اقل تطورا من « الميغ ــ ٢١ » ، خاصة المنتمية منها الى طراز « م ف » المستخدمة في مهام الدفاع الجوي المصري ، وقد سبق ان ناقشنا ذلك من

الناحية الفنية ، عندما تناولنا صفقــــة الطائرات المذكورة في شهريات نيســـان (ابريل) الماضي (١٧) · الامــر الــذي يجعلها لا تشكل اضافة ، او تحديثا لـــه قيمته العملية ، بالنسبة للقوة الجويـــة المصرية ، خاصة في ظل عملية التطوير الكمي والنوعي الجارية ، والتي ستستكمل بمقتضى صفقة الطائرات الاخيرة ، لدى السلاح الجوي الاسرائيلي منذ انتهاء حرب ١٩٧٣ ·

٢ ـ يتألف الطيران المصري حاليا من نحو ٥٣٤ طائرة قتالية ، من بينها نحو ٥٢ طائرة « ميراج ٣ اي »و « ميراج ـ ٥»، على حين ان لديه نحو ٢٤٤ طائرة « ميغ ـ ٢١ » بانواعها المختلفة ، ونحو ٥٠ طائرة « ميغ ـ ٢٣ » « وميغ ـ ٢٧ » (والاخيرة نوع من الميغ ـ ٢٣ مخصص لمهام القصف الارضي) ، ونحو ٦٠ طائرة « سوخوي ـ ٧ » و ٤٨ « سوخوي ـ ٢٠ » ·

وعلى ضوء هذه الرقمية التي اشرنـــا اليها سابقا ، يصعب علينـــا تصور ان طائرات « الميراج » تشكل عصب القـــوة الجوية المصرية حاليا ، خاصة وان اجمالي قوتها النارية يبلغ نحو ١٣٢ طنا من القنابل في حالة استخدامها في القصف الجــوي (٣٨ طائرة « ميراج ٣ اي » تحمـــل الواحدة منها ٢ طن قنابل ، اي ما مجموعه ٧٦ طنا · و١٤ طائرة « ميراج ـ ٥ » تحمل الواحدة منها ٤ اطنان ، اي ما مجموعـــه ٥٦ طنا) ، اما في حالة استخدامها فـــي مهام الاعتراض الجوي ، فتبلغ قوتهـــا النارية ٧٦ صاروخا جو ـ جو (تستخدمها طائرات « الميراج ٣ اي » فقط اما «الميراج ـ ٥ » فلا تستخدم الا في القصف) · وهذه قوة نارية محدودة بالقياس لاجمالي القوة النارية للطيران المصري البالغ قدرها نحو ١١١٩ طنا من القنابل ، ونحو ١٠٤٤ صاروخا جو ـ جو · ومن الناحية الفنيـــة تكاد تكون متقاربة في السرعة وحمولـــة القنابل (باستثناء « الميراج ـ ٥ ») مع « الميغ ـ ٢١ م ف » ، وتفوقها بعض الشيء في المدى ، ولكن « الميغ ـ ٢٣ » تفـــوق « الميراج ـ ٥» في حمولة القنابـــل · وتقاربها في بقية القدرات القتالية ·

هذا بالنسبة للوضع الحالي للطيـــران المصري الذي ما زالت طائرات « الميغ ـ ٢١ » تشكل فيه عصب الطيران المصري وهي الطائرات التي قال وزير الحربيـــة المصرية ، في حديث لاحق له يوم ١٧ـ٥ـ ٧٨ ، ان القوات الجوية المصرية قد حققت بها الكثير خلال حرب تشريـــن ولا زالت قادرة على تحقيق المزيد من المهام التـــي تكلف بها (١٨) · اما بالنسبة للوضـــع المتوقع في المستقبل المنظور ، فهناك احتمال ان يحصل السلاح الجوي المصري على نحو ٤٤ طائرة « ميراج ف ـ ١ » ، وهـــي طائرة ذات قدرات متقاربة مع قدرة « الميغ ـ ٢٣ » ، وان كانت الاخيرة اكثـــر حداثة من حيث ان اجنحتها ذات الهندسة المتغيرة ، الامر الذي يوفر لها مرونـــة اكبر في القتال الجوي · وعلى اي حـــال فانها لن تكون ، ضمن محدودية العـــدد المذكور ، تشكل عصب القوة الجويـــة المصرية ، ما لم تخرج طائرات الميغ ـ ٢١ و٢٣ من الخدمة العملية بسبب مشكـــلات قطع الغيار ، وفي هذه الحالة ستتدنى القوة الحالية للطيران المصري ، من حيث العدد ، ومن حيث القوة النارية ، وهـــو امر له خطورته على ميزان القوى الجوي العربي ـ الاسرائيلي ، في ظل التزايـــد المضطرد في قوة الطيران الاسرائيلي ·

٣ ـ ان وصف الطائرات الغربية ، على اطلاقها ، بأنها أحدث وافضـــل ومزودة بتسهيـــلات عدة ، بالقياس للطائـــرات السوفييتية ، لا يعبر عن حقيقة موضوعية مطلقة ، وانما يتطلب الامر للتوصل الـى مقارنة علمية سليمة ، تناول كل نـــوع متماثل في المهام ودرجة الحداثة بيـــن الطائرات وبعضها البعض · واذا ما انتقلنا الى التخصيص القائل بأن طائرات النقـل

الاميركية الصنع « سي ـ ١٣٠ هيركوليز » تفوق طائرات النقل السوفييتية من طراز « انطونوف ـ ١٢ » من حيث الحمولة بنسبة الضعفين ، فاننا نجد الحقيقة التقنية ، وفقا لما تورده المصادر العربية ذاتها ، تخالف ذلك تماما ، اذ ان الطائرة الاميركية المذكورة تستطيع ان تحمل ٩٢ جنديا او ٦٥ مظليا او ١٩ طنا من المعدات والاعتدة المختلفة ، على حين ان الطائرة السوفييتية المذكورة تستطيع ان تحمل ١٠٠ جندي ، او ٧٠ مظليا ، او ٢٠ طنا من المعدات !

طائرات « سياسية » للعرب و « عسكرية » لاسرائيل ٠

بعد مناقشات مطولة ومعقدة وافق مجلس الشيوخ الاميركي في ١٦ـ٥ـ٧٨ على صفقة الطائرات الاميركية مع كل من اسرائيل والسعودية ومصر ، بأغلبية ٥٤ صوتا ضد ٤٤ ٠ وتتضمن الصفقة بيع اسرائيل ٧٥ طائرة من طراز « ف ـ ١٦ »، يبدأ تسليمها اليها العام ١٩٨١ ويستمر حتى العام ١٩٨٣ ٠ و١٥ طائرة «ف ـ ١٥»، يبدأ تسليمها في العام ١٩٨١ ، وينتهي في العام ١٩٨٢ (وذلك اضافة الى صفقة الـ ٢٥ طائرة « ف ـ ١٥ » التي تسلمت اسرائيل معظمها ، واستخدمت بعضها في العدوان الاخير على جنوب لبنان) ٠ وبيع السعودية ٦٠ طائرة « ف ـ ١٥ » ، يبدأ تسليمها في العام ١٩٨١ ويمتد الى العام ١٩٨٤ ٠ وبيع مصر ٥٠ طائرة « ف ـ ٥ اي » ، يبدأ تسليمها في نهاية العام ١٩٧٨، وينتهي في اواخر ١٩٨١ ٠ وقد تمت موافقة مجلس الشيوخ المذكورة بعد ان اكد وزير الدفاع الاميركي للمجلس بأن السعودية وافقت على القيود الموضوعة على استخدام الطائرات المذكورة ، يتعلق احدها بالمكان الذي ستوضع فيه الطائرات ، من حيث انها لن توضع في قاعدة « تبوك » شمال غرب السعودية ، التي تتيح لطائرات « ف ـ ١٥ » الوصول الى الارض المحتلة في فلسطين خلال دقائق معدودة ، وانما ستوضع في قواعد « الظهران » و«الطائف» و« الرياض » و« خميس مشيط » ٠ واحدها يتعلق بعدم تجهيزها بمعدات هجومية ٠ كما قال « براون » ايضا ان السعودية تعهدت باستخدام الطائرات في اغراض الدفاع عن النفس فحسب (١٩) ٠ كما قال « سيروس فانس » للمجلس المذكور ان الطيارين السعوديين هم وحدهم الذين سيتدربون على طائرات « ف ـ ١٥ » ، وان السعودية قد تعهدت بعدم تحويل الطائرات الى أطراف اخرى ٠ ومن جهته قال « بول وارنكي » ، رئيس وكالة الحد من التسلح ، امام مجلس الشيوخ « ان قدرة طائرة « ف ـ ١٥ » التي ستباع للسعودية لن تزيد عن قدرة طائرات سلاح الجو الاميركي المخصصة للدفاع الجوي ٠ اما قدرتها على الهجوم الارضي فستكون محدودة » ٠ اما الجنرال « دافيد جونز » ، ممثل هيئة الاركان الاميركية ، فقد قال للمجلس المذكور انه لو كان مكان رئيس الاركان الاسرائيلي فانه سيعتبر الـ ٦٠ طائرة من طراز « ف ـ ١٥ » الموجودة لدى السعودية ، عنصر دفاع جوي ، مع احتمال ضعيف جدا في الهجوم ، وانه لن يكون لديه شك في قدرة الطيران الاسرائيلي على مواجهة هذه الطائرات اذا ارتكب السعوديون الخطأ واستعملوا الطائرات للهجوم ، ولذلك لن يعتبر ان الطائرات المذكورة تشكل تهديدا لامن اسرائيل ٠ ثم قال ان قيادة الاركان الاميركية تدعم بيع الطائرات الى الدول الثلاث لان البيع يخدم مصلحة الامن القومي الاميركية (٢٠) ٠ اما بالنسبة لطائرات « ف ـ ٥ اي » ، التي ستتسلمها مصر ، فقد قال عنها «براون» انها « تختلف بطبيعتها عن طائرات « ف ـ ١٥ » و « ف ـ ١٦ » لجهة القدرة ... واعتقد ان التوازن العسكري سيستمر ٠ لا بل سيزيد من التفوق الاسرائيلي العسكري

على الدولتين (مصر والسعودية) » (٢١)٠ كما قال « بول وارنكي » « اما بالنسبة الى طائرة الـ « ف ـ ٥ » الى مصر ، فلن تكون مجهزة بخزانات وقود اضافية ٠وعليه فان مداها سيكون محدودا ٠ كما انها لن تحمل الصاروخ جو ـ جو الموجه بواسطة اشعة لايزر » (٢٢) ٠ وقد سبق للرئيس السادات ان وصفها مرارا وتكرارا بانها طائرة درجة عاشرة بالقياس للطائرات المعطاة لاسرائيل ، كما قال « الجمسي »، وزير الحربية المصري ، انها ستحل محل طائرات « الميغ ـ ١٧ » القديمة ٠ وسبق لنا ان تناولنا تاثير الصفقة على ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي بالتفصيل (شهريات نيسان ١٩٧٨) ، وكل ما نستطيع ان نقوله ان مصر والسعودية ستحصل على طائرات لن تستخدم ضد اسرائيل ، ولن يكون لها تاثير على ميزان القوى ضدها ، على حين ان اسرائيل ستحصل على ٩٠ طائرة جديدة (فضلا عن ٢٠ طائرة « ف ـ ١٥ » اخرى وعدت بها بعد انهاء الصفقة) ستزيد قوتها الجوية كما ونوعا الى حد خطير ٠

وهكذا يتبين لنا في النهاية ان الطائرات المباعة للجانب العربي تخدم السياسة الاميركية في المنطقة دون ان تلبي الحاجات العسكرية للعرب على عكس الحال بالنسبة لاسرائيل ٠

م٠ع٠

الحواشي :

١ ـ صحيفة النهار في ٦ـ٤ـ١٩٧٨ ٠

٢ ـ صحيفة الانوار في ١٧ـ٨ـ٧٧ نقلا عن صحيفة الوطن الكويتية ٠

٣ ـ صحيفة السفير في ٤ـ٣ـ١٩٧٨ ٠

٤ ـ صحيفة السفير في ١٢ـ٥ـ١٩٧٨٠

٥ ـ ميزان القوى العسكري في منطقة الشرق الاوسط ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ، قاسم جعفر ، محمود عزمي ، ربيع الاسير ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ١٩٧٨ ، صفحات ١٩٨ ـ ٢٠١ ٠

٦ ـ المرجع السابق ، صفحة ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ٠

٧ ـ المرجع السابق ، صفحات ٤٣و٤٤ ٠

٨ ـ صحيفة السفير ، يوم ٧ـ٥ـ٧٨ ٠

٩ ـ صحيفة النهار ، يوم ٧ـ٥ـ٧٨ ٠

١٠ ـ المرجع السابق ٠

١١ ـ العابد ، ابراهيم ٠ مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية ، مركز الابحاث، بيروت ، ١٩٧١ ، صفحات ٣٣ و٣٤ ٠

١٢ ـ المرجع السابق ، صفحة ٣١ و٣٢ ٠

١٣ ـ المرجع السابق ، صفحة ٢٨ ٠

١٤ ـ صحيفة النهار ، يوم ١٠ـ٥ـ٧٨ ٠

١٥ ـ صحيفة النهار ، يوم ١٣ـ٥ـ٧٨ ٠

١٦ ـ صحيفة النهار ، يوم ٨ـ٥ـ٧٨ ٠

١٧ ـ شؤون فلسطينية ، العدد ٧٧ ، صفحة ١٧٢ ٠

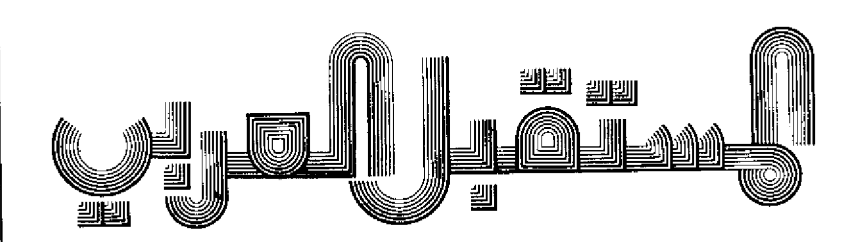
١٨ ـ صحيفة السفير ، يوم ١٨ـ٥ـ٧٨ ٠

١٩ ـ صحيفة النهار ، يوم ١٤ـ٥ـ٧٨ ٠

٢٠ ـ صحيفة النهار العربي والدولي العدد ٥٤ ، يوم ١٣ـ٥ـ٧٨ ٠

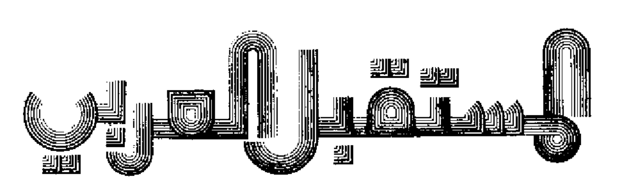
٢١ ـ صحيفة النهار العربي والدولي العدد ٥٤ ، يوم ١٣ـ٥ـ٧٨ ٠

٢٢ ـ صحيفة النهار العربي والدولي العدد ٥٤ ، يوم ١٣ـ٥ـ٧٨ ٠



« ان وحدة مستقبل العرب رهن بوحدة عرب المستقبل »
« ومستقبل الوحـدة العربية رهن بمستقبل عرب الوحدة »
« ومستقبـــل العـــرب هـــو بيد عـرب المستقبـل »

صدر العدد الاول منها في أيار ١٩٧٨



يصدر العدد الثاني في اول تموز (يوليو) ١٩٧٨
بقوة اكبر ٠٠ وثقة أكثر ٠٠ وتميز أوضح

يصدرها : « مركز دراسات الوحدة العربية »
(ص.ب ٦٠٠١ ــ ١١٣ ، بيـــــروت)

رئيس التحرير : د٠ أنيس صايغ